

مكتبة الدراسات التاريخية

تاريخ الطباعة في الشرق العربي

تأليف

الدكتور خليل صابات

الطبعة الثانية



دارالمعارف بمصر

تاريخ الطباعة في الشرق العربي

الدكتور خليل صابات
أستاذ الصحافة المساعد بجامعة القاهرة

تاريخ الطباعة في الشرق العربي

الطبعة الثانية



دار المعارف بمصر

١٩٦٦

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

مقدمة الطبعة الأولى

لكل أمة من أهم العالم الغربي تاريخ لنشأة الطباعة فيها وتطورها ، وفي دور الكتب العالمية عشرات المؤلفات التي تحكى قصة دخول اختراع جوتنبرج هذه الدولة أو تلك ، والصعاب التي اعترضت الأولين في إرساء قواعده والعوامل الاجتماعية والسياسية المختلفة التي ساعدت على نموه وازدهاره .

غير أن تاريخ الطباعة في الشرق العربي لم ينل بعد العناية التي يستحقها ، فرأينا أن نقوم بمحاولة لعلها تسد هذا الفراغ في مكتبتنا العربية . والفكرة الأساسية التي قامت عليها دراستنا هي أن تاريخ الطباعة ركن هام لتاريخ الشرق الحديث لأنه يصور لنا بوضوح مدى تطور عقلية الحاكين والمحكومين في هذا الشرق ، والصراع الذي نشب فيه بين العلم والجهل وبين الحرية والكبت وبين التقدم والرجعية . كما أن انتشار وارتقاء الفن المطبعي في الشرق العربي يعودان إلى توافر عوامل أربعة : اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية .

ولكتابة تاريخ الطباعة في مصر رجعنا إلى وثائق وزارة الحربية الفرنسية الخاصة بحملة بوناپرت على مصر وإلى مقالات البير جيس وراول كانيث المنشورة في مجلة المجمع العلمي المصري وإلى كتاب فرانسوا شارل رو « بوناپرت حاكم مصر » وإلى مقالات توفيق إسكاروس في مجلة الهلال بعنوان « تاريخ الطباعة في وادي النيل » ، وإلى بحث الدكتور أبي الفتوح أحمد رضوان ، وعنوانه « تاريخ مطبعة بولاق ولحمة في تاريخ فن الطباعة وانتشاره في مصر وبلدان الشرق » . وإلى « تاريخ الوقائع المصرية » ويتعرض فيه مؤلفه الدكتور إبراهيم عبده لتاريخ مطبعة بولاق . ورجعنا في دراستنا إلى تلك الأبحاث وغيرها وإلى محفوظات عابدين العربية والتركية وإلى محفوظات القلعة ووزارة المالية ومطبعة بولاق . وقد عاونتنا هذه الوثائق في تصحيح واستكمال بعض ما جاء في أبحاث من سبقونا في هذا المضمار .

كما استعنا بصحيفة الوقائع المصرية . وكان تقويم النيل لأمين سامي ، خير عون لنا على استجلاء بعض الحقائق الخاصة بتاريخ الطباعة في مصر .

واعتمدنا في تأريخنا للطباعة في العراق على المقالات التي نشرها المرحوم روفائيل بطي في مجلة لغة العرب خلال سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ . واتصلنا أيضاً خلال إقامتنا ببغداد بالأستاذ كركيس عواد ، أمين مكتبة مديرية الآثار القديمة في بغداد ، حيث قدم لنا سيادته المطبوعات القديمة التي أخرجتها المطابع العراقية . وزرنا عدداً من المطابع القديمة والحديثة . وسهلت لنا وزارة الداخلية العراقية مهمة عمل إحصاء دقيق بعدد مطابع العراق وتاريخ تأسيسها . واستعنا بأبحاث عبد المولى الطريحي التي نشرت في مجلة المشرق ، ومجلة لغة العرب ، وبمقالات الأب لويس شيخو في مجلة المشرق . وفي بغداد يعتبر الأستاذ حسين جميل أحد الوزراء السابقين من الثقات في تاريخ الطباعة ببلاد الرافدين في الربع الثاني من القرن العشرين .

أما الطباعة في سوريا فإننا لم نجد سوى مؤرخ واحد يهتم بعض الشيء بنشأتها في هذا القطر العربي وهو الأب لويس شيخو . فكان علينا إذن أن نسعى إلى إتمام ما بدأه هذا الباحث . وكان السبيل الوحيد إلى بلوغ هدفنا هو التنقيب في دار الكتب الظاهرية بدمشق عن الكتب المطبوعة في المطابع السورية . واتصلنا بالمرحوم « محمد كرد علي » وكان رئيساً للمجمع العلمي السوري ، والسيد محمد صالح الحيلاني مؤسس مطبعة الترقى ، والسيد وجيه بيضون مؤسس مطبعة ابن زيدون ، والسيد محمد شريف الأسطى أول من اشتغل بالحفر على الزنك بدمشق ، والأستاذ نصوح بابيل نقيب الصحفيين ، والسيد رشاد الداودي أحد مديري مطبعة الجمهورية السورية السابقين . كما قمنا بزيارة مختلف مطابع دمشق .

أما في لبنان فقد وجدنا الأب لويس شيخو أول من أَرخ للطباعة في هذا البلد العربي . وظلت الطباعة بلبنان بدون مؤرخ يعنى بتدوين التطور الذي أصابها حتى سنة ١٩٤٩ حيث وضع الأب يوسف نصر الله كتاباً باللغة الفرنسية عنوانه « المطبعة في لبنان » . وعلى الرغم من الأبحاث التي قمنا بها في دار الكتب اللبنانية

والمكتبة الشرقية ومحفوظات دير مار يوحنا الصابغ ومحفوظات الرهبانية المخلصية وغيرها من محفوظات الأديرة ، فإننا لم نصف إلى ما جاء في مؤلف الأب نصر الله إلا القليل من المعلومات .

وكان أمامنا بعد ذلك أن نحاول كتابة تاريخ للطباعة في فلسطين والأردن فرجعنا إلى ما دونه شاهين مكاريوس في هذا الموضوع ونشره في مجلة المقتطف وإلى ما سطره الأب شيخو في مجلة المشرق وإلى المعلومات التي استيقناها من الرهبان الفرنسيين بالقدس . كما تفضل سيادة ميخائيل عساف مطران الروم الكاثوليك في عمان بأن أرسل لنا بحثاً وافياً عن الطباعة في الأردن .

وعالج الطباعة في اليمن الدكتور ر . ب . سارجنت في بحث قيم عنوانه « الأدب العصري في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب » نشرته له مجلة الأدب والفن سنة ١٩٤٤ .

وعاوننا في كتابة تاريخ الطباعة في المملكة العربية السعودية سفارة المملكة العربية السعودية بالقاهرة . كما زودتنا المطابع الأهلية الهامة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة بمعلومات تعد وافية بالغرض عن حال الطباعة في تلك البلاد .

وأخيراً فقد اعتمدنا في تأريخنا للطباعة في الكويت على الدكتور إبراهيم عبده وعلى بعض أصدقائنا وطلبتنا الكويتيين .

وإننا ننهز هذه الفرصة لنقدم وافر شكرنا للسادة الذين تفضلوا بمعاونتنا في هذا البحث . وإننا نرحب كل الترحيب بكل تصحيح يرسل إلينا ، لنسجله شاكرين في الطبعة الثانية إن شاء الله .

خليل صابات

القاهرة في ١٠ يناير سنة ١٩٥٨

مقدمة الطبعة الثانية

كنا قد توقفنا في تأريخنا للطباعة في الشرق العربي ، حين نُشر كتابنا هذا لأول مرة ، عند سنة ١٩٥٢ أو بعدها بقليل . ورأينا حين طُلب إلينا إعادة نشره ، بعد أن نفذت طبعته الأولى أو كادت ، أن نعاود البحث في بعض المحفوظات وأن نطلع على المؤلفات الجديدة التي تمس موضوع دراستنا من قريب أو من بعيد وأن نتصل بالمهتمين بفن الطباعة وتطوره في بلاد الشرق العربي . كما تكرم علينا بعض الذين قرأوا الطبعة الأولى ببعض ملاحظاتهم فأوليناها شديد عنايتنا . وقد واصلنا دراسة تطور الطباعة في الشرق العربي إلى سنة ١٩٦٥ معتمدين في ذلك — كلما أمكن — على أوثق المصادر . ولم يفتنا في هذه المرة أن نؤرخ للطباعة في البحرين وفي قطر وأن نسجل التقدم الكبير الذي حققه هذا الفن في هذين القطرين العربيين ، على الرغم من حداثة عهد الطباعة فيهما بالنسبة لغيرهما من البلاد العربية .

لقد دخل على صناعة الطباعة مستحدثات وتحسينات عدة منذ أن ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب . ورأت بعض بلاد الشرق العربي أن تدخلها على مطابعها ، في حين فضلت بلاد عربية أخرى ، بناء على خطط التنمية التي رسمتها لاقتصادها أن تهتم بتخفيض سعر المطبوع لتضعه في متناول أكبر عدد ممكن من القراء مضحية إلى حد ما بالكيف في سبيل الكم .

وعلى أي حال ، فيمكن أن يقال الآن: إن صناعة الطباعة في الشرق العربي لمن الصناعات المزدهرة التي لا تلجأ إلى الاستعانة بالخبراء الأجانب إلا فيما ندر . وقد أنشأت بعض بلاد هذا الشرق مدارس لتعليم الطباعة تتخرج فيها أجيال جديدة من الطابعين المتقنين لفنهم ، القادرين على المضي في هذه الصناعة قدماً إلى حد الكمال .

ويجدر بنا ، ونحن نقدم لهذه الطبعة ، أن نشكر كل من تفضل بمعاونتنا فيها ، فلولاهم لما رأيت النور وما اشتملت على كل هذه التفاصيل . وإننا نرجو منهم ومن المهتمين بالطباعة عموماً أن يوافقونا بملاحظاتهم على هذه الطبعة الجديدة ، كي نعمل بها في الطبعة القادمة إن شاء الله . . .

خليل صابات

القاهرة في أول أكتوبر ١٩٦٥

الباب الأول

نشأة الطباعة في العالم -

يرجح المؤرخون أن يكون الصينيون والكوريون قد عرفوا الطباعة بالحروف المتفرقة في أواسط القرن الحادى عشر للميلاد . أما فى أوربا فقد بدأت الطباعة بالألواح الخشبية La xylographie . وكانت الصفحة المراد طبعتها تكتب بحروف مقلوبة على لوح من الخشب بعد تسوية سطحه وتنعيمه . وكان العامل أو الفنان يقوم بحفر أجزاء الخشب الحالية من الكتابة . وفى نهاية هذه المرحلة كانت الحروف تظهر بارزة على اللوحة ، فيقوم العامل بتجويرها ويضع عليها الورقة التى يراد طبعتها ويمرر عليها أسطوانة ، فتظهر الكتابة واضحة على الورقة . وظل الإنسان المتحضر يتبع هذه الطريقة فى الطباعة ، إلى أن ظهرت المطبعة بالمعنى الحقيقى فى منتصف القرن الخامس عشر .

ويعود تأخر هذا الاختراع حتى هذا التاريخ ، إلى أسباب عدة أهمها أن الإنسان لم يكن يشعر بالحاجة إلى هذه الآلة الجديدة . يضاف إلى ذلك أن طرق الاتصال — (كالكتاب والجريدة والإعلان) التى نعتبرها اليوم من ضروريات الحياة — لم تكن فى العصور القديمة والوسطى ذات أهمية تذكر . فقد كان الإنسان يعيش فى جماعات صغيرة . وكان يتناقش فى المسائل السياسية والتجارية فى الميادين العامة ، وكان يمارس العلوم والفنون مشتركاً مع غيره من أفراد جماعته ، لا يتعداهم إلى جماعة أخرى إلا فيما ندر . وهكذا لم تكن المطبعة عاملاً ضرورياً لتبادل الأفكار والآراء .

والأسباب التى دعت إلى اختراع المطبعة نجدها فى القرن الخامس عشر ، حيث بدأ النظام الإقطاعى يتداعى وهبت الشعوب تطالب بالوحدة وأخذت العقول تبحث عن نور المعرفة وأخذ الفرد يشعر بوجوده وبحاجته إلى أشياء جديدة تغذى عقله وفكره . لقد اجتاحت أوربا حمى حب المعرفة ، فأصبحت القراءة من الأمور التى لا يمكن الاستغناء عنها ، لا سيما قراءة الآداب القديمة التى حملها العلماء وفروا بها بعد فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية .

ولم يعد إنتاج النساخ كافياً لحاجات الجمهور المتعطش للمعرفة ، وخاصة بعد أن ارتفع سعرهم وعلا مركزهم وازدادت أرباحهم زيادة كبيرة ، وأضحى

المخطوط أثمن هدية تقدم في ذلك العصر ،
لقد أصبحت الحاجة ملحة إلى إيجاد طريقة ميكانيكية للنسخ ، النسخ بدون
خطأ ، النسخ إلى ما لا نهاية .

ويعتقد البعض أن حفارى الخشب كانوا أول من فكر في اختراع المطبعة ،
عندما طبعوا في ألمانيا سنة ١٤٠٠ أوراق اللعب . ولم تلبث هذه الطريقة أن
انتقلت من صناعة ورق اللعب إلى صناعة الصور المقدسة . وقد أدى نجاح
هذه التجارب الأولى إلى مضاعفة عدد الكتب المطبوعة بالألواح الخشبية . وأول
كتاب مطبوع بهذه الوسيلة ظهر في أوروبا سنة ١٤٢٠ . ويرجح المؤرخون اختفاء
هذا النوع من الطباعة حوالى سنة ١٤٩٠ .

ودعت عيوب الطباعة بالألواح الخشبية إلى التفكير في حفر كل حرف على
حدة . فأمكن بهذه الطريقة جمع الحروف المتفرقة لتكوين الكلمات في تناسق
تام . فإذا ما فرغ من طبع الكتاب استخدمت هذه الحروف ذاتها في طبع كتاب
أو كتب أخرى .

ولكن ما اسم مخترع الطباعة بالحروف المتفرقة ؟ وأين ومتى اخترعت ؟

ليس ثمة أصعب من الإجابة على هذا السؤال بدقة . ذلك أن المحاولات الأولى
لاختراع المطبعة كانت تجرى في تكتم شديد مخافة أن يدرك الناس الفرق بين
ما ينتج عن طريق هذا الفن الجديد وبين ما يكتبه الناسخون . فالطباعة لم تكن
في أول أمرها إلا محاولة آلية ، الغرض منها تقليد عمل الناسخين وبيع الكتب المطبوعة
على أنها منسوخة ، إذ لم يكن هؤلاء المقلدون يكتبون أسماءهم ولا تاريخ الطبع
أو مكانه على كتبهم ، خوفاً من أن يكشف أمرهم فتضيع عليهم الأرباح التي
كانوا يجنونها من وراء هذا التدليس .

وإلى وقت قريب كان مؤرخو الطباعة يعتقدون أن يوحنا جوتنبرج قد فكر
أول الأمر في حفر حروف الأبجدية على رؤوس قطع خشبية منشورية الشكل
وظل هذا الاعتقاد سائداً إلى أن جاء من يثبت أن الطباعة بالحروف المتفرقة
أو المتحركة لم تمر أبداً بهذه المرحلة ؛ فقد تبين عملياً استحالة ضم هذه الحروف
بعضها إلى بعض .

أما الحقيقة التي لا تقبل الشك فهي أن يوحنا جوتنبرج صنع حروفه الأولى من النحاس . وكانت الحروف الجديدة تصف في خط مستقيم وتوزع أو تفرق في سهولة عند الفراغ من الطبع . ولما كانت تكاليف صنعها باهظة ، وكان حفرها يستغرق وقتاً طويلاً ، فقد فكر جوتنبرج في سبكها .

وترجع محاولته الأولى إلى سنة ١٤٣٦ . وكل شيء يدل على أن هذه المحاولات وضعت موضع التنفيذ منذ ١٤٥٠ . ومن المؤكد أن الطبقات الأولى لكتاب « مرآة الخلاص » قد جمعت بالأحرف المسبوكة في قوالب من الرمل المهدبة بالمنقش ، وهذا ما يفسر كثرة العيوب في تلك الحروف . غير أنها سرعان ما تلاشت بين عامي ١٤٥٣ و ١٤٥٥ ، عندما فكر بطرس شويفر Schoiffer في صنع أمهات (قوالب) من النحاس . وأول كتاب ديني سبكت حروفه سبكاً كاملاً ، طبع في مدينة منتز سنة ١٤٥٩ .

وكانت المطبوعات الأولى شديدة الشبه بالمخطوطات ، مما دعا بعض الطابعين إلى بيعها على أنها مخطوطة . ويمكن أن يقال إن عامل الغش كان ، إلى حد ما ، الباعث على اختراع المطبعة . ولكن عندما شرعت المطبعة في استخدام الحروف الرومانية مكان الحروف القوطية سهل على الناس التمييز بين المخطوط والمطبوع .

ويجمع مؤرخو المطبعة على أن جوتنبرج هو الذي اخترع الطباعة بالحروف المتفرقة . وقد بدأ تجاربه الأولى في مدينة ستراسبورج بالاشتراك مع أندريه دريتزن Andre Dritzhen وشخصين آخرين . وفي سنة ١٤٤٥ انتقل جوتنبرج إلى مدينة منتز مسقط رأسه ، حيث تعاقد مع يوحنا فوست على سبك حروف في أمهات مصنوعة من الرصاص والنحاس . وأول كتاب طبع بهذه الحروف هو التوراة ذات الاثنى والأربعين سطرًا الذي بدأ جوتنبرج فيه حوالي سنة ١٤٥٠ . وفي هذه الأثناء تعرف بطرس شويفر بفوست شريك جوتنبرج ومموله . وبدأ شويفر يجرى ، بمساعدة فوست ، تجارب تمكن على أثرها من صنع حروف من الرصاص بعد صبها في قوالب من النحاس . وقد جاءت هذه الحروف واضحة دقيقة فضلاً عن سرعة صنعها .

أما جوتنبرج فإن معينه كاد أن ينضب من كثرة المحاولات التي بذلها في

سبيل تحسين اختراعه . وبدأ اليأس يتسرب إلى نفس مموله فوست وأخذ الخوف يداخله من أجل ماله .

وفي سنة ١٤٥٦ بيعت بمدينة باريس نسخة من التوراة ذات الاثنين والأربعين سطراً ، مطبوعة على ورق مصقول ، بحوالي ألفي فرنك . وعلى الرغم من رخص ثمنها ، فإن الناس لم يقبلوا على شرائها . بيد أن هذه النتيجة لم ترض جشع فوست الذي بادر إلى حل الشركة القائمة بينه وبين جوتنبرج . وهكذا أصبح في مدينة منتز مطبعتان إحداهما لجوتنبرج والأخرى لفوست وشريكه الجليد شويفر .

وفي ١٧ يناير سنة ١٤٦٥ منح رئيس الأساقفة ، أدولف دي ناسو ، جوتنبرج لقباً من ألقاب الشرف وأجزل له العطاء ، وطلب إليه أن يتبعه إلى مقره الرسمي في «التفيل» وهي مدينة صغيرة على مقربة من منتز ، فقبل جوتنبرج عن طيب خاطر وحمل معه مطبعته . وقد توفي أبو الطباعة في منتز خلال شهر فبراير من سنة ١٤٦٨ .

أما فوست فقد نجح في صناعته الجديدة مما حفزه على طلب المزيد من الربح ، فقرر رأيه على السفر إلى باريس لبيع كتب التوراة المطبوعة على أنها مخطوطة . وقد جازت الحيلة على عملائه الفرنسيين ، ولكن ما لبثوا أن داخلهم الشك ، وظنوا أن في الأمر سحراً ؛ إذ كيف يستطيع إنسان ، مهما أوتي من مهارة ، أن ينسخ هذا العدد الكبير من الكتب ، بحيث تأتي كلها على نسق واحد لا فرق بينها ألبتة ! وخشى فوست أن تثبت عليه جريمة السحر ، وهي جريمة كان عقابها في ذلك العصر الإعدام حرقاً . واجتمع برلمان باريس من أجل ذلك ، وبعد مناقشة طويلة ، أصدر حكمه ببراءة فوست من تهمة السحر ، حيث ثبت لأعضائه أن كتب التوراة سالفة الذكر ، ما هي إلا ثمرة اختراع جديد لم يكن قد عرف بعد في باريس . غير أن هذا الحكم لم يعف فوست من تهمة الغش ، لأنه حاول أن يلتقي في روع مشترى كتبه أنه يبيع لهم كتباً مخطوطة ، فهب هؤلاء يطالبون بفرق الثمن . ولم ينقذ فوست من هذه المشاكل التي تراكت عليه إلا الموت . فقد قضى نحبه في ١٤٦٦ .

ويعود سبب انتشار الطباعة في أوروبا إلى كارثة حلت بمدينة منتز . فقد

شجر خلاف بين أميرين على كرسي الأسقفية انتهى بحرق منتر سنة ١٤٦٢ ، فتعطلت مطبعة فوست وشويفر ورأى عمالها أن الفرصة سانحة لترك منتر والهجرة إلى بلاد أوربا ليشغلوا بالطباعة فيها لحسابهم الخاص . وهكذا تفرق عمال فوست وشويفر في أنحاء أوربا وأخذ كل منهم يدعى أنه هو أول من اخترع الطباعة . وكادت الحقيقة تضع بين أصوات المتخربين من أهل هذا الفن ومريديهم . وحمل فن الطباعة بالحروف المتفرقة إلى إيطاليا ، عاملان كانا يشتغلان عند جوتنبرج . فقد نزلا في دير سوبياكو وطبعا كتباً في الأجرومية اللاتينية . وكان الناس في ذلك العصر يعتبرون الطباعة مهنة شريفة لا تحط من قدر من يمارسها بل تزيده علواً وشرفاً في نظرهم . ودليلنا على ذلك أن أحد النبلاء افتتح لنفسه مطبعة في روما حوالي سنة ١٤٧٠ .

وانتشرت المطابع بعد ذلك في البلاد التي كوّنت فيما بعد المملكة البروسية . فظهرت المطبعة في برسلو سنة ١٤٧٥ وفي غيرها من المدن البروسية .

وتطورت الطباعة تطوراً سريعاً في السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الخامس عشر ، وأصبح عدد المطابع ينوف على المائتين بما في ذلك مطابع الأديرة . وقد بقي من هذا العدد حوالي الخمسين إلى سنة ١٥٠٠ . وأدخلت على الفن المطبعي تحسينات كثيرة . فقد حصل أحد الإيطاليين في سنة ١٤٩٨ على امتياز طبع النوتات الموسيقية بحروف متفرقة مسبوكة .

وعرفت إنجلترا الطباعة في سنة ١٤٧٤ ، بفضل وليم كوكستون الذي نزل بدير وستمنستر ، بعد أن تعلم الطباعة في ألمانيا ؛ وأخذ ينشر الكتب المختلفة ويبيعها لأبناء وطنه . ويلاحظ أن مطبوعات كوكستون كانت أقل جودة من مطبوعات زملائه في القارة الأوروبية ؛ فالحروف القوطية كانت رديئة الصنع والصور المحفورة على الخشب كانت بدائية . ولم يكن في إنجلترا حتى نهاية القرن الخامس عشر إلا ثلاث مطابع واحدة في لندن ، والاثنان الآخران في أكسفورد وسانت الباتز . وكانت أنفرس أول مدينة في بلجيكا عرفت الطباعة . وأول كتاب ظهر فيها يعود تاريخه إلى عام ١٤٧٢ . ودخلت المطبعة بعد ذلك مدينتي لوفان وبروج .

وتعتبر أوترخت أول مدينة هولندية عرفت المطبعة . فقد أخرجت سنة ١٤٧٣

« تاريخ العهدين القديم والحديد » . وما لبثت الطباعة أن ازدهرت في هذا الجزء من أوروبا .

ورأت مدينة فيينا أول مطبعة سنة ١٤٨٢ . فقد حضر إليها بعض الطابعين المتجولين وطبعوا فيها بعض الكتب التي كانت تلقى رواجاً .

أما بولندا فقد عرفت الطباعة متأخرة بالنسبة لسائر البلاد الأوروبية ويعود سبب ذلك التأخر إلى بعدها عن المراكز التي انبثقت منها الحضارة في حوالى منتصف القرن الخامس عشر . وتأسست أول مطبعة في وارسو سنة ١٥٧٨ أى بعد اختراع المطبعة بحوالى مائة وثلاثين سنة . ودخلت الطباعة الدانمرك والسويد في أواخر القرن الخامس عشر . ولم تعرفها النرويج إلا سنة ١٦٤٤ على الرغم من قربها من السويد والدانمرك .

وإن انتقلنا إلى إسبانيا ، وجدنا أنها مارست الفن المطبعي منذ سنة ١٤٧٤ . ولم ينته القرن الخامس عشر حتى كانت معظم المدن الإسبانية تطبع كتبها بالحروف المتفرقة . وعرفت البرتغال هذا الفن بعد جارتها إسبانيا بوقت قليل .

وظهرت الطباعة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر بالحروف العبرية . فقد أحضر أحد العلماء اليهود إلى الآستانة مطبعة وحروفاً عبرية لينشر بها كتب الديانة الموسوية . وخشى السلطان بايزيد الثانى أن يستفيد رعاياه المسلمون من الاختراع الجديد ، فما كان منه إلا أن أصدر في سنة ١٤٨٥ أمراً يحرم على غير اليهود استخدام فن جوتنبرج . ولما جلس السلطان سليم الأول على عرش آل عثمان رأى أن يجدد في عام ١٥١٥ أمر والده الخاص بالمطبعة ، خوفاً من أن ينسأه الناس بمضى الوقت . أما المطبعة بالحروف العربية والتركية فلم يعرفها الأتراك إلا في الثلث الأول من القرن الثامن عشر .

وبينما كانت الطباعة في أوروبا تتقدم بخطى سريعة خلال القرن السادس عشر ، وبينما كانت المطابع تنشر الكتب باللغات الشرقية والغربية المختلفة ، كانت بلاد المشرق لا تزال في طور النسخ . وكان الرهبان في الأديرة الشامية يقسمون أوقاتهم بين الصلاة والأعمال اليدوية ونسخ الكتب الدينية . وإن لبنان هو أول بلد عربي يعرف الطباعة ؛ فقد جلب دير قزحياً في سنة ١٦١٠ مطبعة وحروفاً

سريانية من روما ، وطبع بها كتاب المزامير ، وهو الكتاب الوحيد الذى طبع فى هذه المطبعة ، إذ أنه لم يعثر لها على مطبوعات أخرى غير هذا الكتاب . ولا يذكر المؤرخون الذين كتبوا عن تلك المطبعة شيئاً عن قصة اختفائها . وأكبر الظن أن أصحابها أهملوها بعد أن رأوا سيل الكتب المطبوعة فى روما يتدفق عليهم دون عناء ويوزع على كنائسهم دون مقابل ، فضلاً عن جودة طبعها وحسن إخراجها . يضاف إلى ذلك أن أرض لبنان لم تكن مهيتة بعد لتقبل فن جوتنبرج ، فلما جاءها لفظته ، ولكن إلى حين . ومن هنا نرى أن الطباعة لا يمكن أن تزدهر إلا فى البيئة التى تتفاعل معها . وقد ظل لبنان بعد اندثار مطبعته الأولى أكثر من مائة سنة بدون مطبعة .

أما المطبعة العربية فإنها عرفت فى لبنان بفضل الشماس عبد الله زاهر الذى أنشأ فى دير مار يوحنا الصابغ مطبعة كاملة المعدات استطاعت أن تطبع أول كتاب لها فى سنة ١٧٣٣ .

وكانت حلب المدينة السورية الأولى التى استخدمت المطبعة . وإلى البطريرك اثناسيوس دباس يعود فضل إنشائها فى سنة ١٧٠٦ ، وأول كتاب طبع فيها هو كتاب المزامير . ولم تعيش هذه المطبعة إلا سبع سنوات . ولا تزال الأسباب التى دعت إلى تعطيلها مجهولة ، ولو أننا نعتقد أن أصحابها وجدوا أنها تكلفهم أكثر مما يستطيعون وأن فى إمكانهم الحصول على المطبوعات الدينية من مقاطعة الأفلاق دون بذل أى مجهود . ويبدو لنا أيضاً أن مطبعة حلب لم تجد التربة الصالحة لنموها وازدهارها ، شأنها فى ذلك شأن مطبعة دير قزحيا فى لبنان . فعلى سوريا إذن أن تنتظر وتنتظر طويلاً لترى الطباعة قد رسخت أقدامها فيها واستتب أمرها .

أما مصر ، فإنها لم تعرف الطباعة بالحروف المتفرقة إلا خلال الحملة الفرنسية ، أى من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١ كما سنرى فيما بعد .

وعرف العراق المطبعة سنة ١٨٣٠ . وفى السنة ذاتها دخلت الطباعة فلسطين . وأمر السلطان عبد الحميد الثانى بإنشاء مطبعة فى صنعاء باليمن سنة ١٨٧٧ . وبعد ذلك بخمس سنوات أسست الحكومة العثمانية مطبعة بالحجاز .

الباب الثاني

الطباعة في تركيا
نشأتها وتطورها

الفصل الأول

المحاولة الأولى

١٤٨٥ - ١٨٠٠

عرفت تركيا الطباعة قبل غيرها من بلاد الشرق الأدنى والأقصى ، وبعد اختراعها بحوالى أربعين سنة . وعلى الرغم من تصدى سلاطين آل عثمان لها في أول الأمر ، فقد مضت قدماً في طريقها واستطاعت بعد كفاح مرير أن تفرض نفسها وتوطد أقدامها حاملبة مشعل العلم والعرفان لتضيء به أنحاء الإمبراطورية المظلمة . أما السبب الذي حدا بسلاطين آل عثمان إلى الوقوف في وجه المطبعة والتصدى لنشاطها فهو الخوف من أن يعتمد أصحاب الغايات والأغراض إلى الكتب الدينية فيحرفوها ويشوهوها^(١) . يضاف إلى ذلك أن المطبعة يمكنها أن تخفض أثمان الكتب فتجعلها في متناول أكبر عدد ممكن من الناس فيحل العلم محل الجهل . على أنه لا يخفى على أحد أن الأمة المتعلمة تأبى الضيم ويصعب حكمها حكماً استبدادياً .

وإلى اليهود المقيمين في الآستانة يعود فضل إدخال الفن المطبعي إلى تلك المدينة . فقد قدم إليها في أواخر القرن الخامس عشر^(٢) أحد علمائهم ويدعى الربى إسحق جرسون وأحضر معه مطبعة وحروفاً عبرية لينشر بها كتب الديانة اليهودية المخطوطة التي كان يصعب الحصول عليها لقلة عدد الناسخين اليهود وارتفاع أسعار المخطوطات .

وخشى السلطان بايزيد الثاني أن يستفيد رعاياه المسلمون من الاختراع الجديد ، فما كان منه إلا أن أصدر في سنة ١٤٨٥^(٣) أمراً يحرم على غير اليهود استخدام

(١) لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة في الشرق ، مجلة الشرق ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ١٥ شباط سنة ١٩٠٠ ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) فؤاد أفرام البستاني ، الشهاب عبد الله زاخر ، مجلة المصرة ، عدد ممتاز ، تموز ١٩٤٨ ص ٣٩٩ .

فن جوتنبرج . ولما جلس السلطان سليم الأول على العرش رأى أن يحدد في سنة ١٥١٥ (١) أمر والده الخاص بالمطبعة ، خوفاً من أن ينسأه الناس بمضى الوقت .

وعلى الرغم من تشدد السلطات في تنفيذ هذا الأمر ، فقد استطاع المهيمنون على هذه المطبعة أن ينشروا بعض الكتب العربية بالحرف العبرى ، مثل التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومي ، فقد طبعت سنة ١٥٥١ بالأحرف العبرية (٢) .

وكان لتلك المطبعة أطيّب الأثر في نشر الآداب العبرية وترقيتها ، فقد استطاعت خلال ثلاثة قرون أن تطبع أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون ، ولو أن معظمها اختص بعلاج المسائل الدينية وشرح ما غمض منها . ولم تظل المطبعة على حالتها الأولى ، بل أخذت ترتقى وتتسع يوماً بعد يوم . وجلبت لها الطابعات والحروف الجديدة بفضل عناية كبار رجال الطائفة الإسرائيلية في الآستانة . وكان لهم نفوذ كبير عند أصحاب السلطان (٣) .

وقد تمت مطبعة إسحق جرسون أول ما قدمت للمكتبة العبرية كتاباً ألفه إسرائيلي يدعى يوسيفوس بن كربون عن تاريخ اليهود . وقد فرغ من طبعه سنة ١٤٩٠ . ولم يقتصر نشاط المطبعة العبرية على المؤلفات الدينية فحسب بل تعداها إلى الكتب الأدبية والفقهية والتاريخية والطبية والجدلية . وظلت تلك المطبعة تغذى المكتبة العبرية بمختلف التصانيف إلى أن توقفت عن العمل في أواخر القرن الثامن عشر . وهكذا مضت أول مطبعة (٤) عرفها الشرق الأدنى بعد كفاح دام ثلاثة قرون ، أدت خلالها أجل الخدمات لا لليهود فحسب بل للأتراك أنفسهم ؛ فقد لمسوا عن قرب فوائد الطباعة وأخذوا يعملون ما في وسعهم حتى نجحوا هم أيضاً في إنشاء مطبعة في الثلث الأول من القرن الثامن عشر .

(١) المصدر السابق ص ١٧٥

(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤٤ ، الجزء الرابع القاهرة ١٩٣٧

(٣) C. Brockelmann : Hist. des Peuples et des Etats Islamiques, Paris 1949.

p. 267 et sq.

(٤) يقال إن أحد أحفاد جرسون حط رحاله في القاهرة حيث طبع بالعبرية بين سنة ١٥٦٢ وسنة ١٥٦٦ . راجع S.H. Steinberg : Five Hundred Years of Printing, Edinburgh

1955, p. 79.

وقد عرفت البلاد العثمانية المطبعة العربية بفضل مسعى سعيد أفندى ابن سفير تركيا بباريس ، محمد أفندى المشهور ببيكرى سكر جلي . وكان سعيد أفندى ، الذى أصبح فيما بعد صدراً أعظم ، بصحبة أبيه فى عاصمة فرنسا ، فشاهد المطابع ولس منافعها العديدة عن قرب . ولما قفل راجعاً إلى الآستانة بادر بالاتصال برجال الأدب والعلوم والفنون وفاتحهم فى أمر إنشاء مطبعة فرحبوا جميعاً بالفكرة . وكان فى الآستانة وقتئذ إبراهيم أفندى الحجرى المشهور بإبراهيم أغا أنكروسى ، وهو رجل يمتاز بذكاء حاد ، وخبرة فى الرياضيات والعلوم والفنون^(١) ، وكانت له منزلة عند كبار رجال الدولة واعتنق الإسلام^(٢) . وطار صيته ككاتب وأنعمت عليه الحكومة العثمانية براتب قدره تسعة وتسعون درهماً من الفضة مكافأة له على الخدمات التى كان يؤديها لها . وكان الأتراك يسمون تلك المكافأة « متفرقة دركاه على » فأصبح إبراهيم الحجرى يعرف بإبراهيم متفرقة نسبة إلى تلك المكافأة . وكان من الطبيعى أن يعرض سعيد أفندى أمر إنشاء المطبعة على رجل مثل إبراهيم متفرقة ، وأن يطلب إليه أن يبحث معه الأمر ويدرسه من كل نواحيه . وقال إبراهيم إن فى استطاعته أن يضع المشروع موضع التنفيذ إن زود بما يحتاج إليه من مال . فما كان من سعيد إلا أن كتب تقريراً شاملاً رفعه لإبراهيم باشا صهر السلطان ورجاه فيه أن يسعى فى منحه ترخيصاً بطبع كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب والهيئة وسائر الفنون ، على أن يتعهد بعدم طبع كتب التفسير والحديث والفقه والكلام^(٣) .

وقبل صدور فرمان الموافقة على الترخيص ، كان شيخ الإسلام عبد الله أفندى قد أفتى فى سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) بجواز استخدام الطباعة فى الحدود المذكورة . غير أن أحداً من الأتراك أو من رعايا الدول الأجنبية لم يجرؤ على تأسيس مطبعة قبل أن يصدر فرمان العالى موقعاً بالخط الشريف إلى سعيد أفندى وزميله إبراهيم متفرقة بالترخيص لهما بإنشاء مطبعة يطبعان عليها ما يرغبان من

(١) تاريخ جودت باشا ، ترجمة عبد القادر أفندى الدنا ، المجلد الأول ، ص ٨٢ ، مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٨ هـ .

(٢) De Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Paris 1839, p. 195 et sq. (٢)

(٣) تاريخ جودت ، ص ٨٢ .

الكتب عدا تلك التي تعنى بالتفسير والحديث والفقه والكلام . وهنا شمر الشريكان عن ساعد الجلد . وبعد جهد دام سنوات ، تأسست أول مطبعة عربية في الآستانة وزودت بحروف وقرالب سبكها إبراهيم متفرقة بنفسه .

وفي سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) أخرجت المطبعة عدداً لا بأس به من الكتب وبخاصة ما كان الطلبة في حاجة ماسة إليه مثل كتب اللغة . وقد ساعد إنشاء تلك المطبعة على تقدم العلوم والمعارف في عصر تميز بتأثره بعادات الغرب وبتمشي السياسة العثمانية مع السياسة الأوروبية . وإن ألقينا نظرة على مطبوعات الآستانة الأولى لاحظنا ميل أولى الأمر إلى تنوير أذهانهم بالمعارف ، فهم يهتمون بالمؤلفات التي تعنى بدراسة أصول العلاقات الفارسية التركية والدول الغربية التي تهتم بالملاحة البحرية .

وأول كتاب أخرجته المطبعة ، كان ترجمة قاموس وانقولى ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) إلى اللغة التركية . ويتألف هذا القاموس من مجلدين . وبيعت النسخة منه بخمسة وثلاثين قرشاً من عملة ذلك العهد . وقد طبع في أول القاموس نص الفتوى والفرمان العالى والتقاريط المحررة على التقرير الذى رفعه سعيد أفندى إلى أصحاب الشأن . ولم يقتصر عمل المطبعة على نشر الكتب ، فقد قام إبراهيم متفرقة بحفر وسبك حروف فرنسية وطبع خريطة للبحر الأسود وأخرى لبحر قزوين . وكتبت الأعلام الجغرافية باللغتين التركية والفرنسية .

ولما توفى إبراهيم أفندى سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٤ م) خلفه على إدارة المطبعة إبراهيم أفندى القاضى ، فأعاد طبع قاموس وانقولى وغيره من الكتب التي كانت الحاجة ماسة إليها . غير أنه لاحظ كثرة أخطائها المطبعية ورداءة حروفها ، فقرر تلافي هذا النقص ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يشرع في تنفيذ إصلاحاته وتنظيم مطبعته التي بدأت الفوضى تدب في أركانها . ولما كان رجال الحكومة في شغل شاغل عن الطباعة وأحوالها ، فقد توقفت عن العمل حوالى عشرين سنة^(١) ، لأن الحكومة العثمانية لم تجد من الوقت ما يسمح لها بالتفكير في الإذن لشخص آخر ليتولى أمور المطبعة .

Brocchi : Giornale delle Osservazioni.. Vol. I, p. 174 et 175 et Brocchi : (١)

Giornale Esteso in Egitto, Nella Siria E. Nella Nubia, Vol. I, Bassano 1841, p. 174-175

وأعيد فتح المطبعة سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) وقامت بطبع تاريخ صبحى وتاريخ عزى سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) وغيرهما من الكتب التى يلاحظ أنها لم تطبع طبعاً متقناً ، فقد جاءت فيها عدة أخطاء ؛ وعلى العموم فإن المستوى الفنى لتلك المطبعة انخفض بعد وفاة مؤسسها إبراهيم متفرقة . يؤيد ذلك ما نشرته صحيفة لوكوربيه عن زيارة الشيخ محمد الفاسى لمطبعة الحملة الفرنسية بالقاهرة وعن إعجابه الشديد بها . وكان الشيخ المذكور قد شاهد مطبعة الآستانة ، ولكنه لم يجد فيها عمالاً فى مهارة ودقة عمال « المطبعة الأهلية »^(١).

وقد فكر أصحاب الشأن فى تجديد حروف المطبعة تجديداً شاملاً وطلبوا إلى عبد الرحيم أفندى أن يشرف على صب الحروف الجديدة بنفسه . وكان ذلك فى خلافة السلطان الغازى سليم خان الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) ، فقد تأسست فى عهده مطابع جديدة فى إسكدار وقمبرة خانه وطبع فيها حوالى خمسة وأربعين كتاباً . ولما كان الترخيص الممنوح لسعيد أفندى وزميله إبراهيم متفرقة لا يجوز طبع كتب الدين ، فقد ظلت المطبعة مدة طويلة لا تطبع مثل تلك الكتب خوفاً من اعتراض المعارضين . غير أن علماء أصول الفقه لم يلبثوا أن رجعوا عن قرارهم السابق وأفتوا بجواز طبع كتب الشرع استناداً إلى القضية المسلم بها وهى : الأمور بمقاصدها ، فسمحوا على هذا الأساس بتجليد المصحف الشريف كى لا تبغثر أوراقه وتضيع .

وكان للسلطان الغازى سليم خان الثالث الفضل كل الفضل على نشر المصنفات العربية فى دار السعادة . فقد كان مشغولاً بالآداب ، الأمر الذى جعله يهتم بالمطبعة ويوليها الشيء الكثير من عنايته ورعايته .

تلك هى حال الطباعة فى تركيا حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهى حال لا تحسد عليها إذا قورنت بما تم للطباعة من تقدم فى أوروبا ، لا سيما فى فرنسا وإيطاليا . ولا شك أن الظروف التى أحاطت بالأتراك حكومة وشعباً هى التى حالت دون تقدم الطباعة وانتشارها ؛ فإن هذا الفن لا ينمو ولا يزدهر إلا فى البيئة التى تتجاوب معه .

الفصل الثاني

السير في الركب

١٨٠٠ - ١٩٦٥

مضت الطباعة في تركيا تتعثر تارة وتتقدم تارة أخرى . وبلغ عدد ما نشر من المؤلفات العربية بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٣٠ أكثر من أربعين كتاباً . وساهم في هذه الحركة عدد من الولاة النابيين .

ويصف السائحان ميشو وبوجولا^(١) مطبعة الآستانة وصفاً دقيقاً خلال زيارة أحدهما لها في سنة ١٨٣٠ . لقد نقلت المطبعة من سكوتاري إلى العاصمة حيث خصص لها بناء واسع الأرجاء كان حماماً عمومياً فيما مضى . وتشمل المطبعة قاعة للتصحيح يجلس فيها المستخدمون على الأرض ويقومون بعملهم وهم على هذا الوضع . وفي قاعة ثانية حسنة الإضاءة واسعة ركبت أربع طابعات استوردت من باريس ، وفي جانب آخر من تلك القاعة استلقى ستة من منضدى الحروف على الأرائك وأخذوا يجمعون حروف أحد الكتب . وقد سبكت الحروف في الآستانة وجلب الورق من تريستا في إيطاليا . ويبدو مما شاهدته أحد السائحين أن عمل المطبعة قليل جداً بالنسبة لإمبراطورية مترامية الأطراف .

ولم تكن الحكومة التركية تمنح المطبعة أية إعانة مالية تسمح لها باستخدام عمال مهرة وباستيراد طابعات حديثة .

إن الأتراك لا يرون في المطبعة إلا اختراعاً غريباً يجب الحذر منه . وإن مقاومة فئة النساخ للمطبعة حالت دون نجاحها . يضاف إلى ذلك عقلية الأمة نفسها التي ترتاب في كل شيء جديد . ولكن يبدو أن الأحوال أخذت تتغير قليلاً ، فبدأ العلماء يقنعون أنفسهم بأن المطبعة إن لم تأت بنفع فهي لا تسبب ضرراً . وهكذا

(١) Michaud et Poujoulat; Correspondance d'Orient (1830-1831) T. III, Lettre

LIV, Bruxelles 1841, pp. 83, 84 et 85.

سمح للمطبعة السلطانية بطبع كافة الكتب المتعلقة بالدين عدا القرآن نفسه .
ويقول السائحان إن مدير المطبعة يجهل التقدم الذى طرأ على صناعة الطباعة
فى أوربا . وهكذا كتب على هذا الفن فى تركيا أن يظل متأخراً عنه فى البلاد
الأخرى حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وكان الآستانة فى حوالى سنة ١٨٣٠ مطبعة أنشأها اليونانيون وأخرى
أسسها الأرمن ومطبعة ثالثة كانت لليهود .

ولم يكن فى الآستانة فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر أية رقابة على
المطابع . وسبب هذا التساهل من قبل الحكومة العثمانية يعزى إلى قلة عدد المطابع
وندره مطبوعاتها . ولو فرض جدلاً وطبع كتاب يخالف سياسة الحكومة ومعتقداتها
فإنه من السهل معرفة المطبعة التى طبع ذلك الكتاب فيها ، سواء كان مطبوعاً فى
الآستانة أو فى غيرها من المدن العثمانية .

ولما رأت الحكومة ضرورة تنظيم المطابع ، أصدرت فى سنة ١٨٥٧ « نظاماً »
يطبق على جميع المطابع فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية . وتفرض المادة الأولى من
ذلك « النظام » على من يريدون فتح مطبعة « أن تتحقق كفاءاتهم بمعرفة مجلس
المعارف والضبطية ثم يحصل بعد ذلك الاستئذان من مقام الصدارة العظمى العالى
بمضبطة من المجلس المذكور ويعطى لهم بذلك سند يحوى المأذونية من جانب
الضبطية^(١) .

ولا تعفى الحكومة الأجانب من هذا النظام ، فالمادة الرابعة منه تحتم على من
يرغب منهم فى فتح مطبعة أن يتوجه بطلبه إلى نظارة الخارجية لتمنحه سنداً « يحوى
الترخيص » .

ولم يقتصر نشاط المطبعة السلطانية على طبع الأوراق الرسمية للدواوين الحكومة
المختلفة ، بل قامت منذ سنة ١٨٦٠ بطبع الصحيفة الأسبوعية السياسية التى أنشأها
فى تلك السنة الأديب اللبناني المعروف أحمد فارس الشدياق . وظلت « الجوائب »
تطبع فى المطبعة السلطانية عشر سنوات إلى أن قرر صاحبها سنة ١٨٧٠ أن ينشئ
لها مطبعة خاصة زودها بأحدث أدوات الطباعة . ولم يمض على تلك المطبعة وقت

(١) رياض شمس : حرية الرأى ، الجزء الثانى ، ص ٥٩٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

طويل حتى غدت من أشهر مطابع الآستانة والشرق العربي^(١) .
 وإلى سليم بن أحمد فارس الشدياق يعود فضل ازدهار « مطبعة الجوائب » ،
 فقد كان مديرها وروحها العاملة . والمكتبة العربية مدينة لأحمد فارس الشدياق
 ومطبعته بذلك الثروة الأدبية التي كانت مدفونة في خزائن كتب الآستانة لا يعرف
 الناس عنها شيئاً حتى هباً الله لها مطبعة الجوائب التي طبعها ونشرتها في الآستانة
 وكافة الولايات العثمانية . وتمتاز حروف تلك المطبعة بالجمال والدقة ونادرة أخطاء
 مطبوعاتها .

وكان اليهود أيضاً أول من أنشأ مطبعة في سلانيك ، فقد جلبوا إليها مطبعة
 بالحروف العبرية في أوائل القرن السادس عشر ونشروا عدة كتب دينية وعلمية .
 وفي مطلع القرن التاسع عشر ، أنشئت مطابع في إسكدار وأزوير وقمברה خانه ،
 غير أن نشاطها لم يكن يتجاوز المؤلفات الدينية المكتوبة بالتركية إلا فيما ندر .
 ولم يكن ينتظر لتلك المطابع وغيرها رواج يذكر ، فالحياة الاجتماعية والثقافية
 لا وجود لها إلا عند النخبة المتقاة وكان انتشار الصحف محدوداً لرقابة الدولة عليها
 من ناحية ، ولكثرة عدد الأميين من ناحية أخرى .
 كان لابد إذن من توفير ثلاثة عوامل لانتشار الطباعة في تركيا وازدهارها ،
 ورقياً ألا وهي : الانتعاش الاقتصادي وتعميم التعليم وحرية نسبية للصحافة
 أو على الأقل حكومة تؤمن بقوة الصحافة فتعني بها من وجهة نظرها ، كما حدث
 في تركيا الكمالية وإيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية .

وهكذا كتب على فن جوتنبرج في تركيا أن يتقدم ببطء إلى أن تم إلغاء
 السلطنة في أول نوفمبر ١٩٢٢ وإعلان الجمهورية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ وانتخاب
 مصطفى كمال باشا أتاتورك الذي بادر بإسقاط الخلافة في سنة ١٩٢٤ وفصل الدولة
 عن الدين وإلغاء المحاكم الشرعية واتخاذ القبعة لباساً للرأس بدلا من الطربوش
 واستخدام الحروف اللاتينية بدلا من العربية في كتابة اللغة التركية . . وكان لابد
 للرئيس الجديد للدولة من مطابع تنشر مبادئه وتقنع الأتراك بها . وكان أن أنشأت
 الحكومة مطابع على أحدث طراز جلبت معداتها من أوروبا . وأقبلت مطابع

(١) فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت ١٩١٣ ص ٦١ .

الأفراد ودور النشر على تجديد معداتها بحيث أصبحت المطبوعات في تركيا قبيل الحرب العالمية الثانية لا تقل جودة عن المطبوعات الأوربية والأمريكية؛ وقد توقف تقدم الفن المطبعي خلال هذه الحرب وبعدها بقليل ، ثم تابع سيره بإدخاله كل مستحدث جديد يظهر في السرق .

الباب الثالث

الطباعة في لبنان

•

الفصل الأول

نشأة الطباعة في لبنان

١٦١٠ - ١٨٣٤

سعت الكنيسة الكاثوليكية الغربية منذ الثلث الأخير من القرن السادس عشر في ضم الكنيسة الشرقية إليها . فأرسل البابا إلى المشرق راهبين يسوعيين للاتصال بالطائفة المارونية . وظل الراهبان سنة كاملة درساً خلالها حالة لبنان الدينية والاجتماعية ، ثم قفلاً راجعين إلى روما بصحبة تلميذين أحدهما من لبنان والآخر من قبرص . واقترح الراهبان على البابا قبول الشبان الذين يرشحون أنفسهم للكهنوت تلاميذ في الكليات الإكليريكية بروما ، وتأسيس مطبعة في تلك المدينة لنشر الكتب العربية والسريانية ، التي تحتاج إليها الكنيسة المارونية . ووافق البابا على الاقتراحين .

ومن المرجح أن تكون المطبعة البابوية قد بدأت عملها في سنة ١٥٨٣^(١) ، أما مطبعة الراهبين اليسوعيين ، فقد جهزت بالحروف العربية والسريانية وتم لها طبع النص العربي من كتاب التعليم المسيحي في سنة ١٥٨٠^(٢) .

وعاد أحد الراهبين ، ويدعى الأب اليانو ، إلى لبنان حيث مكث فيه سنتين ، قام خلالها بتأسيس بعض المدارس الصغيرة وطالب رؤساءه بنشر الكتب الدينية المختلفة نزولاً على رغبة رجال الكنيسة المارونية . واستجابت مطبعة مدينتي آخر الأمر ونشرت سنة ١٥٩٤ كتاب خدمة القداش باللغة السريانية^(٣) . وقامت مطبعة « جاك لونا » بروما بطبع كتاب الدياكونيكون وفيه الترجمة العربية لأكثر الصلوات وظهر عن هاتين المطبعتين عدة كتب أخرى .

(١) J. Nasrallah : L'imprimerie au Liban, p. XVII.

(٢) الأب لويس شيخو : الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة المشرق ، الجزء الحادي والعشرون من ص ٦ إلى ص ٦٩ .

(٣) Schnurrer : Bibliotheca Arabica, p. 240.

وإن جميع الذين درسوا الحالة الفكرية في لبنان في تلك الحقبة من تاريخه يجزمون بأن التقدم الذي أصاب تلك البقعة من الشرق العربي ، إنما يعود إلى البعثات التي أرسلت إلى روما لتأقي منها بأطيب الثمار بما نقلت إلى بلادها من علوم وفنون ، وبما أنشأت من مدارس لتعليم اللبنانيين القراءة والكتابة . وقد استطاعت تلك النخبة من الرهبان إقناع البطريرك الماروني بتأسيس أول مطبعة في لبنان بدير قزحيا وإنشاء مدرسة سيدة حوكة الإكليريكية .

ولم يقتصر نشاط الدعاية الكاثوليكية على الطائفة المارونية فحسب ، بل تعداها إلى الطائفتين السريانية والكلدانية . وبدأت مساعي البابوات في ضم هاتين الطائفتين منذ القرن السادس عشر . وقامت عدة عقبات في سبيل تلك الوحدة . وكان لابد للمعنيين بها من رجال الكنيسة الكاثوليكية بروما ، أن يتوسلوا بطرق الدعاية المختلفة لحمل المترددين من زعماء هاتين الطائفتين على الانضمام للكرسي البابوي . وقد لعبت المطبعة دوراً كبيراً في تحقيق هذا الاتحاد . ويمكن لمؤرخ الطباعة في لبنان أن يؤكد أن اللبنانيين كانوا سيظلون جاهلين للطباعة مائة سنة أخرى على أقل تقدير ، لولا الدعاية التي قام بها الكرسي الرسولي بينهم ، ولولا تلك البعثات التي أرسلت منهم إلى روما خلال القرن السادس عشر .

مطبعة دير قزحيا

١٦١٠

يقع دير قزحيا ، أقدم أديرة لبنان ، جنوبي طرابلس وشمالى قرية إهدن .. وكان الدير يتألف من قبو صغير ودھليز وقاعة للاجتماعات وكنيسة صغيرة . ومطبعة ذلك الدير هي أول مطبعة عرفها لبنان . ويرجع تاريخ إنشائها إلى العشر السنوات الأولى من القرن السابع عشر . ويقال إن بعض رهبان الطائفة المارونية قد جلبوها معهم بعد أن انتهت مدة بعثتهم في روما سنة ١٦١٠ . وكانت حروف

[illegible]

الطاهره الحجاب

[illegible][illegible]

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّهْدِي اللَّهُ سَبِيلَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّضَلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُ
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّهْدِي اللَّهُ سَبِيلَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّضَلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُ

ص ۱۴۰ و باقی
مسلمین در این

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

تلك المطبعة سريانية . ولم يعرف المؤرخون من مطبوعاتها سوى كتاب المزامير الذى طبع فيها سنة ١٦١٠^(١) .

ويزعم المطران أسطفان عواد السمعاني أن كتاب مزامير قزحيا طبع سنة ١٥٨٥ لا سنة ١٦١٠ . على أن الأبحاث التى قام بها المؤرخون فى جميع المكتبات التى تحتفظ بالكتب المطبوعة قديماً لتدل على أن المزامير التى يشير إليها هذا المطران ليس لها وجود إطلاقاً . وعلى أى حال ، فإن الحالة الفكرية فى لبنان لم تكن تستدعى وجود مطبعة قبل القرن السابع عشر . ولا نعتقد أن الكسى الرسولى يبعث إلى لبنان بمطبعة فى وقت لم تكن القراءة والكتابة قد انتشرت فيه انتشاراً كافياً . ثم إن المطبعة لا بد لها من أيد خبيرة متمرنة تقوم بسبك الحروف وتنضيدها وتوضيب الصفحات . وتلك أمور لم يكن اللبنانيون يعرفون عنها شيئاً . أما طلبة البعثات ، فقد كانوا يفضلون العمل فى مطابع روما حيث كانت جميع وسائل العمل متوفرة لديهم .

ومهما يكن من أمر ، فقد كتب لمطبعة قزحيا ألا تعيش طويلاً . إذ لم يعثر لها على مطبوعات أخرى غير كتاب المزامير المذكور . إن المؤرخين الذين كتبوا عن تلك المطبعة لا يذكرون شيئاً عن قصة اختفائها . وأكبر الظن أن أصحابها أهملوها بعد أن رأوا الكتب المطبوعة فى روما ترسل إليهم بدون عناء وتوزع على كنائسهم بلا مقابل ، فضلاً عن جودة طبعها وحسن إخراجها . إن أرض لبنان لم تكن مهياة بعد لتقبل فن جوتنبرج ، فلما جاءها لفظته ولكن إلى حين . ومن هنا نرى أن الطباعة لا يمكن أن تزدهر إلا فى البيئة التى تتفاعل معها . وقد ظل لبنان بعد اندثار مطبعته الأولى أكثر من مائة سنة بدون مطبعة .

وفى أواخر القرن السابع عشر بذلت عدة محاولات لنقل مطبعة أحد الرهبان الموارنة من روما إلى لبنان . ولكنها باءت جميعها بالفشل . وكل ما أمكن عمله فى هذا الشأن ، هو نقل المطبعة إلى مالطا حيث ظلت فى تلك الجزيرة بدون عمل .

ويبدو أن روما كانت تفضل هذا الوضع الذى يسمح لها بمراقبة كل الكتب الدينية الشرقية التى يراد طبعها ، فلا تقر منها إلا ما تراه متفقاً والمبادئ الدينية التى

(١) تحتفظ المكتبة الشرقية التابعة لجامعة القديس يوسف ببيروت بنسخة من هذا الكتاب .

تؤمن بها والتي تعمل على ترويحها بين أبناء الطوائف الشرقية .
 وقام أثناسيوس مطران ماردين السرياني بجمع التبرعات في أوروبا وأمريكا والهند
 في سنة ١٦٨٥ لبناء دير لطائفته . وكان يهدف إلى تأسيس مطبعة في ذلك الدير .
 لكن البطريرك صرفه عن تحقيق فكرته . وانتهى الأمر بشراء دير للطائفة بروما^(١) .

مطبعة دير مار يوحنا الصباغ بالشویر

١٧٣٣

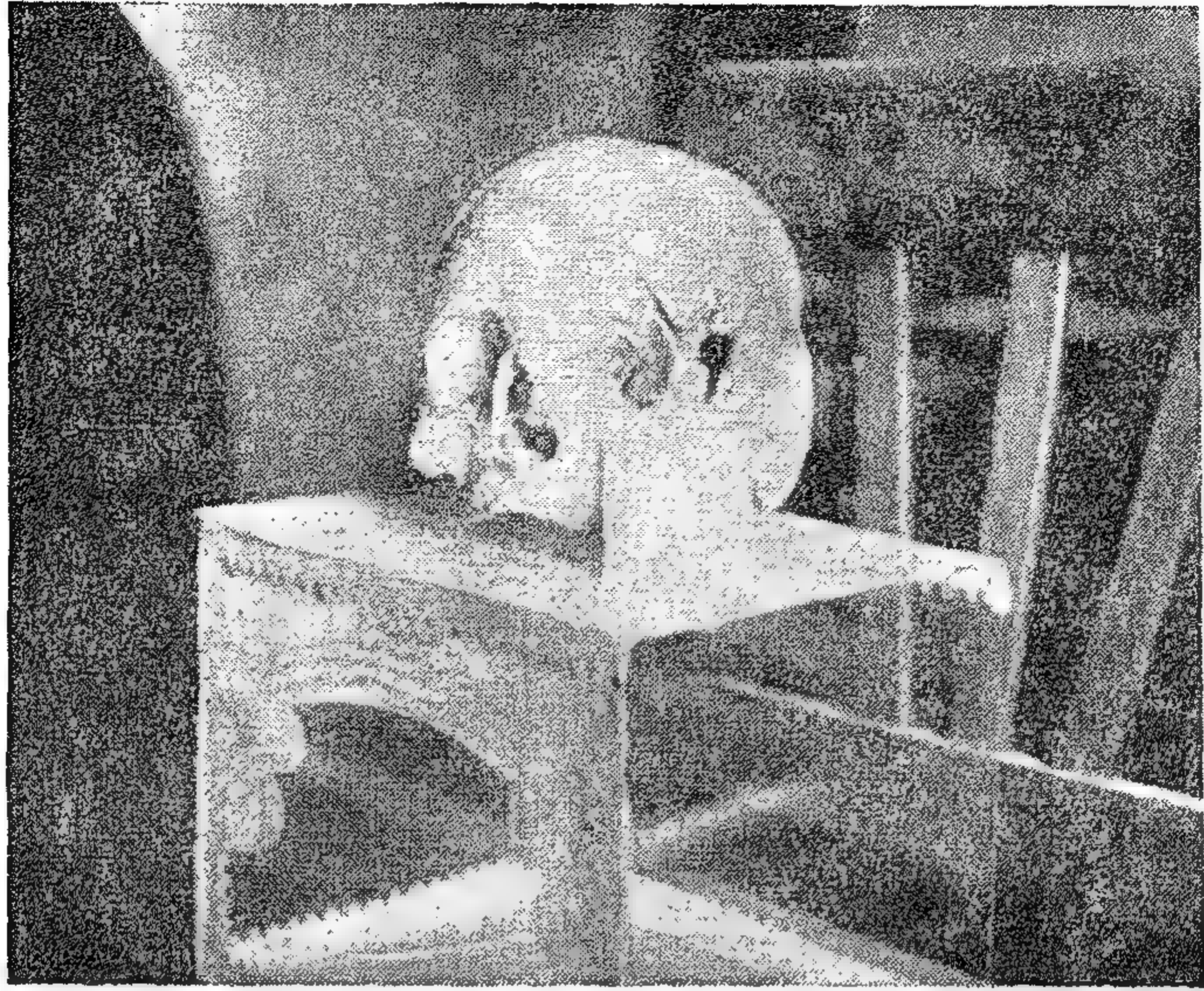
يعود فضل إنشاء أول مطبعة عربية في لبنان بدير مار يوحنا الصباغ إلى الشماس
 عبد الله زاخر .

وُلد عبد الله بن زخرية صباغ ، المشهور بعبد الله زاخر ، بمدينة حماه
 سنة ١٦٨٠ . وبدأت عليه أمارات النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره . وما لبث أن
 نبغ في الصناعة التي يمارسها والده ، ألا وهي الصباغة . وفي سنة ١٧٠١ ترك عبد الله
 مدينة حماه وذهب إلى حلب حيث درس اللغة العربية على الشيخ سليمان النحوي
 ودرس الفلسفة والعلوم الكنسية على أحد القساوسة .

وكان زاخر في أول الأمر على علاقة طيبة بالبطريرك الدباس الذي لم يكن قد
 أعلن عداؤه بعد للكنيسة الكاثوليكية . وظل عبد الله زاخر في خدمته بعض الوقت
 حيث نسخ له بعض المخطوطات وألف له بعض الكتب وأشرف على مطبعته وأكمل
 ما ينقصها من معدات^(٢) . وظلت الصلات طيبة بين زاخر والدباس إلى سنة ١٧٢٠
 حين دب النزاع بين الكاثوليك والأرثوذكس في الربع الأول من القرن الثامن عشر ،
 واحتدم الجدل بين الكنيستين . وكان لزاخر في تلك الحركة القدح المعلى فمضى
 ينافح عن الكثلكة ويدود عن مبادئها . وكان لموقفه هذا أطيّب الأثر في روما
 فعرضت عليه وظيفة هامة في جمعية نشر الإيمان . غير أن صاحبنا آثر البقاء في

(١) الفيكونت فيليب دي طرازي: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان ، الجزء الثاني ص ٣١٦، ٣١٧ .

(٢) انظر تاريخ مطبعة البطريرك دباس في الجزء الخاص بالطباعة في سوريا .



جمجمة عبد الله زاخر مؤسس مطبعة دير مار يوحنا الصابغ

حلب ليهاجم الأرثوذكس في عقر دارهم مما أحفظهم عليه .
 وبلغ عبد الله زاخر ذروة المجد في سنة ١٧٢٢ حين بدأ الأرثوذكس يرون
 فيه العدو الأول فاستصدروا في حقه فرمان الهميرني الذي يقضى بقطع رأس
 « الشقي المثلث اللعنة عبد الله زاخر » . ففر هارباً إلى لبنان حيث استقر به المقام
 آخر الأمر في دير مار يوحنا سنة ١٧٢٨^(١) .

وبدأ زاخر يعد العدة لإنشاء مطبعة جديدة يستخدمها في نشر الكتب الدينية .
 وتم له تركيبها في سنة ١٧٣١ . وإن كل ما في هذه المطبعة من آلات وحروف
 ومسابك ومصفات ومحابر ومكبس ونقوش وزخارف من صنع الزاخر نقشاً وحفرأ
 وسبكاً في الخشب والنحاس والرصاص^(٢) . وأمضى زاخر حياته في دير الشوير
 بين تأليف الكتب وطبعها إلى أن وافته منيته في ٣٠ أغسطس سنة ١٧٤٨ .

(١) الشماس عبد الله زاخر الراهب ، نشرة الرهبانية الباسيلية الحلبية ، العدد ٩ - ١٠
 أيلول سنة ١٩٤٨ ص ١٦ .

(٢) فؤاد أفرام البستاني ؛ الشماس عبد الله زاخر ، مجلة المسرة عدد ممتاز ، تموز ١٩٤٨ .

المطبعة :

لقد كان زاخر من هؤلاء الذين يصلحون لأى عمل يكلفون به . فهو فنان بارع فى الصياغة والحفر وصنع الساعات^(١) والتصوير والكتابة . وقد يتبادر إلى الذهن أن عبد الله زاخر دخل سلك الرهبنة . والحقيقة أنه لم ينذر النذور الرهبانية الأخيرة ولكنه عاش عيشة الرهبان .

شرع زاخر فى إنشاء مطبعته فى زوق مكابيل ؛ فاتصل بأحد الصباغ ليمده بالأدوات اللازمة ويساعده بعض الشيء . أما الآلات التى كان فى حاجة إليها فقد جلبها من حلب . وأخذ فى صنع الأمهات وفى صب الحروف واتخذ نموذجاً له حروف مطبعة جمعية نشر الإيمان بروما ؛ وهى حروف شديدة الشبه بخطوط ناسخى الكتب الدينية . ويقال إن زاخر صنع أيضاً المصنفات ذات الأحجام المختلفة والملازم والملاقط . كما قام بحفر الكليشيهات الخشبية والنحاسية المختلفة . وقد نجح فى تحضير نوع من الحبر الثابت ، الشديد السواد . أما آلة الطباعة فقد أوصى زاخر الأب فروماج اليسوعى بإحضارها من أوروبا .

ولما عاد عبد الله زاخر من زوق مكابيل سنة ١٧٣١ واستقر بدير مار يوحنا ، نقل إليه مطبعته التى لم تكن قد اكتملت أجزاءها بعد . غير أن المصائب التى نزلت بالرهبنة الشويرية الناشئة حالت دون استخدام المطبعة قبل سنة ١٧٣٣ . وقد تعطلت بعد ذلك لبضعة أشهر ثم استأنفت نشاطها سنة ١٧٣٤ فأخرجت ثمانمائة نسخة من كتاب « ميزان الزمان » .

ويقول الرحالة فرسى الذى زار لبنان بين سنة ١٧٨٣ وسنة ١٧٨٥ وقضى بعض الوقت فى دير الشوير ، إن « زاخر كان يعرف فوائد المطبعة ، وبفضل شجاعته استطاع أن يحقق مشروعاً ذا أركان ثلاثة وهى الكتابة وصب الحروف والطباعة . ويعود فضل نجاحه إلى ذكائه وماله ومهارته فى الحفر ، تلك المهارة التى اكتسبها حين كان صائغاً . لقد كان الصائغ فى حاجة إلى شريك فواتاه الحظ برجل شاطره أهدافه . فقد دعاه أخوه (كذا) الذى كان رئيساً لدير مار يوحنا للنزول عنده

(١) فى متحف دير مار يوحنا الصباغ ساعة من د نعه .

فقبل الدعوة : ومنذ ذلك الحين تحرر زاخر من كل عمل آخر ومضى ينفذ مشروعه . وبفضل نشاطه ودأبه استطاع أن يطبع ابتداء من سنة ١٧٣٣ مزامير داود (كذا) في مجلد واحد . وبلغت حروفه من الدقة والجمال درجة جعلت أعداءه أنفسهم يقبلون على شراء كتبه . . . وهي كخط اليد في سمك ورفع فلا تبدو نحيلة مفككة كالحروف العربية المصنوعة في روما^(١) .

لقد وقع فولني في خطأين عندما حدثنا عن مطبعة مار يوحنا . فزاخر ليس شقيق رئيس الدير ولم يقيم بطبع مزامير داود في سنة ١٧٣٣ . ولكن إذا تركنا هذين الخطأين جانباً ، وجدنا أن فولني يعطينا فكرة طيبة عن زاخر وفنه الذي ليس له مثيل في بلاد المشرق كلها . أما قاعدة الحروف التي ابتدعها زاخر فتتطلب وجود تسعمائة صندوق ومنضدة طولها ثمانية عشر قدماً توضع عليها تلك الصناديق . وعلى الشخص المكلف بتنضيد الحروف أن يزرع تلك المنضدة ذهاباً وإياباً عشرات المرات باحثاً عن الحرف الذي يريده^(٢) .

وبدأت المطبعة تعمل بصفة منتظمة ابتداء من سنة ١٧٣٤ . وكان يساعد زاخر تلميذه سليمان قطان وبعض رهبان الدير . ولما كان زاخر المالك الشرعي للمطبعة ، فقد قسمت أرباحها بينه وبين الرهبنة الشويرية . ولما شعر زاخر بحدوث أجله عزم على ترتيب أمور مطبعته ، فأوصى في سنة ١٧٤٦ لابن أخيه لطف الله سمعان زاخر بجزء من ثروته على أن يتنازل عن حقوقه في المطبعة والكتب التي لعمه . وفي التاسع والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٤٨ ، أملى عبد الله زاخر على سليمان قطان وصيته . وهي تقضى بإعطاء المطبعة وأدواتها ومقرها للرهبنة الشويرية على أن يشرف سليمان قطان على إدارتها .

وبعد ثلاث عشرة سنة من تاريخ تحرير الوصية دب الخلاف بين مدير المطبعة الجديد والدير . وكان لهذا الخلاف أثره على حركة الطبع . فقد توقفت المطبعة تماماً حوالي الستين ، ثم استأنفت نشاطها بعد أن تم الصلح بين المتخاصمين وكان يعمل في المطبعة ستة رهبان تخصص ثلاثة منهم في الطبع واثنان في

(١) Volney, (C.F.) : Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785, Tome II pp. 174, 190.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

تنضيد الحروف بينما تفرغ راهب واحد ليتعلم السبلك .

ويبدو أن حالة المطبعة بدأت تسوء بعد وفاة منشئها عبد الله زاهر . فلما زارها فولنى فى أواخر القرن الثامن عشر وجد فيها « أربعة رهبان يشتغلون فى الطبع وأربعة آخرين يعملون فى قسم التجليد ويخلص من ذلك إلى الحكم بأن المطبعة فى اضمحلال (١) وأنه يخشى عليها أن تتوقف عن العمل . فالإقبال على شراء الكتب ضعيف باستثناء المزامير التى يستخدمها المسيحيون فى تعليم أبنائهم القراءة والكتابة ويعاد طبعها بين الحين والآخر . إن نفقات المطبعة باهظة ، فالورق يستورد من الخارج والعمل يجرى ببطء ، ولكن بشىء من العناية يمكن تلافى العقبة الأولى . أما البطء فهو عيب متأصل . . » ويرجع فولنى سبب عدم رواج الكتب إلى سوء اختيار موضوعاتها . فبدلاً من ترجمة مؤلفات ذات فائدة عملية تعين على إيقاظ الحاسة الفنية عند العرب جميعاً دون تفرقة ، فإنهم لا يترجمون إلا كتباً فى التصوف لا تنفع إلا المسيحيين (٢) . وقد تحقق ما تنبأ به فولنى بعد زيارته للمطبعة بخمس عشرة سنة . فقد توقفت عن العمل من سنة ١٧٩٧ (٣) إلى سنة ١٨٠٢ .

وإن المتصفح لقائمة الكتب التى طبعت فى تلك المطبعة منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٣٤ يحكم على أن نشاطها كان ضعيفاً . مما يدل على أن الحالة الفكرية فى لبنان لم تكن تدعو إلى الإكثار من المطبوعات ، خاصة خلال القرن الثامن عشر ، حينما اقتصر إنتاج المطابع اللبنانية على الكتب الدينية المختلفة .

وفى سنة ١٨٢٣ حدث أول انشقاق فى الرهبنة الشويرية بين البلديين والحلبين فأخذ الفريق الأول المطبعة وقسم التجليد واحتفظ الفريق الآخر بدير مار إلياس فى زحلة وما يتبعه من ممتلكات . مما يدل على الأهمية الكبرى التى كانت للمطبعة فى نظر الفريقين المتنازعين .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣) W.G. Brown : Reisen in Africa, Aegypten und Syrien, Leipzig, 1800, p. 568.

دلنا على هذا المرجع أحد رهبان دير مار يوحنا الذين يجيدون الألمانية .

مطبعة القديس جاورجيوس

١٧٥١

هي أول مطبعة عرفت في بيروت . وكان مقرها دير القديس جاورجيوس . أسسها الشيخ يونس نقولا الجبيلي الملقب بأبي عسكر ، سنة ١٧٥١ ، لخدمة طائفته الرومية الأرثوذكسية التي كان يرأسها في ذلك العهد المطران إيوانيكوس اليوناني . وكان الشيخ يونس واسع الثراء محباً لطائفته ، يعمل لخيرها . ولما شاهد الفوائد العائدة من إنشاء المطبعة الشويرية التابعة لرهبان الروم الكاثوليك ، سعى جهده لشراء مطبعة لطائفته . وقد كلل مسعاه بالنجاح ، ثم أوصى بصنع حروف تشبه حروف المطبعة الشويرية التي كانت ، كما رأينا ، تمتاز بالوضوح والجمال والإتقان .

وأول كتاب خرج من مطبعة القديس جاورجيوس ، هو كتاب « المزامير » وقد تم طبعه سنة ١٧٥١ ويقع في ٣٦٧ صفحة من القطع الصغير عدا مقدمة من ثلاثين صفحة^(١) . وبعد ذلك بستين ، أي في سنة ١٧٥٣ صدرت طبعة ثانية من الكتاب نفسه . وإن الدلائل جميعها تدل على أن نشاط المطبعة كان ضعيفاً للغاية . وعلى الرغم من الجهود التي بذلها منشئها فقد توقفت عن العمل بعد تأسيسها بمدة وجيزة ، إذ أن بيروت لم تكن في منتصف القرن الثامن عشر في حالة تسمح لها بدفع هذه المطبعة إلى الأمام ، وقد توفي صاحبها ، المدعو أبو عسكر ، في سنة ١٧٨٧ . وظلت عاصمة لبنان بدون مطبعة إلى أن جلب المبشرون الأمريكيون مطبعتهم في سنة ١٨٣٤ .

وقد سار النسخ جنباً إلى جنب مع الطباعة . وكان الرهبان في الأديرة يشتغلون

(١) الأب لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة في المشرق ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الحادي عشر ، حزيران سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٠٢ .

في نسخ كتب الصلاة ، مثلهم في ذلك مثل زملائهم في أديرة أوربا . وتحفظ
مكتبات الأديرة اللبنانية بعدد كبير جداً من هذه الكتب المخطوطة التي كانت
تباع بسعر معقول .

مطبعة دير قزحيا الثانية

١٨٠٨

بدأ نشاط هذه المطبعة في أوائل القرن التاسع عشر . ويعود فضل إنشائها إلى
الراهب سيرافيم حوقا الشوشاني البيروتي . فقد أحضرها معه من روما سنة ١٧٨٢ .
ووضعت المطبعة أول الأمر بدير مار موسى الدوار إلى أن أفرد لها مكان بدير قزحيا .
وفي أثناء وجودها بدير مار موسى طبعت الشحيم بالحرف الأسود السرياني .
ويقول الأب نعمة الله الكفري إنه في عهد الأب أغناطيوس بليبل الرئيس العام
للدير نقلت المطبعة إلى قزحيا حوالي سنة ١٨١٥^(١) . ويرجح الأب لويس شيخو
أن يكون نقلها قد تم قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات ويبرهن على صحة ما يقول
بأنه توجد نسخة من الشبيه مطبوعة بدير قزحيا سنة ١٨٠٨ .

وفي سنة ١٨٢٠ رأى رئيس الدير أن ينحصر لها مكاناً منفصلاً . فبنى لها قبواً
ركبت فيه آلاتها وشيد طابقاً فوقه خصص لتخزين المطبوعات ولتجليد الكتب .
وقد زارها الرحالة ج . بوركهارت سنة ١٨٢٢^(٢) . وكانت عجلتها من الخشب .
أما الحبر فكان يوزع على حروفها بمحابر من جلد . غير أن العجلة الخشبية
لم تلبث أن استبدلت بعجلة صغيرة من الحديد^(٣) . وكان معظم إنتاج قزحيا كتباً
دينية طبع بعضها عدة طبعات .

(١) الأب نعمة الله الكفري : تاريخ دير مار أنطونيوس ، المشرق ، السنة الرابعة ، ص ٨٧٣ .

(٢) الأب لويس شيخو ، المشرق ، السنة الثالثة ، ص ٢٥٧ .

J. Burckhardt : Travels in Syria and Holy Land, 1822, p. 22.

(٣) الأب نعمة الله الكفري ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني

رسوخ الطباعة

١٨٣٤-١٨٦٩

المطبعة الأمريكية ببيروت

١٨٣٤

لله مطبعة بحسن طباعها أحيت عظام الكتب وهي رميم

الشيخ أحمد عباس الأزهرى

للمطبعة الأمريكية ببيروت قصة طويلة يجدر بمن يؤرخ للطباعة في الشرق العربى أن يوليها الشيء الكثير من عنايته . فهي ثانی مطبعة تنشأ بمدينة بيروت ورابع مطبعة عرفها لبنان . ونستطيع أن نقول إن الفن المطبعی بمعناه الصحيح لم ترسخ أقدامه في لبنان إلا حين قرر المبشرون الأمريكيون نقل مطبعتهم من مالطا إلى بيروت في سنة ١٨٣٤ .

ويعود تاريخ تأسيس تلك المطبعة إلى سنة ١٨٢٢ ، حين اتخذ المبشرون الأمريكيون جزيرة مالطا قاعدة لنشاطهم في الشرق الأدنى . ولما كانت الطباعة وسيلة للدعاية لا يمكن الاستغناء عنها ، فقد قرر مجلس الإرسالية في أمريكا تأسيس مطبعة في تلك الجزيرة لتعنى بنشر الكتب والكراسات للتبشير بدين المسيح حسب المذهب البروتستانتي . ولما كان هؤلاء المبشرون لا يفقهون شيئاً في أمور الطباعة ، فقد اكتنف مشروعاتهم في أول أمره صعاب كثيرة ما لبثوا أن قضوا عليها بقوة إيمانهم وبجدتهم وعملهم المتواصل .

واهتم هؤلاء المبشرون أول ما اهتموا بترجمة نشرات التبشير المكتوبة باللغة الإنجليزية . وأول مطبوع صدر عن مطبعة مالطا الأمريكية رسالة عنوانها

« السبت » . وتبعها رسائل أخرى نشرت باللغات الإنجليزية واليونانية والإيطالية والأرمنية والتركية وأرسلت نسخ منها إلى مصر وسوريا واليونان . وقد حالف النجاح تلك المطبوعات ، مما شجع أصحاب الشأن على زيادة العناية بمطبعاتهم فقرروا توسيعها ومضاعفة الاهتمام بها . ونشرت المطبعة بعد ذلك الكتب المدرسية المختلفة . واشتغل مصححاً فيها الكاتب اللبناني المعروف أحمد فارس الشدياق قبل أن يعتنق الإسلام . واستمرت المطبعة في عملها اثنتي عشرة سنة أخرجت خلالها ٣٥٠ ألف نسخة من كتب وكراريس^(١) .

وما أن حلت سنة ١٨٣٣ حتى قر رأى المرسلين الأمريكيين على نقل المطبعة من مالطا إلى أزمير . وقد تم هذا النقل في شهر ديسمبر من السنة نفسها . إلا أن فرعاً من المطبعة ظل في مالطا إلى سنة ١٨٤٢^(٢) . وفي ٨ مايو سنة ١٨٣٤ نقل القسم العربي من المطبعة إلى بيروت حيث تخصص في نشر المطبوعات العربية وتوزيعها على الناطقين بالضاد في أنحاء الشرق العربي .

وصلت المطبعة الأمريكية إلى بيروت فألفت لبنان في حالة ثقافية لا يحسد عليها . فالأمية متفشية بين السكان والمدارس نادرة ، وإن وجدت فهي عبارة عن كتابات صغيرة ملحقة ببعض المساجد والكنائس لا تروى غليلاً .

ويصف أحد المرسلين الأمريكيين بيروت في ذلك العهد فيقول : « إن بيروت المدينة مبنية من الطين والحجر الرملي ، وهي مظلمة رطبة وأسواقها ضيقة قذرة ، وفي الشتاء قلما تجف أوحالها ، وهي مبلطة منذ القديم ، وكل ذلك بدون ترتيب والبلاط غير متناسب في الحجم وبين الواحدة والأخرى فجوات . وقذارة المدينة ورطوبتها في الشتاء وحرها في الصيف يحيلها غير صالحة للعيال^(٣) » . ولم يكن في المدينة سوى ثلاثة مساجد كبيرة وعدد من المساجد الصغيرة وأربع كنائس . أما عدد السكان فلم يكن يزيد على خمسة آلاف نسمة .

ولما وصلت المطبعة من مالطا ، وضعت في قبو البناء الذي شيده القس برد سنة ١٨٣٠ بجوار مدرسة البنات الأمريكية لإيواء المرسلين وإقامة الصلاة في أيام

(١) العيد المتوى لنقل المطبعة الأمريكية إلى بيروت ص ٣٥٢ .

(٢) J. Richter : A history of protestant mission... 1910, pp. 106-185. (٢)

(٣) العيد المتوى لنقل المطبعة الأمريكية إلى بيروت ، ص ٤ .

الآحاد . وكانت المطبعة « صغيرة حقيرة »^(١) .

ولم يكن نشاط المطبعة في أول الأمر متصلاً ، فقد توقفت سنة ١٨٣٥ لعدم وجود الفنيين ، وتعطلت مرة أخرى بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤١ بسبب الاضطرابات التي وقعت في بيروت وغيرها من المدن اللبنانية والسورية في أواخر عهد الاحتلال المصري لتلك البلاد ، فرحل المبشرون الأمريكيون عن بيروت بعد أن أصبحت ميدان حرب مستعرة بين الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا والجيوش العثمانية تؤازرها الأساطيل الإنجليزية والتمساوية والتركية التي أخذت تضرب المدينة بقنابلها ليل نهار لمدة سبعة أيام فهدم عدد كبير من أبنيتها . ولما وضعت الحرب أوزارها بجلاء جيوش إبراهيم باشا عن البلاد ، عاد المرسلون الأمريكيون إلى مقرهم ببيروت فألفوا المطبعة على ما هي عليه لم تمسها يد .

وشعر المرسلون منذ سنة ١٨٣٦ أن الحروف التي يستعملونها في مطبعتهم رديئة ، وكانوا يطلقون عليها اسم « حروف لندن » ، فتعهد الدكتور عالي سمث بإصلاحها وسافر إلى ليزرغ بعد أن حمل معه نماذج من خطوط بعض مشاهير الخطاطين في مصر والآستانة والشام . وقد تم له صنع الحروف العربية الجديدة ذات الحركات وطبعت بها أول ما طبعت كتب المطالعة والتعليم المسيحي ومبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجي وغيرها من الكتب . فكانت أول مطبعة تسبك الحرف العربي المشكول المعروف « بالأمريكاني » .

ولم يقتصر نشاط الإرسالية الأمريكية ببيروت على الطباعة ، بل أخذت تنشئ المدارس في أنحاء لبنان ، وحذت حذوها سائر الإرساليات التي نزلت في تلك البلاد وزاد طلب الناس للكتب . واستمرت المطبعة الأمريكية حتى الثلث الثاني من القرن التاسع عشر تزود لبنان وسوريا بالكتب المدرسية والعلمية والدينية : ولم يقتصر الأمر على هذا بل أخذت تزود أيضاً المطابع التي أنشئت في ذلك العهد بالحروف . وظلت المطبعة الكاثوليكية المنافسة للأمريكيين ونشاطهم الديني في البلاد ، تستعمل حروف المطبعة الأمريكية زهاء خمس عشرة سنة .

(١) شاهين مكاريوس ، المعارف في سورية ، المقتطف الجزء السابع من السنة السابعة ، شباط ١٨٨٢ .

ولدى المطبعة الأمريكية بيروت يعود فضل طبع الكتاب المقدس طبعاً أنيقاً خالياً من الأخطاء : وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في مارس سنة ١٨٦٥ . وساهم في ترجمته وضبطه وإخراجه على سمث وبطرس البستاني وكرنيليوس فان ديلك والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير الأزهرى : أما كتاب العهد الجديد ، فقد انتهت المطبعة من طبعه في سنة ١٨٦٠ :

وبقيت المطبعة تدار باليد حتى سنة ١٨٦٠ حيث جلب لها محرك بخارى : وساهمت المطبعة الأمريكية في نشر الصحف والمجلات ، فقامت في سنة ١٨٥١ بطبع مجلة « مجموع فرائد » باللغة العربية^(١) : وكان لها الفضل أيضاً في نشر أول صحيفة مبصرة في الشرق العربى ، فأصدرت في سنة ١٨٦٣ صحيفة « أخبار عن انتشار الإنجيل » :

ويمكن اعتبار المطبعة الأمريكية في هذه الفترة من حياتها من أكبر مطابع لبنان، إن لم تكن أكبرها جميعاً . وكان نشاطها مضرراً للمثل . وكانت طباعتها نموذجاً يحتذى أصحاب المطابع في بلاد العروبة :

المطبعة الكاثوليكية بيروت

١٨٤٨

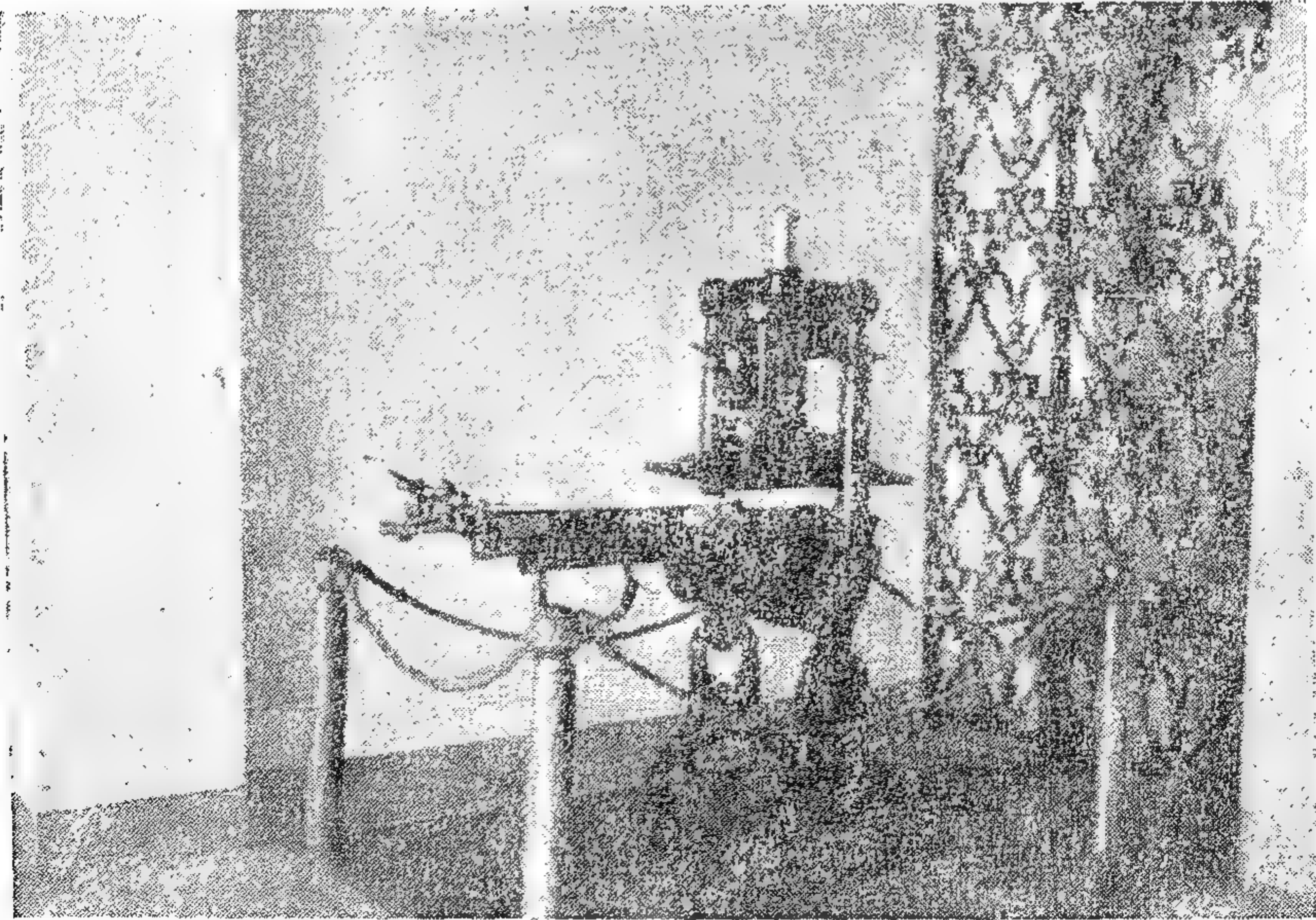
استطاع المبشرون الأمريكيون بوساطة مطبوعاتهم المختلفة أن يغزوا قلوب اللبنانيين ويضموا إلى مذهبهم عدداً كبيراً منهم : وكان لابد لليسوعيين الكاثوليك أن يضموا إلى حظيرتهم أكبر عدد ممكن من المؤمنين ، وإلا فقدوا وفقدت الكتلبة معهم ثمار عمل دام أكثر من قرنين تمكنوا خلالها من بث الدعوة لمذهبهم وكسب العدد الكبير إلى صفوفهم :

كان المبشرون الأمريكيون أو البروتستانت يذرعون لبنان طولا وعرضاً ،

(١) الفيكونت فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت سنة

يوزعون منشوراتهم ويؤسسون المدارس لتعليم الناس القراءة والكتابة . وكان على اليسوعيين الكاثوليك أن يفعلوا على الأقل مثلما يفعل منافسهم . فقاموا يواجهون الدعاية بالدعاية ويقارعون الحجة بالحجة مضحين بكل شيء في سبيل الوصول إلى ما يبتغون . لقد أرسل الأمريكيون مبشرين زودوهم بالمال واختاروهم من بين رجالهم النجباء الأذكياء ، فلم يسع الكاثوليك إلا أن يبعثوا إلى لبنان بمرسلين على ثقافة واسعة ودراية تامة بأعمال الدعاية الدينية . واستقر الرأي على إرسال الرهبان اليسوعيين .

ولما كانت الدعاية لا تستقيم بدون مطبعة ، فقد جلب هؤلاء الرهبان مطبعة حجرية صغيرة من نوع الأوتوجراف ، وهي ثالث مطبعة عرفتها بيروت . ويعود تاريخ وصولها إلى شهر أكتوبر من سنة ١٨٤٨ . وقد ألحق بها قسم للتجليد . غير أنه سرعان ما تبين عدم لياقتها للعمل الضخم الذي أعدت له . فتوقفت عن العمل بعد أن قامت بطبع النشرات والمؤلفات الدينية والعلمية التي يبلغ عددها تسعة . وفي سنة ١٨٥٣ مر الكونت دي تريمون^(١) ببيروت وهو في طريقه إلى القدس



طابعة استخدمت في المطبعة الكاثوليكية في عهدها الأول

فقابل رئيس الإرسالية اليسوعية الذي حدثه عن ضرورة إنشاء مطبعة كاثوليكية تنافس مطبعة الأمريكيين وتقلل من حدة نشاطهم . واقتنع الكونت بوجهة نظر محدثه وتبرع بمبلغ ستة آلاف فرنك ليشتري بها اليسوعيون مطبعة كاملة المعدات ويطبّعوا عليها كتاب « الاقتداء بالمسيح » ويوزعوه مجاناً على الناس . وفي سنة ١٨٥٤ تم للمطبعة الجديدة إخراج ذلك الكتاب من ألفي نسخة . وقامت في السنة نفسها بطبع عدة مؤلفات دينية . أما المطبعة الصغيرة ، فقد أرسلت إلى قرية « غزير » حيث قامت بطبع عدد من الكتب الأدبية .

ولم تمض سنة على ظهور « الاقتداء بالمسيح » حتى سعى المهيمنون على شئون المطبعة في جلب حروف لاتينية يجمعون بها نصوص المؤلفات الفرنسية . وأول ما طبع بتلك الحروف كتاب في مبادئ اللغة الفرنسية ظهر سنة ١٨٥٦ . وطبعت المطبعة أيضاً بالتركية والإيطالية للأهالي ولحمرك بيروت^(١) . وفي السنة نفسها تسلمت الإرسالية اليسوعية مطبعة ثانية هدية من اللجنة الفرنسية لمدارس الشرق .

وتمكنت الطابعتان على الرغم من صغر حجمهما من نشر ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة لثلاثين كتاباً خلال أربع سنوات .

وأصبحت المطبعة الكاثوليكية بنكسة أثر حوادث سنة ١٨٦٠ . ولكن ما لبث أن عاد إليها نشاطها ونقلت إلى البناء الذي شيد لها خصيصاً في حي الصيفي وكانت تشغل قبل ذلك ثلاث غرف . أما عدد العمال فقد زاد إلى الأربعين . كما أضيف لها طابعة ثالثة وسكين لقطع الورق وآلة أخرى لصقله .

وأصدرت المطبعة في عهدها الجديد صحيفة المجمع الفاتيكاني التي أنشئت للدفاع عن مجمع الفاتيكاني . وهي أول صحيفة تصدر عن هذه المؤسسة .

واستخدمت المطبعة الكاثوليكية عند تأسيسها حروفاً عربية مسبوكة في باريس . ولكن سرعان ما تبين عدم صلاحيتها فاستبدلت بحروف مسبك المطبعة الأمريكية سنة ١٨٦٨ .

أما عن علاقة الحكومة العثمانية بتلك المطبعة فقد كانت طيبة في أكثر

(١) S. Ronzevalle S.J. : L'imprimerie catholique de Beyrouth et son œuvre en

Orient, 1854-1903, Relations d'Orient, 1903, fasc. suppl. 143, p. 23.

الأوقات ، والدليل على ذلك أنه لما صدر قانون المطبوعات في سنة ١٨٥٧ طلب متصرف بيروت سرّاً إلى حكومته بالآستانة أن تبين له السياسة التي يجب أن يسير عليها حيال المطبعة الكاثوليكية والصحيفة التي تصدر عنها ، فالأول تعمل بدون ترخيص والثانية تنشر بدون إذن من السلطات الرسمية ، فأجيب بأن يعتبرهما مرخصتين .

* * *

نهضت الآداب العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة مباركة وخطت خطوات واسعة نحو الكمال . وكان ذلك بفضل ازدياد عدد المدارس والكلليات في بيروت والجبل . وقام بأعباء تلك النهضة المدارس الإكليريكية الشرقية . يضاف إليها المدارس التي قام بإنشائها الرهبان . وكان لتلك المؤسسات التعليمية على اختلاف مذاهبها فضل تخرج كهنة مثقفين ثقافة عالية ونشر العلوم والمعارف بين طبقات الشعب اللبناني . وقام بطرس البستاني في سنة ١٨٦٣ بتأسيس أول مدرسة أهلية ببيروت . وبعد ذلك بثلاث سنوات أنشأ غريغوريوس يوسف بطريرك الطائفة الملكية الكاثوليكية مدرسة يوحنا الذهبي الفم المعروفة باسم المدرسة البطريركية .

أما الإرسالية البروتستانتية الأمريكية فقد أسست منذ سنة ١٨٣٤ مدرسة عاليه لتخريج المبشرين . وفي السنة نفسها افتتحت الإرسالية أول مدرسة للبنات في لبنان كما أنشأت عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية في مختلف أنحاء لبنان . وفي سنة ١٨٦٦ افتتح دانيال بليس^(١) في رأس بيروت الكلية السورية البروتستانتية لتكون نواة للجامعة الأمريكية .

ولما أسس الأمريكيون كليتهم السورية البروتستانتية نقل اليسوعيون مدرستهم من قرية غزير إلى بيروت وبدأوا يضعون أساس جامعة القديس يوسف .

وساهمت الراهبات في تأسيس مدارس البنات ففتحت راهبات القديس منصور مدرستهن في سنة ١٨٤٧ ، وبعد ذلك بسنة قامت راهبات القديس يوسف بتأسيس مدرسة للبنات وفي سنة ١٨٦٨ أنشأت راهبات الناصرة مدرسة تالئة للبنات

وتبعهن راهبات القلب المقدس وأخوة المدارس المسيحية (الفرير) وكثيرون غيرهم .
 وطبيعي أن تصبح بيروت ، وقد تأسس فيها هذا العدد الضخم من المدارس ،
 مركزاً ثقافياً يقصده العرب من كل حذب وصوب . ونستطيع أن نقول بلا تردد إن المنافسة
 التي نشأت بين البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس خلال القرن التاسع عشر أفادت
 لبنان ثقافياً فائدة كبرى ، ولو أنها خلقت فيه النعرة الطائفية . . . فتقدمت الطباعة
 ونشطت الصحافة ، وتأسس عدد كبير من المطابع ، ونذكر منها المطبعة السورية ،
 وهي رابع مطبعة أنشئت في بيروت وأول مطبعة يملكها فرد . أسسها في سنة ١٨٥٧
 صاحبها خليل الخوري مدير المطبوعات السابق لطبع جريدته « حديقة الأخبار »
 وهي أول صحيفة شعبية عربية في الشرق العربي ، ولو أن الحكومة التركية جعلتها
 جريدتها الرسمية . وكانت تحرر في بادئ الأمر باللغة العربية ثم أصبحت تنشر
 باللغتين العربية والفرنسية منذ سنة ١٨٧٠ . وأحضرت أدوات هذه المطبعة من
 فرنسا وإنجلترا . أما الحروف فقد جلب بعضها من المطبعة الكاثوليكية . وقد أدت
 مطبعة خليل الخوري أجل الخدمات لقراء العربية في لبنان وسوريا خاصة وبلاد
 الشرق العربي عامة .

ولم يكد خليل الخوري ينتهي من تأسيس مطبعته حتى حذا حذوه إبراهيم
 نجار ، فقد أنشأ في سنة ١٨٥٨ المطبعة التي عرفت فيما بعد باسم المطبعة الشرقية .
 وجلب لها آلاتها وأمهاتها من فرنسا أثناء إقامته بها بعض الوقت . وأكثر مطبوعات
 تلك المطبعة الأوراق الرسمية والتجارية . أما الكتب التي طبعت فيها فهي قليلة ،
 نذكر منها « تاريخ سلاطين بني عثمان » لإبراهيم نجار . وقد تم طبعه في سنة ١٨٥٨ .
 وفي سنة ١٨٦٣ توفي منشيء المطبعة ، وكان قد أوصى بها إلى أخيه حنا نجار وإلى
 مطران بيروت الماروني طوبيا عون على أن يأخذ الأول قسماً من الحروف وأن يكون
 نصيب الثاني المطبعة وسائر أدواتها . وتسلم حنا نجار نصيبه من الحروف وابتاع
 مطبعة اختار لها مكاناً في ساحة البرج وأطلق عليها اسم المطبعة الشرقية . وكانت
 معظم مطبوعاتها تجارية .

ويجدر بنا أن نذكر المطبعة العمومية التي أنشأها ببيروت سنة ١٨٦١ يوسف
 ابن فارس بن يوسف الخوري الشلفون . وكان قد تدرب على الطباعة أثناء عمله

كمنضد للحروف في المطبعة السورية . وقامت هذه المطبعة بنشر الكتب الأدبية والروايات ، وتخصصت في المطبوعات التجارية والرسومية .

وفي سنة ١٨٦٣ طلب إليه داود باشا أول متصرف جبل لبنان أن يساعده في تأسيس مطبعة رسمية في بيت الدين مركز المتصرفية ، فلبى الشلفون الطلب . وترك المطبعة العمومية مؤقتاً ليتفرغ للمطبعة اللبنانية . ولما انتهى من مهمته عاد إلى بيروت وأخذ يوسع مطبعته ويجلب لها الأدوات والمعدات الجديدة .

ورأى الرهبان المخلصيون أن يؤسسوا مطبعة لهم في بيروت فنفذوا فكرتهم في سنة ١٨٦٥ . وكان مركز المطبعة في عهدهما الأول مبنى الوكالة المخلصية . ولا تزال في أعلى مدخل الدور الأراضى من البناء اللوحة الرخامية المنقوش عليها « المطبعة المخلصية سنة ١٨٦٥ » . ونشرت المطبعة في أول أمرها عدداً من الكتب الدينية كان أولها كتاب « متن المزامير » . واهتم المهيمنون على شئونها بالكتب الأدبية أيضاً ، فطبعوا « طوق الحمامة في مبادئ النحو » للشيخ ناصيف اليازجى ، وهو أول كتاب أدبي طبع في تلك المطبعة .

وفي سنة ١٨٦٥ أيضاً أنشأت طائفة السريان الكاثوليك ببيروت مطبعة تشبه حروفها العربية الحروف المصنوعة في النمسا . واقتصر نشاطها على المطبوعات التجارية والنشرات . غير أنها طبعت بعض الكتب مثل « كتاب أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية » للقس لويس الصابونجى .

ورأت سنة ١٨٦٥ في بيروت مطبعة ثالثة هي المطبعة الوطنية . وقد أسسها جرجس شاهين واشترى آلاتها ومعداتها من أوروبا . وفي سنة ١٨٦٨ أدخل مؤسس المطبعة شريكاً يدعى جرجس الغرزوزى . إلا أن هذه الشركة لم تدم طويلاً .

ولما شاهد خليل سركيس النجاح الذى أصاب المطابع اللبنانية ، قام في سنة ١٨٦٧ بإنشاء مطبعة المعارف وجلب لها حروفاً من المطبعة الأمريكية ومن بلاد الإنجليز . واشترك بعد ذلك بسنة واحدة مع المعلم بطرس البستاني لاستثمارها . وإن انتقلنا إلى خارج بيروت ألفينا عدداً من المطابع يبرز هنا وهناك مثل مطبعة شرفه ومطبعة بيت الدين ومطبعة دير سيدة طاميش ومطبعة إهدن .

وقد أسس مطبعة شرفه البطريك السريانى بطرس جروه السابع في سنة ١٨١٦ ،

وتتألف المطبعة من طابعتين إحداهما حجرية وهما من صنع إنجلترا . أما الحروف وأمهاتها فهي عربية وسريانية . وبلغ ثمن تلك المطبعة عشرين ألف فرنك ذهب . وفي مارس سنة ١٨٢٠ أرسل له البارون سيلفستر دى ساسى من باريس حروفاً سريانية سميكة ومعها أمهاتها . ووضع البطريك المطبعة في دير مار أفرام وأوقف عليها عيناً ثابتة ليضمن لها البقاء .

واتهم البطريك بأنه على اتفاق مع البروتستانت وبأنه أحضر المطبعة لينشر مؤلفاتهم ، ثم جاء الدروز إلى الدير فهبوه في سنة ١٨٤١ واستولوا على المطبعة الحجرية وحملوها معهم أو حطموها . أما مطبعة الحروف فإنها لم تمس بسوء وأنقذت معها أمهات الحروف السريانية . وبعد حوالي عشر سنوات نقلت المطبعة إلى دير شرفه حيث ظلت معطلة إلى أن نقلها الأب صابونجي إلى بيروت في سنة ١٨٦٥ وزودها بالحروف السريانية والعربية والتركية . وهكذا كتب لهذه المطبعة أن تنتج بعد تأسيسها بخمسين سنة ، فطبعت مجلة « النجاح » و « الأصول العربية والتهديات الأدبية » وغيرها من المؤلفات التي وضعها الصابونجي .

وفي سنة ١٨٥٢ تأسست أول مطبعة في بيت الدين ، وهي مطبعة حجرية . صاحبها حنا الأسعد ويعرف أيضاً باسم حنا أبي صعب . ونشرت تلك المطبعة بعض الكتب ، نذكر منها كتاب « شرح المعلقات » للزوزنى .

أما مطبعة بيت الدين الثانية ، فهي مطبعة رسمية أنشئت في عهد داود باشا متصرف جبل لبنان ، في سنة ١٨٦٧ . وقام بتركيب المطبعة وتنظيم أمورها يوسف الشلفون . وسميت بالمطبعة اللبنانية . وكانت تقوم بطبع الجريدة الرسمية الأسبوعية . وزودت المطبعة في بادئ الأمر بحروف المطبعة الكاثوليكية القديمة . واستخدمت بعد ذلك الحروف الأمريكية . ثم قام حنا بك الأسعد بابتكار حروف جديدة أرسلت إلى النمسا لتصنع لها أمهات . وأول كتاب خرج من مطبعة بيت الدين الرسمية هو « كليله ودمنة » . وقد تم طبعه في سنة ١٨٦٨ .

وفي سنة ١٨٥٥ كلف رهبان دير سيدة طاميش إبراهيم الديواني بأن يتناع لهم مطبعة كاملة المعدات وورشة للتجليد . وساهم دير قزحيا في شراء هذه المطبعة^(١) .

(١) الأب نعمة الله الكفرى : تاريخ دير مار أنطونيوس الملقب بقزحيا ، المشرق ، السنة الرابعة ، ص ٨٧٥ .

وكانت تستورد حروفها من مسابك بيروت . ويبدو أن نشاط تلك المطبعة كان محدوداً للغاية .

وفي سنة ١٨٥٩ أسس رومانوس يمينا وشريكه الحوري يوسف الدبس مطبعة في إهدن . وقام الشريك الأول بحفر حروفها وسبكها . وجلبت لها حروف من مسبك المطبعة الأمريكية في بيروت . وأول كتاب صدر عن مطبعة إهدن هو « القلب المستحق » تأليف الأب يوحنا بطرس بينامونتي اليسوعي وترجمة المطران جرمانوس فرحات . وتلا ذلك الكتاب عدة كتب دينية أخرى .

* * *

لم تكن المطابع إذن وقفاً على مدينة بيروت ، بل إن عدداً لا بأس به من مدن لبنان وقراه وجد منذ منتصف القرن التاسع عشر أنه في حاجة إلى هذا الفن لنشر الكتب المختلفة والصحف والمطبوعات التجارية . وكان لرجال الدين الفضل الأول في إنشاء دور الطباعة في الجبل ، ولو أنهم لم يصادفوا النجاح الذي صادف زملاءهم في بيروت ، ذلك أن مطابع الأديرة اقتصر في إنتاجها أو كادت تقتصر على الكتب الدينية العربية والسريانية . وهي كتب فتر الإقبال على شرائها وغدت مطابعها لا تنهض بأعبائها المالية فنقل بعضها إلى بيروت وبيع الباقي هنا وهناك . أما مطابع الأفراد فأخذ النشاط يدب في أركانها لتهافت اللبنانيين على قراءة المجلات والقصص والكتب العلمية والأدبية والمدرسية .

ويلاحظ على مطابع الجبل التي أنشئت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أنها لم تعيش طويلاً لأن دخلها لم يكن يغطي مصروفاتها ولأن منافسة مطابع بيروت لها كانت شديدة . ومما هو جدير بالذكر أن بيروت أصبحت مركز النشاط التجاري والمالي والحركة العلمية والفكرية في لبنان .

وبعد افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ أصبحت مصانع النسيج في أوروبا تستورد الحرير من الصين والهند بأسعار أرخص بكثير من الحرير اللبناني لانخفاض سعر الشحن . فكسدت تجارة الحرير وصناعته في الجبل . وأخذ سكانه ينزحون من القرى ميممين وجوههم شطر بيروت ليستقروا فيها أو ليرحلوا منها إلى مصر أو أمريكا طلباً للرزق .

الفصل الثالث

تقدم الطباعة وكفاحها ضد السلطات

١٨٧٠ - ١٩١٨

تأثرت الطباعة بعض الشيء من جراء الكساد الذي حل ببلبنان عقب افتتاح قناة السويس ، وبدأت الحركة المطبعية تنتقل رويداً رويداً من الجبل وبيروت إلى الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد كما سنرى ذلك مفصلاً في الجزء الخاص بمصر من هذا البحث . إلا أن الكساد لم يكن العامل الوحيد في إغلاق عدد من المطابع هناك ، بل إن المحتل العثماني بدأ يتوجس خيفة من سيل المطبوعات اللبنانية ، فأخذ يفكر في طريقة لكبح جماحها . ولكن على الرغم من هذه العقبات الاقتصادية والسياسية ، فقد مضى الفن المطبعي في لبنان حثيثاً بفضل مساهمة المطابع الكبرى لكل ما هو حديث ، فجلبت المحركات البخارية والآلات السريعة وتضاعف الإنتاج .

واستمرت مطبعة قزحيا تعمل بآلاتها القديمة إلى سنة ١٨٧١ إذ جلب الأب دنيال الحداثي مطبعة أخرى اشتراها من رومانوس يمين الإهدنى . وإلى جانب الكتب الدينية قامت قزحيا بطبع المؤلفات المدرسية مثل « الكراسة في مبادئ المطالعة السريانية » و « مورد التحقيق في أصول الجراماتيق » . وقد انتهى نشاط تلك المطبعة في سنة ١٨٩٧ بعد أن قدمت للطائفة المارونية عدداً لا بأس به من الكتب . أما مطبعة دير مار يوحنا بالشوير فقد ظلت محتفظة بوسائلها القديمة ، على الرغم من التحسينات التي أدخلت على الفن المطبعي في الغرب والشرق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . غير أن سجلات الدير تشير إلى شراء طابعة جديدة وسكين وبعض الأدوات الأخرى من أوروبا في سنة ١٨٦٨ .

بيد أن مطبعة بتلك الاستعدادات الفنية لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تقاوم منافسة المطابع التي أنشئت ببيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وهكذا قضى على أول مطبعة عربية في لبنان ألا ترى نور القرن العشرين ، فتوقفت عن العمل في سنة ١٨٩٩ بعد أن كافحت أكثر من قرن ونصف قرن من الزمن . وما زال دير مار يوحنا الصابغ يحتفظ بأدواتها وبحروفها ومسابكها في البناء الذي أنشئ لها في عهدها الأول .

وبعد أن تعطلت مطبعة القديس جاورجيوس حوالى مائة سنة عادت إلى نشاطها فطبت عدة كتب دينية . غير أنه تبين للمهيمين على شئونها أن أدواتها وحروفها لم تعد تنى بالغرض الذى أنشئت من أجله وأنها لو تركت على حالها بدون تجديد فلن تستطيع الصمود أمام منافسة مطابع بيروت الحديثة . فقر الرأى في سنة ١٨٨١ على شراء أدوات وحروف جديدة . وأعادت الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس تنظيم إدارة المطبعة وطبعت في سنة ١٨٨٢ لائحة من نماذج حروفها العربية والإفرنجية . وظلت المطبعة في نشاطها ثلاث عشرة سنة فطبعت عدداً من الكتب والمجلات نذكر منها مجلة ديوان الفكاهة لسليم شحادة وسليم طراد ومجلة الهدية وجريدة التقدم للشلفون وطاسو .

وتعطلت المطبعة مرة أخرى حوالى خمسة وعشرين عاماً وبيعت أدواتها لإبراهيم بك الأسود في بعيدا . وهكذا توقفت أول مطبعة أنشئت في بيروت ، ولكن توقفها في هذه المرة سببه شدة منافسة المطابع الأهلية .

ولم يصب المطبعة الأمريكية ببيروت ما أصاب شقيقاتها من التدهور . ففي سنة ١٨٧٠ طبعت أول مجلة عربية للأولاد وهى « كوكب الصبح المنير » . وطبعت في السنة نفسها النشرة الأسبوعية . وقد عمل إبراهيم سركيس مديراً للمطبعة ومصححاً لها . فقام بهذه المهمة خير قيام إلى أن توفاه الله في ١٠ أبريل سنة ١٨٨٥ .

وعدا المطبعة ذات الحروف المتفرقة ، كان لدى دار الطباعة الأمريكية طابعة حجرية قامت بطبع الخرائط والأطالس والمصورات الطبية المختلفة التى كان يستخدمها الأمريكيون في مدارسهم وجامعتهم . وفي سنة ١٨٧١ شيد للمطبعة بناء جديد بجانب الكنيسة الإنجيلية .

وظلت المطبعة الأمريكية تتقدم بخطى واسعة حتى بداية الحرب العالمية

الأولى . فلم تستطع أية مطبعة أخرى أن تنال منها . وتعتبر الفترة بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩١٤ العصر الذهبي لها . وخلال الحرب العالمية الأولى توقفت جميع مطابع بيروت ولبنان عن العمل تقريباً ما عدا المطبعة الأمريكية التي ظلت مستمرة في نشاطها .

أما المطبعة الكاثوليكية في بيروت فقد أدخل عليها عدة تحسينات كالمحرك البخاري الذي أقيم له ، بمناسبة وصوله ، حفل كبير أقيمت فيه الكلمات المناسبة والقصائد العامة . وكانت قوة ذلك المحرك البخاري ثلاثة أحصنة واستبدل في سنة ١٨٧٨ بمحرك آخر قوته سبعة أحصنة . وبعد جهود دامت عشرين سنة ، استوردت المطبعة محركاً ثالثاً قوته اثنا عشر حصاناً .

وأصدرت المطبعة الكاثوليكية مجلة « البشير » ابتداء من سنة ١٨٧٠ بدلا من صحيفة المجمع الفاتيكاني .

وجلبت المطبعة حروفاً صنعت أمهاتها في الآستانة وأخذ المشرفون عليها يحسنونها إلى أن تم لهم ابتكار قاعدة جديدة جمعت بها أصول الكتاب المقدس . وتقدمت المطبعة الكاثوليكية بخطى سريعة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وحرصت إدارتها على تزويدها بكل مستحدث في هذا الفن حتى غدت في عداد أكبر مطابع الشرق العربي وأكثرها استعداداً . وقد ألحق بها ورشة للحفر على النحاس ومكبس مائي وورشة لصنع ورق الكرتون وجلبت لها أدوات تذهيب الكتب وآلة طباعة تقوم بطبع وجهي الفرخ .

ونشرت المطبعة الكاثوليكية المؤلفات في جميع العلوم والفنون . وساعدت كبار أدباء لبنان كالبيستاني والشرتوني واليازجي والفاخوري وفرحات في طبع كتبهم . وكان للآباء الأساتذة بجامعة القديس يوسف فضل نشر الكتب القديمة وجعلها في متناول الجميع . كما صدر عن تلك المطبعة منذ سنة ١٨٩٨ مجلة المشرق التي أدت للعلوم الشرقية وللمستشرقين أجل الخدمات .

وحدت مطبعة اليسوعيين حذو المطبعة الأمريكية ، فقامت بطبع الكتاب المقدس طبعاً متقناً ، بعد أن قام الأب روديه^(١) بنقله إلى اللغة العربية عن أصله

العبرى واليونانى . وصححه وصاغ أسلوبه الشيخ إبراهيم اليازجى . وصدرت الطبعة الأولى من ذلك الكتاب فى سنة ١٨٧٦ وعرض فى معرض باريس الذى أقيم سنة ١٨٧٨ ونالت المطبعة عليه المداية الذهبية .

وفى سنة ١٨٧٥ نقلت المطبعة من المكان الذى شيد لها إلى البناء الذى أعاد لها بجوار جامعة القديس يوسف . واقتنت قسماً للتصوير الشمسى وجلبت طباعة حجرية تنقل عليها الصور المأخوذة فتوغرافيا . فأمكن بتلك الطريقة طبع الكتاب المقدس بحرف دقيق جداً . وزودت المطبعة أيضاً بمطابع حديثة صنعت فى أمريكا كما اشترت معدات حديثة لقسمى التجليد والسبك .

وظلت العلاقة طيبة بين المطبعة ورجال الحكومة العثمانية فى هذه الفترة من حياتها . وفى سنة ١٨٨٨ صدر عن الآستانة أمر يقضى بإغلاق كل مطبعة لم تنل ترخيصاً رسمياً بإنشائها . غير أن الوالى عزيز باشا ، على أثر زيارته للمطبعة أعطاها التصريح المطلوب ، دون أن يتخذ ضدها أى إجراء (١) .

ولم ينقض القرن التاسع عشر إلا وأصبح فى إمكان المطبعة الطبع بعشر لغات شرقية عدا اللغات الأوربية وارتفع عدد عمالها إلى الثمانين ، بعد أن كان ثلاثين فى سنة ١٨٧٥ وستين فى سنة ١٨٨١ .

وقد أنشئت فى هذه الفترة مدارس كثيرة نذكر منها مدرسة الملائكة للروم الأرثوذكس التى تأسست فى سنة ١٨٧٥ . وفى السنة نفسها قام أحد الإسرائيليين بإنشاء مدرسة لطائفته . وحذا حذوه فى السنة التالية المطران يوسف دبس فافتتح مدرسة الحكمة . وقامت إمبلى سرسق بإنشاء مدرسة للبنات فى سنة ١٨٨٠ .

وكان لابد أن تتألف الجمعيات والنوادر الأدبية فى هذا الجو العلمى الجديد . ونمت بيروت بسرعة مما جعلها ميناء سوريا الأول وعاصمتها التجارية . فقرر الباب العالى فى سنة ١٨٨٨ أن يجعل منها ولاية قائمة بذاتها . وشجع الامتياز الذى نالته بيروت دون سائر المدن السورية على خلق حياة فكرية وسياسية عبرت عنها الصحف أصدق تعبير .

لم تعد المطابع القديمة إذن تنى بالغرض المحدود الذى أنشئت من أجله

فتأسست مطابع جديدة وبدأت المطابع القديمة تجدد من معداتها لتتمكن من مجابهة الطلبات المتزايدة التي كانت ترد إليها .

ومضت المطبعة الكاثوليكية قدماً نحو الكمال إلى أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . ولما كانت مؤسسة فرنسية فقد صادرتها الحكومة التركية وتوقف نشاطها خلال الحرب .

وإن انتقلنا إلى المطبعة السورية ألفيناها في أواخر القرن التاسع عشر تنشر عدة مؤلفات أدبية مثل ديوان المتنبي الذي قام بتحقيقه المعلم بطرس البستاني ، وطبعت أيضاً الروايات التي ألفها سليم بسترس و خليل الخوري وتمتيلية عايدة لسليم نقاش وبعض المؤلفات في القانون . وقد أدت المطبعة السورية أجل الخدمات لقراء اللغة العربية في لبنان وسوريا خاصة وبلاد الشرق العربي عامة . وتوقف نشاطها تماماً في سنة ١٩١١ .

وقامت المطبعة العمومية في عهدها الجديد بنشر أربع صحف هي : جريدة الزهرة التي صدرت في سنة ١٨٧٠ لنشر الأخبار ، وقد أغلقت بعد ذلك بستين لأسباب سياسية . وطبعت أيضاً مجلة « النحلة » للقس لويس صابونجي . وفي السنة نفسها أصدر يوسف الشلفون جريدة النجاح وطبعها في مطبعته ؛ وهي جريدة إخبارية سياسية كانت تصدر مرة واحدة في الأسبوع ثم مرتين إلى أن أصبحت يومية لتكون أول صحيفة يومية عرفتها الديار الشامية . وقد عاشت إلى سنة ١٨٧٤ ، وصدر عن تلك المطبعة أيضاً جريدة التقدم .

وفي سنة ١٨٧١ عقد الشلفون شركة مع رزق الله خضر لنشر الكتب الدينية والأدبية ولم تدم تلك الشركة طويلاً ، فقد باع الشريك الأول نصيبه إلى الشريك الثاني الذي اتخذ المطران يوسف الدبس شريكاً جديداً له . وأصبحت المطبعة تعرف منذ ذلك الحين باسم المطبعة العمومية الكاثوليكية . ومن أهم مطبوعاتها « تاريخ سورية » للمطران يوسف الدبس .

وأسس الشلفون في سنة ١٨٧٤ مطبعة جديدة أسماها المطبعة الكلية . وقد استأجرتها بضع سنوات لجنة جمعية القديس جاورجيوس لطائفة الروم الأرثوذكس ولما توفي صاحبها في سنة ١٨٨٥ انتقل امتياز المطبعة وجريدة التقدم إلى ابنه .

وبعد أن قامت المطبعة المخلصية بطبع عدة أعداد من مجلة النحلة ، اضطرت إلى التوقف عن العمل للظروف الصعبة التي اجتازتها . وبيع جزء من معداتها إلى خليل البدوي صاحب جريدة الأحوال . أما الجزء الباقي فقد ظل في المطبعة إلى أن بيع في سنة ١٩٠٠ .

أما المطبعة السريانية فقد نقلت إلى دير الشرفة في لبنان لتستأنف نشاطها في طبع الكتب الدينية .

وفي سنة ١٨٨٠ افتتح حنا الغرزوزي مطبعة جديدة أطلق عليها اسم « المطبعة اللبنانية » . وقد عملت هذه المطبعة زهاء عشر سنوات ثم بيعت إلى يوسف صادر صاحب المطبعة العلمية .

وقد فسخت في سنة ١٨٧٦ الشركة القائمة بين خليل سركيس وبطرس البستاني على إدارة مطبعة المعارف . فأسس الأول المطبعة الأدبية بينما احتفظ الثاني بالمطبعة إلى سنة ١٨٨١ حين أغلقت . وقامت المطبعة بنشر « قطر المحيط » والجزء الثاني من « محيط المحيط » لبطرس البستاني .

وفي سنة ١٨٧٤ أنشأ عبد القادر القباني في بيروت مطبعة جلب لها معداتها من لندن . وقامت في سنة تأسيسها بطبع صحيفة « ثمرات الفنون » . ولما اتسعت أعمال المطبعة اشترى لها صاحبها محركاً بخارياً . وطبعت هذه المطبعة ، وكانت تعرف بمطبعة جمعية الفنون ، كتاب الهجاء لتعليم الأطفال وضعه صاحبها . وقد آل أمر المطبعة في مطلع القرن العشرين إلى يوسف صادر الذي اشترى أدواتها وأضافها إلى مطبعته المعروفة بالمطبعة العلمية .

وفي سنة ١٨٧٦ أنشأ خليل سركيس المطبعة الأدبية . وكان لتلك المطبعة فضل صنع الحرف الإسلامبولي . وقد أعد أبهاته إبراهيم اليازجي . أما الحرف الفارسي فقد حفر أبهاته المعلم قسطنطين البيطار الدمشقي . وصنع الحرف الثلث الكبير نجيب سركيس . وشكلت بعض تلك الحروف . كما زودت المطبعة بحروف أجنبية مختلفة الأشكال والأنواع .

واشترى خليل سركيس طابعتين سريعتين تداران بالبخار لطبع الكتب والجرائد وطابعتين صغيرتين تداران بالقدم . وكان عملهما مقصوراً على المطبوعات التجارية .

وقامت المطبعة بطبع جريدة « لسان الحال » منذ ظهورها في سنة ١٨٧٧ ومجلة المشكاة . وكان خليل مركيس أول من استحضر مسابك حروف على الطراز الجديد . وفي سنة ١٨٩٥ حدث حريق في المطبعة دمر قسماً كبيراً منها ،

وفي سنة ١٩١١ اضطر منشئ المطبعة الأدبية إلى اعتزال العمل أثر مرض تصلب الشرايين . فسلم إدارة المطبعة إلى ابنه رامز^(١) . وظلت المطبعة الأدبية فترة طويلة في مقدمة مطابع بيروت . وكان لها فضل نشر عدد كبير من المؤلفات .

وبفضل مسبك تلك المطبعة ومسبكي المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأمريكية لم تعد المطابع الوطنية في حاجة إلى استيراد الحروف العربية من الغرب أو من الآستانة . وإن بعض الحروف المحفورة بأيدي لبنانية كحروف إبراهيم اليازجي صادفت نجاحاً وإقبالا منقطعي النظر في مصر وأمريكا^(٢) . فقد حفر هذا الأخير حروفاً يمكن وضعها في مبدأ الكلمة وفي وسطها أو في نهايتها . وقد اتخذت تلك الحروف أساساً لصنع الآلات الكاتبة العربية .

وأنشأ محمد رشيد الدنا في سنة ١٨٨٥ « مطبعة بيروت » وقد اشترى آلاتها وأدواتها من المطبعة الكاثوليكية . وطبع فيها سنة ١٨٨٦ صحيفته « بيروت » التي كانت تصدر مرتين في الأسبوع ثم أصبحت تصدر مرة واحدة . وقام على تحريرها سليم عباس الشلفون . وجلبت المطبعة بعد ذلك مسبكاً كادل العدة للحروف الإسلامية . وظهرت عن تلك الدار كتب واسعة الفائدة نذكر منها « تاريخ جودت » .

ولم تفكر الحكومة العثمانية في تأسيس مطبعة ببيروت إلا في سنة ١٨٨٥ . وهي أول مطبعة رسمية عرفتها تلك المدينة . وقد جلبت أدواتها من باريس . أما حروفها فقد تم شراء جزء منها من مسبك المطبعة الكاثوليكية وجلب الجزء الآخر من الآستانة . أما النقوش وما إليها فقد استوردتها المطبعة من ألمانيا . وابتداء من سنة ١٨٨٨ أخذت المطبعة تنشر جريدة « بيروت » الرسمية المحررة باللغتين التركية والعربية . وإلى جانب ذلك كانت المطبعة تقوم بإعداد مطبوعات الحكومة المختلفة .

(١) الفيكونت فيليب دي طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثاني ص ١٢٩ - ١٣٧

(٢) شبل شميل : مجلة المسرة ، سنة ١٩٤٧ ص ٣٤١ .

وأشرف على تركيب المطبعة راهب يسوعى رفض أن يتناول أى أجر على عمله . فكافأته الحكومة التركية بإهدائه ساعة ذهبية وأرسلت إلى الرهبان اليسوعيين خطاب شكر .

ويلاحظ فى هذه الفترة انخفاض عدد المطابع اللبنانية . ففى حوالى سنة ١٨٨٥ بدأ الباب العان يغير من سياسته المنطوية على اللين والتسامح لإزاء المطابع إلى سياسة شديدة قاسية ، فكان يفرض على المطبعة أن ترسل الكتاب المراد طبعه إلى الآستانة لمراجعته والموافقة على نشره . وفرض الأتراك على الصحافة رقابة لم يعرف لها مثيل قبل ذلك التاريخ . وكان لتلك الإجراءات أسوأ الأثر على عدد من المطابع فاضطرت إلى التوقف عن العمل . ولكن الاضطهاد وحده لا يكفى سبباً لإغلاق هذا العدد الكبير من المطابع . فقد ثبت أن الحالة الاقتصادية لم تكن على ما يرام مما دعا عدداً كبيراً من أبناء لبنان إلى الهجرة . وطبعى والحالة الاقتصادية هذه ، أن يقل الطلب على المطبوعات التجارية والكتب الأدبية . وفضلاً عن ذلك فإن المطابع كانت زائدة عن الحاجة فكان لابد من احتدام المنافسة بين دور الطباعة فيسقط منها ما لا يستطيع البقاء ويصمد ما لديه القدرة على الصمود . وهكذا سقط فى الميدان وعجز عن متابعة السير عدد من المطابع نذكر منها المطبعة الشرقية ومطبعة حنا نجار والمطبعة اللبنانية الأولى التى اشتراها سليم نقولا . ودور وأطلق عليها اسم المطبعة السليمية . ولكنها ما لبثت أن نقلت إلى دمشق فى سنة ١٨٨٢ حيث عرفت باسم المطبعة الحفنية . أما المطبعة اللبنانية الثانية فقد بيع قسم منها إلى يوسف صادر وبيع القسم الآخر إلى مطبعة الآداب لأمين و خليل الخورى .

وقد تأسست المطبعة الأخيرة فى سنة ١٨٩٠ . واشترى لها صاحبها آلة تدور بالبخار من مطبعة المعارف ثم جلبا إليها طابعة سريعة من باريس خصيصاً للمطبوعات التجارية . وكانت جريدة الأحوال تطبع فيها أول الأمر . وقد اتسعت أعمال مطبعة الآداب حتى بلغ عدد عمالها سبعة وعشرين . وفى سنة ١٨٩٨ انقسمت المطبعة إلى قسمين ، أرسل أحدهما إلى الإسكندرية وعرف باسم مطبعة الآداب أيضاً فى حين ظل الثانى ببيروت وكان أغلب مطبوعاته قصصاً وروايات . وهكذا ترى أن المحنة التى مرت بمطابع الكتب سنة ١٨٨٥ وما بعدها لم تحل

دون تأسيس بعض المطابع عاش بعضها إلى أن شاهد نور القرن العشرين بينما اختفى البعض الآخر لأسباب مالية بحثة .

وأهم هذه المطابع وأكثرها نشاطاً مطبعة الفوائد . فقد أنشأها خليل البدوي في سنة ١٨٩١ لطبع جريدته « الفوائد » . وأخذت تطبع منذ أكتوبر سنة ١٨٩١ جريدة الأحوال التي كانت تصدر مرتين في الأسبوع ثم أصبحت تظهر يومياً منذ سنة ١٨٩٣ . وهي أول جريدة يومية ظهرت في الأقطار الشامية « بإرادة سنية » وطبعت المطبعة أيضاً مجلة « الرئيس » الشهرية .

واقترنت مطبعة الفوائد محركاً يدور بالكيروسين . وهو أول محرك من نوعه تقنيه مطبعة في لبنان . وصدر عنها عدة مؤلفات باللغات العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسية . واشترت في سنة ١٨٩٦ مسبكاً خاصاً بها . وفي سنة ١٩٠٠ شيد لها صاحبها بناء فخماً على شارع المرفأ الكبير يتكون من أربعة طوابق . وظلت تلك الدار في مقدمة دور الطباعة في سوريا ولبنان إلى أن اضطر صاحبها لظروف عائلية إلى بيعها لقيصر بوبز في أوائل عام ١٩١٠ .

وفي سنة ١٨٩٣ رخصت الحكومة لمحمد سليم الأنسي صاحب جريدة روضة المعارف بفتح مطبعة أطلق عليها اسم المطبعة الأنسية . وكانت هذه المطبعة في أول أمرها تستخدم الحروف الأمريكية ثم استبدلت بالحروف الإسلامية . واشترى لها صاحبها حروفاً فرنسية من باريس . ولما زاد العمل في المطبعة جلبت لها طابعة تدور بالبخار . ويمكن اعتبار تلك المؤسسة من بين المؤسسات المطبعية الكبيرة التي ظهرت في لبنان في أواخر القرن الماضي . وقد ساهمت مساهمة طيبة في نشر الكتاب العربي وجعله في متناول الجميع .

تلك هي حالة الطباعة في بيروت حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويلاحظ أن اللبنانيين استطاعوا بفضل جهودهم الشخصية أن ينهضوا بهذا الفن نهضة مباركة . وإن كانت المطبعة الأمريكية قد استعانت بمسابك ليبزج لصنع حروفها ، فإن المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأدبية تمكنتا من صنع قاعدتين جديدتين للحروف العربية تفضلان القاعدتين الأمريكية والإسلامبولية . وكانت مطابع القاهرة والإسكندرية تستورد حروفها من المسابك اللبنانية ، فلما منعت الحكومة التركية

تصدير الحروف من بيروت قامت مجلة الهلال في عددها الصادر في ١٥ يناير سنة ١٨٩٤ تشكو من هذا القرار وترجو ولاية الأمر الأتراك أن يعدلوا عنه . وهكذا ظل لبنان زهاء نصف قرن يزود أبناء العروبة بحروفه الجميلة .

ولم تكن مطابع بيروت تكتفى بتوزيع مطبوعاتها في لبنان ، بل كانت توزعها أيضاً في دمشق وحمص وحمما وغيرها من المدن السورية . وكانت العراق تستورد كتبها من لبنان أيضاً . ولم تخل المكاتب المصرية من المطبوعات اللبنانية .

ونستطيع أن نقول إن لبنان ظل سيد الطباعة في الشرق العربي حتى أواخر القرن التاسع عشر إذ بدا له منافس خطير في مطابع مصر . ومهما يكن من أمر الطباعة في لبنان في الربع الأول من القرن العشرين ، فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بفضل ذلك القطر على نشر الكتاب العربي في الشرق والغرب على حد سواء .

وبلغ عدد مطابع بيروت في سنة ١٩٠٣ ست عشرة مطبعة عدا بعض المطابع الثانوية التي تخصصت في طبع الأوراق التجارية المختلفة^(١) . وهو عدد كبير إن قيس بعدد سكان بيروت في ذلك العهد . ونتج عن كثرة المطابع لون من المنافسة أفاد قراء اللغة العربية ، فقد انخفض سعر المطبوعات جميعاً وأصبحت الكتب المفيدة في متناول الصغير والكبير .

أما خارج بيروت فإن حال الطباعة لم يكن على ما يرام ابتداء من الثالث الأخير من القرن التاسع عشر . فقد ضعف نشاط مطبعة دير الشرفه إلى أن توقفت عن العمل في سنة ١٨٩٦ . وحاول البطريرك السرياني أن يبعثها من جديد في سنة ١٩٠١ فزودها بطابعة جديدة اشتراها من باريس وابتاع لها حروفاً أفرنجية وعربية وسريانية ويونانية وقرر إنزالها إلى بيروت . واستصدر البطريرك فرماناً بتأسيس المطبعة السريانية . ولكن خوفه من المضايقات والرقابة جعله يعدل عن مشروعه فظلت المطبعة حيث كانت .

وانتقلت مطبعة بيت الدين إلى دير القمر حيث نشرت الحرف الأول من القاموس الفرنسي العربي الذي وضعه فضول البستاني . وفي سنة ١٨٧٣ أمر رستم باشا بإعادة المطبعة إلى بيت الدين حيث زودت بحروف جديدة من مسبك المطبعة

الأمريكية . واهتمت منذ ذلك الحين بنشر الكتب المدرسية والمطبوعات التجارية والحكومية . وتوقفت عن العمل في مطلع القرن العشرين ٥
وتوقفت مطبعة دير سيدة طاميش حوالى سنة ١٨٨٢ وبيعت معداتها وحروفها العربية بعد عدة محاولات بذلت لإحيائها . وبيعت مطبعة إهدن إلى دير قزحيا ٥

وإذا لاحظنا أن مطابع اختفت في هذه الفترة فقد قامت مكانها مطابع أخرى إذ أنشأ إبراهيم بك الأسود المطبعة العثمانية في بعبدا مركز متصرفية لبنان سنة ١٨٩١ ، وهى أول مطبعة في لبنان تتأسس بإرادة سنية . وكان يعمل فيها خمسة وعشرون شخصاً . وهو عدد لا بأس به بالنسبة لمطابع ذلك العهد . وكان في المطبعة طابعة تدور بالبخار عدا طابعات صغيرة أخرى . وظهر عن تلك المطبعة صحيفة « لبنان » لإبراهيم بك الأسود ومجلة « المنار » ومجلة « الشمس » . وظلت صحيفة « الصفا » تطبع فيها مدة طويلة ٥

وعرفت مدينة طرابلس فن الطباعة في سنة ١٨٩٣ بفضل محمد كامل البحيرى الذى أسس « مطبعة طرابلس » وجلب لها طابعة تدار بالبخار . وكانت تصدر عنها صحيفة « طرابلس الشام » الأسبوعية . ولما زاد الإقبال على المطبعة شيد لها صاحبها في سنة ١٨٩٧ بناء فخماً على شارع التل في الجهة الجنوبية الشرقية من قصر الحكومة .

وأنشأ خليل طنوس باخوس المطبعة اللبنانية ببعبدا في سنة ١٨٩٤ وجعلها بكل ما يلزمها من أدوات ومعدات . وقامت تلك المطبعة بطبع صحيفة الروضة وعدد قليل من الكتب . وأسس الشقيقان فيليب وفريد الحازن مطبعة الأرز في قرية جونية ، طبعاً فيها صحيفة « الأرز » . وأنشأ عبود أبو راشد وأنطون كنعان المطبعة الشرقية بالحدث سنة ١٩٠٠ . وكانت مطبوعاتها متقنة ٥

ومن الملاحظ على المطابع التي أنشئت خارج بيروت في أواخر القرن التاسع عشر أنها لم تعيش طويلاً لأن دخلها لم يكن يغطي مصروفاتها ولأن مطابع بيروت نافستها منافسة شديدة باستعداداتها الفنية ورخص أسعارها .

وتأسس في بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى عدد من المطابع الصغيرة كمطبعة الثبات لإسكندر الحورى ومطبعة النجاح والمطبعة الأهلية ومطبعة الانتصار ومطبعة

المنار . وتعتبر مطبعة النجاح أول مطبعة يهودية أسست في بيروت وفي لبنان . ولم تعش مطبعة المنار إلا سنة واحدة . ولم يبرز من تلك المطابع سوى المطبعة الأهلية التي كانت تزود المدارس الإسلامية بالكتب والأدوات الكتابية .

وأنشئت في الجبل مطبعتان الواحدة في الحدث والثانية في زحلة وكانت كلاهما تعرف باسم المطبعة الشرقية . وفي سنة ١٩١٠ انتقلت المطبعة الأولى إلى بيروت .

وكان من آثار ثورة تركيا الفتاة التي قامت سنة ١٩٠٨ أن ألغيت إلى حين الرقابة التي أخذت بخناق الجميع ، فأصبح الناس على اختلاف طبقاتهم يهتمون بالسياسة . وتكونت النوادي والجمعيات السياسية وارتفع عدد الصحف . وقد تأسس في بيروت خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٢ تسع وأربعون جريدة وست وعشرون مجلة . وصدرت مجلة واحدة ، وجريدة واحدة في صيدا وثمانى جرائد وثلاث مجلات في طرابلس وثمان وعشرون جريدة وإحدى عشرة مجلة في الجبل^(١) . ونتج عن ذلك ظهور مطابع جديدة في بيروت والجبل خاصة بعد أن ألغت الحكومة التركية القانون الصادر في سنة ١٨٨٥ والذي يلزم كل من يرغب في تأسيس مطبعة ، أو جريدة أن يحصل على تصريح بذلك .

وبلغ عدد المطابع التي أنشئت في بيروت والجبل حوالى الثلاثين . واكن سياسة جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تهدف إلى صبغ كل شيء بالصبغة التركية وسياسة تركيا الفتاة الاستعمارية أعادت الإجراء الصارمة التي فرضت على المطابع في سنة ١٨٨٥ . فعطلت الحكومة عدداً كبيراً من الصحف وقدمت أصحابها للقضاء ووضعت المدارس والمطابع تحت الرقابة المشددة . واضطر الرجال الأحرار إلى الالتجاء لمصر وأوربا حيث استأنفوا كفاحهم في الدفاع عن استقلال بلادهم . وكان لتلك الإجراءات التعسفية أثرها على مطابع بيروت فأغلق بعضها أبوابه . أما مطابع الجبل فظلت تتمتع بحرية واسعة .

وقد توقف في تلك الحقبة مطبعتان قديمتان هما مطبعة بيروت في سنة ١٩٠٩ والمطبعة السورية في سنة ١٩١١ . ولم تكن للمطابع الجديدة التي أنشئت في تلك

الفترة الأهمية ذاتها التي كانت للمطابع القديمة . فقد كان أغلبها يحتوى على طباعة واحدة وصندوق أو صندوقين للحروف .

وظلت المطبعة الأمريكية والمطبعة الكاثوليكية في مقدمة المطابع القديمة من حيث جودة الإخراج وتنوع المطبوعات . واستمرت المطبعة الأدبية والمطبعة العلمية تطبعان المؤلفات العديدة المختلفة . أما مطبعة انقوائد ، فقد اقتصر نشاطها في وقت من الأوقات على طبع جريدة الأحوال التي أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع ابتداء من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨ وأخذ اسم الجريدة يغطي على اسم المطبعة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تعرف « بمطبعة الأحوال » .

وتأسس خارج بيروت خلال تلك الفترة عدد كبير من المطابع لا سيما في الجبل . ويعود فضل تأسيس أكثر تلك المطابع إلى الصحف ولو أن حياتها كانت قصيرة إن استثنينا المطبعة البولسية التي أصبحت اليوم من مطابع لبنان الكبرى . فقد أسسها في حريصا المطران جرمانوس معقد سنة ١٩١٠ . وكان الغرض من إنشائها طبع مجلة المسرة لسان حال طائفة الروم الملكيين الكاثوليك . وفي أكتوبر سنة ١٩١٤ ألحق بالمطبعة ورشة للتجليد . وكان المطران جرمانوس معقد يقوم بنفسه بتنضيد الحروف وإدارة الطابعة . وتخصصت المطبعة في طبع الكتب الطقسية باللغتين العربية واليونانية والكتب المدرسية ونوتات الموسيقى البيزنطية التي تجلب حروفها من أثينا .

الحرب العالمية الأولى

كان للحرب العالمية الأولى أسوأ الأثر على لبنان ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً . فبعد دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ألغى الباب العالي نظام الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به الجبل وطبق عليه النظام الذي كان مفروضاً على سائر الإمبراطورية . وأغلقت أكثر المدارس أبوابها وفرضت الرقابة على الصحف وعطل بعضها وتوقف عدد كبير من المطابع عن العمل كما صودر البعض منها . وأقفلت المطبعة العثمانية والمطبعة الأنطونية منذ السنة الأولى من الحرب . وتبعهما بعد ذلك

مطابع أخرى . ونالت المطبعة الكاثوليكية من غضب الحاكم الشيء الكثير . فقد صودرت آلاتها وأرسل بعضها إلى دمشق وبعيدا في حين ظل الباقي في بيروت . ونقلت مطبعة زحلة الفتاة إلى الحجاز وأعدم أصحاب بعض المطابع وأبعدوا عن البلاد واقتصرت أعمال المطابع التي كتب لها البقاء على المطبوعات التجارية . وقامت مطابع الحكومة بطبع المؤلفات ونشرها . وعلا نجم المطبعة العصرية خلال الحرب العالمية الأولى فقد استمرت تطبع صحيفة البلاغ ، وهي من الصحف النادرة التي سمح لها بالبقاء . وفي مارس سنة ١٩١٨ رخص لصاحبها بإصدار مجلة الفتاة :

تلك هي حال الطباعة في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى . ولكن على الرغم من العقبات التي اعترضت طريق هذا الفن بسبب الظروف السياسية والاقتصادية ؛ فقد استطاع اللبنانيون أن ينهضوا من كبوتهم ويسيروا قدماً في ركب الحضارة العالمية التي حيل بينهم وبينها عبثاً .

الفصل الرابع

نهضة بعد كبوة

١٩١٩ - ١٩٣٩

أعلنت الهدنة في الحادي عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ وانطلق الفكر من عقاله محلقاً في سماء الحرية بعد أن ظل حبيس الذل والاضطهاد أربع سنوات . وأضيئت مشاعل الثقافة في لبنان ولعل نور المدنية وشمل التقدم كل ناحية من نواحي الحياة وانتشر التعليم وازدهر . وكان من الطبيعي أن يسير الفن المطبعي في هذا الركب .

ومما يلاحظ على العهد الجديد كثرة مطبوعاته الفرنسية بسبب الانتداب الفرنسي . وكان لهجرة الأرمن إلى لبنان أثر كبير على الطباعة ، فقد تأسست عدة مطابع أرمنية وزاد الاهتمام بالمطبوعات التجارية تبعاً لنمو البيوتات التجارية وازدهارها ونشاط أعمال المصارف والشركات المختلفة وانتشار السينما . وكثرت المطابع التجارية التي تطبع البطاقات الشخصية والسجلات والكراريس والإعلانات التي توزع باليد أو تلصق على الجدران .

ونفضت في بيروت المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأميركية والمطبعة الفرنسية . وبادرت المطبعتان الأولى والثانية إلى استيراد الآلات الطباعية الحديثة من أوروبا ، وأمريكا . واستأنفت بعض المطابع الأهلية نشاطها . أما المطابع الصغيرة التي أسست قبل الحرب لطبع الدوريات ، فقد اختفت نهائياً وحل محلها مطابع جديدة أكثر استعداداً . واقتفت مطابع الجبل أثر مطابع بيروت فاستأنف بعضها نشاطه كما توقف البعض الآخر نهائياً ليحل محله مطابع جديدة .

ولم يكن إعادة فتح المطبعة الكاثوليكية بالأمر السهل ، ذلك لأنه كانت قد صودرت منها كل الآلات عدا طابعة كبيرة لم يستطع الأتراك نقلها . وكان أحد الرهبان قد تمكن من إخفاء الأبهاء والأمهات وأجهزة التصوير ووضعها

في مكان أمين لا تصل إليه يد الحكومة التي اعتبرت المطبعة الكاثوليكية ملكاً للأعداء وقضت بمصادرتها .

ولما وضعت الحرب أوزارها بدأت المطبعة الكاثوليكية العمل من جديد . وكان عدد عمالها عشراً يقومون بإدارة آلات الطباعة بقوة سواعدهم لاختفاء المحرك البخاري الذي كان اليسوعيون قد ابتاعوه قبل الحرب . ولكن ما لبث المشرفون على المطبعة أن اشتروا لها محركاً صغيراً يدار بالبترول قوة حصانين ثم أضيف إليه محرك جديد ظل يدور حتى سنة ١٩٣٠ حين استبدلت كل المحركات القديمة بمحركات كهربائية حديثة^(١) . وازداد نشاط المطبعة بتوالي الأيام وعادت صحيفة المشرق إلى الظهور في سنة ١٩٢٠ واحتفلت المطبعة في سنة ١٩٢٨ بعيد تأسيسها الخامس والسبعين .

واحتفلت المطبعة الأمريكية في سنة ١٩٢٢ بمرور مائة سنة على تأسيسها في مالطا ونشرت في تلك المناسبة كتباً تضمنته تاريخها وأعمالها . وجلبت تلك الدار في هذه السنة مطبعة أوتوماتيكية وآلة لينوتيب لتنضيد الحروف ، وهي أول آلة من نوعها عرفها لبنان . ولم يحل الغرض الأساسي الذي من أجله أنشئت تلك المطبعة دون أن تخصص جزءاً من نشاطها للكتب المدرسية والأدبية والتاريخية والاجتماعية . ومن الملاحظ أنه ابتداء من سنة ١٩٢٢ زاد اهتمام تلك المطبعة بالكتب العلمانية . ويجدر بنا أن نذكر من بين مطبوعات تلك الحقبة « البستان » ، وهو قاموس عربي من جزعين تأليف الشيخ عبد الله البستاني . وقد فرغت المطبعة منه في سنة ١٩٣٠ .

وساعد المندوب السامي الفرنسي الآباء الكبوشيين في تزويد مطبعتهم بالآلات والمعدات الحديدية . وصدر عن هذه المطبعة دوريتان فرنسيتان هما « لوريان » التي احتجبت سنة ١٩٢٤ و « لاسيري » . وقامت أيضاً بطبع الترجمة العربية لبعض الكتب الفرنسية . كما اهتمت بطبع الإعلانات وأعمال المساحة التفصيلية ومطبوعات دار المندوب السامي . وأوكل إليها طبع الأسعار الحديدية على طوابع البريد القديمة .

(١) Les Jésuites en Syrie, 1831-1931, Université St. Joseph VI : Les Oeuvres de
prese de Beyrouth, Paris, p. 65.

واستأنفت مطبعة الفوائد نشاطها عقب إعلان الهدنة وازدادت أعمالها بفضل الجهود التي بذلها صاحبها ، خاصة بعد أن أصبحت الصحيفة التي تصدر عنها تظهر مرتين في اليوم . وكان يشتغل في تلك المطبعة ما لا يقل عن مائة عامل . ولما نفي صاحبها خليل بدوى في سنة ١٩٢١ توقفت عن العمل ثم استأنفت نشاطها تحت إدارة سمعان فرح الذي أنشأ صحيفة يومية باسم « صدى الأحوال » . وفي سنة ١٩٢٨ عاد خليل بدوى من منفاه ليتسلم مطبعته .

ولما كانت المطبوعات التجارية تأتي بأرباح أوفر من تلك التي تجني من طبع الكتاب ، فقد عنت بها مطابع كثيرة مثل مطبعة الثبات ومطبعة التوفيق . أما المطبعة الأدبية التي ظلت تعمل طوال الحرب فقد خف نشاطها في تلك الحقبة . وكفت منذ سنة ١٩١٨ عن طبع الكتب الفرنسية وقلت مطبوعاتها العربية واستغرق طبع صحيفة « لسان الحال » كل مجهودها .

أما مؤسس مطبعة النجاح فقد أصدر ابتداء من أول سبتمبر سنة ١٩٢١ جريدة العلم الإسرائيلي . وفي سنة ١٩٢٥ نشرت تلك المطبعة أول كتاب يطبع في لبنان بالحروف العبرية ، وهو عبارة عن كتاب مطالعة للصغار .

وانتقلت إدارة مطبعة الحكومة المعروفة بمطبعة الولاية الكائنة ببيروت والمطبعة الرسمية ببعبدا إلى دار المندوب السامي في بيروت . وقد أخذ من هاتين المطبعتين طابعتان أضيفتا إلى مطبعة جان دارك للآباء الكبوشيين . وكان آخر ما نشرته المطبعة الرسمية قبل أن تغلق أبوابها ، الجريدة الرسمية الجديدة « لبنان الكبير » ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ . واشترت دار المندوب السامي مطبعة جريدة بيروت الفرنسية فتجمع لديها ثلاث مطابع أضافت إليها مطبعة حجرية وبعض المعدات الطباعة الأخرى وجعلت منها مطبعة واحدة أطلقت عليها اسم « مطبعة جيش الشرق » ؛ وكانت تعرف أيضاً باسم « مطبعة المندوب السامي » . وقامت تلك المطبعة بنشر مطبوعات الجيش ومطبوعات دار المندوب السامي وسلسلة خرائط لسوريا ولبنان مختلفة المقاييس . ولأسباب مالية وإدارية انقسمت المطبعة إلى شعبتين ، عرفت الشعبة الأولى باسم « مطبعة جيش الشرق » في حين أطلق على الشعبة الثانية « مكتب طبوغرافية جيش الشرق » . ونشرت المطبعة الأولى مطبوعات

الجيش ومطبوعات دار المندوب السامي . أما المطبعة الثانية فقد اهتمت بطبع الخرائط :

واستأنفت مطبعة القديس بولس بحريصا نشاطها في الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وجددت حروفها : وفي نوفمبر من السنة نفسها عادت مجلة المسرة إلى الصدور . وحتى سنة ١٩٢٠ لم تكن تلك المطبعة قد أخرجت أى مؤلف باللغة الفرنسية . وفي سنة ١٩٢٦ جلب لها طابعة جديدة مقاس ٦٠ × ٩٠ . وفي سنة ١٩٢٨ اشترى لها طابعة أخرى مقاس ٧٠ × ١٠٠ وعدا الإنجيل وبعض كتب الصلاة الطقسية نشرت المطبعة كتباً تبحث في تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك . وفي سنة ١٩٣٦ شيد الجناح الشرقى لدير البولسيين وكان للمطبعة نصيب من هذا التوسع :

ومما يجدر ذكره أن جميع المطابع التى أسست بعد سنة ١٩٢٠ كانت مزودة بالحروف الإفرنجية بخلاف المطابع التى أنشئت قبل سنة ١٩١٤ والتي كانت حروف أغلبها عربية .

واهتمت مطبعة الأدب بطبع أشغال دار المندوب السامي الفرنسى . فقامت من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٢٦ بطبع الجريدة الرسمية باللغة الفرنسية ونشرت سلسلة من المؤلفات المدرسية لحساب مطبعة صادر . غير أن أكثر مطبوعاتها كانت تجارية . وكان يعمل فى تلك المطبعة أربعون عاملاً يشتغل نصفهم بالنهار والنصف الآخر بالليل . وكانت المطبعة تقوم أيضاً بطبع إعلانات الحوائط ذات الحروف الكبيرة المصنوعة من الخشب أو من الرصاص .

وكانت جمعية الروم الأرثوذكس ببيروت قد قررت فى سنة ١٩١٤ تجديد مطبعة القديس جاورجيوس فأوصت على شراء طابعة من أوروبا ولكن قيام الحرب حال دون تركيبها والاستفادة منها . وظلت أجزاءها مفككة حتى سنة ١٩٢١ حين ركبت وبدأت عملها تحت إدارة جرجى عطية . وصدر عنها ابتداء من ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ صحيفة « الهدية اليومية » . وبعد ذلك بنسنتين اشترتها مطرانية الروم الأرثوذكس ببيروت ثم باعها إلى المطران فوتيوس خورى الذى استخدمها فى طبع جريدته « العين » التى صدرت فى أبريل سنة ١٩٢٩ . غير أن صاحبها الجديد

لم يلبث أن تخلص منها بعد بضعة أشهر من شرائها ولكنه احتفظ بالحروف ، وعلى الرغم من أن هذه المطبعة كانت مزودة أيضاً بالحروف الإفرنجية ، فإنها لم تطبع إلا كتباً عربية نذكر منها الجزعين الأخيرين من « تنوير الأذهان في تاريخ لبنان » لإبراهيم الأسود .

وأسس عمر منيمنة « المطبعة الوطنية » في دمشق سنة ١٩١٩ ثم نقلها إلى بيروت بعد ذلك بثلاث سنوات . وفي سنة ١٩٢٧ انقسمت هذه المطبعة إلى قسمين : قسم أخذه خليل منيمنة وأسماه « المطبعة الوطنية » في حين احتفظ عمر منيمنة بالقسم الآخر وأطلق عليه اسم « مطبعة منيمنة » . وكان جل اهتمام المطبعة الوطنية موجهاً إلى نشر الجرائد . فطبعت جريدة « الأحرار » فترة من الوقت قبل أن تنشأ لها مطبعة خاصة بها ، وجريدة الحرية للخرجي عوض وجريدة العهد الجديد التي كانت تحرر باللغتين العربية والفرنسية معاً ، وجريدة الراية . وقامت أيضاً بطبع بعض المجلات مثل مجلة « الحدر » لعفيفة صعب و « الحياة الجديدة » لحبوبة حداد . وأنشأ يوسف صيقل سنة ١٩٢٢ مطبعة تجارية تخصصت في طبع علب السجاير وطوابع التمغة كما نشرت أيضاً بعض الصحف .

ولم تكن « المطبعة الوطنية » المطبعة الوحيدة التي انتقلت من دمشق إلى بيروت . فقد أنشئت مطبعة قوزما بدمشق سنة ١٩١٩ لتطبع طوابع بريد فيصل الأول ملك سوريا . ثم انتقل بها غطاس وميشيل قوزما إلى بيروت سنة ١٩٢٤ . وتخصصت في عمل الأظرف والمطبوعات الحكومية والتجارية . كما طبعت مجلة « صوت الحق » في سنة ١٩٢٣ ومجلة « مينرفا » في السنة نفسها ومجلة « الحارس » ومجلة ألف ليلة وليلة في سنة ١٩٢٨ . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع بعض الكتب الفرنسية وعدد آخر كبير من المؤلفات العربية المدرسية وغيرها .

وأصلح فريد مدور ناظر المدرسة الابتدائية الملحقه بالجامعة الأمريكية مطبعة كانت موجودة في هذه الجامعة منذ سنة ١٩١٨ وأسست مدرسة لتعليم الفن المطبعي . وأطلق على المطبعة اسم « المطبعة الاستعدادية » . وظلت تعمل إلى سنة ١٩٣٣ فنشرت بعض الروايات المسرحية والكتب المدرسية ومطبوعات الجامعة الأمريكية المختلفة . ويلاحظ على مطابع الدوريات في لبنان أنها على الرغم من إنشائها لنشر

الصحف والمجلات فقد قبلت طبع الكتب والمطبوعات التجارية المختلفة .
وأنشئ في طرابلس بعد الحرب العالمية الأولى أربع مطابع ، كما تأسس عدد من
المطابع في بعض القرى الكبيرة انتقل بعضها إلى بيروت .

وظلت الوكالة المخلصية بدون مطبعة حوالى خمس وعشرين سنة . فوجه الدير
النداء تلو النداء إلى جميع أبناء الرهبانية المنتشرين في أنحاء العالم أنهى إليهم فيه
شدة حاجة الدير إلى مطبعة . وقد لبى أحد الرهبان الموجودين في أمريكا النداء
وأرسل طابعتين مستعملتين . وقد وصلتا إلى دير المخلص الواقع شرق مدينة صيدا
في أواخر شهر مايو سنة ١٩٢٥^(١) . ولم يكتف ذلك الراهب بما أرسله فقد بعث
بعد ذلك بكمية كبيرة من الحروف العربية والإفرنجية . وأصبحت المطبعة مهيأة
للعمل ابتداء من شهر يولية سنة ١٩٢٦ . ثم ابتاع الدير كمية أخرى من الحروف
العربية والإفرنجية . ولما أدخلت الكهرباء إلى الدير في سنة ١٩٢٩ تقرر إدارة
الطابعة الكبيرة بها ، وبدأت أعمال المطبعة تتسع منذ ذلك الحين فاستعانت ببعض العمال
من غير الرهبان . ومنذ سنة ١٩٣٧ أصبحت المطبعة المخلصية تطبع بانتظام مجلة « الرسالة » .
ومن الملاحظ أن الفن المطبعي في لبنان أخذ يتقدم منذ حوالى سنة ١٩٣٠ .
وإن الذى يتصفح كتاباً طبع بعد الحرب العالمية الأولى ويقارن بينه وبين كتاب
طبع قبل تلك الحرب يرى الفرق واضحاً بين المطبوعين . لقد وصل الفن المطبعي في
لبنان إلى ما يقرب من الكمال من حيث تنضيد الحروف وتوضيب الصفحات .
وكان للمهاجرين اللبنانيين بعض الفضل على تقدم هذا الفن ، فقد أخذوا
يرسلون إلى ذويهم طابعات حديثة وآلات لتنضيد الحروف ساهمت في تقدم الطباعة
في وطنهم الأصلي . ولكن بقي على هذا الفن من جهة أخرى أن يخطو خطوات في
سبيل الوصول إلى الدقة في اختيار الألوان وتوزيعها وفي فن الإخراج . ويعود هذا
النقص إلى عدم وجود الفنانين القادرين على القيام بهذا العمل وانتفاء الوسائل
المؤدية إليه . ونستطيع أن نقول إن الطباعة بدأت منذ الثلث الثانى من القرن العشرين
تبحث عن الجمال الفنى . وساهمت الصحافة مساهمة فعالة في هذا المضمار
إذ بدأت تطبع غلافاتها بالألوان . وتقدم الزنكغراف تقدماً ملحوظاً . ولكن الطبع
بالألوان الأربعة كان لا يزال في حاجة إلى مزيد من العناية .

(١) من محفوظات دير المخلص .

الفصل الخامس

العهد الجديد

١٩٣٩-١٩٥٢

لم يحل إعلان الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ بين لبنان والطباعة ، كما حدث خلال الحرب العالمية الأولى . فالمدارس وكلليات الجامعة لم تغلق أبوابها يوماً واحداً وظلت الصحف تصدر كالمعتاد . إلا أن الظروف السيئة التي مرت بفرنسا حالت دون استيراد الكتب المدرسية الفرنسية . وظهر خطر هذا النقص واضحاً عند بدء العام الدراسي في سنة ١٩٤١ . فتأسست شركة مساهمة لبنانية للنشر أطلقت على نفسها *Les Lettres Françaises* أي الآداب الفرنسية ، تحت إشراف المفوضية العامة لفرنسا المحاربة في المشرق^(١) . وكان غرض تلك الشركة « طبع ونشر جميع المؤلفات التي تهدف إلى تنمية الثقافة الفرنسية والصدقات الفرنسية في العالم . » كما ينص على ذلك قانونها الأساسي .

وتكونت الشركة في الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٢ واستطاعت أن تقدم في العام الدراسي الذي يبدأ في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ معظم المؤلفات التي كانت الحاجة ماسة إليها . ونجح ذلك المشروع كل النجاح بفضل تآزر المشرفين عليه وتعاون أصحاب المطابع الكبرى في بلاد المشرق . وساهم في طبع تلك الكتب حوالي ثلاثين مطبعة في الجزائر ومصر وفلسطين ولبنان . وأنتجت تلك المطابع مجتمعة ما لا يقل عن مليوني نسخة من المؤلفات الفرنسية المختلفة والكتب المدرسية وكتب الأدب الفرنسي والنصوص والفلسفة وغيرها من المؤلفات . وقامت مطابع لبنان عامة ومطابع بيروت خاصة بطبع أكثر من مليون نسخة من تلك الكتب وزعت في أنحاء الشرق الأوسط وتونس والجزائر والمغرب وفي البلاد التي عرفت فيما بعد بمالي والخابون وكونجو برازافيل وتشاد والكامرون وكونجو ليوبولدفيل

(١) J. Nasrallah; op. cit. pp. 102-142.

وكالدونيا الجديدة وجزر الأقيانوس وفيتنام ولاوس وكمبوديا وجزيرة مدغشقر .
وكازت المطابع اللبنانية إلى ما قبل تأسيس تلك الشركة في حالة مالية لا تحسد
عليها . فقد قل الطبع لقلة الورق وارتفاع أسعاره . وبدأ القلق يساور أصحاب
المطابع وعمالها : ولكن دار « لى لتر فرانسيز » أنقذت الموقف وبدلت الحال .
فقد أوجدت ورقاً وعملاً للمطابع كلها . وأثرى بعض أصحاب المطابع بعد أن كادوا
يصفون أعمالهم في أوائل عام ١٩٤٠ .

وهناك أيضاً عامل آخر ساعد على رقي الطباعة وتنشيطها ألا وهو مطبوعات
الدعاية . فالشرق الأدنى واقع في مركز استراتيجي وحيوي جعل الدول المتحاربة
جميعاً تخطب وده . وكان لابد من القيام بدعاية قوامها النشرات والكراسات التي
تطبع بكميات كبيرة وتوزع هنا وهناك . وغدت تلك المطبوعات مصدر رزق
كبير لم يكن أصحاب المطابع في لبنان يحلمون به . يضاف إلى ذلك تجارة الورق التي
ضاعفت أرباح المشتغلين بالطباعة وحسنت مركزهم المالي بحيث أصبحوا قادرين
عند سnoch الفرصة على تزويد مطابعهم بما يلزمها من آلات حديثة . وكان لذلك
الانتعاش المفاجئ أثره في عمال المطابع القدامى ، فقد بادروا إلى الاستقالة من
أعمالهم ، وأخذ كل واحد منهم يؤسس مطبعة بالمكافأة التي أخذها من صاحب
المطبعة الذي كان يعمل فيها . وكانت تلك المطابع عبارة عن طابعة وبضعة صناديق
للحروف ما لبثت أن اتسعت أعمالها وأصبح بعضها اليوم في مقدمة مطابع بيروت .
وكان عمال المطابع قد أسسوا نقابتين للدفاع عن مصالحهم . وقد ألغتهما
السلطات عقب إعلان الحرب العالمية الثانية . وظل العمال بدون نقابة حتى نوفمبر
سنة ١٩٤٨ حين أسس أعضاء النقابتين المنحلّتين بالاشتراك مع العمال الجدد
نقابة عمال المطابع والمجلدين . وقد وافقت عليها الحكومة . إلا أن عدد العمال
المنتمين لهذه النقابة كان قليلاً .

وأسس أصحاب المطابع في سنة ١٩٤٤ نقابة أطلقوا عليها اسم « نقابة اتحاد
أصحاب المطابع في لبنان »^(١) . ويعود فضل إنشاء تلك النقابة إلى السادة جورج

(١) تفضل السيد أنطون خليفة سكرتير النقابة وصاحب مطبعة خليفة بإطلاعى على أوراق
ومحفوظات النقابة .

جدعون صاحب مطبعة جدعون وأنطون خليفة صاحب مطبعة خليفة وألبرت الريحاني صاحب مطبعة صادر وريحاني ووجيه طباراه صاحب مطبعة طبارة وجورج عازار صاحب مطبعة عازار وعبد القادر عيتاني صاحب مطبعة عيتاني ومصطفى فتح الله صاحب مطبعة الكشف والأب كورون مدير المطبعة الكاثوليكية في ذلك الوقت :

واختار المؤسسون مدينة بيروت مركزاً للنقابة التي تعمل على « درس الشؤون والقضايا المتعلقة بالطباعة وفروعها بغية تحسين هذا الفن ونموه في البلاد وصيانة مصالح القائمين عليه ورفع مستوى حرفتهم وتحسين حالة عمالهم المعنوية والتوسط لحل جميع الخلافات والشكاوى وتقرير التدابير اللازمة لهذه الغاية في ظل القوانين المرعية الإجراء^(١) » :

وتعرف المادة الرابعة من قانون النقابة الأساسي أصحاب المطابع بأنهم « جميع الأشخاص الذين يتعاطون الطباعة وفروعها والذين يديرون محلات الحفر على الزنك والتجليد وجميع المتخذين إحدى هذه الحرف تحت عنوان أو شركة تجارية » . وقد أصدرت هذه النقابة نشرة بالفرنسية شبه دورية تعنى بالمسائل المطبعية في لبنان ، عاشت من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٧ ثم توقفت عن الصدور^(٢) .

ولا نجد ما نقوله عن المطابع القديمة التي أنشئت في بيروت شيئاً يستحق الذكر . فقد أغلق بعضها أبوابه وحلت مطابع جديدة محلها ، بل فاق عددها عدد المطابع المغلقة . وعلى الرغم من الانتعاش الذي أصاب الفن المطبعي اللبناني فقد أغلقت بعض المطابع وانتقل بعضها من الجبل إلى بيروت . وبيعت طابعات مستعملة إلى بعض المطابع الدمشقية :

وعلى أثر إعلان الحرب العالمية الثانية ، انتقلت مطبعتا جيش الشرق إلى بحدون المحطة ثم عادتا إلى بيروت بعد الهدنة التي وقعتها حكومة المرشال بيتان مع ألمانيا سنة ١٩٤٠ . وأصبح المكتب الطبوغرافي يعرف باسم مطبعة القسم

(١) المادة الثانية من قانون النقابة الأساسي .

(٢) قدم لنا هذه المعلومات الأستاذ شبيب أحمد الدربي مدرس فن الطباعة بدار الأيتام الإسلامية

بيروت .

الجغرافى . وفى سنة ١٩٤١ أغلقت المطبعة وصنى الورق المخزون ونقلت الآلات إلى القسم الجغرافى . وقد أعيد فتح المطبعة بعد ذلك بوقت قصير عندما هزم الجنرال دانس أمام قوات فرانس الحرة ، واتخذت اسم « مطبعة القوات الفرنسية الحرة » . وقامت تلك المطبعة بطبع المنشورات والكراسات ومطبوعات الجيش والمفوضية الفرنسية . ولما اقتربت جيرش رومل من العلمين فى سنة ١٩٤٢ نقلت المطبعة إلى قرية سرق الغرب حيث ظلت إلى سنة ١٩٤٣ ثم عادت إلى مقرها فى السراى الكبرى (مقر الحكومة) . وفى سنة ١٩٤٦ نقلت المطبعتان إلى فرنسا وبيعت بعض آلاتها القديمة فى بيروت .

ومن المطابع الكبيرة التى أسست بعد الحرب العالمية الثانية نذكر مطبعة الرهبانية الشويرية . فقد قررت تلك الرهبانية فى سنة ١٩٤٧ إنشاء مطبعة جديدة بعد أن توقفت المطبعة القديمة عن العمل فى سنة ١٨٩٩ . فسافر إلى الولايات المتحدة لهذا الغرض أحد رهبان الدير واتصل بأبناء الطائفة الملكية الكاثوليكية المقيمين هناك وجمع منهم التبرعات لشراء أدوات المطبعة . وقد تم ابتياع أول طابعة فى أبريل سنة ١٩٤٨ . وتبلغ زنتها ثلاثة عشر طناً شحنت من ثغر فيلادلفيا إلى بيروت . واشترت بعد ذلك ثلاث قطع أخرى من شيكاجو . وقدم سلوم مكرزل صاحب جريدة الهدى التى تصدر فى نيويورك طابعة حديثة يبلغ ثمنها ألفاً ومائتى دولار . وبلغت حصيلة التبرعات ثمانية عشر ألفاً وستمائة وواحداً وتسعين دولاراً ، وافتتح وزير البريد والبرق والأنباء المطبعة رسمياً فى الخامس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٥٠ ومنح الأرشمندريت حاطوم مؤسسها مدالية الاستحقاق اللبنانى الفضية ذات السعف . وتقع المطبعة فى الطابق الأرضى من عمارة الرهبانية الشويرية الكائنة فى ساحة النجمة ببيروت^(١).

وفى استطاعتنا وقد بلغت الطباعة فى لبنان بعد الحرب الثانية مستوى عالياً أن نقسم المطابع إلى دور للنشر ومطابع عادية ومطابع تجارية ومطابع للصحف ، والمقصود بدور النشر المطابع التى لا تطبع المؤلفات لربائنها فحسب ، ولكنها

(١) استقينا هذه المعلومات من سيادة الأرشمندريت ديمتريوس حاطوم باعث مطبعة الشوير ، ومديرها .

تنشر لحسابها مؤلفات أو سلسلة من المؤلفات تعرضها على جمهور القراء . وكان في لبنان ما يقرب من عشر دور من هذا النوع ، بعضها في بيروت وبعضها الآخر في الأقاليم . وأهم دور النشر في العاصمة ، المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأمريكية ودار الكشف وصادر وريحاني . وفي الأقاليم نذكر مطبعة القديس بولس ومطبعة المرسلين اللبنانيين ومطبعة دير المخلص .

والمطبعة الكاثوليكية من أهم المطابع وأنشطها في الشرق العربي . وبفضل استعدادها الفني الكامل استطاعت القيام بمختلف الأعمال المعقدة ، ويمكن أن يقال إن طبع المؤلفات وخاصة مؤلفات الآداب العربية ما زال من أهم مراد اختصاصها . وتنقسم مطبوعات هذه الدار إلى دينية ومدرسية وأدبية وعلمية وفنية ومطبوعات للدعاية والإعلان . واعتمدت عليها دور النشر بباريس ولندن والجزائر وأستبرل وطهران وعمان ودمشق في طبع المؤلفات الشرقية ذات القيمة العلمية . وتقوم أقسام المطبعة التجارية بتزويد بلاد الشرق العربي عدا مصر بمختلف المطبوعات الهامة كطوابع البريد وجرافات السفر ودليل التليفونات . وأدخلت طباعة الأوفست منذ سنة ١٩٣٥ ثم اشترت طباعة أوفست أخرى في سنة ١٩٤٥ للطبع بلونين في آن واحد . وفي سنة ١٩٥٠ أضافت طباعة أوفست ثالثة للطبع بلون واحد ، ويمكن استخدامها للطبع بأربعة ألوان . وليس في المطبعة الكاثوليكية قسم للروتوغرافور^(١) . وكان أول عهد المطبعة الكاثوليكية بآلات تنضيد الحروف في سنة ١٩٤٢ ، فقد اشترت من مصر أربع آلات مستعملة ماركة لينوتيب . فتكون المطبعة الأمريكية قد سبقها بعشرين سنة إلى اقتناء هذا النوع من الآلات ، وفي سنة ١٩٤٥ أنشئت أبنية المطبعة الجديدة ، إلى جانب الأبنية القديمة في شارع هوفلين ببيروت . واتضح للآباء اليسوعيين في سنة ١٩٥١ أن المسبك الشرقي التابع للمطبعة لم يعد يغطي مصاريفه ، فباعوه إلى السيد حسيب درغام مع السماح له بإبقائه في مكانه بالمطبعة الكاثوليكية بعض الوقت .

وفي المطبعة اليوم حروف لاتينية من كافة الأشكال كما توجد حروف عربية

(١) حديث مع المسيو أندريه برسو المدير الفني للمطبعة في سنة ١٩٥٢ .

وسريانية وكلدانية وقبطية وأثيوبية وعبرية ويونانية وأرمنية : وهي من أكبر مطابع لبنان . ومطبوعاتها الفنية تضاهي المطبوعات التي تخرجها مطابع الغرب من حيث الدقة وتوزيع الألوان .

وقد بدأت هذه المطبعة تشعر منذ سنة ١٩٥٠ بوطأة منافسة دور النشر الأخرى التي تطبع كتبها بأسعار شعبية تتيح للطبقتين الوسطى والفقيرة أن تنهلا من مختلف الثقافات بعد أن كانت وقفاً على الطبقة التي تدفع الثمن بسخاء .

وإذا انتقلنا إلى المطبعة الأمريكية ألفينا مطبوعاتها موزعة بين الكتاب المقدس والكتب الدينية ، وبين الكتب المدرسية وكتب الشعر والروايات والأخلاق والصحة الاجتماعية واللاهوت : كما طبعت مجلة الجامعة الأمريكية التي تعرف باسم « الكلية » : ومجلة « النشرة » . وقامت إلى جانب ذلك بطبع معظم المطبوعات الشرقية للجامعة الأمريكية : وانتشر عملاء تلك المطبعة بين الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وإيران والهند وأستراليا والبرازيل والولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية وجزر الفيليبين ومختلف الدول الأوروبية وسوريا وفلسطين : وفي استطاعة المطبعة أن تطبع كتباً باللغات الفارسية والأرمنية والعبرية واليونانية إلى جانب العربية والفرنسية والإنجليزية . وقد توقف المسبك عن العمل منذ سنة ١٩٤٨ .

وقامت دار الكشاف لصاحبها مصطفى فتح الله بنشر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية . وهي في الوقت نفسه تعنى بطبع الكتب التي يقوم بتأليفها علماء وأدباء لبنان وسوريا والعراق وفلسطين . وكتبها منتشرة في أنحاء الشرق العربي وفي شمال أفريقيا . وقد نشرت بعض الكتب باللغات الفرنسية والإنجليزية والكردية .

وتنقسم مطبوعات دار صادر وريحاني للطباعة إلى كتب تنشرها الدار وكتب تطبع لحساب العملاء . وتقوم تلك الدار إلى جانب ذلك بطبع عدد من الروايات والدوريات مثل مجلة « الأديب » . وفي سنة ١٩٤٨ اشترت مكتبة صادر كمية من الحروف العربية محاولة بعث مطبعتها التي تأسست سنة ١٩٢٢ . وكان العمال في أول الأمر يصفون الحروف في المكتبة . أما الملازم فكانت تطبع على مطابع المدينة . وقد أصبح للمكتبة اليوم مطبعة كاملة المعدات .

وإن انتقلنا إلى الأقاليم ألفينا دور النشر فيها ملكاً للرهبان . وأهم هذه الدور مطبعة القديس بولس أو المطبعة البولسية . ففي سنة ١٩٤٩ أنشئ فيها قسم لطباعة الأوفست وورشة للفوتوغرافور . وعدا الكتب الدينية المختلفة تقوم المطبعة بنشر سلاسل مختلفة من الكتب المدرسية في التاريخ والجغرافيا والعلوم والنحو وفق برنامج وزارة التربية الوطنية اللبنانية^(١) . والمطبعة البولسية من المطابع القليلة في لبنان التي لا تهتم بالربح المادي .

وتقوم مطبعة المرسلين اللبنانيين إلى جانب طبع مجلة الرهبانية المسماة « المنارة » بنشر سلاسل من الكتب المدرسية والمؤلفات الفرنسية والإنجليزية والعربية والسريانية في الأدب والتاريخ وخدمة القديس والقانون الكنسي . ومن أهم مطبوعاتها القاموس السرياني العربي المسمى « القطوف الدانية » .

ويصدر عن المطبعة المخلصية مجلة « الرسالة » منذ سنة ١٩٣٣ ومجلة « النحلة » منذ سنة ١٩٤٠ والنشرة الرعوية لأبراشية صيدا ودير القمر الملكية منذ سنة ١٩٣٩ والتقويم الطقسي منذ سنة ١٩٣٩ . وأخرجت المطبعة منذ سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٥٢ كتباً ومطبوعات مختلفة باللغات العربية والفرنسية والإيطالية يزيد عددها على مائتين . وما يذكر عن هذه الدار أنها تبيع مطبوعاتها بأسعار زهيدة . وأمامها مشروع ضخّم لتجديد آلاتها ومعداتها^(٢) .

ويعرف الأب نصر الله المطابع العادية بأنها المطابع التي يتجه نشاطها إلى طبع المؤلفات والتي تقبل مختلف المطبوعات التجارية . وإن أغلب المطابع التي تأسست في بيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تدخل تحت هذا المدلول . وأقدم هذه المطابع مطبعة جدعون وتليها مطبعة جان دارك التي اشتراها طنوس في سنة ١٩٣٩ ، وتقوم بطبع مختلف المؤلفات الفرنسية والمطبوعات التجارية . ومن أهم هذا النوع من المطابع اللبنانية مطبعة نصار للفوتوغرافور التي تأسست سنة ١٩٤٦ وحلت محل شركة الطباعة والنشر وقامت بطبع عدد من الجرائد

(١) استقيننا هذه المعلومات من السيد مرقى نعمان وكيل المطبعة ومن محفوظات المطبعة نفسها بحريصاً .

(٢) استقيننا هذه المعلومات من الأب ألفونس صباغ رئيس دير المخلص .

الفرنسية والعربية . وطبعت دار المكشوف بعض مؤلفاتها في هذه المطبعة . ومن الملاحظ أن أغلب مطابع بيروت من هذا النوع وكان يبلغ عددها حوالى العشرين في سنة ١٩٥٢ .

أما المطابع التجارية فإنها تقوم على وجه العموم بإنجاز المطبوعات الصغيرة التي يحتاج إليها التجار والمصارف والشركات . غير أن بعض تلك المطابع مزود بمعدات تسمح له بطبع المؤلفات والدوريات إلى جانب مطبوعاته المعتادة . وكان عدد مطابع هذا النوع في بيروت لا يقل عن أربعين مطبعة في سنة ١٩٥٢ وأقدم تلك المطابع مطبعة عيتاني التي تأسست سنة ١٨٨٣ ومطبعة « عازار » التي أنشئت في سنة ١٩٠٤ . وأوكلت الحكومة اللبنانية إلى المطبعة الأولى طبع قسم كبير من مطبوعاتها . واختصت هذه المطبعة بعمل السجلات والكراسات والدفاتر . وتخصصت مطبعة ريشة في الطبع الملون كالطوايع والأشهر وعلب السجاير وتلقى الطلبات من الأردن وفلسطين . وتقوم مطبعة جميل بطبع علب الكرتون ، وفي سنة ١٩٤٨ أضيفت إليها مطبعة دائرية (روتاتيف) بلونين تطبع حوالى عشرة آلاف نسخة أو فرخ في الساعة الواحدة . وأخذت مطبعة كريسو الحجرية منذ سنة ١٩٤٥ تجدد آلاتها فاشترت مطبعة أوفست وبعض المعدات الطباعة الأخرى . ولكنها ظلت متخصصة في إنجاز المطبوعات التجارية . وطبعت مطبعة (الإتقان) بالألوان سيناريوهات الأفلام وعلب الكرتون . وتخصصت مطابع عسكر إخوان بطباعة علب المستحضرات الطبية بالألوان . أما المطبعة التجارية فإنها تطبع إعلانات الحائط الملونة . وتمتاز مطبعة عبد الرحمن بوعيون بطبع ورق التغليف والورق الشفاف لتغليف المبالغ . واهتمت مطبعة عز الدين بالطباعة البارزة .

وقد أنشئت مطابع الصحف أول الأمر لطبع الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية ، ولا تقبل تلك المطابع طبع الكتب إلا فيما ندر . ولكنها تقوم إلى جانب عملها الرئيسي بإنجاز المطبوعات التجارية التي تكلف بها . وكان يوجد في بيروت وحدها ما لا يقل عن عشرين مطبعة من هذا النوع في سنة ١٩٥٢ وأقدمها مطبعة الإقبال التي سميت منذ سنة ١٩٤٨ بمطبعة الهدى . وكانت مطبعة صحيفة « لوريان » l'Orient أهم مطابع الدوريات ، وفي سنة ١٩٤٩ أدخلت جريدة (الحياة)

أول آلة طباعة نصيف دوارة (روتاتيف) من طراز دوبلكس . وفي سنة ١٩٤٤ أسس إميل البستاني داراً للنشر أسمها « دار الطباعة والنشر الشرقية » . وكان غرضه منها طبع المؤلفات والجرائد والمجلات وجميع أنواع المطبوعات : غير أنها لم تطبع في الواقع إلا صحفاً مثل « آسيا » و « الأخبار » و « الأنباء الأخيرة » و « الانتقاد » و « شؤون اقتصادية » و « الخير » : وكانت تلك الدار تستخدم مطبعة هرموش إلى سنة ١٩٤٦ . ثم اشترى البستاني مطبعة أضاف إليها آلة لينوتيب في سنة ١٩٤٨ . ولإدارة الاستعلامات الأمريكية مطبعة في بيروت منذ سنة ١٩٤٤ . وتخرج عن هذه المطبعة نشرات الدعاية والكتيبات التي تقوم تلك الإدارة بتوزيعها في الشرق الأوسط .

ولا تهتم المطابع خارج بيروت إلا بالمطبوعات التجارية والدوريات . ويندر أن تخرج تلك المطابع مطبوعات باللغات الأجنبية . وعلى الرغم من كثرة المدارس الثانوية والعالية في طرابلس ، فإن الحياة الفكرية فيها خاملة : ويكفي دلالة على هذا الحمل المطبوعات التي تصدر عن تلك المدينة . ومطابعها مطابع تجارية قبل كل شيء ، لا تعنى بطبع الكتب العلمية إلا فيما ندر . وقد أنشئت بعض مطابعها لنشر الجرائد والمجلات الصغيرة : وتتميز مدينة طرابلس بأن مطابعها كلها في شارع واحد يعرف باسم « حى المطابع » : ولم يكن عدد مطابعها يقل عن العشر في سنة ١٩٥٢ :

وفي صيدا مطبعة العرفان والمطبعة العصرية وغيرهما من المطابع الصغيرة ، وفي مرجعيون مطبعة صغيرة تدار بالقدم لأشغال المدينة . وما زالت في زحلة مطبعتان وهما مطبعة زحلة الفتاة ومطبعة الراسي : وتوجد مطبعة في إحدى قرى سهل البقاع وأخرى في البطرون ، ولكنها مطابع صغيرة ونشاطها محدود :

المطابع الأرمنية :

وقام الأرمن بدور هام في تقدم الطباعة في لبنان : ولم تزدهر الطباعة الأرمنية بلبنان عامة وبيروت خاصة إلا منذ سنة ١٩٢٠ . فإن الأحداث التي وقعت في أرمينيا بعد الحرب العالمية الأولى اضطرت الأرمن إلى ترك ديارهم والالتجاء إلى

البلاد المجاورة . وأقام عدد كبير منهم في المدن اللبنانية . ولم يلبث هؤلاء المهاجرون أن نظموا أنفسهم ففتحو المدارس وأسسوا الصحف وألفوا الكتب . وكان لابد إذن من إنشاء مطابع خاصة بهم زودت بالحروف الأرمنية والعربية والإفرنجية . واستطاعت تلك المطابع أن تنجز المطبوعات التجارية وأن تطبع مختلف الكتب والدوريات العربية والفرنسية .

وفي سنة ١٩٣١ أهدت جمعية الإغاثة في الشرق الأوسط^(١) إلى سهالك الثاني كاتولييكوس كيليكيا معدات مطبعة صغيرة . وهي عبارة عن طابعة صغيرة تدار بالقدم وسكين وحروف إنجليزية وضعت كلها في أنطلياس بالقرب من بيروت . وزودت في السنة نفسها بحروف أرمنية وجلبت لها في سنة ١٩٤٠ طابعة كبيرة . وتقوم تلك المطبعة بطبع مجلة « هاسك » ومعناها بالأرمنية « السنبلة » . كما تطبع غيرها من المجلات . وتنشر إلى جانب ذلك الكتب المدرسية والدينية والتاريخية .

وأنشئ في الوقت نفسه عدد من المطابع الأرمنية في أنحاء لبنان . نما بعضها وازدهر ، في حين لم يعيش بعضها الآخر طويلا . وكان يوجد في بيروت سنة ١٩٥٢ ما لا يقل عن عشرين مطبعة أرمنية . وأغلبها يقوم بطبع الصحف الأرمنية والعربية . كما يقوم بإنجاز المطبوعات التجارية .

إلا أن هذه المطابع الأرمنية على الرغم من وفرتها بالنسبة إلى عدد الأرمن الذين استوطنوا لبنان ، فإنها لم تصل إلى المستوى الذي وصلت إليه مطابع اللبنانيين . وقد أثبت الأرمن أنهم طابعون مهرة وسابكو حروف متفوقون وحفارو زلك ممتازون . وقلما نجد مطبعة في لبنان لا تستفيد من فهم .

الزنگراف :

وكان في لبنان ما لا يقل عن ثلاثين ورشة للحفر سنة ١٩٥٢ معظمها في بيروت . وحتى تلك السنة كانت أعمال الهليوجرافور تنفذ في القاهرة . وما هو جدير بالذكر أن مطبعة دير مار يوحنا الصابغ بالشويز كانت أول

مطبعة في لبنان تستخدم الكليشيات المحفورة محلياً : وكان صاحبها ومنشئها الشماس عبدالله زاخر يقوم بحفرها بنفسه ، تارة على الحشب وتارة على النحاس : وهذه الكليشيات محفوظة في متحف المطبعة الكائن بالدير المذكور : ولم تكن المطبعة تكتفي بما كان يحفره لها زاخر وغيره من معاونيه ، بل كانت ترسل أحياناً في طلب بعض هذه الكليشيات من روما عاصمة الكشلكة : وتحتفظ المطبعة بأكثر من كليشيه حفر في روما خلال القرن السادس عشر : ويبدو لنا أن مطبعة نشر الإيمان كانت ترسل كليشياتها القديمة إلى مطبعة الشوير لتستخدمها في طبع الصور :

الفصل السادس

الطباعة اليوم

١٩٥٣ - ١٩٦٥

قفز الفن المطبعي في لبنان^(١) خلال هذه الحقبة من تاريخه قفزات واسعة وسريعة إلى الأمام ، فلم يكن في هذا القطر العربي حتى سنة ١٩٥٢ سوى طباعة واحدة نصف دواة كانت جريدة (الحياة) قد اقتنتها في سنة ١٩٤٩ . أما اليوم فقد ارتفع عددها إلى ست طابعات من ماركتي دوبلكس السويسرية وكوسار الإنجليزية : وفي سنة ١٩٥٤ أدخلت جريدة (الحياة) أول آلة لسبك العناوين (لدلو) وأول آلة حفر الكتروني (كليشوجراف) للأنماط الظلية : ولم يمض على هذا التجديد سنتان حتى ضمت هذه الجريدة إلى قسم الحفر فيها جهازاً الكترونياً لحفر الأنماط الخطية :

وفي مجال حروف الطباعة ابتكر الدكتور أديب أبو غزالة حروفاً مختصرة قام بتنفيذها الخطاط نبيه الجارودي بعد أن أدخل عليها بعض التعديل : واستعملت في آلات اللينوتيب ذات المخزن الواحد سنة ١٩٥٩ ، الأمر الذي مكن المطابع الصغيرة من اقتناء آلات اللينوتيب ، ذلك أن عدم وجود مخزن إضافي في هذه الآلة يخفض سعرها ٤٠٪ . والمعروف أن لآلات تنضيد الحروف السطرية (اللينوتيب) العربية العادية مخزناً إضافياً . أما أحرف الأنتريب فقد نزلت إلى السوق سنة ١٩٦٠ :

كما ابتكر المهندس المعماري نصرى خطار (الحروف العربية الموحدة) قام مسبك الحروف الشرقية ببيروت بحفر أمهاتها وسبكها ونزلت إلى السوق سنة ١٩٦٠ . وتعاقب صاحب هذه الحروف مع شركة أنتريب كي تحفر أمهات حروفه وتزود

(١) استقيننا أغلب ما جاء عن هذه الحقبة من تاريخ الطباعة في لبنان من الأستاذ شعيب أحمد الدري مدرس فن الطباعة بدار الأيتام الإسلامية ببيروت ، فله خالص الشكر والامتنان .

بها آلاتها ، واشترت جريدة (النهار) طاقماً منها تستعمله على مدى ضيق في عدد يوم الأحد : وتستخدم مجلة (الطباعة) هذه الحروف في جمع بعض عناوينها . لقد خفضت الحروف الموحدة عدد الحروف المطبعية إلى أدنى حد ممكن ، فبدلاً من مئات الأشكال المستعملة حالياً (وفقاً لموقع الحرف في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها أو بقاءه منفرداً) وضع نصرى خطار لكل حرف شكلاً موحداً لا يتغير بتغير موقعه من الكلمة ، ويؤمن مبتكر هذه الحروف بأن حرفه الموحّد الجديد سوف ينتشر إن عاجلاً فأجلاً :

ونشطت نقابة أصحاب المطابع نشاطاً ملحوظاً في السنوات الخمس الأخيرة . ففي يوليو ١٩٦٠ أصدرت مجلة (الطباعة) مطبوعة على ورق مصقول وبالألوان وفيها كل ما يهم المشتغل بالطباعة : وترسل النقابة هذه المجلة الفنية العلمية المفيدة إلى كل المهتمين بالطباعة في الدول العربية :

وإذا عدنا إلى المطبعة الأمريكية ثاني مطبعة أنشئت في بيروت وجدنا أن إدارتها قد انتقلت في سنة ١٩٦١ من المرسلين الأمريكيين إلى الوطنيين ، وقد أصبحت في عهدة السيودوس الإنجيلي الوطني في سوريا ولبنان وتم تسجيلها باسم (المطبعة الإنجيلية الوطنية) في بيروت وتسلم إدارتها رزق الله الحلبي : وهي لا تزال تطبع « كل ما ترى فيه تمجيداً لله وتنويراً للعقول والأذهان وتعزيزاً للغة العربية ^(١) » . وقد جهزت في سنة ١٩٦٢ بآلات مطبعية حديثة وأدخلت عليها تحسينات جمّة .

ومضت المطبعة الكاثوليكية قدماً في مضمار الطباعة الراقية ، فقد أصبح لديها اليوم ست طابعات أوفست اثنتان فيها تطبعان لونين معاً والأربع الباقية تطبع لوناً واحداً . وفي قسم تنضيد الحروف الآلي أربع آلات مونوتيب وسباكتان وآلة مونوفوتو وصلت أخيراً : وكان عدد عمال هذه المطبعة ١٢٠ في سنة ١٩٦٠ فأصبح عددهم اليوم ١٦١ بما في ذلك رؤساء الأقسام والكتبة والفنيون : وأهم ما تنشره المطبعة الكاثوليكية سلسلة القواميس العربية والفرنسية والإنجليزية والسريانية البالغة ستة عشر

(١) مجلة الطباعة عدد تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٤ نقلاً عن نبذة كتبها لهذه المجلة السيد رزق الله الحلبي .

قاموساً وستظهر قريباً سلسلة المعاجم الموسوعية ذات الموضوعات العلمية المختصة (١).
وفي ١٤ سبتمبر ١٩٦٢ صدر في لبنان قانون للمطبوعات معدلاً للقانون رقم ٤ الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٥٢ ؛ وقد جاء في مادته الأولى أن « المطبعة والصحافة والمكتبة ودار النشر والتوزيع حرة ، ولا تقيد هذه الحرية إلا في نطاق القوانين العامة وأحكام هذا القانون » : وتنص المادة ١٢ على أنه « لا يجوز لأحد أن يملك أو يدير مطبعة دون أن يقدم لوزارة الإرشاد والأنباء والسياسة تصريحاً بذلك ، وكل مخالفة لأحكام هذه المادة يعاقب مرتكبها من خمس وعشرين إلى خمسمائة ليرة لبنانية وبتوقيف المطبعة إلى أن يقدم التصريح : وفي حال الاستمرار بالعمل دون تصريح تكون العقوبة بالحبس من عشرة أيام إلى ستة أشهر : » وعلى أي حال فليس في هذا القانون ما يعطل حرية الطباعة والنشر أو يحد منها .

وإلى الجرائد اليومية يعود فضل التقدم الذي حققته الطباعة في السنتين الأخيرتين ؛ ففي أواسط سنة ١٩٦٣ قررت دار صحيفة (الحياة) تجديد آلاتها فاستقر رأي أصحابها على طبع جريدتهم بالأوفست : وفي أوائل ١٩٦٤ استوردت مطبعة دوار (روتاتيف) من شركة (جوس) طراز (سوبربان) تطبع أربعة ألوان مرة واحدة بسرعة ١٨ ألف نسخة في الساعة من جريدة ذات ١٦ صفحة . فكانت الحياة أول صحيفة في العالم العربي تستخدم الطباعة الملساء (الأوفست) إذ صدر أول عدد مطبوع منها بهذه الطريقة في ١٧ أبريل ١٩٦٤ . وتبعت جريدة (النهار) زميلتها (الحياة) بأيام قليلة حين تم طبعها بالأوفست على آلة دوار ماركة (فيرتشايلد) ذات أربع وحدات طباعية تدور بسرعة صحيفة الحياة وتطبع بأربعة ألوان .

أما طباعة الهليوجرافور (الروتغرافور) فلم يعرفها لبنان إلا في سنة ١٩٦٣ وكانت مطابع ريشا والمطبعة الأهلية ومطبعة قرطباوى الجديدة أول من استخدم هذا النوع من الطباعة في بيروت .

وكان أول عهد الطباعة بالمونوفوتو في القطر اللبناني سنة ١٩٦٤ حين اقتنت المطبعة الأهلية هذه الآلة التي تصوّر الحروف حرفاً حرفاً على القلم .

(١) في رسالة الأب سامي الخوري مدير المطبعة الكاثوليكية السابق إلى السيد شعيب أحمد الدري

في ٢٥ يناير سنة ١٩٦٥ .

وأدخلت جريدة (الحياة) في السنة نفسها الآلة الكاتبة المعروفة باسم (جسترايتر) وتعطى هذه الآلة - التي عرفها لبنان دون غيره من الدول العربية - نسخة نظيفة تصلح رأساً لعمل أفلام الأوفست وتستخدم في إصدار جريدة (الديلي ستار) الإنجليزية إحدى صحف دار الحياة. وطريقة العمل على هذه الآلة أن يجلس الكاتب أمامها ، وهي عبارة عن جهاز بحجم الآلة الكاتبة ولوحة مفاتيح أحرفها كأحرف الآلة الكاتبة أيضاً ؛ فإذا ضرب الكاتب على المفاتيح ثقب شريطاً من الورق يركب بعد ذلك على جهاز آخر يدور آلياً وبسرعة فائقة فيتم صف أسطر متساوية الطول على ورق صقيل يؤخذ رأساً للتصوير . وتبذل الجهود في الوقت الحاضر لتحويل هذا الجهاز بحيث ينضد الحروف العربية .

وهكذا وصل الفن المطبعي في لبنان إلى أعلى درجات الرقي ، وإن بعض مطبوعاته اليوم لا تقل جودة عن مطبوعات أشهر المطابع في أوروبا وأمريكا وذلك بفضل الآلات والأجهزة الحديثة الدقية التي اقتناها ومعاونات الطباعة من ورق وحبر وحروف وأنماط تساعد بلا شك على الوصول إلى أفضل النتائج .

خاتمة

لقد كان لبنان أول بلد عربي عرف الطباعة ، وذلك بفضل رهبان دير قزحيا الذين حملوا معهم وهم قادمون من روما مطبعة استطاعوا أن يطبعوا عليها المزامير بالسريانية والكركشونية . ولولا اهتمام جمعية نشر الإيمان باللبنانيين عامة وبالموارنة خاصة لظل لبنان بدون مطبعة حتى نهاية الثلث الأول من القرن الثامن عشر . إن حالة لبنان الثقافية والفكرية لم تكن خيراً من سواها في البلاد العربية التي كانت ترزح تحت الحكم العثماني . لقد كان الجهل منتشرًا في لبنان انتشاراً مروعاً ولم ينتشله من وهدة الجهل هذه إلا الإرساليات الدينية الأجنبية . فأسست المدارس وعلمت اللبنانيين القراءة والكتابة وبعض الصناعات اليدوية وطبعت لهم الكتب في أوروبا أول الأمر ثم علمت أبناءهم الطباعة وأرسلت لهم المطابع أو ساعدتهم على

اقتنائها ليقوموا بطبع المؤلفات التي يكوذرون في حاجة إليها : وطبيعي أن تكرر الكتب الأولى التي طبعت في لبنان كتباً دينية شأنها في ذلك شأن مدينة منتر التي تم فيها طبع التوراة بالحروف المتحركة على يد يرحنا جوتنبرج : وظلت مطبوعات لبنان مقصورة على الكتب الدينية فترة طويلة من الزمن ، ذلك أن مطابعه الأولى كانت مطابع دينية دون استثناء .

وإن كان للأوربيين فضل إدخال المطبعة إلى لبنان ، فإننا لا نستطيع أن ننكر فضل اللبنانيين على هذا الفن : فقد أقبلوا عليه يتعلمونه منذ اللحظة الأولى : وساعدهم على ذلك مركز لبنان الخاص في عهد حكامه الأمراء المعنيين والشهابيين : فلم تستطع تركيا أن تتدخل لإطفاء جذوة تلك الشعلة كما فعلت في الآستانة نفسها في عهد بيازيد الثاني وسليم الأول :

وينبغي ألا يفوتنا الإشادة بفضل السوريين على اللبنانيين في هذا المضمار : فإننا لو تركنا جانباً مطبعة دير قزحيا التي لم تطبع إلا كتاباً واحداً سنة ١٦١٠ ، وجدنا أن المطبعة العربية الأولى التي ظهرت في لبنان تدين بوجودها لسوري ولد بمدينة حماه اسمه عبد الله زاخر : فقد استحضر مطبعته من فرنسا ولكنه سبك بنفسه حروفها العربية وصنع أبجدياتها وأمهااتها :

وظل الفن المطبعي في لبنان على حالته البدائية إلى أن قيض الله له الإرسالية الأمريكية التي جلبت معها مطابع جديدة ومسبكاً للحروف ثم تبعها المطبعة الكاثوليكية فأحضرت معداتها من فرنسا : ويجدر بنا أن نذكر أن المنافسة الشديدة التي قامت بين هاتين المطبعتين قد أفادت الفن المطبعي في لبنان فائدة كبرى : فقد أحضرت المطبعة الكاثوليكية أول محرك يدور بالبخار في لبنان ، وكان ذلك في سنة ١٨٦٧ . وكان للمطبعة الأمريكية فضل استعمال البترول في إدارة الطابعات سنة ١٩١٣ . ولكن اللبنانيين ظلوا سادة المرقف فيما يختص بصنع الحروف العربية : فقد تمكن اليازجي من ابتكار قاعدة جديدة فاقت القاعدة الأمريكية وغيرها من القواعد التي كانت معروفة في لبنان وفي سواه من البلاد التي تعنى بالطباعة العربية وعم استعمالها في الشرق والغرب على حد سواء :

وساهمت المطابع اللبنانية مساهمة الأصيل في نشر الكتاب العربي لا في لبنان

فحسب بل في البلاد العربية كلها وأمريكا التي هاجر إليها عدد كبير جداً من السوريين واللبنانيين : وهكذا أضحت الطباعة عامة والطباعة اللبنانية على وجه خاص همزة الوصل بين الشرق والغرب حتى يومنا هذا :

وكان لبنان حتى نهاية القرن التاسع عشر في مقدمة الدول العربية من حيث الفن المطبعي ثم جاءت مصر في أواخر ذلك القرن فانتزعت مركز الصدارة بفضل انتشار الصحف والمدارس وتكوين الشركات المساهمة الكبرى والانتعاش الاقتصادي الذي عم البلاد من أدناها إلى أقصاها ؛ وقد استعاد لبنان في السنوات الأخيرة المكانة التي فقدتها حين استوردت مطابعه الطابعات الأوفست الدوارة لطبع الصحف اليومية، وآلات المونوفوتو والكليشوجراف والجستورايتز، وحين ابتكر بعض اللبنانيين حروفاً جديدة للطباعة تسهل عملية صف الحروف إلى أدنى حد ممكن :

وفي دار الأيتام الإسلامية ببيروت قسم لتعليم الطباعة يقدم للمطابع اللبنانية خير عمالها : وهو يعمل منذ سنة كما توجد مدارس لبنانية أخرى لتعليم الطباعة .

ولبنان من الدول القليلة التي ليس فيها مطبعة رسمية، هذا إذا استثنينا مطبعة صغيرة للجيش وأخرى للمساحة : ويقول المسؤولون إن الحكومة تقصد بذلك تشجيع المطابع الأهلية ومساعدتها : فقد كان في عهد الانتداب الفرنسي مطبعتان رأى المسؤولون في عهد الاستقلال الاستغناء عنهما لإيجاد عمل للمطابع الخاصة التي زاد عددها زيادة كبرى خلال الحرب العالمية الثانية : ولو أعادت الحكومة اللبنانية فتح مطبعتيها لاضطر عدد كبير من المطابع الأهلية إلى تصفية أعماله :

وعلى الرغم من ضيق مساحة لبنان وقلة عدد سكانه فإنه يوجد فيه اليوم ٣٧٢ مطبعة ، بلغ عدد الكتب التي طبعتها في سنة ١٩٦٣ ٣٨٧ كتاباً^(١) . وتخرج هذه المطابع ٤٩ صحيفة يومية منها ٣٩ باللغة العربية و ٤ باللغة الفرنسية و ٤ باللغة الأرمنية و ٢ باللغة الإنجليزية :

ويبلغ مجموع عدد الصحف الأسبوعية السياسية ٤٢ منها ٣٨ باللغة العربية،

(١) كتاب السفارة اللبنانية في القاهرة ؛ رقم ٧/٩/٦٥/٩٩ في ٢٠ شباط ١٩٦٥ .

و ٢ باللغة الفرنسية ، و ٢ باللغة الأرمنية :
وعدد المجلات الشهرية السياسية ٤ وعدد المجلات الأسبوعية الأدبية ١١٧ منها
٩٥ باللغة العربية و ٩ باللغة الإنجليزية و ٨ باللغة الفرنسية و ٥ باللغة الأرمنية :
وإن مطبوعات لبنان ما زالت تتدفق بكميات وفيرة على مكتبات العراق
وسوريا والأردن والعربية السعودية واليمن وبلاد المغرب العربي وأمريكا اللاتينية :

الباب الرابع

الطباعة في سوريا

الفصل الأول

نشأة الطباعة في سوريا

١٧٠٦ - ١٨٦٧

كانت حلب أول مدينة سورية عرفت فن جوتنبرج : وقد دخلت الطباعة سوريا ، كما دخلت لبنان ، عن طريق رجال الدين ، ذلك أن الحكومة التركية لم تكن تنظر بعين الارتياح إلى هذا الاختراع وتعدّه المعول الذي سيهدم نفوذها بين الشعوب الواقعة تحت نيرها : فكانت تعمل جاهدة على مقاومة كل أداة للرق والتقدم توضع في أيدي الشعب ، فإن جاء بتلك الأداة رجال الدين اليهودي أو المسيحي أسقط في يدها واضطرت إلى التسليم خروفاً من تدخل الدول الأجنبية واتهامها بالتعصب ، تلك الثغرة التي حاولت بعض دول أوروبا أن تنفذ منها إلى صميم الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية :

مطبعة البطريك دباس بحلب

١٧٠٦

كان البطريك الملكي أثناسيوس دباس على علاقة طيبة بقسطنطين برانكو فيانول حاكم ولاية الأفلاق الذي كان شديد الاهتمام بحالة رعاية الكنيسة الملكية ، فأخذ يزودهم بكتب الصلاة المختلفة التي كانوا في حاجة إليها للقيام برسالتهم الدينية على الوجه الأكمل : وأنشأ قسطنطين بمدينة سيناجوفو من أعمال مقاطعة الأفلاق مطبعة عربية قامت بنشر عدد كبير من الكتب الدينية . وعين لتلك المطبعة كاهناً كرجياً يدعى أنتيموس ليقوم بصنع الحروف العربية . وطبع في برخارست باليونانية والعربية كتاب خدمة القديس في سنة ١٧٠١ وقام بطبع

كتاب ديني آخر : ولما عاد البطريرك أثناسيوس إلى سوريا في سنة ١٧٠٤ رأى أن يؤسس مطبعة في حلب : ولا شك في أن هذا البطريرك كان صاحب الفكرة وحده لا يشاركه إنسان فيها : وقد اتفق على ذلك جميع الذين أرحوا للمطبعة في سوريا : ولو أنهم اختلفوا على المصدر الذي جاءت منه المطبعة :

فيرى شنورر^(١) أن حروف مطبعة حلب هي نفس حروف مطبعة سيناجوفو ويؤكد أن أثناسيوس أحضرها معه من بوخارست : ويذهب هذا المذهب أيضاً المؤرخ شارون^(٢) ولوفنك Levenq وجراف^(٣) Graf فيجزمون بأن المطبعة أتت من مقاطعة الأفلاق : أما سيلفستر دي ساسي فيخالف هذا الرأي ويجد فارقاً بين حروف المطبعتين^(٤) . ويقول يواكيم مطران إن عبد الله زاخر هو الذي أنشأ مطبعة حلب العربية^(٥) . إلا أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي : ويقول الأب شيخو إنه لا يعلم كيف توصل البطريرك دباس إلى سبك الحروف : ويرى أنه ربما استصحب معه الكاهن أنتيموس فحضر له حروفاً جديدة ، أو أنه تعلم هذا الفن في الأفلاق ، فلما عاد علمه لبعض الحلبيين^(٦) .

وكتاب المزامير هو أول كتاب طبع في حلب : ونجد على أول صفحة منه شعار قسطنطين برانكوفيانول . وإن قارنا بين حروف هذا الكتاب وحروف كتاب خدمة القديس المطبوع سنة ١٧٠١ في مقاطعة الأفلاق وجدنا البون شاسعاً بين حروف الكتابين : ونميل إلى الاعتقاد في أنه كان لكل من المطبعتين حفار خاص ويبدو لنا أن حاكم الأفلاق أرسل إلى البطريرك الطابعة دون الحروف التي قام بصنعها عبد الله زاخر : ودليلنا على ذلك أن البطريرك دباس يقول في مقدمة المزامير المطبوعة في حلب : « حيث إنه (الله) وفقنا إلى عمل طبع الحروف العربي » . ويمكننا اعتبار عبد الله زاخر أول من صنع حروفاً عربية في الشرق

(١) Schnurrer; op. cit., p. 270.

(٢) Charon; op. cit. Tome III, p. 169.

(٣) Nasrallah, op. cit., p. 17.

(٤) De Sacy; op. cit., Tome I, p. 289.

(٥) مجلة المسرة ، سنة ١٩٤٨ ص ٣٨٧ .

(٦) لويس شيخو ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، سنة ١٩٠٠ ، ص ٣٥٥ .

العربي ، ذلك أنه كان على علاقة طيبة بالبطريرك أناسيرس دباس فنسخ له عدداً كبيراً من المخطوطات ^(١) وألف له عدة مؤلفات قبل أن يناصر الأرثوذكس العداء ، أي قبل سنة ١٧٢٠ .

وظلت المطبعة تعمل إلى سنة ١٧١١ واستخدمت خلال عمرها القصير ثلاثة أشكال من الحروف ، استعمل الشكل الأول منها في طبع كتاب المزامير وكتاب الإنجيل وكتاب النبوءات وكتاب الرسائل . أما الشكلان الآخران فيحاكيان خط النساخ المسيحيين . وقد استخدما في طبع بقية الكتب . وجمعت العناوين كلها بحرف واحد لم يتغير منذ نشأة المطبعة إلى اليوم الذي توقفت فيه عن الطبع .

وقامت مطبعة حلب من سنة ١٧٠٦ إلى أن توقفت عن العمل ، بطبع عشرة كتب فقط .

ويرى بعض المؤرخين أن المطبعة نقلت إلى دير البلامند ثم أخذها الرهبان الكاثوليك إلى دير الشوير ، ويكفيها ردّاً على هذا الادعاء أن نقول إن هؤلاء الرهبان تركوا دير البلامند سنة ١٦٩٧ وإن مطبعة حلب ظلت تعمل حتى سنة ١٧١١ وما زالت الأسباب التي دعت إلى تعطيل تلك المطبعة مجهولة . إلا أننا نعتقد أن أصحابها وجدوا أنها تكلفهم أكثر مما يستطيعون ، وأن في إمكانهم الحصول على المطبوعات الدينية في مقاطعة الأفلاق دون بذل أي مجهود . ويبدو لنا أيضاً أن مطبعة حلب لم تجد التربة الصالحة لنموها وازدهارها ، شأنها في ذلك شأن مطبعة دير قزحيا في لبنان .

على سوريا إذن أن تنتظر وتنتظر طويلاً لترى الطباعة قد رسخت أقدامها واستتب أمرها .

(١) الرسالة المخلصية سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٤٨ .

مطبعة بلفنطى الحجرية بحلب

١٨٤١

ظلت مدينة حلب بدون مطبعة ، إلى أن قيضت الظروف لها أجنبياً من جزيرة سردينيا يدعى بلفنطى ^(١) ، فأنشأ مطبعة حجرية طبعت ديران ابن الفارض سنة ١٨٤١ ، وهو أول كتاب أدبي يطبع في سوريا . وقد طبعت أيضاً كتاب المزامير ، وهو كتاب ديني كان السوريون المسيحيون يستخدمونه في تعليم أبنائهم القراءة . ولا نعرف مصير تلك المطبعة ، وإن كنا نرجح أن صاحبها اضطر إلى إغلاقها حين تبين له أنها لا تكاد تنى بمصروفاتها : وهى على أى حال أول مطبعة علمانية أنشئت في سوريا .

مطبعة الدومانى بدمشق

١٨٥٥

وإذا انتقلنا إلى دمشق وجدنا أنها عرفت الطباعة خلال احتلال جيوش إبراهيم باشا للأراضي السورية . ولكنها لم تكن سوى طباعة حجرية للمنشورات والأوامر العسكرية ^(٢) . أما مطابع الحروف فإنها لم تعرف قبل سنة ١٨٥٥ ^(٣) وذلك بفضل حنا الدومانى الذى أحضر معداتها من أوروبا وأدارها بضع سنين ثم باعها إلى سليم مدور . ولم يصلنا من الكتب التى طبعت في عهدها الأول إلا النذر اليسير . فقد قامت في سنة ١٨٥٦ بطبع كراسة عشية الأحد وطبعت أيضاً كتاب المزامير سنة ١٨٦٥ .

(١) لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٨ .

(٢) ستتكلّم عن هذه المطبعة في الباب المخصص لمصر .

(٣) لويس شيخو ، المشرق ، السنة الرابعة ، ١٩ تشرين أول سنة ١٩٠١ ، ص ٨٧٨ والآداب العربية في القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٨ .

مطبعة حلب المارونية

١٨٥٧

كان للطائفة المارونية في حلب ، وعلى رأسها المطران يوسف مطر ، نشاط ملحوظ كان من آثاره مطبعة أنشئت سنة ١٨٥٧ . وكان أول من اشتغل في تلك المطبعة الأب نيقولاوس كيلون . ويعود فضل تنظيمها إلى اللبنانيين . فقد تولى إدارتها في سنة إنشائها سليم خطار الذي استقدمه المطران يوسف مطر من بيروت خصيصاً لهذا الغرض . ولما انتهت مهمة هذا المدير قفل راجعاً إلى بيروت . وتفرغت المطبعة في نشأتها الأولى لطبع الكتب الدينية الخاصة بالطائفة المارونية .

مطبعة ولاية سورية بدمشق

١٨٦٤

وأنشأت الحكومة العثمانية أول مطبعة لها في سوريا سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) لتطبع عليها جريدة « سورية » باللغتين العربية والتركية . وقد استقدمت خليل الخورى من بيروت خصيصاً لتنظيم أمور المطبعة ، فتولى إدارتها سنة استطاع أن يدرب خلالها عدداً من العمال المهرة على الفن المطبعي^(١) . وهناك مطبعة رسمية أخرى أنشئت بدمشق عقب إنشاء مطبعة الولاية مباشرة أطلق عليها اسم المطبعة العسكرية لأنها لم تكن تطبع إلا المطبوعات الخاصة بالجيش ولا تنشر سوى الروزنامات واللوائح العسكرية^(٢) . ولم تعيش تلك المطبعة طويلاً . وحولت أعمالها إلى مطبعة الولاية .

(١) دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩١٤ ص ٦٧ .

(٢) لويس شيخو : المشرق ، السنة الرابعة ، العدد ١٩ ، تشرين أول سنة ١٩٠١ ، ص ٨٨٠ .

مطبعة جريدة فرات بحلب

١٨٦٧

لم يكن في مدينة حلب حتى سنة ١٨٦٧ سوى مطبعة واحدة هي المطبعة المارونية : ثم رأى المؤرخ التركي الشهير جودت باشا والي حلب أن يؤسس مطبعة في تلك السنة لطبع صحيفته الأسبوعية الرسمية « فرات »^(١) : وقد جلب لها حروفاً عربية وتركية وأرمنية وتولى جبرائيل برغود شؤونها وشئون الصحيفة التي كانت تطبع فيها : وقامت المطبعة إلى جانب نشر الصحيفة الرسمية ، بطبع مطبوعات الحكومة المختلفة : ومن المرجح أن تكون معدات المطبعة قد أرسلت من الآستانة هي وحروفها ، شأنها في ذلك شأن معظم المطابع الرسمية التي أنشئت في الولايات العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر :

وهكذا نرى أن الطباعة سراء كانت في دمشق أو حلب ، قد تقدمت ببطء من حيث عدد المطابع وجودة الطباعة : إن سوريا لم تكن بعد في حالة تسمح لها بالتجاوب تجاوباً كلياً مع الطباعة : كان لابد إذن من بذل محاولات جديدة من جانب الحكومة ومن جانب الأفراد لرفع عدد المطابع التي لم يتجاوز في تلك الفترة أربعاً ، وهو عدد قليل بالنسبة لعدد المطابع التي كانت موجودة في لبنان خلال الفترة نفسها :

(١) دى طرازى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

الفصل الثاني

محاولات حكومية وفردية

١٨٦٨ - ١٩١٨

بدأت الطباعة في سوريا عهداً جديداً في حياتها منذ سنة ١٨٦٨ ، على الرغم من العقبات التي كانت تعترض طريقها . فقد خطت المطبعة المارونية في حلب خطوات نحو الكمال ، وأنتجت كتباً مدرسية وأدبية وطبعت الرزنامات . وغيّرت هذه المطبعة حروفها عدة مرات . واستخدمت في وقت من الأوقات حروف مسبك المطبعة الأمريكية ببيروت .

وتأسست في حلب سنة ١٨٧٧ المطبعة العزيزية لتطبع جريدة الشهباء الأسبوعية لصاحبها هاشم عطار . وقد طبع فيها أيضاً شرح بديعية البكري للشيخ قاسم البكري وكتاب نور الإيضاح في الفقه وكتاب عنوان الشرف لابن المقرئ^(١) . وأمر كامل باشا والي حلب بتعطيل جريدة الشهباء وبالحجز على المطبعة ووضعها تحت رقابة الحكومة ؛ لما بدا منها ما ينذر بمعارضتها للأوضاع القائمة .

تلك كانت حالة الطباعة في حلب إلى نهاية القرن التاسع عشر . فطبعة الحكومة أو الرلاية لا يتجاوز نشاطها طبع صحيفة الفرات الرسمية والمطبوعات الحكومية المختلفة . والمطبعة المارونية كانت تعنى أكثر ما تعنى بنشر الكتب الدينية . والمطبعة العزيزية ، كما رأينا سابقاً ، كانت الحكومة تضيق عليها الخناق بحيث أقعدتها تقريباً عن كل عمل مجد لخير الشعب والبلاد .

ولم يكن حال الطباعة أفضل بكثير في دمشق . فقد باع سليم مدور مطبعته إلى حنا حداد ومنه انتقلت إلى محمد الحفني في سنة ١٨٨٢ . فأصبحت تعرف بالمطبعة الحفنية نسبة لصاحبها . وتم فيها طبع « ديوان أحمد الخلوف الذي بدأ سليم

(١) شاهين مكاريوس : المعارف في سورية ، المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، اذار سنة ١٨٨٣ .

مدور بطبعه . بيروت : وطبع المدور أيضاً « نزهة الأرواح ومرتع الأفراح » للقس
نعمة الله البوارى وغير ذلك من الكتب : أما فى عهد محمد الحفنى فقد نشرت ديوان
أحمد بك الكيوانى الدمشقى (١٣٠١ هـ) وديوان الأمير منجك باشا (١٣٠١ هـ)
و « تحبير المقالة فى الحيلولة والكفالة » للسيد محمود أفندى حمزة مفتى دمشق
(١٣٠١ هـ) و « إيضاح الدلالات فى سماع الآلات » للشيخ عبد الغنى النابلسى
(١٣٠٢ هـ) .

وكانت المطبعة الحفنية بجوار السيد الحصور : وكان يقوم بتصحيح كتبها
عبد القادر ابن الشيخ عمر نيهان : وحروف تلك المطبعة جميلة ظاهرة : ويبدو أنها
جلبت من الآستانة أو أشرت من مسبك المطبعة الأدبية فى بيروت . وعاشت المطبعة
الحفنية زهاء ثلاثين سنة : واضطرت آخر الأمر إلى التوقف عن العمل حوالى
سنة ١٨٨٥ ، أى بعد أن اشتراها محمد الحفنى بثلاث سنرات : وهكذا انتهت
حياة أول مطبعة حروف رأتها دمشق :

أما مطبعة ولاية سورية فقد تولى إدارتها فى أواخر القرن التاسع عشر مصطفى
أفندى واصف : وفى عهده تقدمت تقدماً ملحوظاً فزيدت آلاتها وجلبت لها طابعة
يمكن إدارتها بمحرك بخارى : وطبعت المطبعة ابتداء من سنة ١٨٩٦ جريدة الشام :

وطبعت مطبعة الولاية إلى جانب المطبوعات الرسمية كتباً أدبية مختلفة مثل
الروض المربع بشرح زاد المستنقع مختصر المقنع للشيخ منصور بن يونس البهوتى
الحنبل : والكتاب مطبوع طبعاً متقناً بحرف نسخى جميل : وكان فى استطاعة
أصحاب الشأن فى سوريا أن يستغلوا تلك المطبعة فى نشر أكبر عدد من الكتب
المفيدة : ولكن يبدو أن الحكومة لم تكن ترحب بالمساهمة فى زيادة عدد الكتب
المطبوعة إلا إن كان ذلك على حساب الناشر : ولما كان عدد القراء صغيراً والإقبال
على شراء الكتب قليلاً ، فإن الناشرين لم يكونوا يجرؤون على طبع عدد كبير من
المؤلفات ؛ يدل على ذلك قلة عدد الكتب المطبوعة فى تلك المطبعة منذ نشأتها إلى
أواخر القرن التاسع عشر .

وأنشأ حبيب أفندى أبو خالد فى سنة ١٨٨٠ (١٢٩٧ هـ) مطبعة عاشت
حوالى ثلاث سنين طبع فيها ديوان الشيخ صنى الدين أبو المحاسن عبد العزيز

ابن سرايا بن أبي القاسم الحلبي التنبسي : وقد بدئ في طبع هذا الكتاب سنة ١٢٩٧ هـ واستغرق طبعه حوالي ثلاث سنين : ويقع في ٥٧٢ صفحة . وطبع حبيب أبو خالد في سنة ١٢٩٨ هـ كتاب الفرائد البهية في القواعد الفقهية : وعرفت المطبعة ابتداء من سنة ١٣٠٠ هـ باسم مطبعة نهج الصواب وطبعت حينئذ كتاب الطريقة الواضحة إلى البيئة الراجحة : والكتاب مطبوع بحرف نسخي جميل وبغناية تامة ، مما يدل على أن المطبعة كانت من خير مطابع دمشق في الربع الأخير من القرن التاسع عشر : أما الأسباب التي دعت إلى إغلاقها فغير معروفة : وبما لا شك فيه أن عدم رواج الكتب كان العقبة الكئود التي حالت بين تقدم مطابع دمشق وازدهارها : يضاف إلى ذلك العراقيل التي كانت تضعها الحكومة التركية أمام كل صاحب مطبعة .

وفي سنة ١٨٨٠ أيضاً أنشئت في دمشق المطبعة الخيرية ، بفضل مساعي جمعية انتشار العلوم . وقد استعارت معداتها من الحكومة : وكان مقرها إحدى حجرات مسجد الملك الظاهر : وكان يدير شئونها السيد علاء الدين عابدين أحد أعضاء مجلس الأحكام العدلية : وطبعت المطبعة في عهدها الأول ديران نشأة الصبا ونسمة الصبا لمحمد سليم أفندي المشهور بالقصايب حسن الدمشقي ، وكان ذلك في الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٢٩٨ : وكانت حروف تلك المطبعة قديمة متأكلة وكانت تنقص أصحابها الدراية بالفن المطبعي وأصوله .

وابتداء من سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) أصبحت المطبعة تعرف باسم مطبعة مجلس معارف سورية : وقامت بطبع عدة كتب نذكر منها « الهدية العلائية لتلامذة المكاتب الابتدائية » : وعلى الرغم من تعيين مصصح لتلك المطبعة ، هو سليم أفندي البخاري ، فإن الأخطاء المطبعية كانت أكثر من أن تحصى : ويبدو أن تغيير اسم المطبعة أو استرداد الحكومة لها لم يفدها شيئاً ، فقد ظل طبعها رديئاً وحروفها قديمة متأكلة إلى سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) حين جلبت لها حروف جديدة طبع بها كتاب « الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم » للعلامة السيد محمد أمين أفندي ابن عابدين . واختير للمطبعة في عهدها الجديد مصصح يدعى محمد أبو الخير عابدين :

ويقول شاهين مكاريرس في معرض حديثه عن المعارف في سورية سنة ١٨٨٣ « أما مطابع دمشق فأربع ، مطبعة الولاية وفيها تطبع الجريدة الرسمية بالعربي والتركي ومطبعة الحجر وهي للحكومة السنية أيضاً ويديرها رفعت مصطفى أفندي واصف عضو مجلس المعارف ، ومطبعة مجلس المعارف ، وكانت قبلاً لجمعية المقاصد الخيرية ، ومطبعة حبيب أفندي خالد^(١) » .

وظل عدد مطابع دمشق على حاله حتى سنة ١٨٩٣ ثم أنشأ خالد أفندي عطار حسن مطبعة روضة الشام : وأول مطبوعاتها « إتحاف الطلبة بالأسئلة المنطقية والأجوبة » لمحمد بن علي المرعشي . وحروف المطبعة جميلة وطبعها لا عيب فيه . وكان مقرها في حارة خان سلطان رقم ٦٢ . وبعض كتب تلك المطبعة مطبوع على ورق وردى . وفي أوائل القرن العشرين انتقلت ملكيتها إلى خالد قرصلي وهو تركي الأصل وعاشت حتى نهاية سنة ١٩١٣ .

وإذا انتقلنا إلى حلب نجد نظارة الداخلية في الآستانة تصرح في سنة ١٨٩٧ لعبد المسيح أنطاكي بإنشاء مطبعة حروف وحجر لتطبع باللغات العربية والفرنسية والتركية . وعرفت باسم مطبعة الفوائد . وصدر عنها في السنة التالية من إنشائها مجلة الشذور الشهرية وهي صحيفة أدبية^(٢) .

وإن عدنا إلى دمشق وجدنا سليمان لطفى ينشئ مطبعة في سنة ١٨٩٨ باسم المطبعة الحميدية التي قامت بطبع مجلة الشمس . ولم تعش تلك المطبعة طويلاً ، شأنها في ذلك شأن أغلب المطابع السورية .

وأنشأ كتيبي يدعى محمد أفندي هاشم المطبعة العلمية في نفس السنة التي أنشئت فيها المطبعة الحميدية . وطبع فيها أول ما طبع قصة المعراج ثم باعها إلى مصطفى أفندي شوري فأطلق عليها اسم الفيحاء . وأكثر مطبوعاتها الأوراق التجارية . أما الكتب المطبوعة فيها فنادرة جداً . وكان مصطفى شوري يعمل في مطبعة الولاية قبل أن يشتري مطبعته ، وظلت في المكان الذي أنشئت فيه بجادة غسان حتى الحريق سابقاً .

(١) شاهين مكاريرس ، المعارف في سورية ، مجلة المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، أذار سنة ١٨٨٣ .

(٢) الهلال ، الجزء الثاني ، السنة الخامسة ، ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ ص ٤٧٩ .

ونال سليم بك عنحورى امتيازاً بفتح مطبعة تسمى الاتحاد وبإصدار مجلة يطلق عليها اسم «مرآة الأخلاق» . ولكن الصعوبات التي كانت تضعها السلطات أمام الصحف ومطابعها جعلت صاحب الامتياز يعدل عن فتح مطبعته وإصدار جريدته (١).

هكذا كان حال الطباعة في دمشق خاصة وفي سوريا عامة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . فعلى الرغم من إعلان الدستور في الإمبراطورية العثمانية غداة اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش ، ذلك الدستور الذي ينص صراحة على حرية الصحافة والاجتماعات وعلى جعل التعليم الابتدائي إجبارياً ، فإنه لم ينفذ ، بل ظل حبراً على ورق ؛ لأن عبد الحميد لم يكن جاداً في منح شعوبه هذا الدستور فأخذ يتحين الفرصة للتحلل من نصوصه والعودة إلى الحكم المطلق ؛ وكان له ما أراد بعد ثلاثة شهور من إعلانه . ففي فبراير سنة ١٨٧٧ أقال رئيس وزرائه مدحت باشا زعيم الأحرار وأخذ يفتات على الدستور شيئاً فشيئاً حتى قضى عليه تماماً . وظلت البلاد العثمانية تحكم حكماً مطلقاً ثلاثاً وثلاثين سنة ، أى طوال حكم عبد الحميد الثاني . فقد عمل هذا المستبد على عزل الدولة العثمانية عن العالم الحر خوفاً من أن تنتقل إليها عدوى الحرية . وفرض رقابة صارمة على المطبوعات جميعاً - السياسية والأدبية والعلمية - وكان لا يسمح للصحف أو للمكاتب أن تذكر كلمات الحرية والمساواة والدستور . فسد أبواب التطور أمام شعوبه وجعلها سجينة الجهل المطبق .

أنى للطباعة أن تزدهر إذن في عهد لا يؤمن أصحاب السلطان فيه بالحرية ؟ وكيف يمكن أن تتقدم وسائلها وحاكم البلاد المطلق قد منع كل اتصال ثقافي أو فني بين الولايات العثمانية والعالم الخارجي ؟ إن معظم مطابع سوريا ، إن لم تكن كلها ، كانت عبارة عن مطابع قديمة اشترت من بيروت أو من الآستانة . وحتى هذا العدد القليل جداً من المطابع لم يكتب له النجاح ، ذلك أن الأمية كانت متفشية في سوريا . والمطبوعات التي كانت تخرج من تلك المطابع لم تكن من النوع الذي يغري متوسطي التعليم بالقراءة والإقبال على اقتناء الكتب .

(١) دى طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثاني ، بيروت سنة ١٩١٣ ، ص ٢٠٠ .

وفي أوائل القرن العشرين تأسست مطبعة صغيرة بدمشق سميت مطبعة نخمان وتخصصت في المطبوعات التجارية والإفريقية . وقد توقفت عن العمل قبل أن تنقضي السنوات العشر الأولى من القرن العشرين . ومن المطابع التي أنشئت في تلك الفترة مطبعة بدائع الفنون . أسسها تاج الدين الصلاحى في أوائل القرن العشرين . وكانت في شارع الحميدية ، حمام الباشا القديم . وتخصصت المطبعة في الطباعة الحجرية ونشرت عدة مؤلفات علمية وأدبية لكبار أدباء سوريا وعلمائها باللغات العربية والتركية والفرنسية . وكان للمطبعة قسم للطبع بالحروف . ومطبعة بدائع الفنون من المطابع النادرة التي لم تغلق أبوابها خلال الحرب العالمية الأولى . وكانت طابعاتها الست تعمل بدون توقف^(١) .

وفي سنة ١٩١٠ أسس الشقيقان أديب وصالح الحيلاني مطبعة أطلقا عليها مطبعة الإنصاف واختارا لها مقراً في حارة سوق الحميدية . وكانت معداتها عبارة عن طابعة كبيرة وأخرى صغيرة تطبع عليهما الجرائد المحلية مثل « العصر الجديد » و « بردى » والكتب المدرسية والمؤلفات القديمة لحساب المكتبة الهاشمية أو لحساب المؤلفين أنفسهم . وبعد الحريق الذي أتى على سوق الحميدية في سنة ١٩١٢ أعيد فتح المطبعة ورأى صاحبها أن يطلق عليها اسم « مطبعة الترقى » تيمناً بجمعية الاتحاد والترقى التركية وكسباً لعطف أصحاب الأمر والنهى الذين أفهموا صاحبى المطبعة أنهم لن يمنحوهما الترخيص إلا إن أثبتنا إخلاصهما لهذا الحزب التركى الناشئ . وكان لهؤلاء القوم ما أرادوا . واتخذت المطبعة في عهدها الجديد مقراً في حي القيصرية .

وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق عدد من المؤلفات المطبوعة في تلك المطبعة ، في عهدها الأول ، منها المسح على الجوربين للشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي وكتاب نقد عين الميزان للشيخ محمد بهجت . وأول الكتاين مطبوع سنة ١٣٣١ هـ . أما الثانى ، فقد طبع سنة ١٣٣٣ هـ . وهما مطبوعان طبعاً جيداً .

وكان تقدم المطبعة تدريجياً حسب الاحتياج والظروف . وكانت تستورد

(١) استقيننا هذه المعلومات من السيد صالح الحيلاني صاحب مطبعة الترقى بدمشق ومن السيد أحمد بلال التنبكجى الموظف بمطبعة الجمهورية السورية .

الحروف من مسبك خليل سركيس في بيروت .

* * *

إن تقدم الفن المطبعي وزيادة عدد المطابع رهن بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية لا يمكن لإنسان أن ينكرها . لقد تأثرت أحوال الطباعة في سوريا بتلك العوامل الأربعة تأثيراً كبيراً مما يضطر كل من يؤرخ لهذا الفن ألا يسقط من حسابه واحداً منها .

لم يستطع السلطان عبد الحميد الثاني أن يستمر في غيه ، فقد أجبرته جمعية الاتحاد والترقي من ناحية ، والجيش العثماني من ناحية أخرى ، على إعادة الدستور في يولية سنة ١٩٠٨ . ولما أجريت الانتخابات ، نالت جمعية الاتحاد والترقي أغلب المقاعد . وكانت سياسة تلك الجمعية التعصب لكل ما هو تركي واضطهاد كل من لا يجري في عروقه الدم التركي . وقام نفر من النواب الأحرار يقاومون هذه الحركة فألفوا فيما بينهم حزباً أسموه حزب الائتلاف . فما كان من الاتحاديين إلا أن أعنوا الأحكام العرفية في البلاد . وأراد السلطان عبد الحميد الثاني أن يستغل هذا الخلاف لمصلحته . ولكن الاتحاديين تمكنوا من خلعهم في ١٩ أبريل سنة ١٩٠٩ وتنصيب شقيقه السلطان محمد الخامس الذي ترك الأمر للاتحاديين .

وكان لسياسة جمعية الاتحاد والترقي أثر أي أثر في بعث الوطنية العربية إلى الوجود . فقد شعر العرب بخطر الاتحاديين على كياناتهم وقوميتهم فقاموا يطالبون باللامركزية . وأخذت الجمعيات الوطنية تتكون هنا وهناك كجمعية الفتاة والجمعية القحطانية وحزب العهد وحزب الاستقلال . وعقد الطلبة العرب الموجودون بباريس مؤتمراً في ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ قرروا فيه تنفيذ النظام اللامركزي في البلاد العربية .

وطبعي أن يقاوم الاتحاديون تلك الحركة أشد المقاومة ويعملوا على كم الأفواه . وكان أن تأثرت المطابع والصحف السورية كل التأثر من موقف الحكومة التركية التي عملت على خنق حريات العرب بشتى الطرق ؛ فأخذت تضايق المطابع وتحول دون إنشاء مطابع جديدة وتراقب الصحف ، وتلقى القبض على الأحرار . وهكذا ظل عدد مطابع دمشق لا يتجاوز الأربع إلى بداية الحرب العالمية الأولى .

كانت هذه الحرب وبالاً على الطباعة في سوريا . فقد شدد الأتراك الخناق

على المطابع وعلى الصحف . وانقطع ورود معدات الطباعة ومعاوناتها من أوروبا كالحبر والورق . وتأزمت الحالة الاقتصادية في البلاد . وانشغل السوريون بالثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين في صبيحة اليوم العاشر من شهر يونيو سنة ١٩١٦ وهاجم الثوار فلسطين وسوريا وعرقلوا مواصلات الأتراك ، مما سهّل على الحلفاء احتلال البلاد . ودخل الأمير فيصل دمشق في اليوم الثاني من شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ .

الفصل الثالث

تقدم وازدهار

١٩١٩ - ١٩٣٩

أعلن المؤتمر السوري في السابع من شهر مارس سنة ١٩٢٠ اختيار فيصل ملكاً على سوريا باسم فيصل الأول . ولكن فرنسا أبت على سوريا هذا الاستقلال ، فأرسل الجنرال جورو ، المندوب السامي الفرنسي ، إنذاراً إلى الملك فيصل . وتقدم الجيش الفرنسي إلى دمشق وهزم الجيش العربي في ميسلون واحتل العاصمة السورية في الخامس والعشرين من يولية سنة ١٩٢٠ . واضطر الملك فيصل إلى مغادرة البلاد . وبدأ الفرنسيون ينكلون بالعرب الأحرار فحكموا بالإعدام على عدد غير قليل منهم ثم استبدل هذا الحكم بالسجن . وقاوم الوطنيون رجالاً ونساءً الاحتلال الأجنبي منذ يومه الأول . وقامت الثورة السورية بزعامة إبراهيم هنانو سنة ١٩٢١ ودامت سنة . وبعد ذلك بستين شبت نار الثورة السورية الكبرى بزعامة سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز وتراجع الفرنسيون في عدة مواقع ، وامتد لهيب الثورة إلى دمشق نفسها فضر بها الفرنسيون بالمدافع وهدموا جزءاً كبيراً منها . وانفجرت الثورة أيضاً في حماة . غير أن الفرنسيين استطاعوا بقوة السلاح إعادة السكينة إلى البلاد ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٦ .

وهكذا حالت الأحداث فترة طويلة من الزمن دون تقدم الفن المطبعي وغيره من الفنون والصناعات في البلاد السورية . فالتاس جميعاً كانوا مشغولين بقضية بلادهم الكبرى ومقاومة الاحتلال البغيض ، تارة بالمفاوضات والمحادثات وتارة أخرى بالطعن والنضال . وظلت المطابع في دمشق على الحالة التي تركها عليها الأتراك عند مغادرتهم البلاد . وظهر عدد يسير جداً من المطابع الجديدة لا الحديثة . واختفت مطابع لوفاة أصحابها أو لكساد الحالة الاقتصادية . ولم يتقدم الفن المطبعي قيد أنملة بل انتقلت الحركة المطبعية كلها إلى بيروت .

واستطاعت مطبعة الفيحاء أن تجتاز هذه المحن وتولي أمرها أبناء مؤسسها مصطفى شوري . أما مطبعة بدائع الفنون فقد توفي صاحبها بعد الحرب مباشرة وبدأت أحوالها تضطرب فقلت أعمالها . وكانت مطبعة الترقى أسعد حالا من المطبعتين السابقتين على الرغم من اضطهاد سلطات الاحتلال لصاحبها صالح الحيلاني الذي توسط له السيد فارس الخوري والمرحوم محمد كرد علي فأخلي سبيله بعد أن ألقى في السجن وكف أصحاب الشأن عن مضايقته . ودب النشاط في المطبعة وعادت إلى سابق عهدها من التقدم والرقى . وابتداءً من سنة ١٩٣٣ تخصصت المطبعة في طبع الكتب العلمية والأدبية ونشر المخطوطات كتاريخ ابن عساكر وفضائل الشام ودمشق وكتاب الأشربة وغوطة دمشق وطرفة الأصحاب في معرفة الأنساب والمهرجان الأتني لأبي العلاء ومجلة المجمع العلمي الرسمية .

أما الحروف فقد استوردت المطبعة في سنة ١٩٢٠ طقماً كاملاً منها من مسبك فنديان بالقاهرة . ولكن نظراً لصعوبة إجراءات الاستيراد التي عاناها صاحب المطبعة ، عاد إلى شراء الحروف من مسبك مركيس ببيروت .

وآل أمر مطبعة الولاية إلى الحكومة الفيصلية فعيّنت لها مديراً اسمه سليم هاشم الكتبي ، وهو مدير إداري فحسب ليست له دراية بالفن المطبعي . فسارت المطبعة في خطى بطيئة وأهملت أكثر آلاتها لعدم وجود وطنيين لهم الخبرة بهذا الفن . وكانت أعمالها مقصورة على إصدار الجريدة الرسمية المسماة « العاصمة » وبعض مطبوعاتها الدورية^(١) .

ولما دخل الفرنسيون دمشق بعد موقعة ميسلون ازدادت اختصاصات المطبعة ، فغدت تطبع إلى جانب الصحيفة الرسمية جميع مطبوعات الحكومة وبعض المطبوعات الأهلية وأصبحت ميزانيتها السنوية بين ثمانى عشرة وعشرين ألف ليرة سورية . هذا عدا الاعتمادات التي كانت تدرج لها في آخر السنة المالية^(٢) .

وكانت المطبعة في عهدها الأول تحتل بناء عتيقاً في أول شارع جمال باشا ، وهو المعروف اليوم بشارع النصر ثم انتقلت إلى مبنى كان يستعمل لإصطبل

(١) حديث مع السيد رشاد الداودي أحد مديري المطبعة السابقين .

(٢) نقابة أصحاب المطابع بدمشق : حقائق مطبوعة وحقوق مهضومة وشكاو عادلة واحتجاجات بريئة ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ ١٩٣٧ م من ص ٨ إلى ص ١١ .

لخيول وعربات شركة « الديليجانس » .

لقد مرت المطبعة منذ أن جدد الألمان معداتها في أوائل الحرب العالمية الأولى بمراحل يجدر ذكرها في شيء من التفصيل . فعندما ترك الألمان دمشق بعد هزيمة دولتهم وحلفائها من الأتراك وغيرهم عقب هذه الحرب، أُلقيت مقاليد المطبعة إلى عمالها من الوطنيين . وكانت خبرة هؤلاء مقصورة على الطبع بالحروف المتفرقة . وكان القليل منهم يلم بالطباعة الحجرية . وبديهي أن تسير أمور المطبعة والحالة هذه من سيئ إلى أسوأ فتعطلت معظم آلاتها . وكان الألمان قد تركوا عند رحيلهم قسما للفوتوغرافور سرعان ما تلفت جميع آلاته وأدواته . ويقال إن جهل أحد مديري المطبعة حدا به إلى بيع بعض السوائل الكيماوية الخاصة بفن الفوتوغرافور بسعر الزجاجة المعبأة بها . واستمرت الحال هكذا حتى قرب الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٢٤ أسس محمد شريف الأسطى مطبعة لتطبع صحيفته « المستقبل » وجلب صاحبها أدواتها من المطبعة الأمريكية ببيروت ومن بعض المطابع الأخرى . وكانت تقوم إلى جانب طبع الجريدة بعمل بعض المطبوعات التجارية البسيطة . واضطرت المطبعة إلى التوقف عن العمل لأسباب سياسية ومالية . أما الأدوات فقد بيعت لبعض الأفراد في بعلبك وبيروت ودمشق ومن بينهم توفيق البرهاني صاحب مطبعة البرهان بدمشق .

وفي سنة ١٩٢٥ أسس وجيه بيضون مطبعة ابن زيدون . وقد بدأ حياته عاملا واستطاع بجده وكده أن يؤسس مطبعة متواضعة في أول الأمر . ولكن طموحه دفعه إلى أن يضاعف من نشاطه حتى تمكن من أن يخطو بمطبعته خطوات إلى الأمام . وهو إلى جانب ذلك صحفي وأديب ومؤلف . فقد أصدر مجلة « الإنسانية » التي عاشت إحدى عشرة سنة ومجلة « كل جديد » التي ظلت توالى الصدور زهاء خمس سنوات . وله مؤلفات منها المطبوع ومنها ما لم ينشر .

ومن المطابع المهمة التي أنشئت في حقبة ما بين الحربين العالميتين مطبعة جريدة الأيام . فقد تأسست بدمشق سنة ١٩٢٧ وكانت تعرف في ذلك الحين باسم مطبعة بابيل إخوان . وكانت تقوم بطبع مطبوعات مختلفة ، منها جريدة الرأي العام وغيرها . وكانت المطبعة عبارة عن طابعة طراز « ألوزيه » صنعت

سنة ١٩١٠ وطابعة صغيرة تدار بالقدم وسكين لقص الكرتون والورق ومجموعتين من الحروف العربية والفرنسية . وعندما أسست الكتلة الوطنية جريدة الأيام في سنة ١٩٣١ ، اتفقت مع نصوح بابيل على توسيع مطبعته ، وكانت عندئذ في العصرية ، سوق الحميدية ، لطبع فيها الجريدة . وتم الاتفاق بين الطرفين وابتاع صاحبها لها طابعة ألمانية من مصانع فرانكتال وطابعة فرنسية طراز ألوزية لطبع جريدة يومية ذات اثنتي عشرة صفحة مقاس ٩٠×٦٠ . ومنذ تلك السنة عرفت المطبعة باسم « مطبعة جريدة الأيام » . وانتقلت إلى شارع فؤاد الأول حيث احتلت الطابق الأرضي من عمارة جريدة الأيام . وصدرت الجريدة في ثمانى صفحات ، وهى أول صحيفة تصدر في هذا العدد من الصفحات في سوريا ولبنان . ولما انتقل امتياز الصحيفة إلى نصوح بابيل سنة ١٩٣٢ استأنف إصدارها بنفس عدد صفحاتها وزاد على ذلك عدداً أسبوعياً يصدر في ١٢ صفحة وأعداداً خاصة في المواسم في ٢٤ أو ٣٢ صفحة مقاس ٩٠×٦٠ .

وأسس محمد هاشم الكتبي وشركاه المطبعة الهاشمية في سنة ١٩٣٦ : والمطبعة متخصصة في طبع الكتب المدرسية والمصاحف الشريفة والخرائط الملونة التي توزع على المدارس ومصالح الدولة : وبدأت المطبعة في عهدها الأول بشراء معدات طباعية مستعملة من دمشق واللاذقية ، وكانت هذه المعدات لمؤسسات مطبعية توقفت عن العمل : وأول مطبوع للمطبعة الهاشمية هو « سلسلة القراءة الطريفة » للمدارس الابتدائية ؛ وتلاه كتاب أسواق العرب لسعيد الأفغانى ، وقد طبع بمناسبة معرض دمشق سنة ١٩٣٦ : وتولى إدارة المطبعة في نشأتها الأولى أكرم الطرابيشي :

ولم تعرف دمشق فن الزنكغراف إلا في أوائل القرن العشرين بفضل أحد أبنائها ويدعى طاهر التنير ؛ وقد عاشت ورشته حوالى العشر سنين : وبعد الحرب العالمية الأولى أنشأ حسن الحناوى ورشة ثانية للزنكغراف عاشت حوالى خمساً وعشرين سنة : وأول من فكر في إنشاء نقابة لعمال المطابع هما نصوح بابيل ووجيه بيضون ، وقد تحدثا في هذا الشأن مع الرئيس فارس الخورى فشجعهما على المضي في مشروعهما . وتمكنا من إبرازه إلى الوجود سنة ١٩١٩ ، بعد أن رسماً له نظاماً داخلياً

مقتبساً من بعض القوانين التركية : وكانت هذه النقابة الأولى من نوعها في سوريا إلا أنها لم تكن من النقابات القوية لقلة عدد الذين يعملون في هذه الصناعة هناك .

أما نقابة أصحاب المطابع فقد تأسست في دمشق سنة ١٩٣٧ أى بعد ثمانى عشرة سنة من إنشاء نقابة عمال المطابع : وكان مجلس إدارتها مكوناً من صالح الحيلاني صاحب مطبعة الترقى رئيساً وسعدى العمرى صاحب المطبعة الفنية نائباً للرئيس ووجيه بيضون صاحب مطبعة ابن زيدون كاتباً للسر وفهمى النحاس صاحب مطبعة العناية أميناً للصندوق ، وكل من أديب شورى أحد أصحاب مطبعة الفيحاء وعزيز موصلى صاحب مطبعة الثبات وعلى السقال صاحب مطبعة الصداقة ويوسف العيسى صاحب مطبعة ألف باء : وطالبت النقابة في سنة إنشائها بالألا تطبع في مطبعة الحكومة إلا مطبوعات وزارتي المالية والداخلية وبأن يسمح للدوائر الرسمية - عدا الوزارتين المذكورتين - بعرض مطبوعاتها بالمناقصة على المطابع الأهلية المختلفة وبإغلاق مطبعة الجامعة السورية وإلحاقها بمطبعة الحكومة الرسمية والمحافظة على حقوق أصحاب المطابع الأهلية ومساواتهم في الحرق بأصحاب مطابع الصحف ، وعدم السماح بطبع شيء خارج سوريا حفظاً للكرامة القومية ورعاية لمصلحة الأمة المادية والإيعاز إلى سائر الدوائر والتشديد عليها بأن تجعل المساواة والإنصاف رائدها في مناقصاتها وإعفاء المطبوعات من الطابع المفروضة عليها من قبل المالية والبلدية وحماية الطباعة من فتح مطابع جديدة ما لم تتأكد الحكومة من ضرورتها ، ذلك لأن المطابع الحالية أكثر من اللازم : وفي سنة ١٩٣٨ عرض ووجيه بيضون اقتراح تكوين اتحاد تعاوني لأصحاب المطابع : ولكن دعوته لم تلق آذاناً صاغية :

وكانت سوريا حتى سنة ١٩٢٥ تشتري حروف مطابعها من مصر وبيروت والآستانة ثم تأسس في تلك السنة مسبك في حلب يسمى « مسبك المطبعة المارونية » له وكيلان أحدهما في دمشق والآخر في بيروت : وتعامل مع هذا المسبك مطابع دمشق وحلب وحمص واللاذقية وطرابلس وبيروت :

لقد تقدم الفن المطبعي تقدماً ملحوظاً في سوريا بعد الحرب العالمية الأولى فجددت المطابع القديمة معداتها وجلبت المحركات الكهربائية لإدارة الطابعات

السريعة : وأنشئت ورش الزنكغراف وكونت النقابات التي تدافع عن المهنة .
وكان لانتشار المدارس ورواج الصحف أثره في حال الطباعة : إلا أن الجهود
التي بذلت في هذا المضمار كانت جهوداً فردية : أما الحكومة فكانت جهودها
سلبية إلى حد ما ، مما دعا أصحاب المطابع إلى الشكوى :

الفصل الرابع

استقلال وتجديد

١٩٤٠ - ١٩٦٥

أعلنت الحرب العالمية الثانية وانهارت فرنسا في يونيو ١٩٤٠ : وحدث تصادم بين الشعب السوري والقوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشي في شهرى فبراير ومارس من سنة ١٩٤١ : وفي ٨ يونيو اجتاحت سوريا قوات من الجيش البريطانى ومن جيش الجنرال دييجول : ودام القتال شهراً أعلنت بعده الهدنة في ١٤ يولييه : وأعلن الجنرال كاترو قائد القوات الفرنسية الحرة استقلال سوريا في ١٦ سبتمبر وعين الشيخ تاج الدين الحسينى رئيساً للدولة ودخل الوطنيون السوريون فى الحكومة : وفي ٨ فبراير سنة ١٩٤٢ عينت بريطانيا ممثلاً سياسياً لها فى سوريا ولبنان وتبعتهما فى أكتوبر الولايات المتحدة : وكان على الحكومة السورية الجديدة أن تقاوم الصعوبات التى نجمت عن قلة المؤن : ولكن بفضل إنشاء الطرق العسكرية لم تحدث بطالة بين السوريين : إلا أن الأحداث السياسية لم تكن على ما يرام ؛ ذلك أن عملاء المحور بذلوا نشاطاً كبيراً لتأليب العرب ضد الحلفاء كما قاومت بعض العناصر الفرنسية فكرة منح سوريا الاستقلال على الرغم من الضغط الذى قامت به بريطانيا والولايات المتحدة على حكومة دييجول لكى تضطرها إلى كف يدها عن سوريا :

وفى سنة ١٩٤٣ أعيد الدستور وأجريت الانتخابات فى يولييه : ففاز شكرى القوتلى برئاسة الجمهورية : وطالبت سوريا بأن توضع القوات المجندة محلياً تحت إدارتها ورفضت أن تمنح الفرنسيين أى امتياز : وتقوى مركز سوريا بانضمامها إلى الحلفاء فى فبراير سنة ١٩٤٥ الأمر الذى أتاح لها الاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو : وطالبت سوريا ولبنان بجلاء القوات الفرنسية عن أراضيها : ووقعت اشتباكات بين الوطنيين وبين هذه القوات : واتهم الفرنسيون الإنجليز بأنهم هم الذين نظموا

هذه الثورة ليجهروهم على الانسحاب من مسرح الشرق الأوسط . وفي فبراير سنة ١٩٤٦ تقدمت سوريا ولبنان بشكوى إلى مجلس الأمن تطلبان فيها جلاء القوات الفرنسية والبريطانية . وقد وافق المجلس على اقتراح عبر فيه عن إيمانه بأن يرى الدول الكبيرة تسحب قواتها في أقرب وقت . واحتفلت سوريا بخروج آخر جندي أجنبي من أراضيها في شهر أبريل من سنة ١٩٤٦ .

وتأثرت بعض المطابع في سوريا بالحرب وخاصة بعد انهيار فرنسا . وأغلقت مطبعة بدائع الفنون أبرابها وباعها أصحابها مجزأة إلى جورج فارس صاحب جريدة الإيكو الفرنسية L'Echo وإلى السيد السقال صاحب دار الطباعة العربية بدمشق .

إلا أن هذا الركود لم يدم طويلاً ولم يمتد إلى كل المطابع كما حدث خلال الحرب العالمية الأولى . والدليل على ذلك أن خالد العظم وزير المالية فكر في سنة ١٩٤٤ في إصلاح مطبعة الحكومة إصلاحاً جدياً بعد أن جارت الدوائر الحكومية بالشكوى من بطئها وعدم استطاعتها تلبية جميع الطلبات . وما كان من الوزير إلا أن طلب من مدير مطبعة الجامعة السورية أن يضع تقريراً شاملاً عن إصلاح المطبعة . وقد تم وضع التقرير ورفع إلى الوزير فوافق عليه بحذافيره . وتم على أثر ذلك نقل مدير مطبعة الجامعة السورية مديراً فنياً لمطبعة الحكومة وأعطيت له الحرية التامة في تنفيذ ما يراه مفيداً لها .

وكان جميع موظفي المطبعة عمالاً فوضع لهم كادر ثابت وأصبحوا من فئة المستخدمين . وأدرجت الحكومة في تلك السنة^(١) مليون ليرة سورية لبناء مطبعة حديثة تنفيذاً للتقرير الذي وضعه رشاد الداودي . غير أن مجلس النواب اعترض على هذا الاعتماد وألغاه . ولكن وزارة المالية تمكنت في السنة التالية من تخصيص ثلاثمائة ألف ليرة سورية لهذا المشروع . وكانت المطبعة في الوقت نفسه تجد وتعمل على إصلاح ما يمكن إصلاحه من الآلات القديمة والمعدات . واقترح المدير الفني أن يسافر إلى القدس لمشاهدة بناء مطبعة الحكومة^(٢) ، فوافقت وزارة المالية

(١) سنة ١٩٤٤ .

(٢) هي اليوم تابعة للحكومة الإسرائيلية .

على هذا الاقتراح ، وسافر صاحبه ومعه مدير الأبنية في وزارة الأشغال العامة لأخذ فكرة عن شكل البناء وتصميمه . وانتدب المدير الفني مرة أخرى للسفر مع مدير البريد والبرق إلى مصر للاتفاق مع مطبعة المساحة على طبع طوابع الدولة السورية البريدية فاستفادا خبرة وكونا فكرة طيبة عن كيفية بناء مقر المطبعة الجديد . فلما عادا إلى دمشق باشرت مديرية الأبنية في وزارة الأشغال العامة وضع الرسوم اللازمة . وقد تم البناء في سنة ١٩٤٧ .

وكان في المطبعة عشر آلات للطبع بالحروف المتفرقة وهي من الحجم الصغير ، منها آلات تدور بمحركات كهربائية وآلة واحدة من الحجم المتوسط . وقد جلب بالإضافة إلى ما تقدم أربع آلات كبيرة للطباعة بالحروف المتفرقة وآلتان للطبع الحجري وآلة واحدة للطباعة الملساء (أوفست) طراز مارينزني . وكان يشرف على الآلة الأخيرة ومعاوناتها خبير أجنبي استقدمته الحكومة السورية خصيصاً لهذا الغرض ، وكان يوجد في قسم التجليد آلة لطى الورق وآلتان لقصه . واستوردت آلة لسن سكاكين المقاطع ، تعد الأولى من نوعها في الشرق العربي . وفي المطبعة أيضاً ثلاث آلات لتنضيد الحروف طراز أنرتيب^(١) .

وبلغت ميزانية المطبعة من أول سنة ١٩٥١ إلى منتصف سنة ١٩٥٢ ، ٥٨٣٠٠٠٠ ليرة سورية . ولم يكن عدد عمال المطبعة قبيل الحرب العالمية الأولى يتجاوز السبعة والعشرين ، منهم سبعة عشر عاملاً دائماً وعشرة عمال مؤقتين . أما في سنة ١٩٥٢ فقد ناهز عددهم مائة واثنين وعشرين منهم سبعة موظفين وثمانية عمال وخيران أجنيان . أما الباقون فمستخدمون .

وتشتمل المطبعة على قسم للإدارة وقسم للطبع بالحروف المتفرقة وقسم الطبع الحجري وقسم الطباعة الملساء وقسم الأوراق ذات القيمة وقسم التجليد وقسم المستودع والقسم الميكانيكي أو ورشة الإصلاحات وقسم تسليم المطبوعات .

ولا يوجد في سورية مطبعة حكومية أخرى سوى مطبعة الجامعة السورية التي تأسست سنة ١٩٢٩ . وكان في حلب مطبعة حكومية أحييت أعمالها إلى مطبعة دمشق قبل سنة ١٩٣٧ . وتستورد مطبعة الجمهورية السورية الورق من الدوائر

(١) قمنا بزيارة هذه المطبعة في منتصف شهر أبريل من سنة ١٩٥٢ .

الحكومية المختلفة التي ترسل إليها مع الطلب كمية الورق اللازمة :

وليس لعمال المطبعة المذكورة نقابة خاصة بهم تدافع عن مصالحهم ، كما هو الحال في مصر مثلاً ، ذلك لأنهم مستخدمون دائمون يعاملون معاملة حسنة جداً : ومطبعة الجمهورية السورية أكبر مطبعة في البلاد . وهي على خلاف مطبعة بولاق في مصر ، لا تقبل أن تطبع للأفراد تشجيعاً للمطابع الأهلية على المضى في الرسالة الملقاة على عاتقها :

وإن انتقلنا إلى مطبعة ابن زيدون ألفينا صاحبها يعنى بتصحيح تجارها بنفسه : ويقصده لذلك كبار الكتاب والعلماء لأنهم يعلمون أن مؤلفاتهم تخرج من هذه المطبعة خلواً من الأخطاء وطبقاً لما يتطلبه الذوق الفني السليم : وميزة مطبعة ابن زيدون أيضاً أن صاحبها محب لفنه : وهذا الحب هو الذى أهاب به للتفكير بفن الهليوجرافور الحديث : فكان له الفضل الأول في إدخاله إلى سوريا عام ١٩٤٢ بعد مجهودات شاقة : وإذا استثنينا مطبعة الجمهورية السورية بدمشق جاءت مطابع ابن زيدون في المقدمة برأسها وشهرتها : وقد تعاقدت الحكومة معها في عام ١٩٥٢ على طبع عدة ملايين من طوابع البريد : وهذه هي المرة الأولى التي تعهد فيها الحكومة السورية بطبع تلك الطوابع لمطبعة سورية : إذ كانت قبل ذلك تلجأ إلى المطابع اللبنانية أو المصرية لطبعها :

ولست عصا التقدم السحرية مطبعة جريدة الأيام بدمشق : فنذ سنة ١٩٤٨ أصبح في المطبعة قسم تجارى لطبع مختلف أنواع المطبوعات الملونة لاستهلاك المؤسسات التجارية وطبع المجلات : واشترت المطبعة طابعة إيطالية حديثة تطبع بلون واحد أو بأكثر من لون حسب الرغبة ومقاسها ٣٧×٥٤ وسرعته ستة آلاف نسخة في الساعة .

وسايرت المطبعة الهاشمية تيار التقدم الطباعي في سوريا فأدخلت المحركات الكهربائية لإدارة طابعاتها الحديثة كما زودت قسم التجليد فيها بأحدث الآلات : وكانت المطبعة تشتري ما تحتاج إليه من حروف من مسبك سركيس ومسبك عبود ببيروت ومن مسبك كيلون بحلب ؛ ثم تحولت بعد ذلك إلى المسبك المصرى بالقاهرة : ولا يقتصر نشاط تلك المطبعة على المطبوعات العربية فحسب ، بل

يتعداها إلى المطبوعات الفرنسية والإنجليزية : وهي من مطابع دمشق الكبرى ويتراوح عدد عمالها بين العشرين والخمسين حسب الحاجة : والمطبعة مشهورة بطبعها الأنيق وحروفها الجميلة ومسايرتها للتقدم المطبعي الحديث :

وفي دمشق وحلب واللاذقية وحمص مطابع أخرى أقل أهمية من تلك التي ذكرناها ويهتم أكثرها بطبع المطبوعات التجارية للمصارف والشركات ودور التجارة . وفي حلب مطابع لا تقل أهمية وإتقاناً للعمل عن مطابع دمشق نذكر منها مطبعة التقدم ومطبعة قسطون ومطبعة المعارف ومطبعة الضاد : وفي حمص أكثر من مطبعة جديدة بالذكر وقد اخترنا منها مطبعة النجاح لصاحبها عون الجندى ومقرها في شارع أبي الهول . وينتظر للطباعة في المدن السورية كل تقدم بفضل انتشار المدارس في القرى ورفع مستوى الحياة بين الطبقات الفقيرة والانتعاش الاقتصادي الذي بدأت نتائجه تظهر في كل ركن من أركان هذا البلد العربي :

وفي دمشق وحلب اليوم عدد كبير من ورش الحفر كلها في أيد سورية : إلا أنه من الملاحظ على وجه العموم أن هذا الفن لا يزال في حاجة إلى كثير من العناية والإتقان ، خاصة في الكليشيات ذات الظلال (هاف تون) والكليشيات الملونة :

وتقدمت في سوريا صناعة حروف الطباعة تقدماً ملحوظاً : وفي حلب عدا المسبك الماروني ، مسبك أسسه جميل كيaron يزود بحروفه عدداً كبيراً من المطابع السورية في حلب ودمشق وغيرهما من المدن السورية ، إلا أن المطابع الكبيرة أصبحت تتكل على آلات الجمع السطري (لينوتيب) وآلات (المونوتيب) وقلمها تلجأ إلى مسابك الحروف :

خاتمة

كانت حلب أول مدينة في سوريا بل في الشرق العربي تطبع بالحروف العربية : إلا أن الطباعة لم ترسخ أقدامها في هذا القطر إلا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر : وعلى أي حال فإن عدد المطابع في سوريا حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن يزيد على الخمس ، ذلك أن السوريين حكومة وشعباً كانوا يعولون على مطابع لبنان : يضاف إلى ذلك أن الحالة الثقافية والاقتصادية والسياسية لم تكن لتشجع الناس على فتح المطابع واعتبارها مورداً من موارد الرزق : وكان من الطبيعي أن تتقدم الطباعة وتزدهر بعد خروج الأتراك من البلاد عقب الحرب العالمية الأولى ، إلا أن هذا النمو وهذا الازدهار كان محدوداً في عهد الانتداب الفرنسي ذلك أن المحتل الجديد ظل يشجع المطابع اللبنانية على حساب المطابع السورية : ولم يشعر الفن المطبعي السوري حقاً بزوجده إلا بعد الاستقلال ، وكانت الحكومة السورية أول من فكر في تجديد مطبعتها وتبعها بعد ذلك الأفراد فجلبوا الآلات الحديثة من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأدخلت طباعة الروتغرافور وطباعة الأوفست ، كما أدخلت آلات تنضيد الحروف : وأخذ عدد المطابع يزداد زيادة محسوسة حتى بلغ في سنة ١٩٥٢ سبعة وأربعين مطبعة منها ٢٤ في دمشق و ١٤ في حلب والباقي في سائر المحافظات : وهو عدد قليل لو قسناه نسبياً بعدد المطابع الموجودة في العراق ولبنان ومصر ، خاصة وأن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بلغت حسب ما جاء من المديرية العامة للدعاية والإعلان ٦٥ ٪ وأن عدد الجرائد والمجلات ١٧٢ (١) :

وخلال زيارتنا لسوريا في صيف سنة ١٩٦١ استرعى انتباهنا زيادة عدد المطابع المزودة بالأدوات الحديثة ، كما لاحظنا تقدم الفن المطبعي عما كان عليه في سنة ١٩٥٢ ، خاصة في الكتب وأغلفتها : أما طباعة الصحف فهي خير مما

(١) أخذنا هذه الأرقام في أبريل سنة ١٩٥٢ .

كانت عليه وقد اقتنفت في إخراجها أسلوب الصحف المصرية : ولا زالت دور الصحف اليومية تستخدم الطابعات المسطحة ، ذلك أن توزيع الصحيفة لا يزيد عن بضعة آلاف : غير أنها تنضد حروفها بآلات الجمع السطرى الانترتيب واللينوتيب الجديدة : وإذا انتقلنا إلى المجلات الأسبوعية وجدنا بعضها يطبع بالأوفست والبعض الآخر بالطباعة البارزة العادية والأنماط الزنكغرافية الخطية والظلية : وقد خطت الطباعة بالألوان خطوات لا بأس بها في كل من مطابع دمشق وحلب لا سيما المطابع الكبرى :

وخلاصة القول أنه لا بد للفن الطباعي في سوريا أن يتابع الجهد ليصل من حيث الكيف إلى المستوى الذى وصل إليه هذا الفن في عدد كبير من الدول العربية التى عرفت الطباعة بعده بوقت طويل :

الباب الخامس

الطباعة في الجمهورية العربية المتحدة

الفصل الأول

مطابع الحملة الفرنسية

١٧٩٨ - ١٨٠١

أدرك بونابرت منذ اللحظة التي قرر فيها احتلال مصر أن الدعاية هي السلاح الماضي الذي قد يكسب به قلوب المصريين : فكان عليه إذن أن يعد العدة لحملة من الدعاية يوطد أركانها بمطبعة يحملها معه لتساعده فيما يرى إليه . ومما يؤيد إيمان بونابرت بقوة المطبعة أنه كتب إلى أرنو Arnault يطلب إليه أن ينشئ مطبعة يونانية في جزيرة كورفو « لتنوير عقول اليونانيين وإعدادهم لتذوق طعم الحرية في تلك البقعة المهمة من أوروبا ^(١) » .

وحرص بونابرت على تزويد المطبعة التي سيحملها معه إلى مصر بالحروف العربية واليونانية والفرنسية : وعنى عناية خاصة برجال المطبعة الجديدة ومعداتنا . وليس التحيب إلى المصريين هو الغرض الوحيد من إحضار المطبعة ، بل هناك صحيفة « كورييه ديليجيت » Courrier de l'Egypte التي سوف تحمل إلى جنده وقواده الأخبار من هنا وهناك فتقوى روحهم المعنوية ، ومجلة « لا ديكاد اجبسيين La Décade Egyptienne ذلك السجل الذي سيحوى أبحاث وتقارير علماء الحملة وغيرها من المطبوعات .

وفي السادس والعشرين من شهر فنتوز عام ٦ الموافق السادس عشر من شهر مارس سنة ١٧٩٨ اتخذت حكومة الإدارة قراراً بتعبئة كافة ما يحتاج إليه بونابرت ، بما في ذلك الحروف العربية والفرنسية واليونانية الموجودة في مطبعة الجمهورية . ولكن يبدو أن الأمور لم تسر وفق مشيئة بونابرت ، فما كان منه إلا أن أرسل في السادس من شهر جرمينال عام ٦ الموافق السادس والعشرين من شهر

(١) Canivet (Raoul) : L'Imprimerie de l'Expédition d'Egypte, Bulletin de l'Institut

Egyptien, Série V., Tome III, p. 2.

Chêne 1412

P. 672

Alexandria 1852

COURIER DE L'EGYPTE.

En H. O. N.° 1. er

LE 12 FRACTIDOR, VI. ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre le *Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départements d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Jemna, le 15 messidor. Notre Pacha est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitain-pacha, qui est destinée à faire la guerre à Passerwan. L'armée qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, elle s'est obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pacha. À l'issue de la journée il a été expédié un courrier par un drame-daire, portant au pacha une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet

s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'en est pas un seul Maltaise qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquent notre port. Le vaisseau de guerre le *Dago* et la frégate la *Carthagénoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice-roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres, mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du blé pour la garnison et les habitants pour dix-huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pacha de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de blés et de fruits, et quatre-vingt chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'encadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

مارس سنة ١٧٩٨ ، خطاباً إلى وزير الداخلية يشكو له بطء القائمين على تنفيذ قرار حكومة الإدارة ، ويخص بالذكر مدير الجمهورية والمواطن لانجليس ويرجو من الوزير أن يصدر أمره بإرسال جميع الحروف العربية الموجودة في المطبعة المذكورة عدا قوالها أو أمهاتها على أن يلحق بها المواطن لانجليس ، ويطلب بونابرت من الوزير نفسه أن يأمر بإرسال الحروف اليونانية : أما الحروف الفرنسية فيطلب كميات منها من البنط المعتاد تكفي ثلاث مطابع ^(١) .

ولكن لانجليس رفض أن يتبع بونابرت على الرغم من المحاولات التي بذلها هذا الأخير لإقناعه بالسفر . إلا أن سياسة بونابرت الإسلامية لا يمكن أن تستغنى عن مستشرق يعرف اللغة العربية مثل لانجليس : فكان لابد إذن من التفكير في غيره حتى يكتب لتلك السياسة النجاح التام : وتمكنت الحملة الفرنسية آخر الأمر من اصطحاب عدد كبير من المستشرقين نذكر منهم جوير وحننا يوسف مارسيل :

ويظهر أن معدات مطبعة الجمهورية لم تكن كافية فكلف الجنرال كافارللي بشراء أدوات مطبعية مختلفة بلغ ثمنها عشرة آلاف ومائة وواحد وستون جنياً فرنسياً . ولم يكتف القائد الأعلى للحملة بحروف مطبعة باريس ، بل فكر أيضاً في مطبعة نشر الإيمان التابعة للبابا فأرسل إلى مونج - وكان وقتئذ في تلك المدينة - ليقول له « إني أعتمد على مطبعة نشر الإيمان وعليك ، حتى لو كلفني ذلك صعود نهر التيبر بالأسطول لاصطحبك » .

وفي الخامس والعشرين من شهر فنتوز (١٥ مارس) ، أعلن مونج أنه سيأخذ من جمعية نشر الإيمان ثلاث طابعات مع كل الأدوات اللازمة لإدارتها ، وأنه سيضم لها حروفاً لاتينية وعربية وسريانية وأنه سيجلب بعض عمال الطباعة معه ولكن عددهم لم يكن بالقدر الذي يريده بونابرت ^(٢) .

(١) A. Keller : Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de Napoleon, Tome IV, p. 120, Paris, s.d.

Charles-Roux : Bonaparte Gouverneur d'Egypte, p. 12 et 13.

(٢)

... : لقد وضعت المطبعة في الصناديق وترسل عبر نهر التير إلى سيفيتافيكيا :...
وفي الثامن والعشرين من شهر جرمينال صدر أمر بتأسيس المطبعة الشرقية وبتعيين
مستخدميها وتحديد مرتباتهم : ويحتوى هذا الأمر على اسمي المشرفين على سير
العمل في المطبعة وثلاثة منضدى حروف وثلاثة طابعين : أما المترجم فهو من مدينة
ديار بكر السورية وأحد الملاحظين من دمشق :

وإلى جانب هذه المطبعة الرسمية أذن بونابرت لطابع فرنسى يدعى مارك أوريل
بالحضور إلى مصر بصحبة الحملة ومعه مطبعته :

أما المطابع الرسمية للحملة فقد انقسمت إلى شعبة شرقية يرأسها إيليا فتح الله
من ديار بكر ، وإلى شعبة فرنسية ويرأسها مدير يعمل تحت إمرته ملاحظ وثلاثة
مصصحين وتسعة عشر عاملا : وكانت هيئة المطبعة الشرقية مكونة من مترجم
وملاحظين اثنين وثلاثة منضدى حروف وثلاثة طابعين :

وأطلق على المطبعة الرسمية بشعبتيها ثلاثة أسماء رسمية واسم شعبي فعرفت أثناء
اجتياز الحملة البحر المتوسط بمطبعة الجيش البحرية ، فلما أنزلت في ثغر
الإسكندرية سميت « بالمطبعة الشرقية الفرنسية » : وحين استقر بها المقام في القاهرة
اتخذت اسم « المطبعة الأهلية » : أما من الناحية الشعبية فقد كان الفرنسيون
يعرفونها باسم « المطبعة الحديدية » لأنها وصلت القاهرة بعد مطبعة مارك أوريل
بأشهر :

عين المستشرق حنا يوسف مارسيل على رأس المطابع العربية واليونانية والفرنسية
الملحقة بالجيش : ولما أقفلت العمارة الفرنسية ، كانت المطبعة الرسمية على ظهر
سفينة الأميرالية « لوريان » L'Orient التي كانت تقل الجنرال بونابرت وأركان
حربه :

بيد أن وجود المطبعة على نفس سفينة القائد العام لم يكن وليد الصدفة ،
فبونابرت يريد بها بالقرب منه ليستفيد منها في أية لحظة يشاء : وها هو ذا يأمر بأن
تعمل وهي في البحر لتطبع النداء الموجه لشعب مصر والأمر الموجه للجيش والمؤرخ
في ٤ مسيدور عام ٦ الموافق ٢٢ يونيو سنة ١٧٩٨ وفي ١٠ منه الموافق ٢٨ يونيو :
وتحمل تلك المطبوعات العبارة التالية : « طبع على ظهر لوريان في مطبعة

الجيش البحرية » . ويقول فرانسوا شارل رو إن بونا بورت أمر بطبع البيان العربى إلى الشعب المصرى قبيل احتلال الإسكندرية أى يوم ٢ يوليه . وهكذا نرى أن عمل تلك المطبعة بدأ قبل نزول الحملة إلى البر . ولم يقتصر نشاطها على إخراج بعض النشرات الفرنسية ، بل تجاوزها إلى طبع البيان العربى الذى أذاعه قائد الحملة على المصريين : أما مطبعة مارك أوريل فقد كانت على الفرقاطة « لاجوستيس » La Justice إحدى سفن الحملة . وقامت بطبع البيان الفرنسى المؤرخ فى الثالث عشر من شهر مسيدور (أول يوليه) :

وبعد أن تم لبونا بورت احتلال الإسكندرية ، وقبل أن يزحف منها على القاهرة ، أصدر فى التاسع عشر من شهر مسيدور عام ٦ (١٧٩٨ / ٧ / ٧) أمراً بإنزال المطابع الفرنسية والعربية واليونانية إلى البر وبأن توضع فى منزل وكيل قنصل البندقية بحيث يمكن الطبع بها فى ظرف ثمان وأربعين ساعة . وفى اللحظة التى يتم فيها تركيب المطبعة العربية تطبع أربعة آلاف نسخة من البيان العربى : فأول مطبوع خرج من أرض الفراعنة هو الطبعة الثانية لبيان ١٣ مسيدور المكتوب باللغة العربية والذى تحمل نسخه هذه العبارة « فى إسكندرية من مطبعة الشرقية والفرنساوية » :

ومن المؤكد أن مارسيل هو الشخص الوحيد الذى طبع بالإسكندرية دون مارك أوريل ، ويؤيد ذلك صاحب ترجمة الطابع الأخير الذى يقول « إن مطابعه (أى مطابع مارك أوريل) على الرغم من أن تركيبها قد تم بعد ثمان وأربعين ساعة من احتلال الفرنسيين للمدينة ، فإنها لم تعمل فى الأغلب بل اتجهت رأساً إلى القاهرة^(١) . لقد أديرت مطبعة مارسيل فى الإسكندرية قبل أن يستقر مارك أوريل فى القاهرة باثني وأربعين يوماً : إذ أن الأخير أخرج أول مطبوع له بالقاهرة فى الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ :

ونشر مارسيل وهو بالإسكندرية أبجدية عربية وتركية وفارسية طبعها فى المطبعة الشرقية الفرنسية وتمرينات بالعربية الفصحى للمبتدئين : ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة فوصلها فى حوالى منتصف شهر أكتوبر من سنة ١٧٩٨ :

(١) Cité in Geiss : Histoire de l'Imprimerie en Egypte, Bulletin de l'Institut

Egyptien, 5ième série, Tome I, p. 145.

وظل مقر «المطبعة الشرقية» بمدينة الإسكندرية إلى نهاية عام ١٧٩٨، حيث ظلت المطبعة الوحيدة في مصر التي تطبع بالعربية. وكان كليبر يستخدمها في طبع مطبوعات قيادته بالإسكندرية. ولم تصل المطابع إلى القاهرة إلا في شهر أكتوبر: وظل جزء منها في الإسكندرية اعتبر فرعاً من المطبعة الأهلية.

أما مطبعة مارك أوريل الطابع الفرنسي الحر الذي سمح له بونابرت بالمجيء إلى مصر كما سمح لكثيرين غيره من الفرنسيين، فقد تبعت جيش القائد العام الذي غادر الإسكندرية بعد احتلالها ليزحف إلى القاهرة. ولما تم للفرنسيين احتلال القاهرة ركب «أوريل» مطبعته، وهي أول مطبعة عرفت تلك المدينة منذ أن اخترعت الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر^(١). ويبدو أن إدارة «أوريل» للمطبعة كانت إدارة شرفية. وكان أول ما طبعه أمراً يومياً بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٨ قام بتنضيد حروفه بنفسه. وأصبح لقبه «طابع الجيش». وقد ظل محتفظاً به إلى اليوم الذي رحل فيه عن مصر.

وقام صاحب أول مطبعة بالقاهرة بطبع الأوامر اليومية الصادرة عن القيادة العامة، وصحيفة كورييه ديليجيت ومجلة لا ديكاد إيجسيين. ففي الثامن عشر من شهر فروكتيدور سنة ٦ (١٧٩٨/٨/٢٩) ظهرت في القاهرة أول صحيفة عرفت مصر. وقامت بطبعها مطبعة مارك أوريل. ويلاحظ على الأعداد التي أنتجتها تلك المطبعة أنها رديئة الإخراج كثيرة الأخطاء المطبعية.

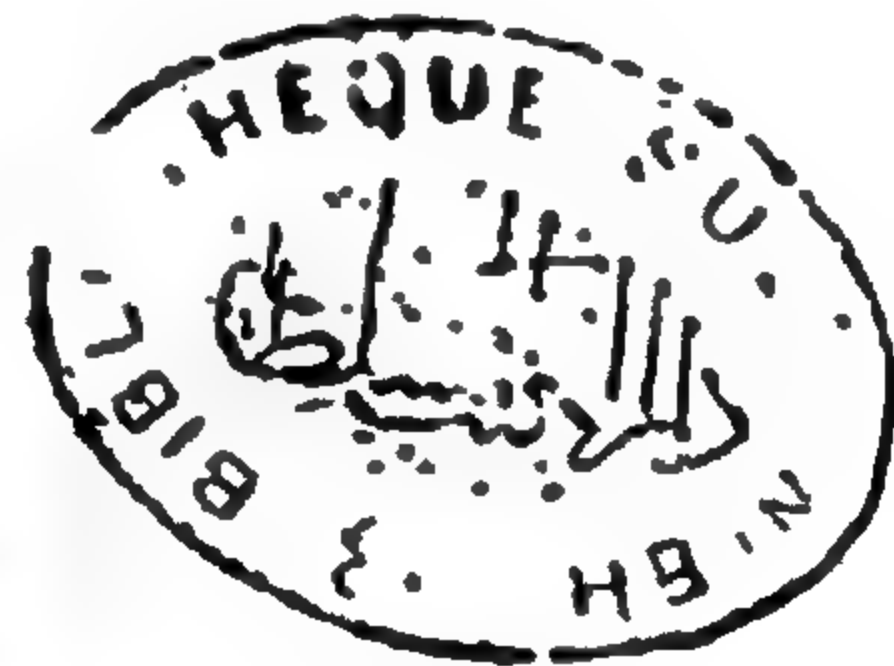
وكف مارك أوريل عن طبع الكورييه في شهر مسيدور عام ٧ لتقوم بطبعه المطبعة الأهلية. وطبعت كذلك مجلة لاديكاد في أول الأمر عند ذلك الطابع الفرنسي. وظهر أول عدد من تلك المجلة في العاشر من شهر فاندميير سنة ٧ (١٧٩٨/١٠/١).

وتبين لبونابرت أن إرسال الأصول العربية إلى الإسكندرية وطبعها هناك أمر

(١) يقول س. ه. ستيانبرج في كتابه «خمسة مائة سنة من الطباعة» المنشور في أدنبره سنة ١٩٥٥: إن بعض اليهود من أبناء إسحق جرسون (أول من طبع في الآستانة)، قد طبعوا كتباً بالحروف العبرية في مدينة القاهرة بين سنة ١٥٦٢ وسنة ١٥٦٦.

**LA DÉCADE
EGYPTIENNE,
JOURNAL LITTÉRAIRE
ET
D'ÉCONOMIE POLITIQUE.**

PREMIER VOLUME.



**AU CAIRE,
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE**

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

الصفحة الأولى من العدد الأول للجلد لاديكاد اجبيين

يحتاج إلى مجهود شاق ووقت طويل . فما كان منه إلا أن أرسل في التاسع من شهر ترميدور عام ٦ (١٧٩٨/٧/١٧) خطاباً إلى الجنرال كليبر بالإسكندرية قال له فيه « أرسلوا لنا مطابعنا العربية والفرنسية . . . »

وانتهى دور مارك أوريل منذ أن ابتدأ نشاط المطبعة الأهلية بالقاهرة. فقد سحب منه بونابرت أولاً طبع الديكاد ، لأنه كان يريد لها متقنة الطبع ، فأمر بتحويلها إلى المطبعة الأهلية التي يديرها مارسيل. وكتب القائد العام إلى ديجنيت يقول: « بما أن المواطن مارك أوريل لا يستطيع طبع الديكاد وبما أنه يطبعها طبعاً رديئاً ، فيمكنك أن تطبعها في المطبعة الأهلية عند المواطن مارسيل ، مع الحرص على إصدارها بانتظام كل عشرة أيام » . والواقع أن مارك أوريل لم يطبع من تلك المجلة إلا أعدادها الثلاثة الأولى ، ثم قامت المطبعة الأهلية بإعادة طبع تلك الأعداد الثلاثة واستأنفت طبع الأعداد التالية .

ولم يكتف بونابرت بسحب الديكاد من مارك أوريل ، بل أمر أيضاً بسحب الكورييه . وهكذا لم يعد أمام ذلك الطابع أى أمل من بقائه في مصر بعد تلك الضربة القاصمة ، فباع مطابعه ومعداته للحملة ورحل إلى فرنسا ^(١).

تلك هي قصة أول مطبعة عرفتها القاهرة . وهي مطبعة ، على الرغم من عيوبها الفنية المتعددة ، استطاعت أن تقدم للحملة الفرنسية أجل الخدمات خلال الأشهر الثلاثة عشر التي عاشتها تحت إدارة صاحبها .

أما المطابع الرسمية للحملة ، فلها قصة أطول وأمتع ، لا لأنها عاشت حوالى ثلاث سنوات بينما لم يعيش غيرها إلا شهوراً ، بل لأنها تركت آثاراً تعلن عنها في كل حين ، ولأن الذين أشرفوا عليها كانوا من المبرزين ، ولأنها استرعت اهتمام قائد الحملة منذ أن فكر في احتلال مصر إلى أن عاد لفرنسا .

وبعد احتلال القاهرة رأى بونابرت أنه في حاجة ماسة لا إلى المطبعة العربية فحسب ، بل إلى المطبعة الفرنسية والمطبعة اليونانية ، فأرسل في طلبها في الحال . وكانت تصل إليه تباعاً وببطء ملحوظ .

وتم اختيار دار عثمان بك الأشقر الكاتبة بميدان الأزيكية مقراً للمطبعة ،

وكان يشغلها المجمع العلمي ، وعرفت المطبعة منذ ذلك الحين « بالمطبعة الأهلية » . ويعود فضل نجاح تلك المطبعة إلى جهود مديرها حنا يوسف مارسيل ، فإنه لم يكن مستشرقاً فحسب ، بل كان صحفياً أيضاً . وقد سهات عليه تلك المهنة الأخيرة الإلمام بالفن المطبعي الذي لم يكن يعرف عنه الشيء الكثير . وكان مارسيل إلى جانب ذلك مؤرخاً من الطراز الأول وموظفاً يؤدي عمله بأمانة وإخلاص . وقد أهلت تلك الصفات مجتمعة صاحبها حنا يوسف مارسيل لتولى إدارة المطبعة الأهلية في مصر ثم إدارة مطبعة الإمبراطورية بباريس .

وبعد أن استقرت المطبعة الأهلية في الدار التي خصصت لها أصدر بونايرت في الرابع عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ أمراً بتنظيمها يتألف من ست مواد :
المادة الأولى : على المواطن كونتي Conti أن يوصي بأسرع ما يمكن على صنع خمسة صناديق لحروف المطبعة العربية .

المادة الثانية : على الجنرال كافارلي أن يضع تحت تصرف مدير المطبعة الأهلية خمسة أولاد يعرفون القراءة ليتعلموا صناعة تنضيد الحروف .

المادة الثالثة : على المواطن فانتور أن يقدم للمطبعة العربية خمسة عمال أتراك^(١) ويحدد أجورهم .

المادة الرابعة : على رئيس المباشرين أن يدفع لمدير المطبعة الأهلية المصاريف التي قام بها .

المادة الخامسة : توضع المطبعة العربية تحت إشراف المواطن فانتور رأساً . ولا يمكن لأحد أن يطبع شيئاً دون الحصول على أمر منه . وعلى المدير أن يقدم له كشفاً يومياً بما طبع وأن يشكو العمال له ، إن هم أتوا ما يدعو إلى ذلك .

المادة السادسة : توضع المطبعة الفرنسية تحت إشراف المواطن فوفليه بورين رأساً . ولا يمكن لأحد أن يطبع شيئاً دون الحصول على أمر منه . وعلى المدير أن يقدم له كشفاً يومياً بما طبع وأن يشكو العمال إليه إن هم أتوا ما يدعو إلى ذلك . غير أن فانتور وبورين اضطرا إلى مصاحبة بونايرت في زحفه إلى سوريا فحل المواطن بوسيلج محلهما في الإشراف على المطبعة .

(١) كان الفرنسيون في ذلك العهد يطلقون اسم تركي على كل شرق ، تركيا كان أم عربياً .

ولما باع مارك أوريل مطبعته في السابع من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى الحكومة الفرنسية ، ضمت إلى المطبعة الأهلية تحت إدارة حنا يوسف مارسيل بميدان الأزيكية . غير أنه عندما اشتعلت ثورة القاهرة الثانية في السادس من جرمينال عام ٨ (١٨٠٠ / ٣ / ٢٥) نقلت المطبعة إلى الجيزة ^(١) . ثم أعيدت إلى القاهرة في أوائل شهر فلوريال عام ٨ ^(٢) (أواخر أبريل سنة ١٨٠٠) في مقرها القديم بميدان الأزيكية . ولما انكسر الجيش الفرنسي أمام الإنجليز والعثمانيين في موقعة كانوب وتخرج مركز الحملة في وادي النيل ، نقلت المطبعة في أوائل شهر جرمينال عام ٩ (أواخر مارس سنة ١٨٠١) إلى القلعة ^(٣) ، يؤيد ذلك الأوامر اليومية المختلفة الصادرة عن قواد الحملة المختلفين ومطبوعات تلك المطبعة نفسها .

وآخر عمل قامت به المطبعة الأهلية بالقاهرة طبع العدد الأخير من صحيفة الكورييه الصادر في العشرين من شهر بلريال عام ٩ واتفاقية الجلاء عن مصر التي وقعها الجنرال بليار . وتعتبر تلك الاتفاقية ملحقاتاً لذلك العدد من الصحيفة .

* * *

أحضر بونابرت معه إلى مصر حروفاً عربية وفرنسية ويونانية وعبرية وسريانية وقبطية واستخدم الحروف الأولى في طبع المنشورات والبيانات التي كانت تلصق على أبواب الحارات وفي نشر بعض النصوص العربية في مجلة الديكاد. أما الحروف الفرنسية فقد استخدمت في طبع أوامر القائد العام اليومية وصحيفتيه وغيرهما من المطبوعات المختلفة . واستعملت الحروف العبرية والسريانية والقبطية في شرح أصول بعض الكلمات العربية في كتاب أمثال لقمان الحكيم الذي وضعه حنا يوسف مارسيل . واستخدمت الحروف اليونانية في طبع البيانات التي كانت توزع على اليونانيين الموجودين في مصر .

واستطاع العلماء الفرنسيون الذين كانوا ضمن الحملة الفرنسية أن يصنعوا الورق بكميات كبيرة مستعينين بالقطن ولحاء النخيل ^(٤) .

Courrier de l'Egypte No. 63.

(١)

Courrier de l'Egypte No. 67.

(٢)

Courrier de l'Egypte No. 109.

(٣)

Amin Wassef : L'Information et la Presse Officielle en Egypte.. p. 87.

(٤)

أما عن الحبر الذى كانت تستخدمه مطابع الحملة ، فليس هناك أدنى شك فى أنه كان يصنع فى مصر ، يؤكد لنا ذلك تايفير عندما يكتب قائلاً : « استبدل مارسيل المواد المستعملة عادة فى صنع حبر المطبعة وفى تنظيف الحروف بمواد أولية استخرجت من البلاد وجهزت بمهارة ^(١) .

* * *

ماذا كان مصير تلك المطابع بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ؟ هل أعيدت إلى فرنسا أم ظلت حيث هى ؟

يقول الفيكونت فيليب دى طرازى إن الفرنسيين تركوا مطابعهم وحروفهم وإن محمداً علياً ، بعد توليه الحكم ، أفرد لها مكاناً فى بولاق حيث أسس أول مطبعة مصرية رسمية ^(٢) . إلا أن داهيران Déherain يخالف هذا رأى إذ يقول إن حنا يوسف مارسيل استطاع بعد تسليم القاهرة أن ينقذ مطابعه ويعيدها إلى فرنسا ^(٣) ويتفق بول دوبون وكانيفيه ^(٤) وإبراهيم عبده ^(٥) مع داهيران . وفى مخطوطات وزارة الحربية الفرنسية خطاب من الجنرال بليار إلى الجنرال برتية مؤرخ فى ١٤ أبريل سنة ١٨٠١ ^(٦) وخطاب من شبتال وزير الداخلية إلى الجنرال بليار مؤرخ فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٠١ ^(٧) . وخطاب من شبتال إلى وزير الحربية فى التاريخ نفسه . وثبتت هذه الخطابات الثلاثة أن مطابع الحملة الفرنسية قد عادت كلها إلى فرنسا ولم يترك فى مصر شئ منها .

تلك هى قصة أول مطبعة عرفت فى مصر ، وهى قصة حافلة على الرغم من قصرها . لقد أدت تلك المطبعة للحملة الفرنسية فى مصر أجل الخدمات على الرغم من عيوبها الفنية الكثيرة .

وقد زارها بعض كبار المصريين كالشيخ المهدي والشيخ الفيومي والشيخ الصاوي

(١) Taillefer : Notice historique et biographique sur Marcel, pp. 6 et 7.

(٢) تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ص ١٤٩ .

(٣) Deherain : Dans Hanotaux "Histoire de la nation égyptienne" Tome V. p. 367.

(٤) Canivet, op. cit. pp. 14-15.

(٥) تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ، ص ٥٧ .

(٦) Ministère de la guerre, Archives historiques, dépôt de la guerre, No. 220.

(٧) المصدر السابق .

(١٢٧)

T E X T E

بِسْمِ اللَّهِ

الرحمن الرحيم

العمد لله رب العالمين
 الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
 اياك نعبد و اياك نستعين
 اهدنا الصراط المستقيم
 صراط الذين انعمت عليهم
 غير المغضوب عليهم ولا الضالين

أنموذج من حروف الطباعة العربية التي استخدمتها مطابع الحملة الفرنسية

والشيخ الفاسي وقد قال الأخير عنها إنها أفضل من مطبعة الآستانة والمطبعة الموجودة في أحد أديرة لبنان . أما الشيخ البكري ، فقد انتظر إلى سنة ١٨٠١ ليزور مطابع مارسيل . وقد وجه عدة أسئلة عن الأثر الذي تركه المطبعة في الحضارة . وقال إن هناك عدداً كبيراً من المؤلفات العربية الجيدة يرجو نشرها .

ولكن يبدو أن عامة الشعب ، بل وأغلب القلة المتعلمة منه ظلت بمنأى عن المطبعة ، تلك الأداة التي لا بد منها لنشر الثقافة بين الناس . وأكبر الظن أن عداء

المصريين للمحتل، حال دون تجاوبهم مع هذه الآلة الجديدة وغيرها من المستحدثات العلمية التي جلبها الفرنسيون معهم إلى مصر . كما أن المدة القصيرة التي مكثها الفرنسيون في البلاد واضطراب الأحوال حالا بلا شك دون إقناع المصريين بفائدة المطبعة ، فلما جلا المحتل ظلت مصر لا تشعر بحاجة إلى هذا الاختراع ما يقرب من عشرين سنة .

Ce Journal paraîtra tous les dix jours. Chaque numéro sera composé de quatre feuilles *in-4.*° environ. L'abonnement est de 9 livres par volume ou trimestre composé de neuf numéros. Chaque numéro pris séparément sera payé une livre ou 28 médins.

Ou s'adresse pour les abonnemens chez le directeur de l'Imprimerie nationale , au Kaire , place Ezbekyéh.

أنموذج من حروف المطبعة الأهلية الفرنسية بالقاهرة

الفصل الثانى

العهد الأول

١٨١٩ - ١٨٤٠

يرجع سبب تأخر عودة ظهور الطباعة فى مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها إلى الفوضى التى عمت البلاد من أدناها إلى أقصاها . فقد ظهر على المسرح بعد خروج المحتل قوى ثلاث أخذت تتنازع حكم مصر . فالأتراك من جهة يريدون استرداد نفوذهم أو سلطانهم الذى انتزعه منهم المماليك منذ أمد بعيد . والمماليك من جهة أخرى يرمون إلى استعادة سيادتهم التى فقدوها بدخول الفرنسيين . ووقف بين هاتين القوتين المتنازعتين الشعب المصرى صاحب البلاد ، واستطاع آخر الأمر أن ينتصر ويفرض على العثمانيين والمماليك والياً توسم فيه الإخلاص لمصر . وهكذا انتهى هذا الصراع الذى دام حوالى أربع سنوات بالمناداة بمحمد على والياً على البلاد .

إلا أن الأمر لم يستتب للوالى الجديد منذ اللحظة الأولى ، إذ كانت أمامه مشاكل عويصة وصعاب عديدة لا بد من حلها . فالمماليك قد اتجهوا إلى الصعيد ليناصبوه العداء ورواتب جنوده لم تدفع لهم ، والسلطان غير راض عن تنصيبه والياً على مصر . ولكن محمداً علياً استطاع بفضل دهائه ومؤازرة الشعب له أن يثبت أقدامه فى حكمه لمصر . ويمكن أن يقال إن حكم تركيا لوادى النيل حكماً فعلياً قد انقضى منذ شهر نوفمبر سنة ١٨٠٦ عندما تثبت محمد على فى ولاية مصر . واطمأن إلى استقرار الأحوال فيها .

اتجه الوالى الجديد إلى توطيد أركان حكمه ، غير أن المماليك فى الصعيد والإنجليز فى الشمال أقلقوا راحته . فقد اضطر إلى أن يذهب إلى المماليك فى أسىوط . ولما نزل الإنجليز بالقرب من رشيد قاومهم الشعب وردهم على أعقابهم . وعكف محمد على بعدئذ على تحصين السواحل ولم يكد يفرغ من هذا كله حتى طلب إليه السلطان فى سنة ١٨٠٩ أن يجهز حملة لتأديب الوهابيين ، فلبى

الطلب بعد أن قضى أولا على المماليك فى مذبحه القلعة سنة ١٨١١ . وسير حملته فى سنة ١٨١٢ ودامت الحرب سجالا بين امصريين والوهابيين حوالى ست سنوات وانتهت بانتصار الجيش المصرى فى سنة ١٨١٨ . ولا شك فى أن هذه الحرب أخرت تنفيذ التنظيمات الجديدة للحكومة واستنفدت ثروة مصر .

ويبدو أن هذا الوالى بدأ يفكر فى إدخال الطباعة إلى مصر منذ سنة ١٨١٥ ، أى عندما فكر فى تكوين جيش نظامى حديث . إذ كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها أصول الحرب وتعليمات توزع عليه وإدارة أو ديوان يشرف عليه وأطباء يعالجون مرضاه ويعنون بجراحاه . وكان لابد إذن من الكتب لكل هؤلاء . وكان لابد من مطبعة أو مطابع تقوم بطبع تلك الكتب . والدليل على ذلك أن أول بعثة أرسلتها مصر كانت فى حوالى سنة ١٨١٥ إذ سافر إلى ميلانو بإيطاليا الشاب نقولا مسابكى « ليتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ويدرس فن الطباعة فيها »^(١) .

أولا : المطابع الرسمية

مطبعة بولاق :

أول مطبعة مصرية عرفتها مصر بعد خروج الفرنسيين . وقد اختلف المؤرخون على السنة التى أسست فيها وعلى الجهة التى استوردت منها . فيقول جورجى زيدان إنها أنشئت سنة ١٨٢١^(٢) . أما أمين سامى (باشا) فهو أكثر دقة فى تحديد تاريخ التأسيس ، إذ يعيده إلى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ هـ (٤ نوفمبر ١٨٢١)^(٣) .

(١) عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ، ثم فى عهد عباس الأول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ص ١٠ .
 (٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٤٧ ، القاهرة سنة ١٩٣٧ .
 (٣) أمين سامى (باشا) : التعليم فى مصر ، ص ١٢ ، القاهرة ١٩١٧ ؛ تقويم النيل الجزء الثانى ، ص ٥٧٨ ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨ .



البرقة العامة كاريه التي تحصل تاريخ ايتا. مطبعة بولاق ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م)

ويتفق جان دوني^(١) مع أمين سامي على هذا التاريخ، كذلك رينولد نيكولسون^(٢)، ولكنه لا يحدد اليوم ولا الشهر. ويرى بعض المؤرخين أن مطبعة بولاق أنشئت في سنة ١٨٢٢ لا في سنة ١٨٢١، ومن هؤلاء أوكتاف ساشو^(٣) والفيكونت فيليب دي طرازي^(٤) وبول دوبون^(٥). وهناك اللوحة التذكارية لإنشاء المطبعة الموضوعة اليوم على المدخل الرئيسي في أعلى الباب^(٦) فقد نقشت عليها ثلاثة أبيات من الشعر التركي وتاريخ سنة ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م). ولا شك في أن هذه اللوحة التذكارية تشير إلى تاريخ البدء في تشييد البناء الذي خصص لإيواء المطبعة. أما ٨ صفر سنة ١٢٣٧ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٨٢١) فهو التاريخ الرسمي الذي افتتحت فيه المطبعة. وهناك أمر من محمد علي إلى كتحذا بك يخطر فيه بأنه عين أحد الهنود لتعليم تلاميذ بولاق الخط وتنضيد الحروف، وأن هؤلاء التلاميذ سوف يتم إعدادهم ليلحقوا بالمطبعة التي ستنشأ في هذه الناحية^(٧). ويحمل هذا الأمر تاريخ ٨ صفر سنة ١٢٣٧. ولو أن المطبعة قد بدأت فعلا في العمل لما استعمل محمد علي عبارة «التي ستنشأ في هذه الناحية» مما يحمل على الاعتقاد أن المطبعة لم تبدأ إنتاجها إلا في سنة ١٨٢٢. ويؤيد هذا الرأي الأخير أمين سامي (باشا) نفسه الذي سبق أن ذكر مرتين أن سنة ١٨٢١ هي السنة التي تأسست فيها المطبعة، إذ يعود فيقول إنها تأسست في سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م). يضاف إلى ذلك أن أول مطبوع خرج من مطبعة بولاق يحمل هذا التاريخ الأخير.

ويرتبط تاريخ إنشاء مطبعة بولاق بتاريخ أول مدير لها : نقولا مسابكي .
ولد نقولا مسابكي بدمشق في أول القرن التاسع عشر^(٨). وقد هاجر أبوه

(١) Jean Deny : Sommaire des Archives Turques du Caire, Le Caire 1930, p. 122.

(٢) Reynold Nicholson : A Literary History of the Arabs, 1930, p. 468-69.

(٣) Octave Sacht : Rapport adressé à S.E.M. Victor Durrui, Paris 1868, Auto-graphie, p. 48.

(٤) فيليب دي طرازي : المصدر السابق ص ٤٩ .

(٥) Paul Dupont : Histoire de l'Imprimerie, Tome II, Paris 1854, p. 604.

(٦) أرجو أن تنقل هذه اللوحة إلى مقر المطبعة الجديد أو توضع في متحف للطباعة ينشأ بمناسبة انتقال مطبعة بولاق إلى أمبابة وتجمع فيه كل الأدوات المطبعية القديمة والكتب الأولى التي طبعت في هذه المطبعة.

(٧) G.Talamas:Recueil de la correspondance de Mohamed Aly Khedive d'Egypte,

Le Caire, Imprimerie Nationale. 1913 Ordre No. 91.

(٨) السجل الأول للمتوفين من أبناء الطائفة المارونية .

من يذلي فنفذ بعض الحروف بالخط من عند
 حله ، فيكون الحرف الأول على مدة سنة
 - ساعات وثمانين عشر ساعة
 وباقي ما بقى من الحروف
 المضافة

٢٥

٢

لقد تم الكتاب بحسن الخلف ، ووجه اللون من الأول الخلف
 ولما انصرف من الامانة ، ووجه ما بالهذه ، وبالنسبة
 وقد تم كتابها ايضا ، بخدمة من اولها الى آخرها
 وقد كان الزمان لنا بسعد ، وديم الحروف بالخط المشهور
 وساعات الزمان بالخط من ، لان الحروف في طبع الحروف
 بسو في لها شئ من الخلف ، واما الله من حديد المذهب
 بحسب المعنى فيها لونها ، وبطبعة بحسب الحروف

ورائق فراغه يوم الاثنين سنة وعشرين من شهر ذي القعدة
 سنة ثمانية وثلاثين ومائتين وانف من المعركة النورية
 على صاحبها افضل الصلاة والتحية

٢

تادى مسابكى من سوريا واستقر في القاهرة هو وأسرته . وقد نزلت هذه الأسرة في الروضة (١) . وكان نقولا شاباً ذكياً فوقع اختيار الوالى عليه لإرساله في بعثة إلى ميلانو بإيطاليا سنة ١٨١٥ ليتعلم فن الطباعة على يد الأستاذ موروزى Morosi . وقد أظهر الشاب نقولا مهارة في الطباعة وحفر الحروف وصبها . وبعد أن أمضى في إيطاليا أربع سنوات عاد إلى مصر وفي جعبته كل ما يتعاقى بفن الطباعة وأخذ يعمل بهمة ونشاط ليعلم أبناء مصر فن صب الحروف وصنع الأبجيات والأمهات . وقد حمل معه عند عودته إلى مصر مجموعة من الحروف العربية ، استعملت أول الأمر ريثما تصب حروف أخرى (٢) .

ولما عاد نقولا مسابكى من إيطاليا هو وثلاثة من زملائه عينوا بمعية عثمان نور الدين (٣) . وأحضر المسابكى معه من ميلانو ثلاث طابعات من طراز الطابعات التي تستخدمها « المطبعة الملكية » ، وحروفاً عربية وتركية وإيطالية ويونانية . وكان يوجد في المطبعة ثلاثة أنواع من الحروف العربية ونوعان من الحروف الإيطالية وكان يساعد المسابكى في العمل أربعة من خريجي الأزهر هم الشيخ عبد الباقي رئيس المسبك ومحمد أبو عبد الله رئيس الطبايعين ويوسف الصنفي ومحمد شحاته رئيسا الصنيفة . أما عدد صفاني الأحرف فاثنا عشر من المصريين وإيطالي واحد لصف الحروف الإيطالية ، ويونانيان لصف الحروف اليونانية .

ولم يكن المسابكى الشخص الوحيد الذي استعان به الباشا على إنشاء المطبعة ، فقد كان للآراء التي أبدأها كل من عثمان نور الدين والأب أنطون رافاييل زكور نصيب كبير في إرساء قواعد تلك المطبعة (٤) .

(١) من مذكرات الأب أنطون مارون من سنة ١٨٢٤ ، كتاب اليوبيل القرنى الثانى للرهبانية الحلبية المارونية في وادى النيل ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ١٧٤ إلى ص ١٧٨ .

(٢) Giuseppe Forni : Viaggio nell Egitto et nell alta Nubia, Milano. Le memorie del Forni furono scritte durante la sua dimora in Egitto dal 1815 al 1840, cite in S. Limongelli; l'arte italiana, p. 14 et 15, Cairo 1911 .

(٣) محفوظات عابدين دفتر ٦ معية رقم ٧٢٥ إلى الكتبخدا في ١٥ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ .

(٤) محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٢٠ و ١٢١ ، القاهرة ١٩٤٨ .

وقد وقع حادث لمسابكى^(١) كاد يقضى على المركز الممتاز الذى كان يتمتع به عند الباشا . فقد أنشأ أحد مدرسى بولاق للهندسة واسمه بيلوتى Billoti ، قصيدة طويلة عنوانها « ديانة الشعوب الشرقية » ، واتفق مع مسابكى على أن يطبع له تلك القصيدة سرّاً وكانت تدعو إلى الكفر بكل دين . وقد استطاع القنصل الإنجليزى سولت Salt أن يحصل على نسخة مطبوعة من القصيدة ويقدمها للباشا الذى أمر بإحراقها فوراً . ولولا تدخل عثمان نور الدين لعوقب المسابكى عقاباً صارماً . وقد أمر محمد على فى ١٣ يولية سنة ١٨٢٣ بعدم السماح لأى أجنبي بأن يطبع كتاباً فى مطبعة بولاق إلا إذا استصدر تصريحاً منه شخصياً .

وظل المسابكى يعمل فى بولاق بهمة ونشاط إلى أن توفاه الله وهو فى ريعان الشباب ، وذلك فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٣٠^(٢) . وكان يطبع فى ذيل الكتب التى صدرت عن بولاق فى عهده العبارة التالية : « تم بحمد الله طبع . . . على يد متولى تدبير الطباعة الفقير المسابكى فى . . . »^(٣) ولم يكن المسابكى المتصرف المطلق فى شئون المطبعة ، بل كان له رئيس مباشر يتولى أمور المطبعة وغيرها من المؤسسات التابعة لديوان الجهادية ، اسمه عثمان نور الدين^(٤) . وعلى أثر وفاة المسابكى عين عبد الكريم أفندى مديراً للمطبعة^(٥) . وكان قبل قدومه إلى مصر « مجاوراً لبيت الله الحرام بمكة المكرمة » . واستخدم فى المطبعة حوالى ثلاث سنوات ثم أحيل إلى التقاعد لتقدمه فى السن ؛ فطلب من الديوان الخديوى أن يعيده إلى مكة هو وأسرته و « أن يعطيه من صدقات ولى النعم كما يعطى أمثاله من المجاورين » وقد وافق الديوان المذكور على الطلب وسافر عبد الكريم أفندى بصحبة أسرته على نفقة الحكومة المصرية^(٦) .

(١) Brocchi Giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto, nella Siria e nella Nubia, p. 370.

(٢) السجل الأول للمتوفين من أبناء الطائفة المارونية .

(٣) راجع كتاب قواعد الإعراب المطبوع ببولاق سنة ١٢٣١ هـ .

(٤) English G. Bethume: A narrative to the expedition to Dongola & Sennar under the command of Ismail Pacha, London 1822, prif., p. VII.

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٨ فى يوم الثلاث سلخ ذى القعدة الحرام ١٢٤٧ .

(٦) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٢ فى يوم الخميس المبارك ٢٢ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .

وكان مستخدمو مطبعة بولاق يعاملون أحسن معاملة ؛ فقد حدث في سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) أن تقدم أحد مستخدمي المطبعة واسمه إبراهيم البغدادي بطلب إلى مجلس مشورة الجهادية يذكر فيه أن بيته في سوق السلاح وأنه مضطر إلى قطع المسافة بين المطبعة الكائنة ببولاق وبينه يومياً ذهاباً وإياباً على الأقدام ، فهو يرجو « بأن يعطى دابة بعليقتها من جانب الميرى » ليؤدي وظيفته على الوجه الأكمل . وقد وافق المجلس على الطلب وأمر بتحرير إعلام من « حضرة بيك أفندى الناظر إلى ناظر السواقى بأن يعطى الرجل المرقوم دابة من جانب الميرى ليحسن رؤية أشغاله في وقتها وإعلام إلى أدهم بيك ناظر المهمات الحربية عموماً بأن يعطيه عليق الدابة المذكورة . . . (١) »

وظلت مطبعة بولاق وغيرها من المطابع الرسمية التي أنشئت بالقاهرة والإسكندرية تابعة لديوان الجهادية إلى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٧ م) حين أنشئ ديوان المدارس . ففي ٥ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ هـ وردت « لائحة تركية موشح عليها بمرسوم عال بشأن تفريق المدارس من ديوان الجهادية (٢) » . وفي سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) صدرت لائحة بتحديد اختصاصات ديوان المدارس الذى أصبح يشرف على المدارس والكتبخانات والمعامل والمتاحف وقناطر الدلتا ومطبعة بولاق والوقائع المصرية ، على أن يضم إليها في المستقبل الهندسة واسطبلات شبرا والزرائب (٣) . ولم تكن وظيفة مدير المطبعة مقصورة على الأعمال الإدارية والفنية الخاصة بالطباعة ، بل كانت تتعداها أحياناً إلى الترجمة . فقد صدر أمر في ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ هـ بإحالة « أعمال إفراغ ترجمة » الوقائع المصرية التي سيضع أصولها رفاعة رافع الطهطاوى « بحسب اللغة العربية في قالب حسن بدون الإخلال بالأصل العربى وتنظيم المواد حسب النظام التركى على حضرة حسين أفندى ناظر المطبعة العامة ، على أن يعد هذا التكليف من اختصاص وظيفته بصفة أصلية (٤) » .

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٦ في يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .
 (٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٠٣ .
 (٣) المصدر السابق ص ١٠٦ و ١٠٧ .
 (٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٥٨٤ في ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ هـ دفتر رقم ٢٠٧٣ ص ٨٢ و ٨٣ .

دوريات
٧١٨



برهات

٧١٨
١٩١٨

وكانت من

في هذا الجناح لاهل

الجهد في الامم والاسماء والاسماء على وجه الحرب والجمع الجهد
كان غير الاصول والوجه من اجتماع جنود ادم المدينتين في مدينة
هذا العالم ومن اختلافهم وحركاتهم ومطالعتهم ومعارفهم
التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا من شدة الاتيان بالبرصا ليدبر
والاخبار والمهارات في العسوية بسبب قتالته بظهور على كفة
الحال والظن وهذا واضح لدى اول الالباب ومن حيث ان الامور
التي هي الخاصة من صالح الناعة والمصلحة في انواع الصانع التي
باستعمالها تاتي الرضا والتبهي لباي الوصول على الرضا وعلى
الاختلاف والاختلاف ما يتبع من الضرر والافسار خصوصا في مصر
بل هي اساس نظام البلدان وقد جردا حلة الطليق حشرت اقتدينا
ولي التمر في تنبها حوالى البلاد في جميعها واعتكالا امورها وتوطيها
وفي نظام القري والبلدان وقاصية سكانها وادبهم ووضع ديوان الجرنال
كاهن من وضعه ان تارة الامور الحادثة الناتج منها السخ والضرر وال
الدوران المذكورين وتقتب وتنتج في نهائياتهم من المع والافسار
اذ انهم هذا ما هو من قوة التبع والضرر وتقتب مانت تصدق القصة
وتقتب من مانت يحصل للضرر هذه الاوقات الحادثة من حضرة
سلطان والتم وان كانت قد جرت في ديوان الخزانة لان لانها لم تكن
عربية لان قارادول التمر ان الاخبار التي تاتي الى الديوان المذكور
تنتج وتقتب منها ما هو مفيد وتنتج حوما مع بعض الامور التي تاتي
بعضها من اكره الامور التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
لكن في كل من تلكا لما هو في ديوان من بعض جهات اخرى وتقتب يكون
كله نتيجة للوصول على القوا والخدمة التي هي مقصود ولي التمر مقربا
لخدمة الامور في القوا والخدمة التي هي مقصود ولي التمر مقربا
والصالح من كون هذا التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
امر القدر في طبع الامور التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
وانتشرت بالوقائع المصرية واهل من اليه

جنودهم الجهد في الامم والاسماء والاسماء على وجه الحرب والجمع الجهد
كان غير الاصول والوجه من اجتماع جنود ادم المدينتين في مدينة
هذا العالم ومن اختلافهم وحركاتهم ومطالعتهم ومعارفهم
التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا من شدة الاتيان بالبرصا ليدبر
والاخبار والمهارات في العسوية بسبب قتالته بظهور على كفة
الحال والظن وهذا واضح لدى اول الالباب ومن حيث ان الامور
التي هي الخاصة من صالح الناعة والمصلحة في انواع الصانع التي
باستعمالها تاتي الرضا والتبهي لباي الوصول على الرضا وعلى
الاختلاف والاختلاف ما يتبع من الضرر والافسار خصوصا في مصر
بل هي اساس نظام البلدان وقد جردا حلة الطليق حشرت اقتدينا
ولي التمر في تنبها حوالى البلاد في جميعها واعتكالا امورها وتوطيها
وفي نظام القري والبلدان وقاصية سكانها وادبهم ووضع ديوان الجرنال
كاهن من وضعه ان تارة الامور الحادثة الناتج منها السخ والضرر وال
الدوران المذكورين وتقتب وتنتج في نهائياتهم من المع والافسار
اذ انهم هذا ما هو من قوة التبع والضرر وتقتب مانت تصدق القصة
وتقتب من مانت يحصل للضرر هذه الاوقات الحادثة من حضرة
سلطان والتم وان كانت قد جرت في ديوان الخزانة لان لانها لم تكن
عربية لان قارادول التمر ان الاخبار التي تاتي الى الديوان المذكور
تنتج وتقتب منها ما هو مفيد وتنتج حوما مع بعض الامور التي تاتي
بعضها من اكره الامور التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
لكن في كل من تلكا لما هو في ديوان من بعض جهات اخرى وتقتب يكون
كله نتيجة للوصول على القوا والخدمة التي هي مقصود ولي التمر مقربا
لخدمة الامور في القوا والخدمة التي هي مقصود ولي التمر مقربا
والصالح من كون هذا التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
امر القدر في طبع الامور التي تاتي في ديوان الخزانة والافسار
وانتشرت بالوقائع المصرية واهل من اليه

طبع في المطبعه المصرية في سنة ١٢٩٨

صورة العدد الأول من الوقائع المصرية

وشيدت مبعدة بولاق على قطعة الأرض التي أنشئت عليها فيما بعد الترسانة الأميرية على ضفة النيل إلى الشمال قليلا من الموضع الحالي للمطبعة في بولاق . ونظراً لزيادة عمالها ومعداتنا فقد نقلت إلى مكانها الحالي ، وكان ذلك في غرة محرم سنة ١٢٤٥ هـ (٣ يولييه سنة ١٨٢٩ م)^(١) . ويؤيد ذلك السيدة لاشنجنون في كتابها الذي تصف فيه زيارتها لبولاق^(٢) . ويصف لنا اللورد لندسي^(٣) موضع المطبعة بالنسبة للمؤسسات الأميرية الأخرى الكائنة ببولاق فيقول : « إن اتجهنا من الجنوب إلى الشمال ، قابلنا الجمرع فالمطبعة ثم ورشة أصبحت فيما بعد مدرسة للهندسة ومصنعاً للأصواف والترسانة » . أما مبنى الجمرع فقد ألحق بالمطبعة وتأتى بعد ذلك مخازن البوليس وورش كوك التي احتلت المكان الذي كان يشغله مصنع الورق : ثم الترسانة آخر الأمر .

وعلى أى حال ، فإن مطبعة بولاق لم تظل على الحال التي كانت عليها عند تأسيسها . فقد طلب قاسم أفندى ناظرها في سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) من أدهم بك ناظر المهمات الحربية إلحاق مخزن التجارة القديم بمبنى المطبعة « ليكون فيه السبك وسائر الأشغال ، وإجراء الترميمات التي تتعاق بهذا التوسيع » وعرض أدهم بك الطلب على مجلس المشورة العسكرية الذي قرر أن يقوم وكيل الأبنية وقاسم أفندى برئاسة أدهم بك « بإعداد ما يلزم لهذا المشروع »^(٤) . وهكذا تم توسيع مطبعة بولاق للمرة الثانية في ظرف عشر سنوات أو أكثر من ذلك قليلا . وقد وضع في المبنى الحديد الحطب وخصص جزء منه للسبك وبني سقف للجزء المكشوف من المطبعة . وانتهزت المشورة العسكرية الفرصة فأمرت بتعمير الشبائيك وترميم « المحلات اللازمة ترميمها » .

وفي ٦ ربيع أول سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) ، أى بعد حوالى سنتين من انتهاء

(١) Albert Geiss : Histoire de l'Imprimerie en Egypte, 2ième partie, "L'établissement typographique du pacha. Les débuts de l'imprimerie de Boulac". Bulletin de l'Institut Egyptien T. II p. 198. 1908.

(٢) Lushington (Mes. Charles) : Narrative of a journey from Calcutta to Europe by way of Egypt, in the years 1827-1828, London, John Murray, 1829, p. 168 et sq.

(٣) Lord Lindsay : Letters on Egypt, Edom and the Holy Land, Vol. I, London, Henry Colburn, 1838, p. 59.

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٣٥ في يوم الأحد ٢٦ صفر الحير سنة ١٢٤٩ .

التوسيعات والإصلاحات السابقة ، صدر أمر من الوالى إلى ناظر الخير والجبس ، عملاً بمشورة المهندسين لينان أفندى وسليمان أفندى ، بأن يقوم ببناء رصيف أمام مطبعة بولاق وقابوينة الجوخ قبل الفيضان « وقاية لهاتين المصاحبتين من الغرق » . ويشير الوالى بإرسال ٢٠٠,٠٠٠ قنطار من الدبش على وجه السرعة^(١) ، مما يثبت أن المطبعة كانت قريبة جداً من ضفة النيل ولولا ذلك لما كان هناك داع لهذا الاهتمام بالإسراع فى بناء الرصيف .

ولم تكن مطبعة بولاق مطبعة حروف فحسب ، بل كان يوجد فيها مطابع حجرية^(٢) . أما الورق فكان يستورد من إيطاليا عن طريق ليفورن ، كذلك حبر الطباعة ، إلا أنه صار يصنع بالقاهرة بعد إنشاء المطبعة بوقت قليل^(٣) .

وقد استوردت حروف المطبعة أول الأمر من أوروبا غير أنها استبدلت بعد ذلك بحروف مصنوعة فى مصر لما تبين عدم صلاحيتها . ويأمر الوالى الكتخدا محمد لازاوغلى بك فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (١٨٢١ م) بتعيين خطاط هندى « له معرفة وإلمام ببعض اللغات . . . لتعليم الفارسى والخط للشبان الموجودين بمعية عثمان أفندى سقه زاده ببولاق » ويرى الوالى أن يكلف ذلك الخطاط بصنع الحروف التى ستطبع بها الكتب ببولاق^(٤) . ويشاهد الباشا كتاباً مطبوعاً بتلك الحروف ، وهو « رسالة اللغم » ، فيجدها « لطيفة الخط والطبع » ويأمر كتخذه محمد لازاوغلى بك بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤ م) بترتيب الماهية . المناسبة الأوسطى الحفار وإبقائه بالبصمة خانة وإرفاق بعض تلامذة معه لتلقى هذه الحرفة وتنبهون عليه بذلك^(٥) .

وكانت إدارة المطبعة شديدة الاهتمام بالحروف ، فلما عين عبد الكريم أفندى ناظراً لبولاق كلفه الوالى بطبع كتاب القاموس « وائناً لطبع إسلامبول » . وقد حضر إلى المطبعة لهذا الشأن « كتخدا أغا والبيك ناظر المهمات الحربية عموماً

(١) أمين سامى (باشا) : تقويم النيل ، الجزء الثانى ، ص ٤٤٠ .

(٢) Lushington : op. cit., p. 168 et sq.

(٣) Brocchi : Giornale esteso in Egitto, nella Siria e nella Nubia Vol. I Bassano

1841 p. 137.

(٤) محفوظات عابدين من دفتر نمرة ٩ وجه ١٧ عين ٨٨ ، مخزن ٢ تركى ترجمة .

(٥) محفوظات عابدين من دفتر نمرة ١٨ وجه ١٧ عين ٨٨ ، مخزن ٢ تركى ترجمة .

وأبو القاسم أفندى الخطاط وعبد الوهاب أفندى المصحح . وعرضت على المذكورين صحيفة من ذلك الكتاب « فوجدوا فيها بعضاً من الحروف محتاجاً إلى التصليح وبعضاً يلزم له التغيير » ، فطلبوا إلى عبد الكريم أفندى أن يصنع عدداً من الحروف فأجابهم إلى ما يريدون . غير أن أبا القاسم أفندى قال لناظر المهمات الحربية إن في استطاعته أن يقوم بصنع الحروف جميعاً بمساعدة رجلين من الحكاكين . فيقرر مجلس المشورة تكليف راغب أفندى ناظر الدفترخانة بامتحان المذكورين « ليتبين لديه من يصلح منهما للدار الطباعة . . . لأن هذه المصلحة مصلحة عظيمة (١) » . وهكذا نرى أن البت في أمور المطبعة لم يكن اعتباراً . فإن صادف ناظر المطبعة أو مديرها مشكلة من المشاكل ، قدمها تَوّاً إلى ديوان الخديو الذى يحيلها على مجلس المشورة فيكون هذا الأخير لجنة تبحث الأمر بحثاً دقيقاً وترفع نتيجته إليه ليقرر فيه ما يراه مناسباً . وقد ظلت حروف الطباعة مشكلة مطبعة بولاق زمناً طويلاً .

ويتلقى مجلس مشورة الجهادية خلال سنة ١٢٤٧ هـ طلباً من « رجل أفرنجهي اسمه دويده » يذكر فيه أن الحروف الموجودة في المطبعة ناقصة وأنه على استعداد لتعليم عمال المطبعة طريقة صنعها . وقد وافق المجلس على الطلب ورتب له « سبعمائة وخمسين قرشاً شهرياً ومائة وأربعين قرشاً بدل تعيين في كل شهر وخمسمائة قرش ثمن كسوة في كل ستة أشهر » . وبدأ المذكور عمله في المطبعة من اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ١٢٤٧ (٢) . ويعنى مجلس الجهادية عناية خاصة برغبات العمال الذين يقومون بصنع الحروف ويسهر على راحتهم فيرسل « حضرة بيك أفندى ناظر الجهادية إلى حضرة الأفندى مأمور الديوان الخديوى لينبه على مهرباشى بأن يفرش « أوضة أبي القاسم أفندى الكيلانى بالشيت » إذا كان فرشها لازماً . وكان أبو القاسم أفندى يقوم بتقديم الحروف التى يصنعها في كل أسبوع إلى مجلس الجهادية (٣) .

وفى عهد عبد الكريم أفندى أجريت تعديلات على طريقة سبك الحروف .

(١) الوقائع المصرية ، نمرة ٣٥٨ فى يوم الاثنين ٩ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٦٠ فى يوم الأحد ١٥ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٠ فى يوم الأربعاء ١٠ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .

فقد كانت المسابك مركبة على قوائم من خشب مما يجعلها تبلى بسرعة . وكان أن طلب عبد الكريم أفندى من محمد بيك أمير اللوا « أن يعمل لسبك الجداول والحروف أربعة مسابك من الطوب الأفرنجي ، لأنها إن عملت منه تصبر بالقلة قدر خمسة أشهر » . . ووافق أمير اللوا على هذا الاقتراح ، بعد أن عرضه على مجلس الجهادية الذي قرر الكتابة إلى أمين أفندى ناظر الأبنية « بأن يعمل المسابك المذكورة حسبما ذكر سريعا^(١) » .

ولم ينته موضوع سبك الحروف عند هذا الحد . وها هو ذا قاسم أفندى يعود مرة أخرى إلى مجلس الجهادية ليخبره بأن « آباء الجروف وأمهاها اللازمة للمطبعة قد بذل جهده في خدمتها » وهو يطالب بأن يعطى رتبة مكافأة له على الجهود التي بذلها . ويقرر المجلس « تطيب خاطره » عندما ينتهى فعلا من سبك حروف التعليق « لأنه صاحب فنون متنوعة ومتصف بالعلم والعمل »^(٢) . وينتهى قاسم أفندى من المهمة التي أسندت إليه في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ ويطلب إلى المجلس « أن يعطى ملزمة ليحرب فيها الحروف التي عملت جديداً بمعرفته » فيأمر المجلس عبد الكريم أفندى ناظر المطبعة بأن يعطيه « الملزمة » المذكورة ليجرى تجاربه عليها^(٣) .

وعلى الرغم من الفراغ من سبك تلك الحروف ، فقد ظلت المطبعة معنية بأمرها ، تعامل القائمين عليها معاملة خاصة : فقد حدث أن وصل إلى علم الوالى أن العامل الذى يقوم بصنع الحروف الفارسية قد ضرب ضرباً مبرحاً بناء على أمر قاسم أفندى الذى أصبح مديراً للمطبعة ، فغضب كل الغضب وكتب إلى سامى بك يطلب إليه أن يستدعى العامل المذكور ويختبره جيداً فيما إذا كان فى استطاعته صنع هذه الحروف كما ينبغى ، وأن يخبره إن كان من المناسب إخراج قاسم أفندى من المطبعة^(٤) .

ويبدو أن حروف التعليق التي قام بصنعها قاسم أفندى لم تلق قبولا لدى أولى

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤٠٧ فى يوم الأحد ٢٣ صفر الخير سنة ١٢٤٨ .
 (٢) الوقائع المصرية نمرة ٤١٠ فى يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٨ .
 (٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٣٤ فى يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ .
 (٤) ترجمة الأمر العالى رقم ٣٦٢ دفتر رقم ٥٦ ص ١١٨ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ ، محفوظات عابدين .

الأمر ، أو أنها على الأقل لم تكن لتكفي أعمال المطبعة كلها . وآية ذلك أنه صدرت إفادة إلى باغوص بك في ١١ رمضان سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) تستفسر عما تم في حروف التعليق التي أرسل في طلبها من أوروبا ، وتطلب إليه الإسراع في إرسالها حال وصولها إلى مصر^(١) . وكانت المطبعة قد بعثت إلى باغوص بك « بأوراق عينات خط التعليق^(٢) » . ويتضح من ذلك أن خطوط تلك الحروف كانت تعمل في مصر لا في أوروبا . وكان في مطبعة بولاق مجموعات من الحروف الأفرنجية والتركية والعربية والفارسية التي صبت في باريس^(٣) . فمطبعة بولاق لم تستطع أن تستغنى تماماً عن مسابك الحروف الأوروبية لفترة طويلة من الزمن :

وكان عدد طابعات بولاق في سنة ١٨٣١ ثمانية استوردت جميعها من باريس^(٤) . وكانت مطبعة ديوان الوقائع المصرية بالقلعة تستورد طابعاتها ولوازمها من مطبعة بولاق . فإذا تعطلت آلة من الآلات أرسلت إلى بولاق وحل محلها آلة أخرى حتى لا يتعطل طبع الوقائع . وكان في دار الطباعة ببولاق قسم لإصلاح أدوات الطباعة وصيانتها^(٥) .

ولم يكن قسم التجليد في المطبعة كامل المعدات حتى ٤ رمضان سنة ١٢٥٢ هـ (١٣ ديسمبر سنة ١٨٣٦) . فقد أرسل الوالي إلى مختار بك ناظر ديوان المدارس ، يقول إن مدير المطبعة أخبره أن حسن الإسكندراني المجلد الذي تعين في المطبعة بعد عودته من أوروبا لا يصلح لشيء . وقد ادعى المجلد الجديد أن المطبعة خالية من الأدوات اللازمة للتجليد^(٦) .

ويأخذ المستشرقون على المطبعة عدم عنايتها بالإخراج . فالصفحة الأولى التي كان يجب أن تخصص لاسم الكتاب واسم مؤلفه فقط^(٧) قد حشيت بمقدمة

(١) أمين سامي (باشا) : تقويم النيل ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Michaud (J.) et Poujoulat (M.) : Correspondance d'Orient (1830-1831)

Bruxelles 1841. Tome VII, p. 80 Lettre CLII.

(٤) المصدر السابق .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٤١ في يوم الخميس ١٦ شهر شعبان المكرم سنة ١٢٤٧ .

(٦) G. Talamas : op. cit. Ordre No. 756 4 Ramadan 1252 p. 290.

(٧) Reinaud : Journal Asiatique 2e. série T. VIII 1831 "De la gazette arabe

turque imprimée en Egypte p. 342.

طويلة ذكر فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط عادى ، مثله فى ذلك مثل سائر الحروف التى صفت بها أصول الكتاب جميعها . وهى تحاكى بذلك الكتب المخطوطة التى كان ناسخوها يتبعون فى كتابة الصفحة الأولى الطريقة نفسها .

ولم يكن فى مطبعة بولاق حتى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) سوى مصصح واحد اسمه عبد الوهاب أفندى ^(١) . ثم رأى نظراً لزيادة أعمال المطبعة ، تعيين أربعة آخرين « لأجل أن يكونوا له معاونين فى هذه الخدمة » . وكان المصحح يعين على سبيل الاختبار لمدة محدودة ، فإن أثبت صلاحيته للعمل أعطى مرتباً شهرياً قدره ثلاثمائة وخمسون قرشاً ^(٢)

و « لما كان تمييز الخطأ من الصواب فى كتب الفنون المتنوعة التى تطبع بدار الطباعة من الأمور التى لا بد منها » ، فإن مجلس الجهادية كان يعمل دائماً على البحث عن مصصح « من ذوى العلم والفضل بحيث يكون مكتسباً للمعارف » . ولم يكن العثور على مصصح كفء من الأمور السهلة . وكان البحث يستغرق أحياناً الشهور الطويلة ^(٣) .

ولا تعامل مطبعة بولاق مصححيها على قدم المساواة ، فهناك مصححون مشهورون كالشيخ عبد الرحمن السفطى ، يعين لهم أربعمائة وخمسون قرشاً مرتباً شهرياً ^(٤) . ومن مصححي بولاق فى تلك الحقبة من تاريخها السيد شهاب الدين إسماعيل المصحح الأول لطبوعات بولاق فى سنة ١٨٣٦ .

أما عمال المطبعة فكان عددهم حوالى الأربعين ^(٥) . وكان العامل لا يقبل فى المطبعة إلا بعد أن يختبر اختباراً عملياً . وكان العمال الفنيون يتقاضون أجوراً أعلى من تلك التى يتقاضاها العمال العاديون . وكانت أجور الأجانب ثلاثة أضعاف أجور المصريين . فقد حدث أن تقدم أحد العمال المصريين بطلب قال فيه إن فى استطاعته الرسم والكتابة على أحجار الطباعة وأنه على استعداد لأن يحل

(١) الوقائع المصرية نمرة ٣٤١ فى يوم الخميس ١٦ شهر شعبان المكرم سنة ١٢٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٥٠١ فى يوم الأحد ١ من ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٨ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٠ فى يوم الخميس المبارك ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .

(٥) Bulletin de la Société de Géographie de Paris 1825, p. 42.

محل الرسام الأفرنجي القائم بنفس هذا العمل على أن يتقاضى نصف أجره . فقرر مجلس المشورة استدعاء هذا العامل « إلى المطبعخانه » وامتحانه ، فإن وجد أنه قادر على أن يحل محل العامل الأفرنجي أعطى ثلث شهرته « لأن سبب كثرة شهرية هذا تركه لبلده واستيطانه هنا وأما ذاك فهو في مصر . : (١) »

وإن ظهر لمجلس الجهادية أن العمال يقومون بعملهم كما ينبغي بادر بزيادة « شئ » على شهرتهم جبراً لحاظرهم « مع إخبارهم أنهم » كما زادوا مهارة في العمل ازدادوا تقدماً (٢) . وإن احتاجت المطبعة إلى رجال « قارئين كاتبين » بادرت بإخطار أمير اللوا وناظر المهمات الحربية ، فيقوم الأخير بعرض الأمر على مجلس الجهادية الذي يتصل « بحضرة شيخ الجامع الأزهر » ليدبر للمطبعة العدد المطلوب من العمال ، فإن لم يتوفر هذا العدد ، أرسل في طلبه من مدرسة قصر العيني (٣) . ولما كان « الغلمان الذين يأتون من طرف حضرة شيخ الجامع الأزهر لا يصالحون لأشغال المطبعة وقت مجيئهم » فقد تقرر تحويلهم إلى مكتب قصر العيني « ليكتسبوا المهارة في القراءة والكتابة » (٤) .

وكان كل عامل من عمال المطبعة يأخذ كسوته من ديوان الجهادية « إن دخل وقتها وأن أوانها » (٥) . وكانت هناك فئة من العمال لا تتقاضى مرتبات شهرية ثابتة وهي فئة عمال التوضيب . وهؤلاء يتقاضون مائة نصف فضة على كل ألف صحيفة زيدت إلى مائة وعشرين نصفاً على شرط « أن يجتهدوا في خدمتهم ولا يتركوا شغل يوم لما بعده » (٦) .

وكانت طائفة المجلدين لا تتقاضى كذلك مرتباً ثابتاً شأنها في ذلك شأن طائفة الموضيين . وكان المجلد يتقاضى اثنين وخمسين قرشاً وعشرين نصفاً عن تجليده مائة وخمسين كتاباً . ويقتضى صرف هذا الأجر أن يتقدم المجلد بطلبه إلى مجلس مشورة الجهادية الذي يقوم بسؤال ناظر المطبعة وناظر الجهة التي أرسلت إليها الكتب

-
- (١) الوقائع المصرية بولاق مصر نمرة ٥٨ يوم الاثنين في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ .
 - (٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٢٨ في يوم الثلاثاء ٨ شهر رجب سنة ١٢٤٧ .
 - (٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٣ في يوم الأربعاء ١٧ ذي القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .
 - (٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٨ في يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .
 - (٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٨٥ في يوم الخميس ٢٣ من ذي الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .
 - (٦) الوقائع المصرية نمرة ٤٢٦ في يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ .

المجلدة ثم يصدر أمره إلى ناظر المطبعة بصرف المبلغ إلى المجلد^(١) .
 وكان بعض الطابعين يعملون أيضاً بالمقاولة . فإن زاد الكتاب عن الحجم العادى ، كما حدث عند طبع كتاب القاموس سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) ، رتب لهؤلاء العمال « شهرية مثل شهرية المشايخ الذين أخذوا من القصر العينى . . . إلى أن يتم طبع الكتاب المذكور » . وكان العامل من هؤلاء يتقاضى مرتباً شهرياً قدره مائة وعشرون قرشاً^(٢) . وكان العامل الذى يرسل من مكتب قصر العينى إلى المطبعة ليتعلم صنعة جمع الحروف لا يتقاضى أجراً إلا إذا شهد له ناظر المطبعة بأنه « قد اكتسب المهارة فى فنه » فيحرر « إعلام من حضرة بياك أفندى ناظر الجهادية إلى عبد الكريم أفندى (ناظر المطبعة) أن يقيد له شهرية كأمثاله بالدفتر^(٣) » . وإن أذنب أحد العمال بادر ديوان الخديو بإرسال تقرير عن المذنب إلى مجلس مشورة الجهادية ليحقق فيه ، فإن ثبت جرمه حرر « إعلام من حضرة بياك أفندى الناظر إلى حضرة أمير اللواء أدهم بياك ناظر المهمات الحربية عموماً إشعار له بأن يؤدبه . . . »^(٤) .

وكان على الشخص الذى يريد الالتحاق بالمطبعة أن يقدم « عرضاً للمشورة العسكرية يذكر فيه أنه مكث فى تحصيل العلم بمدرسة قصر العينى مدة من الزمن ثم خرج منها متقاعداً » . وكان على المشورة العسكرية أن تسأل ناظر دار الطباعة عن مقدم الطلب فإن أجاب بأنه يعرف القراءة والكتابة وبأنه يصاح للمطبعة بادر مجلس المشورة العسكرية بتحرير إشعار إلى ناظر المهمات الحربية عموماً « بأن يعرف ناظر دار الطباعة باستخدامه وتقييده فى الدفاتر كأمثاله »^(٥) .

وطبعت صحيفة الوقائع المصرية أولاً فى مطبعة بولاق حتى ٢٦ صفر سنة ١٢٤٩ ثم رثى أن تطبع فى مطبعة ديوان الوقائع بالقلعة لتكون قريبة من مقر الحكومة . وظلت تطبع هناك إلى أن تقرر مرة أخرى أن تنشر فى مطبعة بولاق .

-
- (١) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٢ فى يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ .
 (٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٩٨ فى يوم الخميس ٢٩ من المحرم الحرام سنة ١٢٤٨ .
 (٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٠٥ فى يوم الثلاثاء ١٨ صفر الخير سنة ١٢٤٨ .
 (٤) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٧ فى يوم الأحد ٤ جمادى الآخر سنة ١٢٤٨ .
 (٥) الوقائع المصرية نمرة ٥٣٧ فى يوم الأحد ٣ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ ونمرة ٥٤١ فى يوم الاثنين المبارك ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .

وبدأت المطبعة في الطبع على حساب الأفراد منذ سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م)^(١) وكان على الملتزم إن أراد طبع أى كتاب أن يأتى بمن يكفله لدى إدارة المطبعة^(٢).

وكان الرأى يتضايق كل المضايقة من الأخطاء المطبعية ، خاصة إن كانت هذه الأخطاء فى الوقائع المصرية . ومنعاً لتكرارها أمر كاتب ديوانه سابقاً وناظر مجلس الشورى حالا بأن ينزل إلى المطبعة ويطلب جميع المشتغلين فيها ويمتحنهم ويحقق معهم ليعرف المخطئ . وكان المصحح ينسب خطأه إلى الطابع والطابع ينسب خطأه إلى المصحح . وتم الاتفاق آخر الأمر على أن يقوم المصحح بمراجعة المسودات وإرسالها إلى المطبعة بعد أن يمهرها بإمضاءه . فإن وقع أى خطأ بعد ذلك يجب مطابقة عدد الوقائع المطبوع على المسودة المصححة ، فإن ظهر أن الخطأ من المصحح ، أعيد طبع العدد على نفقته وإن ظهر العكس أعيد الطبع على نفقة مدير المطبعة^(٣) .

وفى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) تم طبع أول كتاب موسيقى على الحجر . وقد عين لهذا الغرض أحد المختصين فى الموسيقى وأرسات إليه من بولاق ملزمة بحجر ليباشر عمله . إذ تبين لمجلس الجهادية أن طبع مقامات الموسيقى « موجب لسهولة التعليم^(٤) » .

وبلغت مصروفات المطبعة سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) ٣٥٠ كيساً ، وهو مبلغ لا بأس به إذا قورن بمجموع مصروفات الدولة البالغ ٣٩٩٨١٤ كيساً^(٥) . ويمكن أن يقال إنه منذ صدور الوقائع المصرية فى سنة ١٨٢٨ أخذت مطبعة بولاق تتقدم بخطى واسعة فزيدت أدواتها ومعداتنا وتضاعف عدد عمالها وكثر إنتاجها وعم النشاط جميع أرجائها . وكانت أثمان كتبها تراوح بين ٣١٠ قروش مثل كتاب مثنوى شرحى الذى يقع فى ثلاثة أجزاء . وهو مترجم من الفارسية إلى

(١) الوقائع المصرية ٦ شوال سنة ١٢٥٢ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٦١٩ فى يوم الأحد المبارك ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٤ فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٢٤٤ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٤٩ فى يوم الأربعاء ٦ شهر رمضان المعظم سنة ١٢٤٧ .

(٥) F. Mengin : Histoire sommaire de l'Egypte p. 155 Paris 1838.

التركية ، وبين قرش واحد مثل كتاب علم حال التركي^(١) .
وكانت مطبوعات بولاق تباع في حانوت كائن بالقرب من خان الخليلي
صاحبه مصطفى وأحمد الكتبيان . وكانا يتقاضيان عن البيع نصفين من الفضة
في كل قرش ، وهو جعل بسيط لا يتناسب وما يبذلان من مجهود ، فرفعا أمرهما
إلى مجلس الجهادية الذي قرر زيادة نسبة ربحهما نصفاً ثالثاً . « لأجل أن يجتهدوا
في البيع اجتهداً بليغاً^(٢) » .

واهتم الوالى حين أرسل البعثة المصرية إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦^(٣) بأن
يتخصص بعض أعضائها في فنون الطباعة المختلفة ، مثل حسن الوردانى الذى بعث
هو ومحمد أسعد ليتعلما فى الطبع والحفر^(٤) .

وقد زار مطبعة بولاق عدد كبير من الأجانب . وكان لكل من زارها رأى
خاص فيها . وكان بروكى الإيطالى أول أجنبي يزورها وقد أعجب بها كل الإعجاب
واسترعى انتباهه النظام والنظافة ولفت نظره رحابة المقر . وقد تمت هذه الزيارة في
١١ ديسمبر سنة ١٨٢٢ . أى في السنة التى بدأت خلالها المطبعة نشاطها الفعلى .
ومن الأجانب الذين زاروا مطبعة بولاق في عهدها الأول المستشرق الفرنسى
رينو . وقد أظهر عدم رضاه عن فنها . وتوسم لها الخير بعد عودة أعضاء البعثة
المصرية من فرنسا^(٥) .

وزارت المسز تشارلز لاشنجتون تلك المطبعة . وكان ذلك في اليوم العاشر
من شهر فبراير سنة ١٨٢٨ . وقد أبدت إعجابها بمديرها وبكل شئ رأت أثناء
الزيارة . ولكن يبدو من البيانات غير الصحيحة التى ذكرتها تلك السيدة في
وصفها للمطبعة أنه ليس من الصواب الاعتماد عليها إن أريد تقييم هذه المؤسسة في
عهدها الأول .

(١) عن تقرير بورنج Report on Egypt & Candia ١٨٣٩ تعريب الدكتور محمد
فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل في « بناء دولة مصر محمد على » ص ٦٨ إلى ٦٨٣ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٦٥ في يوم السبت ٢٨ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٣) Jomard : Journal asiatique p. 107 2ième série tome 2 1828.

(٤) عمر طوسون ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٥) Reinaud : op. cit. p. 333-334.

(٦) Mrs. Charles Lushington : op. cit. p. 168 et sq.

وزار مطبعة « الباشا » في سنة ١٨٣٠ السائحان الفرنسيان كادلفين وبروفيري^(١) وقالوا إن طبعها جيد إلى حد ما . وزارها في سنة ١٨٣١ السائح بوجولا وكان من رأيه أن تنشر كتباً في جغرافية مصر وتاريخها وآداب اللغة العربية بدلا من التماذي في نشر كتب الطب والفنون العسكرية كما لاحظ قلة عدد المقبلين على شراء مطبوعات بولاق التي كانت تتكدس في المخازن لأنها لا تفي بحاجات العصر الحاضر ولا تتفق وعقلية الشعب الذي يجب تعليمه وتنويره^(٢) .

وقد اهتم بمطبعة بولاق جون باورنج^(٣) فيذكر في تقريره الذي كتبه في سنة ١٨٣٣ مصروفات المطبعة ويعطى بعد ذلك قائمة طويلة بمطبوعات بولاق وأسعارها .

ويهتم إدوار ولیم لين^(٤) بمطبوعات بولاق أكثر من اهتمامه بالمطبعة ، وقد زارها في سنة ١٨٣٦ . ويقول إن محمداً علياً أنشأها لطبع الكتب العسكرية المختلفة والعلوم المدنية .

وزار اللورد لندسي المطبعة في السنة نفسها وقد سره ما رأى عليه عملها من نشاط . ويبدو لنا أن حال المطبعة في سنة ١٨٣٦ كان أفضل مما كانت عليه في سنة ١٨٣١ ، فقد عاد في تلك الأثناء أعضاء البعثة التي أرسلها محمد علي سنة ١٨٢٦ . ولا بد أن تكون مطبعة بولاق قد استفادت من خبرتهم مما حمل اللورد لندسي^(٥) على إطرء مطبوعاتها والإشادة بنشاط عملها .

وسواء رضى هؤلاء الأجانب عن مطبوعات بولاق أم لم يرضوا : فالحقيقة التي لا تقبل المناقشة أن كتب تلك المطبعة كانت مطبوعة طبعاً واضحاً لا غبار عليه . وعلى الرغم من إنشاء مطبعة بولاق ، فقد ظلت حركة بيع الكتب فاترة ولم يقل

(١) E.D. de Cadalvène et J. Breuvery : L'Egypte et la Nubie, Tome I Paris 1841. p. 87.

(٢) Michaud et Poujoulat : op. cit. p. 80-87.

(٣) John Bowring : Report on Egypt and Candia p. 45 et sq. p. 135, 142, 144 et sq. London 1840.

(٤) Ed. Wil. Lane : An account of the manners and customs of the modern Egyptians, London 1944, Every man's library, p. 563.

(٥) Lord Lindsay : Letters on Egypt Edom & the Holy Land Vol. ,I London 1838, p. 59.

عدد الذين كانوا يعملون في نسخ الكتب .

وقامت مطبعة بولاق إلى جانب طبعها الكتب المختلفة بطبع القوانين واللوائح والمنشورات نذكر منها القانون التركي المطبوع سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) وقانون الزراعة المطبوع سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) . وطبعت أيضاً التقاويم المختلفة مثل « جداول موقع عقرب الساعة على الشهور القبطية ، المطبوعة سنة ١٢٤١ (١٨٢٥ م) و « معربة سنة شمسية » أى مقابلة السنة الشمسية بالسنة القمرية والتقويمات من عمل يحيى أفندى الحكيم . وكانت مطبعة بولاق تطبع دفاتر الدواوين وأوراق التمغة .

ولم تكن مطبعة بولاق المطبعة الوحيدة في مصر خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٤١ ، فقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة ألحق بعضها بالمدارس والبعض الآخر بالديوان . وكانت مطابع المدارس تقوم بطبع الكتب العلمية المختلفة بعد ترجمتها إلى اللغة العربية .

مطبعة مدرسة الطب بأبي زعبل :

كانت هذه المطبعة بلاشاك أول مطبعة رسمية أنشئت بعد مطبعة بولاق . فقد أصدر الوالى أمره بإنشاء مارستان بأبي زعبل يتسع لأكثر من ١٥٠٠ مريض تحت إشراف طبيب . ويقوم بالعمل معه مائة تلميذ من أبناء مصر ويساعده عدد من الأساتذة . وأمر الوالى باستحضار الكتب الطبية والأسرة والأدوية ، وبدأت الدراسة في غرة شعبان سنة ١٢٤٢ الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٨٢٧ وعين الدكتور كاوت بك رئيساً على تلك المدرسة (١) .

والمدرسة عبارة عن مبنى كبير بأربعة أوجه . ويشتمل كل جناح منها على صفين من الغرف بينهما دهليز . أما الجناح الأخير فقد خصص للمرضى من الضباط ولقاعة دروس تتسع لمائتى تلميذ ومطبعة حجرية يعمل فيها عمال مصريون لطبع ترجمات أجود المؤلفات الطبية ولوحات التشرح وهم ينقلونها أحياناً نقلاً

(١) الوقائع المصرية العدد الثامن في ١٤ شعبان سنة ١٢٤٤ .

غاية في الدقة ^(١). وتحتوى المطبعة أربع طابعات ^(٢) مما يدل على أنها لم تكن من المطابع الصغيرة إذا قورنت بمطبعة بولاق. ويبدو أن مطبعة أبي زعبل ظلت تطبع بوساطة الحجر حتى سنة ١٨٣٣ على الأقل، ذلك أن كتب الطب كانت لا تخلو من الرسومات الإيضاحية التي لم يكن في الاستطاعة نقاها إلا بالطباعة الحجرية لعدم اكتشاف وسيلة الحفر على الزنك بعد.

ويشكو كلوت بك من قلة عدد الخطاطين الذين يقومون بكتابة الدروس الطبية على حجر المطبعة، وينهى إلى مجلس الجهادية « أن أوقات الأفندية تمر عبثاً » ثم يطلب أن يرسل إليه على عجل « كاتبان بالعربي تكون كتابتهما حسنة ويرتب لكل منهما مائة وخمسة وعشرون قرشاً شهرياً ». وقد قام مجلس الجهادية على الفور بفحص نماذج من خطوط « الأفندية الذين يحرون خط الرقعة بقصر العيني ^(٣) ».

وكانت مطبعة أبي زعبل تزود بعمال من مطبعة بولاق، فقد أرسلت إليها المطبعة الأخيرة في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ثمانية عمال بتعيينهم على أن يقوموا بطهي طعامهم بأنفسهم. ولما كان إعدادهم لطعامهم سوف « يحصل منه تعطيل لأشغالهم ». فقد طلب كلوت بك إلى مجلس الجهادية أن يصرف هؤلاء تعيينهم من مطبخ المستشفى مثلهم في ذلك مثل سائر الذين يعملون في تلك المؤسسة. وقد وافق المجلس على إرسال التعيين مطبوخاً « لكيلا تحصل سكتة في أشغالهم ^(٤) ».

وكان عمال مطبعة أبي زعبل يعطون « كأقارنهم المستخدمين بمطبعة بولاق كسى من الجوخ وشيلانا من الديمي وسجادات من الصوف ^(٥) ».

وعمل مصمحيناً في تلك المطبعة السيد أحمد الرشيدى والسيد حسن غانم الرشيدى والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ محمد عمران الهراوى.

وأغلقت مطبعة أبي زعبل أبوابها في سنة ١٨٣٧ عندما قر الرأى على نقل مدرسة

(١) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery op. cit. pp. 182 et 183.

(٢) St. John (James Augustus) : Egypt & Mohamed Ali Vol. II London 1834

page 402.

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٢ في يوم الاثنين ١٥ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧.

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٥ في يوم الثلاثاء ٢٣ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧.

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٤١١ . في يوم الثلاثاء ٣ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٨.

الطب من أبي زعبل إلى قصر العيني^(١) . وقد توقفت المطبعة عن العمل منذ ذلك التاريخ وأحيلت أشغالها إلى مطبعة بولاق التي قامت بطبع كتب الطب بالحروف المتفرقة .

مطبعة الطوبجية بطره :

يرجح أن تكون قد أنشئت في نفس السنة التي فُتحت خلالها مدرسة الطوبجية . أى، في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م)^(٢) . وذلك لنشر الكتب والقوانين باللغة التركية والعربية على رجال الجيش^(٣) وإنجازاً للأعمال اللازمة للنظام الجديد . ومن مطبوعات تلك المطبعة كتاب « الكنز المختار في كشف الأراضى والبحار » وهو مختصر في الجغرافيا على السؤال والجواب . قام بتصحيحه الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى وأنجز طبعه سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) . وطبع بتلك المطبعة أيضاً كتاب « كايلا ودمنة » سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

وتذكر الوقائع المصرية أن ديوان الجهادية صرف للكولونيل سيجوارا ناظر المدرسة « حجرين من أحجار الطبع وحجرين من حجارة الصقل وست أقات من حبر البصمة وخمسين قلماً من أقلام البصمة وزجاجتين من ماء الكذاب ورطلا من الصمغ . . . »^(٤) . وجميعها من الأدوات والمواد التي كانت تستعمل في الطباعة الحجرية . ويبدو أن المطبعة لم تعيش طويلاً . ولا بد أنها كانت تقوم بطبع الدروس التي كانت تلقى على تلاميذ مدرسة الطوبجية ، وبعض الكتب المتعلقة بالفنون الحربية المترجمة عن اللغات الأوروبية .

مطبعة ديوان الجهادية :

لما تعين عثمان نور الدين مديراً للمدرسة الحربية ببولاق ، كان بها مطبعة حجير

(١) عبد الرحمن الراقى : عصر محمد على ، ص ٣٦٠ .
 (٢) أمين سامى (باشا) : تقويم النيل الجزء الثانى ، ص ٣٨٢ .
 (٣) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الثانى ص ٢٣٧ .
 (٤) الوقائع المصرية ، نمرة ٤٥٠ في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .



كتاب الكنز المختار . مطبوع في مطبعة مكتب الطوبجية سنة ١٢٥٠ هـ

عرفت باسم مطبعة الجهادية لطبع الكتب التركية والعربية والفارسية وصحيفة أسبوعية تصدر بالعربية والإيطالية^(١). وقد اختير عمال تلك المطبعة من بين عمال مطبعة بولاق الذين أمضوا فترة طويلة في التمرين : وكان هؤلاء العمال يعاملون المعاملة نفسها من حيث المرتبات والتعيين^(٢). وكانت مطبوعاتها غاية في الإتقان ؛ فإن صحف التعليمات التي كانت قد طبعت طبعاً رديئاً في إحدى مطابع الحجر ، قد أعيد طبعها طبعاً جيداً في مطبعة ديوان الجهادية^(٣).

وفي سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣) أفرد في ديوان الجهادية مكان « عمل نصفه مطبعة ونصفه الآخر محلاً للمتقاعدین » . وتكلفت أعمال البناء سبعة عشر ألفاً وخمسمائة قرش^(٤). وقامت تلك المطبعة بطبع الجريدة العسكرية في مستهل حملة الشام سنة ١٨٣٣^(٥). وطبعت رسالة في علاج الطاعون تأليف كلوت بك وغيره من الكتب الطبية والعسكرية . ونظراً لأن مطبعة الجهادية كانت تكلف الدولة نفقات لا فائدة منها ، فقد تقرر في رمضان سنة ١٢٥١ نقلها إلى مطبعة بولاق وضمها إليها^(٦).

مطبعة الديوان الخديوي :

لا يعرف على وجه التدقيق التاريخ الذي أنشئت فيه هذه المطبعة ، ولو أننا نرجح أنها تعود إلى ما قبل سنة ١٢٤٨ هـ بقليل ، ومهما يكن من أمرها ، فقد كانت تقوم بطبع الأوراق الخاصة بديوان الخديوي . وقد زادت أعمالها في سنة ١٢٤٨ هـ عما كانت عليه قبلاً ، الأمر الذي حدا برئيسها أن يطلب من الديوان المذكور

(١) توفيق اسكاروس : تاريخ الطباعة في وادي النيل ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرين ، مارس ١٩١٤ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٩٦ في يوم الأحد ٢٥ من المحرم الحرام سنة ١٢٤٨ هـ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٣٣ في يوم الاثنين ٢٩ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٠ في يوم الخميس المبارك ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ هـ .

(٥) محفوظات عابدين ، وثيقة رقم ١٣ أصل ٤٣ مسلسل دفتر ٧٩٨ ديوان خديوي ص ٢٥

في ١٨ محرم سنة ١٢٥٠ م .

(٦) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧١ معية تركي ، ترجمة الأمر رقم ١٠ مسلسل بتاريخ

رمضان سنة ١٢٥١ من الجناح العالي إلى برهان بك .

« أن يعطى عدة مكملة اللوازم من ثلاثة رجال لإدارتها من مطبعة بولاق وقاية للمصالح من التعطيل ^(١) ». وقد وافق الديوان على ذلك . ولم نتوصل إلى معرفة تفاصيل أخرى عن تلك المطبعة . إلا أننا نرجح أنها هي التي عرفت فيما بعد بمطبعة القلعة وطبعت فيها الوقائع المصرية حيناً من الزمن .

مطبعة القلعة :

هي على ما نظن مطبعة ديوان الخديو نفسها التي كانت تقوم بطبع الجرنال الخديوى قبل إنشاء الوقائع المصرية في سنة ١٨٢٨ م ^(٢) . ولم نعر على ما يحدد تاريخ إنشائها . وقد زارها في سنة ١٨٣٠ السائحان الفرنسيان كادلفين وبروفيري ^(٣) ، فكتبنا عنها أنه « يمكن اعتبارها فرعاً من مطبعة بولاق . وهي تطبع بين آن وآخر بعض الكتب في التاريخ والشعر . ومصير تلك الكتب هو نفس مصير الكتب المطبوعة في بولاق ، فإنها لا تكاد تخرج من المطبعة حتى تكس في المخازن حيث تتلف لأن أحداً لا يهتم بشرائها ولا يفكر في قراءتها إن فرض واشتراها . وهذه الكتب لا تتفق وعقلية الشعب والبلد اللذين يراد تعليمهما والنهوض بهما » .

وقد زار تلك المطبعة في أول ديسمبر سنة ١٨٣٢ السائح الإنجليزى سانت جون ، فقال عنها إنها « مطبعة صغيرة ليست لها أدنى أهمية ، ولو كانت في أى مكان آخر غير مصر لما استرعت الأنظار ، فالطابعة وغيرها من الآلات . . . من نوع ردىء . . . وعدد صفافى الحروف والطباعين قليل . ولكن يبدو لى أنهم أذكاء وعلى دراية حسنة بفهم . أما الأصول التي يصفون حروفها فهي مكتوبة باليد وبخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة ، الشيء الذي لا يتاح لصفافى الحروف بأوروبا إلا فيما ندر ، فالأسطر متسعة والتصحيح واضح لا لبث فيه ^(٤) » . وطبعت مطبعة القلعة صحيفة الوقائع المصرية من العدد ٥٣٥ الصادر في ٢٦

(١) الوقائع المصرية ، نمرة ٤٤٣ : في يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ .

(٢) محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery : op. cit. Tome I pp. 99, 100 et 101.

(٤) St. John (James Augustus) : Egypt & Mohamed Ali or Travels in the Valley

of the Nile. London, 1834, Tome I p. 129-130.

صفر سنة ١٢٤٦ هـ (١٥ يونيه سنة ١٨٣٣) إلى العدد السادس الصادر في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٦١ هـ (٣ يوليه سنة ١٨٤٥) . وطبع في تلك المطبعة أيضاً قانون نامه ، وكان ذلك في سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) . ووزع هذا القانون على المديرين ونظار الأقسام والأشوان ونظار الدواوين والمصالح الميرية والسودان والحجاز وكريد^(١) .

مطبعة رأس التين بالإسكندرية:

هي أول مطبعة رسمية عرفتها الإسكندرية بعد مطبعة الحملة الفرنسية . ويشمل تصميم ترسانة الإسكندرية الذي وضعه سريزي بك والذي وافق عليه الوالى في ٩ يونيه سنة ١٨٢٩ ، مبنى يضم مخزن الحكومة ومطبعة حجر وحروف . ومكاتب . ويقع ذلك المبنى بالقرب من ورشة حدادة الأحواض وورشة الحدادة الكبرى ومعمل المزاليج والبرادة^(٢) . ولم يشر التصميم الذي وضع لترسانة مدينة الإسكندرية قبل سنة ١٨٢٩ إلى أي مبنى خاص بالمطبعة أو إلى وجود مطبعة في تلك الجهة بالذات^(٣) ، مما يرجح أن مطبعة رأس التين تأسست بعد ذلك التاريخ بسنة أو سنتين على الأكثر . ولا يذكر السائحان الفرنسيان كادلفين وبروفري شيئاً عن مطبعة رأس التين حين هبطا الإسكندرية في يناير سنة ١٨٣٠ ، ولكنهما يصفان الجريدة الفرنسية التي كانت تصدر في ذلك العهد بالثغر باسم المونيتور Le Moniteur Egyptien ويقولان عنها إنها تأسست بعد حرب الشام لترد على المونيتور أوتومان ، Le Moniteur Ottoman ، تلك الجريدة التي أمر السلطان بإصدارها^(٤) . ويتكلم باورنج في تقريره عن تلك الصحيفة ، ولكنه لا يذكر المطبعة التي كانت تطبع فيها^(٥) . ولا يشير السائح الإنجليزى سانت جون بكلمة إلى المطبعة التي طبعت الصحيفة الفرنسية المذكورة^(٦) . وعلى أي حال فإننا نرجح أن تكون مطبعة رأس التين

(١) محمد على (الأمير) : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمتفوق له عباس باشا الأول ص ٢٨ .

(٢) كلوت بك : لحة عامة إلى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، الجزء الثاني ، ص ٣٦٧ بدون تاريخ .

(٣) كلوت بك : المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٤) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery : op. cit. p. 12.

(٥) محمد فؤاد شكرى إلخ . . . ص ١٢٢ و ١٢٣ .

(٦) St. John : op. cit. p. 358.

هي المطبعة الوحيدة التي أنشئت في الإسكندرية حوالى سنة ١٨٣٢ ،
وأنها المطبعة التي قامت بطبع المونيتور إجبسيان . وفي مكتبة المطبعة الأميرية
ببولاق كتاب إنشاء تركى مطبوع في ١٦ ربيع أول سنة ١٢٤٩ هـ باللغة التركية
ويقع في ١٠٣ صفحات ، وذكر فيه أنه طبع بمطبعة ولي النعم محمد علي في
السراى بالإسكندرية بتصحيح عزيز أفندى ، وأصدرت المطبعة نفسها في
سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) كتاب تاريخ نابليون ترجمة حسن أفندى ، وقام
بتصحيحه عزيز أفندى . وطبعت المطبعة عدة كتب أخرى . وقد اقتضى الأمر
إرسال مطبعة حروف جديدة من بولاق إلى الإسكندرية ليأتى الطبع سريعاً
وأنيقاً^(١) .

ولم نتوصل إلى معرفة السنة التي توقفت فيها تلك المطبعة عن العمل ولو أننا
نرجح أن تكون قد أغلقت في أواخر حكم محمد علي شأنها في ذلك شأن عدد كبير
من مؤسسات ذلك العهد .

مطبعة مكتب الموسيقى :

وكان في مكتب الموسيقى مطبعة حجرية لطبع النوتات الموسيقية الخاصة بالجيش
ولم يكن في تلك المطبعة قسم للتجليد . ولكن إن كان هذا المكتب بحاجة إلى مجلد
قدم طلباً إلى المشورة العسكرية لترسل إليه « رجلاً بكافة لوازمه من دار الطباعة
الكائنة ببولاق^(٢) » .

مطبعة جزيرة كريد :

لم تكتف الحكومة القائمة في ذلك الحين بإنشاء المطابع في مصر ، بل ذهبت
تنشئ المطابع في الخارج . ففي سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م) صدر أمر بتأسيس
مطبعة في كريد لطبع جريدة « وقائع كريدية » . وقد صفت الحروف التركية

(١) محفوظات عابدين دفتر ٥٠ معية تركى ، وثيقة رقم ٤٨٢ في ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٤٨
من المعية السنية إلى حبيب أفندى .

(٢) الوقائع المصرية في يوم الخميس ٢٣ صفر الحير سنة ١٢٤٩ .

في مصر . أما الحروف اليونانية فقد طلب إلى مصطفى باشا محافظ كريد « أن يجتهد في الحصول عليها من مصر أو من كريد أو بلاد المورة . وبعد إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف ، أرسلت الحكومة « على أفندى جام إلى كريد لخدمة الوقائع التي ستطبع فيها » . وسافر أيضاً إلى تلك الجزيرة على أفندى انفندرى معاوناً للأول لمعرفته « أصول الطبع »^(١) . وكان في المطبعة عدا الموظفين المذكورين ، حسين أفندى وشمس الدين رئيس الجماعين وحمام « أوسطة الماكينة » وحسين رفيق رئيس الجماعين وسيد عمر رفيق « أوسطة الماكينة » وعفيفي الجماع^(٢) . وقد أرسل جميع هؤلاء من مطبعة بولاق بعد أن زيدت مرتباتهم^(٣) تشجيعاً لهم على السفر إلى كريد . وكان عمال تلك المطبعة العشرة يعاملون معاملة حسنة وكانت تصرف لهم « كسبى من الخوخ . . . مثل كسبى الرجال المستخدمين في مطبعة بولاق^(٤) » ، وكانت كريد إن احتاجت إلى بعض الأدوات أرسلت طلباً إلى « مجلس مدينة خانية الكائنة بجزيرة كريد » الذي يحولها إلى الديوان الخديوى ، وهذا يرسلها إلى مجلس المشورة . وحرصاً على عدم ضياع الوقت كانت المطبعة ترسل أحد معاونيها ، ومعه الطلب ، إلى مصر فيقوم بعمل الإجراءات اللازمة ويقفل راجعاً إلى كريد^(٥) .

ولم تعش مطبعة كريد طويلاً ، فقد اضطرت إلى أن تغلق أبوابها : حين توقف إصدار صحيفة وقائع كريدية .

ومن المطابع التي أنشئت في ذلك العهد مطبعة المهندسخانة . ففي سنة ١٨٣٤ أسست الحكومة مدرسة في بولاق لتعليم الهندسة وألحقت بها مطبعة لطبع الدروس التي كانت تلقى على تلاميذها .

(١) محفوظات عابدين وثائق رقم ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ دفتر رقم ٤٠ معية تركية ، ووثيقة رقم ٤٨٠ دفتر ٤٠ معية تركي في ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٦ هـ ، ووثيقة رقم ٧٥٩ ديوان الخديوى ٨ ربيع سنة ١٢٤٦ هـ . G. Talamas : op. cit., ordre 426. 22 Mai 1831.
(٢) محفوظات عابدين ، دفتر ٧٥٩ ديوان الخديوى وثيقة رقم ١٩٨ في ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٦ هـ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٩ في يوم الخميس ٢ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .
(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٨٤ في يوم الثلاثاء ٢١ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .
(٥) الوقائع المصرية نمرة ٤٢٩ في يوم السبت ٢٠ شهر ربيع الآخرة سنة ١٢٤٨ .

وفي ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) بعث مجلس مدينة رشيد إلى محافظ رشيد لإنهاء يرجوه فيه « أن يطلب من مأمور ديوان خديوى المحروسة إرسال ما كينة طبع بكامل أدواتها ونقرين طباعين إلى رشيد لطبع قرارات المجلس وخلافها من الأوراق والمستندات (١) » .

وأنشأت الحكومة كذلك مطابع حجرية في مديرية القليوبية ومديرية البحيرة وفي الوجه القبلى وفي مديرية المنوفية وفي مديرية الشرقية وفي الدقهلية وفي الأقاليم الوسطى . كما أرسلت مطبعة حجرية إلى دمشق الشام (٢) .

ثانياً : مطابع الأجانب

كان لاهتمام الحكومة المصرية بالاسكندرية أثر كبير في انتعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية مما شجع الأوربيين على النزوح إليها والاستقرار فيها . وكان عدد سكان ذلك الشجر ثمانية آلاف ، فبلغوا في سنة ١٨٣٠ ستين ألفاً (٣) . كان لا بد إذن ، وقد ازدهرت الحال بالاسكندرية وكثر عدد الجاليات الأوربية فيها . من أن يفكر أحد أفراد تلك الجاليات في تأسيس مطبعة . ولم يمكن على الرغم من الأبحاث التي أجريت معرفة اسم صاحب تلك المطبعة وتاريخ إنشائها . والدليل الوحيد على وجودها قصيدة مطبوعة فيها بالإنجليزية في وصف مصر عنوانها Egypt, a descriptive poem تأليف هنري سولت . قنصل إنجلترا في مصر حينذاك . وقد ذكر على الكتاب أنه طبع بالاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٢٤ على يد إسكندر دراجى بالمطبعة الأوربية . وقد يكون إسكندر دراجى هذا صاحب المطبعة وقد لا يكون .

(١) مخطوطات عابدين دفتر رقم ٧٦٢ خديوى تركى ، وثيقة رقم ٢٢٥ ، ص ١٣٩ بتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ ، من مجلس رشيد إلى محافظة رشيد .
(٢) مخطوطات عابدين دفتر ٦٦ معية تركى ترجمة أمر الجناح العالى المؤرخ في ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٥١ الصادر إلى خورشيد باشا ، رقم ٣٦٥ مسلسل .
(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء السابع ، المجلد الثانى ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

والقصيدة مليئة بالأخطاء المطبعية التي إن دلت على شيء فهي تدل على أن الصنف الذي قام بصنف حروفها ، كان لا يجيد هذا النوع من العمل ويجهل اللغة الإنجليزية .

وأكبر الظن أن المطبعة الأوربية هذه ، لم يكن قد مضى على تأسيسها وقت طويل حين طبعت قصيدة القنصل الإنجليزي الذي يذكر في المقدمة القصيدة التي صدر بها كتيبه أنه قام بطبعه ترويحاً للنفس وتشجيعاً للمطبعة .

وهناك كتاب مطبوع في إنجلترا سنة ١٨٣٥ ألفه ولكنسون وعنوانه Topography of Thebes & General view of Egypt وقد ذكر مؤلفه في المقدمة أنه كان ينوي طبعه بالإسكندرية لولا تفشى وباء الكوليرا و وفاة صاحب المطبعة سنة ١٨٣٠ . ومن المرجح أن تكون المطبعة التي يشير إليها ولكنسون هي نفس المطبعة التي أخرجت قصيدة سولت . ويبدو أنها كانت المطبعة الأجنبية الوحيدة في مصر وظلت كذلك فترة طويلة من الزمن ، إذ أن الأوربيين في مصر لم يكونوا حتى سنة ١٨٤١ قد وصلوا إلى الدرجة التي تدعوهم إلى عدم الاستغناء عن المطابع .

ثالثاً : مطابع المصريين

وإن كان الأوربيون في مصر قد افتتحوا المطابع منذ سنة ١٨٢٤ تقريباً ، فإن المصريين تبعوهم في حوالي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٧ م) . ففي تلك السنة أخرجت مطبعة عبد الرازق كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجائب ويعرف أيضاً بتذكرة داود الأنطاكي للشيخ داود الأنطاكي . أما تاريخ إنشاء تلك المطبعة فغير معروف ، ولو أنه من المرجح ألا يكون قبل سنة ١٢٥٤ هـ بكثير . إن حالة مصر الثقافية والاجتماعية لم تكن لتساعد أو لتشجع الناس على جلب المطابع والاتجار بالمطبوعات ، يضاف إلى ذلك أن مطبعة بولاق كانت ترحب بطبع مطبوعات الأفراد بأسعار معقولة وكانت تنشر الإعلانات في الوقائع ترغيباً للناشرين فيها ، فلم يكن من السهل إذن على فرد من الأفراد أن يخاطر بفتح مطبعة

ينافس بها مطبعة الحكومة وغيرها من المطابع الرسمية التي أنشئت في القاهرة والأقاليم .

* * *

ظلت إذن الطباعة في مصر حتى سنة ١٨٤٠ معتمدة كل الاعتماد على الحكومة ، ذلك أن الشعب نفسه لم يصل بعد إلى درجة من الرقي تجعله يشعر بفائدة هذا الاختراع . وإن المحاولات التي بذلت من جانبه لم تكن جدية . أما الحكومة فقد بذلت جهوداً صادقة فبعثت الشبان إلى إيطاليا وفرنسا ليتعلموا الفن المطبعي على أصوله . واهتم أولو الشأن بعمال المطابع وأجزلوا لهم العطاء ليشجعوهم على العمل بإخلاص . وكان نصيب حروف الطباعة من اهتمام الحكومة كبيراً فأنشأت لها المسابك وكوفئ السباكون على ما بذلوه في هذا المضمار . ولم تقتصر المطابع على القاهرة والإسكندرية بل انتشرت أيضاً في عواصم المديريات وكانت معظم تلك المطابع حجرية .

الفصل الثالث

تدهور يتلوه تقدم

١٨٨٢ - ١٨٤١

أولا : المطابع الرسمية

انهارت أحلام محمد علي بعد معاهدة لندن . وكان لهذا الانهيار أثره في مقومات الحضارة المصرية الحديثة ، بما في ذلك المطابع التي أنشئت بين سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٤٠ . وقد زار يتس^(١) القاهرة في سنة ١٨٤٢ ويستنتج من وصفه لمطبعة بولاق أنها كانت تمر بفترة من الركود .

وقد أعيد إصلاح المطبعة وتوسيعها في سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) ، كما جاء في بيان المصروفات التي قام بها ديوان المدارس في شهر ربيع الآخر^(٢) . إلا أن هذه الإصلاحات كانت طفيفة جداً وكانت أقل بكثير من تلك التي شاهدها المطبعة بعد إصدار الوقائع المصرية .

وقد انخفض أيضاً عدد العمال فأصبح مائة وتسعة وستين ، بما في ذلك « السعاة والسقاين والخدم^(٣) » . ويبدو أنه وصل إلى حوالي المائتين في أوج حكم محمد علي للبلاد .

وعلى الرغم من الفتور الذي أصاب مطبعة بولاق فإنها كانت أفضل نسبياً من مطبعة الآستانة من حيث عدد الكتب التي كانت تطبع في كل منهما^(٤) . إلا أن تكاليف الطبع كانت باهظة . واقتصرت أعمال المطبعة على طبع بعض الكتب المدرسية والدفاتر والسجلات الخاصة بمختلف دواوين الحكومة وإداراتها .

(١) Yates (W.H.) : The Modern history and condition of Egypt Vol. II p. 361 London 1843.

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٦٤ في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ .

(٣) محفوظات القلعة ١٣٦٢٢ - ٢٥ عين ٢٧ - سنة ١٢٦٤ هـ .

(٤) A. Peron : Lettres sur les écoles et l'imprimerie du pacha d'Egypte, Journal

Asiatique 4e. série, Tome II, p. 5-53 Paris 1843.

وكانت مصر قبل معاهدة لندن ، ترسل كتبها المطبوعة إلى تركيا لتباع هناك ، ثم انعكست الآية بعد ذلك وأصبحت الآستانة هي التي ترسل كتبها إلى مصر . ولم يكن نظام الطبع في المطبعة على ما يرام في أواخر حكم محمد علي ، فقد انتهى في يناير سنة ١٨٤٥ الدكتور بيرون والشيخ التونسي من مراجعة أصول قاموس الفيروزبادي ، وشرع المسيو والماس Walmas في الاتفاق مع المطبعة على طبعه^(١) . وتمر الأيام والشهور ونصبح في شهر يولييه ولم ينته الدكتور بيرون والمسيو والماس من الاتفاق مع المطبعة ويضطر الأخير إلى السفر إلى الإسكندرية لمقابلة الباشا بنفسه لعله يستطيع أن يحصل منه على الأمر بمباشرة الطبع . وتمر الأيام والشهور مرة أخرى ويدخل شهر أكتوبر ولا يستطيع الدكتور بيرون مع ذلك أن يحدد موعد البدء في طبع القاموس . لقد كان الوالي قبل سنة ١٨٤٠ يهتم بكل صغيرة وكبيرة في المطبعة فيصدر أمره بين الحين والآخر إلى ناظر المطبعة ليطلب منه أن يوافيه ببيان « الكتب الجارية طبعها وبعدها الملازم التي تنتهي يوميا والأنفار الشغالة التي تشتغل في طبعها مينا به العملة الشغالة بالمقاولة أو بالماهية مع بيان ماهيات المصححين لضرورة لزوم ذلك بطرفه^(٢) » .

وكان الوالي يعتبر المطبعة أداة من أدوات الدعاية لحكمه ، فإن هبط مصر أحد كبار الأجانب ، بادر بدعوته إلى زيارة المطبعة وقدم له نسخة من كل الكتب التي طبعت فيها على سبيل الهدية^(٣) . وفي ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤ م) « صدر أمر محمد علي باشا إلى مدير ديوان المدارس باختيار ثلاث نسخ من كل كتاب « من الكتب النفيسة التي طبعت في مطبعة مصر والتي سبق إرسالها إلى أوروبا وتجليدها وتذهيبها وإرسالها لطرفنا وخصم الثمن على طرف الديوان لترسل بمعرفة أرتين بك مدير التجارة والأمور الخارجية لصاحب الجلالة ملك فرنسا بصفة هدية^(٤) » وأهدى محمد علي بعض مطبوعات بولاق « إلى صاحب الحشمة ملك

(١) Lettres du Dr. Perron à Mr. Jules Mohl à Paris Editées au Caire par Yacoub

Artin Pacha 1911, p. 89 et sq. Lettre du 14-1-1845.

(٢) من محمد علي إلى فاتح أفندي ناظر المطبعة في ١٥ صفر سنة ١٢٥١ ، أمين سامي (باشا) ، تقويم النيل ، الجزء الثاني ، ص ٤٣٨ ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨ .

(٣) Mission du Baron, de Boislecote, p. 61, 1833.

(٤) أمين سامي (باشا) : المصدر السابق ، ص ٥٧٩ .

الروسيا » بعد أن أمر بفرزها وتجليدها وتذهيبها ^(١) .

وابتداء من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤ م) أصبح يُعطى للمترجم الذى قام بترجمة كتاب طبع فى بولاق « على نفقة الميرى » خمس نسخ منه . وكانت العادة المتبعة قبل ذلك أن يعطى المترجم نسخة أو نسختين إن طلب ذلك وألح فى الطلب ^(٢) . أما الكتب غير المترجمة فلم تكن تهدي إلا لأصحاب الحل والربط من المصريين والأجانب على شرط أن تكون قد طبعت على نفقة الدولة . وكان قناصل الدول يهتمون اهتماماً خاصاً بمطبوعات بولاق . وكان الوالى يرسل إليهم ، بين الوقت والآخر ، حسب طلبهم ، كشفاً بتلك المطبوعات « من تركى وعربى وخلافه ويتوضح به الذى صار طبعه للميرى والذى لأربابه وأسعار البيع ... » ^(٣) . كما أن الوقائع المصرية كانت تعلن عن الكتب التى تم طبعها فى بولاق سواء كان الطبع « على طرف الميرى أم على طرف الملتزمين ^(٤) » . وإن قلّ عدد ملتزمى طبع الكتب ، بادرت المطبعة إلى الإعلان عن خلو بعض الملازم « فمن أراد طبع كتب على ذمته بضمن هين فى مدة قليلة فعليه بالذهاب إلى نحو المطبعة المذكورة ^(٥) » .

وفى ١٦ محرم سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) أجرى إحصاء بعدد نسخ الكتب التى قامت مطبعة بولاق بطبعها على نفقة الميرى فبلغت ٣٠٢٨٤٣ نسخة . أما نسخ الكتب التى طبعت على ذمة الملتزمين ، فقد بلغت ١٠٢٢٣١ ^(٦) . وكان ديوان المدارس قد طبع كشفاً بأسماء الكتب المطبوعة على حساب الميرى . ولما « كان من أقصى آمال ولى النعم أن يستفيد من الكتب والرسائل المذكورة كل راغب فيها ، وهذا الأمر لا يدرك إلا بوجود فهرست عمومى . . . » فقد طبع هذا الفهرست مشتملاً على أسماء جميع الكتب المطبوعة ببولاق ، سواء كانت على ذمة الميرى أو على ذمة الملتزمين . وقد أرسلت نسخ هذا الكشف أو الفهرست « إلى كل ديوان

(١) المصدر السابق .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٤ فى يوم الأربعاء المبارك سلخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦١ .

(٣) محفوظات عابدين ، دفتر رقم ١٣ ج ٦ صادر الفروع بديوان المدارس ، صورة المكاتب

العربية رقم ٩٤٢ ص ٢٨٤١ بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١٢٦١ ، من ديوان المدارس إلى مطبعة بولاق .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٦٨ فى يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣ .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٧٢ فى يوم الاثنين ثانى عشر رجب الفرد سنة ١٢٦٣ .

(٦) الوقائع المصرية نمرة ٤٦ فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٢٦٣ .

ومديرية صحبة نسخ الوقائع . وتعلن الوقائع أنه « عما قريب يبلغ مجموع الكتب المطبوعة خمسمائة ألف نسخة . لزم نظم ذلك في سلك الوقائع ليكون من جملة الأمر الشائع ... »^(١) .

إلا أن حركة الطبع ، عل الرغم من تلك الدعاية القوية ، خفت عما كانت عليه قبل سنة ١٨٤٠ ، ذلك أن الولى بدأ يهمل المؤسسات التعليمية التي أنشأها في أوج سلطانه^(٢) . وطبيعى أن يتبع هذا الإهمال انخفاض في عدد الكتب المدرسية المطبوعة . فقد ألغيت معظم المدارس الابتدائية في أواخر حكم محمد على^(٣) . إن مطبعة بولاق كانت تتجاوب أيضاً مع حركة التقدم العمرانى والصناعى والحربى التى عمت البلاد ؛ فإذا ما فترت تلك الحركة قل اهتمام أولى الشأن بالمطبعة ، وانخفض عدد عمالها وقل إنتاجها .

وظلت مطبعة بولاق خلال حكم محمد على للبلاد المؤسسة الصناعية الوحيدة التى لم تلجأ إلى العناصر الأجنبية مطلقاً سواء كانت فنية أو إدارية . فإن نظارها جميعاً كانوا من العرب أو من الأتراك . ولا يوجد فى الوثائق الرسمية إلا اسم أجنبى واحد كان يعمل فى سبك الحروف . وقد سبقت الإشارة إليه . ومرت المطبعة فى أواخر عهد محمد على فى فترة من الركود ظلت ملازمة لها إلى ما بعد سنة ١٨٦٣ .

وفى يولييه سنة ١٨٤٨ أصدر الباب العالى تقليداً بتولية إبراهيم باشا على مصر غير أنه توفى فى ١٠ نوفمبر من السنة نفسها فخلفه عباس باشا .

كان الولى الجديد حاكماً مستبدّاً رجعيّاً لا يؤمن بقوة الشعب ولا يعترف بحقه وكان عدو كل تقدم وإصلاح . فى عهده أغلقت المدارس وهجرت المصانع والآلات وفكت أجزاء السفن الحربية لتعرض هى وأسلحتها للبيع واستغنى عن الموظفين الأجانب وخاصة الفرنسيين منهم .

وتأثرت مطبعة بولاق من هذا الركود والجمود الذى حل بالبلاد . فقد تسلم

(١) المصدر السابق .

(٢) Paul Merruau : L'Egypte Contemporaine p. 85-86, Paris 1864.

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٦٥ .

عباس المطبعة وكان عدد عمالها ١٦٩^(١) بما في ذلك السعاة والسقاة والخدم ، فأصبحوا في آخر عهده ١٠٣^(٢) . وكان جودت أفندى ناظرًا للمطبعة ومحررًا للوقائع المصرية في وقت واحد . وقد رقى في ٢٨ شوال سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) إلى رتبة القائم مقام لأنه « من أهل العلم وأصحاب الاجتهاد »^(٣) .

ومهما قيل في تلك المطبعة خلال حكم عباس فإنها كانت بلا شك أحسن حالا مما آلت له في عهد سعيد . فقد تسلمها هذا الأخير من سلفه وعدد عمالها وموظفيها لا يقل عن ١٠٣ وتركها إلى صديقه وصفيه عبد الرحمن رشدي بك بعد أن هبط عدد عمالها وموظفيها إلى ٦٠^(٤) .

وظل التزام طبع الكتب ساريًا ، بل إن بعض الكتب التي كان قد تقرر أن تقوم مطبعة بولاق بطبعها قد أعطيت لبعض أتباع الوالي أمثال « نظمي بك كاتبنا الخاص بذاتنا وأحمد زكي أفندى ومحمد رفعت أفندى الموجودين في خدمة كتابتنا » . وأمر سعيد أدهم باشا محافظ المحروسة « بإعطاء الأمر بطبع وتمثيل مقدار ما يطلبون من الكتاب المذكور »^(٥) حسب أصول الالتزام الجارى في المطبعة على ذمتهم وفي الختام تسليمه لطرفهم^(٦) .

وقد لاقت المطبعة في أول عهد سعيد بعضاً من عنايته ، فهو يكتب في ٤ شعبان سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) إلى محافظ مصر يبلغه موافقته على رفع أجور مصححي المطبعة وضم غيرهم إليها « لأجل الإسراع في نهو التشغيل والإلحاق على ما يصير جمعه أولاً بأول » من الكتب التسعة التي أحضرت إلى المطبعة « بواسطة رفاة بك » . وقد رُفِع في هذه المناسبة مرتب الشيخ إبراهيم الدسوقي الباشمصحح إلى ١٠٣٧ قرشاً وعُيِّن مصححان آخران أحدهما بثلاثمائة قرش والثاني بمائة وخمسين ومصحح حروف بنفس المرتب . وأضيف ٢٥٠ قرشاً « علاوة على مرتبات الشيخ محمد قطة

(١) مخطوطات القلعة ١٣٦٢٢ - ٢٥ عين ٢٧ .

(٢) مخطوطات القلعة ١٣٧٧٢ عين ٤٤/٣٤ .

(٣) مخطوطات عابدين ترجمة الوثيقة رقم ١١٠٩ من الدفتر رقم ٤٨٤ معية تركي نمرة ١ جديدة أصلية أمر خديوي إلى عبدى باشا مدير المدارس .

(٤) مخطوطات القلعة ١٣٧٧٢ عين ٤٤/٣٤ .

(٥) مقدمة ابن خلدون .

(٦) ترجمة ص ٤١ من الدفتر السابع ، أمين سامى باشا ، تقويم النيل الجزء الثالث ، المجلد

الأول ، ص ١٥٦ .

باشمصحح عربى المصلحة ورئيس فرق التصحيح بها لتكون بمثابة
رئيس فرق التصحيح حسب لياقته^(١) .

ويسير سعيد على منوال أبيه فى إهدائه الكتب للدول الأجنبية . فيكتب فى
٢٧ شوال سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) أمراً عالياً للداخلية يطالب إليها فيه أن تعطى
« قونسولوس جنرال دولة النمسا » مجموعة من الكتب التركية والفارسية والعربية المطبوعة
فى مطبعة بولاق « لزوم الكتبخانة الملوكية بدولة النمسا » . ويردف سعيد فى حاشية
هذا الأمر أنه « من حيث أن أولئك الكتب مطلوبين إلى الكتبخانة الملوكية بدولة
النمسا فاقترضت إرادتنا أن يصير إعطائهم والتمن ينضم بالأبعادية^(٢) » .

ويصل إلى علم سعيد « أن الكتب المعهود أمر طبعها للمطبعة متأخرة مدة
طويلة » . فيكتب إلى جودت أفندي ناظر مطبعة بولاق فى ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧ هـ
(١٨٦٠ م) يلفت نظره إلى هذا التأخير الذى يرجع سببه إلى (سوء الترتيبات وقلة
الجماعين والمصححين ، وبهذا السبب فإن أكثر المترجمين يسترجعون كتبهم
المودعة بالمطبعة ويصرفون النظر عن طبعها وتمثيلها ، وحيث إن هذا الأمر يورث
الخلل لصيت وشهرة المطبعة المصرية المشهورة بصحة ودقة أمورها وجودة طبعها وحيث
إنه لا يجوز الصبر بأى وجه من الوجوه على ضياع محسنات المطبعة الأصلية التى
يجب أن تزيد تدريجياً بدلا من أن تنقص . . .^(٣) » ويأمر سعيد ناظر المطبعة
بترتيب « وانتخاب المصححين وسائر الذين يلزم استخدامهم فى المطبعة من
الأشخاص الذين يلتفتون لأشغالهم بصرف النظر عن الذين يوافقون مزاجكم . . .^(٤) »
إن سعيد يريد من ناظر المطبعة أن يغلب مصالحة العمل على مصلحته الشخصية
وأن يترك المحسوبية جانباً ولا يستخدم فى المطبعة إلا ذوى الكفاءات والخبرة ،
وعليه فإنه يطلب إليه أن يبادر « بوضع قائمة الأشخاص المقتضى استخدامهم عدا
الموجودين الآن » وأن يقدمها إليه ليرى رأيه فيها . ويذكر سعيد ناظر مطبعة بولاق

(١) صفحة ١١٥ دفتر ١٨٨٤ عربى ، أمين سامى (باشا) تقويم النيل ، الجزء الثالث
المجلد الأول ص ١٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ دفتر ١٨٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٤) المصدر السابق .

بأن لديه عشرين أو ثلاثين كتاباً « مطلوب إنجازها بسرعة وعلى صحة تامة »
ولما كانت أشغال المطبعة ستزيد كثيراً من الآن فصاعداً وجب على الناظر أن
يبدل قصارى جهده واهتمامه بسير العمل ودقته ، وحيث إنه لا يجوز مطلقاً
أن تكون المطابع الأجنبية فوق المطبعة الأميرية رواجاً وإتقاناً فبناءً عليه يجب
بذل الاهتمام والجهد الزائد في تحسين وترتيب المطبعة المذكورة ووضعها في مقام
يليق بشهرتها . . . (١) » .

وفي ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٧٧ يرد جودت بك ناظر المطبعة على أمر سعيد
باشا الذي يحتوى « على بسط وإيراد تنبيهات هي من الحكمة آيات بينات » .
ويقول الناظر في رده « إن بروز المطبعة المذكورة من الآن فصاعداً بالحسن التام
واكتسابها الرواج ومزيد الانتظام على الدوام ، إنما يكون بإعداد بعض الأدوات
وإحضار بعض الأشخاص والتلاميذ وعلاوة مقدار جزئى من العواطف العلية على
الأجور التى يتقاضاها بعض العمال وأرباب الماهيات الذين هم في حالة اضطراب
وفي ذلك الإحسان ما يرغبهم وينشطهم في العمل . . . (٢) » ويرفق الناظر بتقريره
كشفاً « مبيناً فيه بعض الملاحظات وذاكراً فيه ما يلزم من الأدوات » . ويذكر
الناظر أن بعض عمال المطبعة لا يزيد أجرهم عن ١٥٠ أو ١٦٠ قرشاً وأنهم يقطنون
في مصر إمبابة فهم مضطرون لأن يأتوا صباحاً إلى المطبعة ويعودوا منها مساء إلى
بيوتهم . وقد أحيل تقرير على جودت هذا إلى المالية مع إفادة بتاريخ ٢١ جمادى
الآخرة سنة ١٢٧٧ رقم ٢٧ ، ولكن المالية حفظته ولم تجب عليه (٣) ، بعد أن
كونت لجنة من ناظر المالية وناظر الخارجية وخيرى بك وناظر المطبعة الجديد نوحى
أفندى ، ودرست تلك اللجنة مقترحات ناظر المطبعة السابق وأدخلت عليها بعض
التعديلات ثم عرضت مرة أخرى على الجناح العالى الذى « أمر بتأجيل الموضوع
وإبقاء ما كان على ما كان مؤقتاً (٤) » .

(١) المصدر السابق .

(٢) محفوظات عابدين محفظة ٢٦ معية تركى ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢ ورقة ١ بتاريخ
١٠ ربيع الأول سنة ١٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) محفوظات عابدين محفظة ٢٧ معية تركى ، وثيقة رقم ١٨٨ بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧
نمرة ٣٦ أصلية من أحمد خورشيد ناظر ديوان المالية إلى المعية السنية .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المهيمنون على شئون المطبعة فقد اضطرت إلى التعطل سنة على وجه التقريب ، من يولية سنة ١٨٦١ إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢^(١) ، حين صدر منشور عمومي من نظارة المالية خاص بإعادة فتح مطبعة بولاق بعد تعطيلها ، ذلك أنه تبين عدم تمكن المصالح المختلفة من طبع ما يلزمها من الدفاتر والأوراق بمطابعها الخاصة وفقاً للأمر الذي صدر بإلغاء مطبعة بولاق ، وأن بعض هذه المصالح قد أرسل ما يريد طبعه إلى الخارج وأن البعض الآخر حوّل مطبوعاته إلى نظارة المالية . ولما كانت هناك كتب عسكرية في حاجة إلى الطبع بمطبعة بولاق ، فقد وافقت المعية السنية على إعادة فتح المطبعة ، على أن تقوم بطبع أوراق الحكومة ودفاترها فقط^(٢) .

غير أن أمور المطبعة أخذت تسير من سيئ إلى أسوأ ، مما دعا سعيد باشا في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٩ الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٦٢ إلى إهدائها لعبد الرحمن رشدي بك « مدير الواپورات الميرية بالبحر الأحمر ، بما فيها من الأدوات والآلات مثل طبع الحروف وملازم طبع الحجر والحروف والرصاص والأمهات والأبهاث وغيره . . . » ويشترط سعيد على المهدي إليه أن يقوم بطبع ما كان يطبع في تلك المطبعة « وما يستجد من قوانين عسكرية ودفاتر وخلافه لزوم المصالح الميرية » . أما الورق والخبر فإن ثمنهما ينحصر شيئاً فشيئاً من صاحب المطبعة الحديد ، كذلك الكتاب الجاري طبعه في المطبعة^(٣) .

وبعد إهداء المطبعة اضطرت على جودت ناظرها إلى الاستقالة ، فقام على إدارتها إلياس مسابكي وحسين أفندي حسني . وقد انفرد الثاني بالإشراف على المطبعة بعد أن أصيب زميله برمد حاد أنقذه بصره^(٤) .

وكان عبد الرحمن رشدي بك قد رجا الوالي أن يسمح له بالاحتفاظ بالشيخ محمد قطة باشمصصح المطبعة وحسين حسني أفندي وكيل أشغالها والشيخ حسن

(١) إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ص ٦١ .

(٢) محفوظات القلعة ، دفتر مجموع ترتيبات ووظائف ص ٤٨٣ .

(٣) أمر عال صادر من سعيد باشا إلى نظارة المالية في ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٧٩ نمرة ١ ، دفاتر قيد الأوامر العلية العربي الصادرة للمالية في سنة ١٥٧٩ التوتية سجل نمرة ١١٩٦ محفوظات القلعة L.

(٤) imongelli (S.) : L'arte italiana nella stampe nazionale d'Egytto. Cairo 1911

باشكاتها : ووافق سعيد على الطلب وأمر أن تحتسب رواتبهم على الميرى^(١) ،
ورأى عبد الرحمن رشدى ، بعد أن فقد إلياس مسابكى نظره أن يستعين بخبرة
أنطوان موريس Mourès صاحب المطبعة الفرنسية بالإسكندرية^(٢) . وقد لجأ
إليه في تجديد المطبعة وآلاتها . وألحق بالمطبعة عدد من العمال الأوربيين بعد أن
أقفرت منهم في عهد عباس باشا الأول . وبدأ النشاط يدب في أوصال هذه المؤسسة
وأخذت تسترد شهرتها التى تمتعت بها في عهدها الأول : وسافر موريس إلى
باريس حيث ابتاع على وجه السرعة كل ما يلزم المطبعة من معدات ، وخاصة
المطابع الميكانيكية طراز ألوزية Alauzet ، وهى أول مطابع من نوعها دارت
في مصر . وساهم موريس أيضاً في إعادة تنظيم المطبعة بما له من خبرة في فنه :
وبفضل الجهود التى بذلها نهضت مطبعة بولاق بعد أن ظلت فترة من الزمن في
عداد المؤسسات المضمحلة^(٣) .

وتولى إسماعيل حكم مصر بعد وفاة عمه سعيد : وكان أول إجراء قام به بالنسبة
للمطبعة أن رخص لعبد الرحمن رشدى بنشر الوقائع المصرية ، وكان ذلك في
السابع من شهر شعبان سنة ١٢٧٩^(٤) .

واستمر حسين حسنى وكيلاً لإدارة المطبعة . وعرض على والى الجديد شراءها .
وقد تمت هذه الصفقة في ١٥ رمضان سنة ١٢٨١ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٨٦٥^(٥) .
ويقول إسماعيل في أمره إلى ناظر الدائرة السنية إن مطبعة بولاق منذ أن أهديت
إلى عبد الرحمن رشدى ، بدأت تضمحل وأنه تأسف كثيراً لهذا الأمر « وحيث
إن هذا المحل من الآثار الجلية ومنافعه وفوائده للعامة عظيمة . . . فبناء عليه
اقتضت إرادتى شراء المطبعة المذكورة بكافة مشتملاتها ومهمات وأدواتها من المير
الموى إليه » . ودفع إسماعيل مبلغ عشرين ألف جنيه ثمناً للمطبعة من حساب

(١) أمر عال صادر من سعيد باشا إلى نظارة المالية في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٩ هـ ،
رقم ٣ دفتر قيد الأوامر العلية الصادرة للمالية ، ص ١٠ سجل ١١٩٦ .

(٢) Geiss (A) : Hist. de l'impr. op. cit. T. II 1908 p. 218 (48). S. Limongelli;
op. cit. p. 20.

(٣) Geiss; op. cit. p. 218 (48).

(٤) إرادة لأحمد رشيد بك ناظر المالية في ٧ شعبان سنة ١٢٧٩ ترجمة ص ٤٠ دفتر ٥٢٥
محفوظات عابدين .

(٥) جورج جندى وجاهك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٤٩ .

الدائرة السنية . وطلب من ناظر الدائرة أن يهتم بحسن إدارتها^(١) . وكتبت حجة البيع باسم أحد أنجال إسماعيل ويدعى الأمير إبراهيم حلمي . وعرفت المطبعة في ذلك العهد باسم « المطبعة السنية ببولاق » . وأسندت إدارتها إلى حسين حسنى وكيلها في عهد ملكية عبد الرحمن رشدي لها . وسافر الناظر الحديد إلى أوروبا حيث اشترى لها محركاً بخارياً ليدير آلاتها . وهو أول محرك بخارى يستخدم في مطبعة مصرية^(٢) . وأضيفت إليها بعد ذلك بقليل أربع آلات جديدة للطبع وثلاث أخرى جلبت بعد ذلك بعدة أشهر .

وامتاز حسين حسنى بصفيتين هما : حب المال والحزم . وقد استطاع بفضلهما أن ينهض بالمطبعة نهضة مباركة ويجعلها تسترد سابق مجدها . فنشرت كتب الآداب العربية والفارسية . ولم يكتف حسين حسنى بشراء الآلات الجديدة من أوروبا . بل طاف بمطابعها الشهيرة ليأخذ من نظامها ويطبقه في مطبعة بولاق^(٣) .

وظل حسين حسنى مديراً للمطبعة طوال حكم إسماعيل وحوالى السنة من حكم توفيق . وكان إسماعيل يهتم بطبع الكتب المفيدة . فهو يأمر ناظر الداخلية في ٥ شوال سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) بأن يطبع خمسمائة نسخة من كتاب تاريخ مصر تأليف رفاعه رافع الطهطاوى ، لا على حساب الدائرة ، بل على ذمة الميرى^(٤) .

ويصدر الوالى أمره إلى ناظر المطبعة يوصيه بشراء آلة طباعة « لطبع الرسومات والأشكال والخريطات الجغرافيا » والبحث عن رسام من ذوى الخبرة والعلم وبعض التلاميذ للتمرن على الرسم تحت إشرافه . وقد وجد الناظر « ما كينة جديدة محضرة من باريز بطرف شخص يسمى الخواجا ونجونسو » وتقوم تلك الآلة بالطباعة بجميع الألوان ، وهى تطبع أيضاً بالحروف المتفرقة . واتفق الناظر على شراء الآلة المذكورة بخمسمائة بنتو واشترط على الخواجا المذكور أن يقيم في المطبعة شهراً كاملاً ليعلم « اثنين أو ثلاثة من أولاد العرب الطباعين الموجودين بالمطبعة » ، ويتقاضى مقابل ذلك خمسين بنتو فوق الثمن . أما ثمن الآلة فيعطى على دفعتين ،

(١) المصدر السابق .

(٢) محفوظات القلعة ، دفتر استحقاقات مطبعة بولاق ، الجزء الثانى سنة ١٢٨٣ رقم ٣٩٨ .

(٣) S. Limongelli; op. cit. p. 20.

(٤) أمر عال إلى الدائرة السنية في ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ ، صحيفة ١ دفتر ١٩١٩ عربى .

الأولى مائتان وخمسون وتدفع عند الاستلام والثانية مائتان وخمسون تدفع بعد تمرين العمال في مدة الشهر المتفق عليها^(١).

وقد انضم إلى المطبعة بعد أن أصبحت ملكاً للدائرة السنية ، حفار إيطالي يدعى باولينى Paolini ليشراف على طبع الطوابع الأولى للبريد المصرى . وقامت المطبعة بنشر عدد من الكتب العربية لتقديمتها في معرض باريس الذى أقيم سنة ١٨٦٧^(٢) . وكان ضمن ما عرض في الجناح المصرى من ذلك المعرض ، بعض الكتب الفارسية والمجلة العسكرية ومجلة يعسوب الطب^(٣) . ونالت مصر على مطبوعاتها التى عرضت في ذلك المعرض الدولى الميدالية الفضية . وأرسلت مطبعة بولاق إلى باريس عدا الكتب نماذج للحروف التى كانت تستخدمها . وقد كتب الشيخ أحمد بن عبد الرحمن المحرر بالوقائع بمناسبة اشتراك مصر في ذلك المعرض مقالا بعنوان « صورة نموذج ما رسم بخط المطبعة النفيس وأرسل من جملة ما أرسل إلى المعرض بباريس » . وبعد أن شرح كاتب المقال معنى « الإكسبوزيسيون » أى المعرض ، وعدد منافعه ، تحدث عن رسوم مطبعة مصر الخديوية « العديمة المثال في القواعد الرسمية : . . . نعم إن كانت أسرتها الأيام أسرة أوقعت في قلب كل من يدرى حسرة ، لولا أنها لابتسام وقتنا وطالع سعود بختنا أنصفها عناية الحضرة العزيزية : . . . (الذى) أعاد إليها جمالها ، بل زاد كمالها وأهل عملها وسهل أعمالها فجلب إليها الآلات الوابورية المتينة الصناعية البخارية الفنية في أيسر حين عن أعمال الكثيرين مده أناط بحسن إدارتها وحلى بخلية نظارتها حضرة . . . الأمير عزتلو حسين حسنى بيلك فأدارها أحسن إدارة : . . . ثم اعلم أن ما جد في هذه المقالة وحرر من النثر في هذه العجالة جميعه بالقاعدة النسخية الجلية التى لم تتفق في غيرها من المطابع الأجنبية والأهلية بخلاف رسم ما يأتى من الشعر على ما تنطق به الأبيات فهو بالقاعدة الفارسية على ثلاث درجات^(٤) . . . »

(١) أمرعال إلى الدائرة السنية في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ ، صحيفة ١ دفتر ١٩١٩ عربى .

(٢) S. Limongelli; op. cit. p. 21.

(٣) Charles Edmond : L'Egypte à l'exposition universelle de 1867, p. 331, 367

370 et 371.

(٤) الوقائع المصرية نمرة ١٠ ، ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٨٣ الموافق ٢ مايو الإفرنجى سنة ١٨٦٧ .

ونشرت الوقائع المصرية في عددها رقم ١٢٩ الصادر في يوم الاثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٨٦٧ تقول « بلغنا أنها (أى مطبوعات بولاق) وقعت موقع الاستحسان ومدحت فيه (أى في معرض باريس الدولى) من الجميع بكل لسان واستحقت مطبعتها شمول النظر المتتابع حيث أشرقت مطالع سعدا بين المطابع وكوفئت بعد الشهادة المحضة بنيشان مدالية من فضة . . . »

وكتب حسين حسنى ناظر المطبعة عن حروفها قائلا « إن دار الطباعة . . . حاوية لقواعد عديدة سنية وصور حروف جيدة بهية لا تكاد توجد في مطبعة من مطابع الإسلام بل ولا في غيرها من مطابع الأنام ، خاصة القاعدة الجديدة الدقيقة ذات الحروف الأنيقة التى كنا وفقنا لعملها من قبل بستين . . . والقاعدة التعليقية . . . التى كانت مستعملة من قديم الزمان . . . »

« . . . كذلك نؤمل طبع الكتب البهية المدونة بالألسن الإفرنجية . . . فإننا قد حصلنا أجناس قواعد حروف اللسانين الطلياني والفرنساوى . . . بعد أن شاهدناها في المعرض النفيس الواقع بمدينة باريس ، وقد تيسر لنا . . . طبع معجم بقطر باللغة الفرنسية . . . » وهو أول كتاب طبع بالحروف الأوربية بعد القاموس العربى الإيطالى الذى طبع في العهد الأول للمطبعة . وقد اشتريت الحروف الأوربية الجديدة من باريس سنة ١٨٦٧ .

ويستطرد ناظر المطبعة قائلا « ثم إن دار الطباعة . . . حرية بأن تتباهى بصحة مطبوعاتها ونظافة مصنوعاتا على جميع المطابع . . . فقد تكاملت محاسنها بتبديل أدواتها القديمة بأدوات جيدة قوية . . . »

ويذكر حسين حسنى أنواع قواعد حروف المطبعة من نسخة على خمس درجات وفارسية على ثلاث ومغربية ، إلى قواعد رسوم اللغات الأجنبية وهى أربع (١) ، وفى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤ م) تم طبع ثاقى كتاب باللغة الإيطالية بمطبعة بولاق . واسم الكتاب « النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية » . وطبع من هذا الكتاب ثمانمائة نسخة « من أجل تعليم الجاوشية البلدية أبناء العرب وتمريضهم على تلك

(١) حسين حسنى بك : أنموذج فى مصنوعات المطبعة الأميرية ، بولاق ، بدون تاريخ

اللغة بالنسبة لاختلاطهم مع الأجانب بمصر وإسكندرية ومحافظات القنال والسويس وبور سعيد . وقد تكلف طبع هذا الكتاب ثمانمائة وثمانين قرشا^(١) .

وعلى الرغم من ألوان الدعاية التي كانت تقوم بها الدائرة السنية وناظر المطبعة في الوقائع وفي غيرها عن تقدم المطبعة الفني وتفوقها على غيرها من مطابع ذلك العهد، فقد كتب رياض باشا إلى المعية السنية في ٢٣ محرم سنة ١٢٩٢ (١٨٧٤ م)^(٢) يشكو لها من الشكوى من رداءة طبع الوقائع ويرى أن المطبعة مقصرة « مع أن أجرة طبع هذه الجريدة عالية وفيها زيادة » ويطلب أخيراً من ناظر الدائرة السنية أن ينبه علي حسين حسنى بك ناظر المطبعة بالعناية في طبع الوقائع وإلا اضطر إلى رفع الأمر إلى الخديو شخصياً .

وظل حسين حسنى ناظراً للمطبعة بولاق من ٧ فبراير سنة ١٨٦٥ إلى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠ ، حين تولى نظارتها للمرة الثانية على جودت إلى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٢^(٣) . ويقول ليمونجلى إن المطبعة ساءت حالتها تحت الإدارة الجديدة وانطفأت شعلة الفن فيها^(٤) . إلا أنه مهما قيل عن تلك الحقبة من حياة المطبعة ، فإنها بلاشك كانت أحسن حالا من الفترات التي سبقتها . فقد أكملت خلالها حروف المطبعة الناقصة كالهزات التي ظهرت ابتداء من عدد الوقائع الصادر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٥^(٥) . وقد اشترى لها محرك بخاري يدير آلاتها . وجلبت لها آلة تطبع بالألوان وآلات أخرى حديثة وحروف جديدة مختلفة الأحجام . ولأول مرة تطبع فيها طوابع البريد المصرية والكتب الإفرنجية من فرنسية وإيطالية ، وكان ذلك في سنة ١٨٧٤ .

وتأثرت المطبعة بطبيعة الحال بالأزمة المالية التي تفشت في أواخر حكم إسماعيل . وفي ٢٠ يونيو سنة ١٨٨٠ انتقلت ملكيتها من الدائرة السنية إلى الحكومة المصرية .

(١) أمر كريم للمالية في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ صفحة ٦١ دفتر عربي بدون نمرة .
(٢) محفوظات عابدين من رياض باشا إلى المعية السنية محفظة ٥٢ معية تركي ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠ بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٢٩٢ .
(٣) راجع دفتر استحقاقات مطبعة بولاق من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٦ بدار المحفوظات المصرية بالقلعة .

(٤) S. Limongelli; op. cit., p. 21.

(٥) إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ، بولاق سنة ١٩٤٢ ، ص ١٥ .

فبدأ الجميع يعملون على إنهاضها من كبوتها بما أوتوا من علم وفن . وبدأت المطبعة تنشر على العالم العربي المؤلفات الأدبية المختلفة . وكانت حروفها العربية والفارسية غاية في الجمال والدقة ، ولكنها كانت مبعثرة هنا وهناك دون نظام حتى إن عمالها عجزوا عن إعادة تنسيقها . كذلك كان الحال بالنسبة للآلات ، فقد أهملت إهمالا يكاد يكون تاما .

وكان العمل يجري في مختلف الأقسام بعيداً عن قواعد الفن ، وكانت الأدرات الصغيرة ناقصة . وفكر أولو الأمر أول ما فكروا في إعادة تنظيم هذه المؤسسة المهمة لكي تتمكن من أن تسير وفق القواعد الفنية الجديدة . ولكن قلة خبرة على جودت بك الذي عين مديراً للمطبعة خلفاً لحسين حسنى مضافاً إليها نفوره من كل ما هو أوربي وعداؤه للتقدم ، كان العقبة الكؤود في سبيل كل إصلاح . غير أن التيار كان جارفاً . واضطر على جودت إلى الرضوخ . فقبل بصدر رحب كل تجديد يقترح عليه .

تلك كانت حال المطبعة قبيل الاحتلال الإنجليزي للبلاذ . فقد تركها إسماعيل بعد خلعه وهي في دور الاحتضار من جراء الأزمة المالية التي نزلت بالبلاذ . فلما تولى توفيق الحكم رأت اللجان المالية أن تعيد المطبعة إلى الحكومة المصرية لتتولى أمرها وتنتشلها من الوهدة التي أرداها فيها سوء حكم البلاذ . وتقوم الثورة العربية منادية بحق المصريين في حكم بلادهم ويقف توفيق في وجه تلك الثورة الوطنية تسانده الدول الأجنبية وعلى رأسها بريطانيا ، تغلب القوة الغاشمة على الحق وتفجع الوطنية المصرية بالحنونة من بعض أبناء البلاذ وتحمل القوات البريطانية مصر وتختنق حركة المقاومة الشعبية إلى حين .

* * *

أما المطابع الرسمية الأخرى التي أنشئت قبل سنة ١٨٤٠ فقد أغلق معظمها بعد ذلك التاريخ . وعاشت مطبعة القلعة حتى سنة ١٨٤٦^(١) . ويعود سبب إغلاقها إلى تلف معداتها وعدم اهتمام الحكومة بإصلاحها . إلا أن هناك كتاباً مطبوعاً في

(١) أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولحظة في تاريخ فن الطباعة ، رسالة ماجستير ص ٢٢٢ .

٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) وعنوانه « جامع المبادئ والغايات فى المساحة » تأليف محمود أفندى فهمى . إن هذا المطبوع الذى ظهر بعد إغلاق المطبعة باثنتى عشرة سنة ، يجعلنا نعتقد أنها عادت إلى استئناف نشاطها بعض الوقت خلال حكم سعيد . كذلك كان حال مطبعة المهندسخانة ، فقد ظلت تعمل طوال حكم محمد على . وعلى الرغم من ميل عباس باشا إلى إغلاق المدارس التى تأسست فى عهد جده ، فقد ظلت مدرسة الهندسة مفتوحة ، وكذلك مطبعتها وعين على باشا مبارك ناظرًا عليها فى أواخر سنة ١٢٦٦ هـ (١) (١٨٤٩ م) فجدد آلاتها . ولكنها تعطلت بعض الوقت حين باع سعيد باشا مدرسة الهندسة (٢) .

ونشطت حركة التعليم فى مصر فى أوائل عهد إسماعيل . فأصبحت الحاجة ملحة إلى طبع الكتب المدرسية ، فقرّر رأي على باشا مبارك ، وكان ناظرًا لديوان المدارس ، على إنشاء مطبعة لهذا الغرض فى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) . ويؤرخ لها فيقول « . . . لأجل تسهيل التعليم على المعلمين والمتعلمين وصون ما تعلموه عن الذهاب جعل بالمدارس مطبعة حروف ومطبعة حجر لطبع كل ما يلزم من الكتب وأمشق الخط والرسم وغير ذلك (٣) » .

وطبعت هذه المطبعة فى عهد إسماعيل عددًا كبيرًا من الكتب المدرسية . وتولى نظارتها على فهمى نجل رفاعه بك رافع الطهطاوي (٤) . وطبعت فيها مجلة روضة المدارس ، بعد أن كانت تطبع فى مطبعة وادى النيل .

ويبدو أن مطبعة ديوان المدارس لم تكن أول مطبعة من نوعها فى عهد إسماعيل ، فهناك كتاب مطبوع فى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) اسمه « رسالة أخلاق » كتب عليه أنه مطبوع فى المطبعة الميرية بمدرسة المبتديان . وأكبر الظن أنها ضمت فى سنة ١٢٨٥ هـ إلى مطبعة ديوان المدارس بالجماميز .

وأنشئ بالقلعة سنة ١٨٧٢ (٥) مطبعة أركان حرب الجهادية ووضعت بمكان

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء التاسع ، ص ٤٥ الطبعة الأولى ، بولاق سنة ١٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٤) يوسف اليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمصرية ، الجزء الثامن ، ص ١٣٦٥ .

(٥) A. Geiss : Hist. de l'impr. en Egypte-Suite-époque contemporaine, p. 26.

ضيق ، ثم أرسل الجنرال ستون باشا رئيس أركان حرب الجيش في طلب أوغست برنشتين من الولايات المتحدة ليديرها . ولي . أوغست الدعوة وحضر إلى مصر . وكانت المطبعة آنذاك بالقسم الثاني من مكتبة أركان الحرب ، ولم يكن فيها إلا بضعة صناديق حروف إفرنجية منظمة وفق النظام الأمريكي وصناديق للحروف العربية وطابعة قديمة وطابعتان حجريتان بدائيتان . ولكن بعد بضعة أشهر من تأسيس المطبعة ، أرسلت من أمريكا طابعة تدار بالقدم وآلة حديثة للقص وآلة طبع عادية وطابعة حجرية ومجموعة من الحروف الحديدية . كما اشترت طابعة طراز مارينوني وطابعتان عاديتان وطابعة حجرية من محلات بناسون بالإسكندرية . وفي الوقت نفسه جلبت للمطبعة آلة لتذهيب الكتب وبعض المعدات المصنوعة بالقاهرة .

وهكذا اتسعت المطبعة ما أمكن لها الاتساع . وقسمت إلى ورشة للجمع الإفرنجي برئاسة هنري برنشتين الأمريكي وورشة للجمع العربي برئاسة حسن أفندي أبو زيد وورشة الطبع بالحروف برئاسة تشارلس جرسدورف الأمريكي وورشة الطبع بالحجر برئاسة لويجي هورن الإيطالي . وكان في المطبعة خطاط وفنان فرنسي يدعى هنري رافون ومجلد إيطالي اسمه سيرافينو ليمونجالي .

غير أن المطبعة على الرغم من تلك الإصلاحات التي أجريت فيها ، لم تكن بالمطبعة الكاملة المعدات المزودة بالعمال الأكفاء . فقد كان من الصعب في ذلك الحين إيجاد طابعين ماهرين ، واضطر رؤساء الورش أن يعملوا بأيديهم تفادياً لهذا النقص إلى أن استقر الرأي آخر الأمر على تشغيل الجنود في المطبعة بعد تدريبهم على هذا الفن . فأصبحوا عمالاً فنيين يمكن الاعتماد عليهم في طباعة الحروف والحجر^(١) .

ولكن ما لبثت المطبعة أن شعرت بالحاجة إلى عمال فنيين . فألحقت لهذا الغرض عاملاً إيطاليا يدعى بلاشيدو سايا ، وكان يعمل بالإسكندرية في مطبعة بناسون ، وميكيلى دى باولى لبراعته في سبك الحروف وفي فن الحفر والطلاء . وإلى ذلك الرجل يعود فضل إدخال هذه الفنون الثلاثة إلى مطبعة أركان حرب .

وفي سنة ١٨٧٥ تولى إدارة المطبعة إيطالي يدعى مارزيني^(١). وقد بلغت في عهده أوجها وطبعت بناء على أمر الخديو إسماعيل كتاباً باللغتين الفرنسية والعربية عن طريقة زراعة قصب السكر في جزيرة جاوا. وجلدت النسختان اللتان أهديتا له بالساتان.

وفي ذلك العهد قام الجيش المصرى بفتح الحبشة وتوغل في منابع النيل وتوجه إلى كردفان ودارفور وبحر الغزال ومناطق البحيرات. وكان على رأس تلك الحملات كبار ضباط هيئة أركان الحرب؛ فلما عادوا من المهمة التي أوكلت إليهم عكفوا على كتابة مذكراتهم وقامت بطبعها مطبعة أركان الحرب.

ولم يكن عمل المطبعة مقصوراً على طبع الكتب، بل تعداه إلى طبع الخرائط المختلفة مثل خريطة بحيرة ألبرت نيانزا. كما طبعت كتباً خاصة بفرق المشاة والفرسان. وحتت تلك الكتب بعض الرسوم ونوتات الموسيقى العسكرية. وقامت المطبعة بتجليد تلك الكتب تجليداً فاخراً وتقديم نسخ منها إلى الخديو.

ويذكر البارون هنري هانلي شيئاً عن المطبعة في كتابه «مذكرات عن مصر وتونس» فيقول: «إن هذه النظارة (نظارة الحربية) مزودة بمطبعة حروف ومطبعة حجر كاملتي العدة. وفيها حروف إفرنجية وعربية وورش لصب الفورم والتجليد. وقد شاهدت بعض المطبوعات التي أخرجتها تلك المطبعة فألفيتها لا تقل دقة عن المطبوعات الأوروبية. ورأيت نموذجاً مطبوعاً بسبعة ألوان^(٢) ١٩

وبدأت الأزمة المالية سنة ١٨٧٦، فشملت ضمن ما شملت مطبعة أركان حرب الجهادية التي امتنعت عن دفع مرتبات الموظفين وأجور العمال سنتين كاملتين مما أدى إلى تشييط الهمم وتسرب الضيق والقلق إلى نفوس العاملين فيها، فقدم بعض رؤساء الأقسام والعمال استقالاتهم. وكان على رأس المستقيلين مدير المطبعة نفسه بورنشتين.

وصدر أمر إلى الكولونيل موري بك بأن يسافر إلى الآستانة على رأس كتيبة من الجيش ليشارك في الحرب التركية الروسية التي نشبت في سنة ١٨٧٧. وفقدت

(١) A. Geiss : op. cit., p. 26.

(٢) Henry Hanly : Notes sur l'Egypte et la Tunisie, p. 18.

المطبعة عنصراً هاماً برحيل هذا الضابط . وما لبث أن قدمت مصر لجنة تحقيق عملت على إعادة تنظيم مالية البلاد . فعادت مطبعة أركان الحرب إلى نشاطها المعهود . رتولى إدارتها العامة عمر بك رشدى . أما مارزبني فكان رئيساً للمطبعة . وبدأت المؤلفات الهامة ترد لها من كل حذب وصوب . ومنها الدراسة الإحصائية التي وضعها الإيطالي أميشي بك . وتم طبع أول ميزانية للحكومة المصرية فيها .

زما يجدر ذكره أن الموسيقى الإيطالية الشهير فردى ، كان قد لحن لمسرح الأوبرا الخديوية أوبرا عايدة . وجاء مصر خصيصاً نخبة من أشهر مغنى الأوبرا الإيطالية لتقديم تلك السرحية الغنائية فى القاهرة . وانتهز المصور الكاريكاتورى فينشتر و فالتة الفرصة وقام بتصوير هؤلاء الممثلين ثم جمع تلك الرسوم فى كتاب أطلق عليه اسم « الحيوانات التى تصدح على مسرح الأوبرا » . وقامت مطبعة أركان حرب الجهادية بطبع هذا الكتيب بالألوان على مطبعة الحجر وبموافقة الجنرال ستون . يحفر الفنان مارزبني الرسوم على الحجر ووزع ألوانها حتى غدت وكأنها نسخة طبق الأصل . وكان هذا الكتيب خير دعاية للمطبعة وللقائمين على شئونها .

ولما توفى مارزبني فى سنة ١٨٨٠ حل محله فى رئاسة المطبعة أنطوان موريس^(١) الذى استدعى من الإسكندرية . واقترح الرئيس الحديد شراء حروف جديدة للمطبعة وطابعتين فوافق ستون على الاقتراح .

وعندما قرر أولو الأمر إلغاء مطبعة أركان الحرب فى يونيه سنة ١٨٧٨ تمكن الجنرال ستون من أن يستصدر أمراً بالإبقاء عليها لتطبع جانباً من أشغال النظارات والمصالح . ولما تم إعادة تنظيم المطبعة لاحظ أصحاب الشأن أن مقرها بعيد عن الوزارات فقر رأى على نقلها من القلعة إلى جناح من البناء الذى كانت تحتله نظارة الحربية ، بعد إعداده إعداداً تاماً . وركبت فيه الآلات التى جلبها موريس بنفسه . وبدأت الأشغال ترد إلى المطبعة فى مقرها الحديد من مختلف النظارات والمصالح . وعين المدير الحديد عدداً كبيراً من العمال الفرنسيين والإيطاليين المتخصصين فى الفن المطبعي .

ولكن بعد مضي سنتين على نقل المطبعة اتضح لستون باشا أنها لن تستطيع أن تعيش على إيراداتها الخاصة ، فرأى حرصاً على مصلحة موظفيها وعمالها وتأميناً لمستقبلهم أن يقترح ضمها إلى مطبعة بولاق^(١) وقد ضمت بالفعل ابتداءً من ١٠ مايو سنة ١٨٨١^(٢)

وفي ١٦ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (١٠ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) وزع المنشور الآتي على مختلف المصالح : « مطبعة أركان حرب سبق إحالتها على المطبعة الميرية وصار الاثنان مصلحة واحدة ، وحيث بهذا يلزم أن كامل المشغولات والمطبوعات التي كان معتاداً طلبها من مطبعة أركان حرب تطلب من المطبعة الميرية ويكتب عنها مباشرة لحضرة ناظرها بنمرتها في تاريخه نشر للجهات عمومًا وهذا لحضرتكم لمعلوماته وإجراء بمقتضاه^(٣) » .

وقامت المطبعة بطبع جريدة أركان حرب الجيش بعد أن طبعت فترة من الزمن في مطبعة وادي النيل^(٤) .

ولم تكن مطبعة أركان حرب المطبعة الرسمية العسكرية الوحيدة خلال حكم إسماعيل ، بل كانت هناك مطبعة أخرى تسمى مطبعة المدارس الحربية لا يُعرف عنها أكثر من أنها طبعت في سنة ١٢٩١ هـ كتاب الأزهار الرياضية في الأعمال الطبوغرافية تعريب عبد الرحمن علي (طبع حجر) . وطبعت في سنة ١٢٩٩ هـ القانون المالي المصري وقانون المدارس الحربية . وأكبر الظن أنها ضمت هي الأخرى إلى مطبعة بولاق بعد أن أعيدت إلى الحكومة المصرية .

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أمر ناظر الداخلية بإنشاء مطبعة الداخلية الجلية لتقوم بطبع الوقائع المصرية . وتزودت بالآلات والمعدات من مطبعة بولاق . وقد نفذ أمر الناظر في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٠^(٥) . وطبعت فيها الوقائع ابتداءً من العدد ٩٣٣

(١) S. Limongelli : op. cit., p. 10.

(٢) أمر من دولتلو ناظر المالية لمطبعة بولاق رقم ١٠ مايو سنة ١٨٨١ نمرة ١٨٢ إدارة . دفتر استحقاقات مطبعة بولاق لسنة ١٨٨١ جزء أول ص ٦٧ ؛ دفتر ٨٥٢ عين ٣١ ، مخزن المعاشات بالقلعة .

(٣) منشورات صادرة من ابتداء سنة ١٨٨١ إفرنكية ص ٣٥٩ بولاق سنة ١٣٠٢ هـ .

(٤) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ص ٦٠ ، (الأمير) عمر طوسون : البعثات العلمية ص ٤٩٨ .

(٥) أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ص ٢٢٧ .

الصادر في ٩ أكتوبر سنة ١٨٨٠ . ثم عادت الوقائع إلى الصدور من مطبعة بولاق ابتداء من أول يولييه سنة ١٨٨٤ .

ومن مطبوعاتها في عهدها الأول « تجارة مصر الخارجية من سنة ١٨٧٩ إلى سنة ١٨٨١ » وقد طبعت على الحجر . كما طبعت مجلة « المنتخب » ابتداءً من عددها الثاني ، أي من شهر يوليو سنة ١٨٨١ .

ثانياً : مطابع الأجانب

استأنفت المطبعة الأوربية بالإسكندرية نشاطها بعد وفاة صاحبها بداء الكوليرا سنة ١٨٣٠ . فقد طبعت في سنة ١٨٤٥ للجمعية المصرية قائمة مكتبها باللغة الإنجليزية . كما طبعت كتباً أخرى يوجد بعضها في دار الكتب المصرية . ويبدو أن تلك المطبعة كانت الوحيدة من نوعها بالإسكندرية إذ لم يكن هناك ما يدعو إلى إنشاء غيرها . ولم يعرف كيف انتهت مطبعة الإسكندرية الأوربية ولا متى انتهت ، وإن كان يغلب على الظن أنها اختفت بظهور غيرها من المطابع الإفرنجية في الثغر .

أما القاهرة ، فقد عرفت أول مطبعة إفرنجية في سنة ١٨٤٢ وهي مطبعة إمبلوني Imbelloni^(١) . وفي وثائق عابدين ما يؤيد وجود تلك المطبعة في حوالى ذلك التاريخ . وكانت الحكومة تطبع فيها الكتب الفرنسية الخاصة بتلاميذ مدرسة الألسن والمدارس الخصوصية الأخرى^(٢) . ولا يعرف عن تلك المطبعة أكثر من ذلك . ومن المرجح أنها أغلقت في أواخر عهد محمد علي أو في عهد عباس الأول .

وكان بالقاهرة في سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤ م) مطبعة كاستللي . وقد طبعت

(١) Le Bosphore Egyptien, lundi 20 décembre 1886, No. 1527, Neuvième Année.

(٢) محفوظات عابدين ، دفتر ٤٨ مدارس عربي ، ص ٢٩٢٩ رقم ١٤٢ إلى المعية الخديوية في ٧ جمادى ثان سنة ١٢٦٣ .

كتباً باللغة العربية نذكر منها « الخطب السنية للجمع الحسينية » للشيخ مصطفى البولاقي (١) .

وكان يوجد بالإسكندرية سنة ١٨٥٣ طابع إيطالي اسمه أوتولنجي Ottolenghi لا يعرف عنه شيء يذكر .

وأول مطبعة كبيرة أنشئت بالإسكندرية هي مطبعة فانسان بناسون Vincent Penasson . وهو طابع من جزيرة كورفو فرنسي الأصل إيطالي الجنسية . وأخذت مطبعته منذ تأسيسها في سنة ١٨٥٧ تتقدم بخطى واسعة . وبعد موته انتقلت ملكيتها إلى ابن شقيقته أنطوان هورن .

وفي حوالى سنة ١٨٦٠ أسس أنطوان موريس بالإسكندرية مطبعة جلب لها طابعة أوتوماتيكية طراز ألوزيه وهي أول طابعة من نوعها عرفها مصر . وأطلق موريس على مؤسسته اسم « المطبعة الفرنسية بالإسكندرية » .

واشترك موريس بعد ذلك مع زميلين له اسم الأول رى Ry واسم الآخر رافيولو Raviolo وعرفت المطبعة باسم موريس وري وشركائهما ثم باسم أنطوان موريس وشركائه بعد أن سافر رى . وسميت آخر الأمر بالمطبعة الفرنسية أنطوان موريس بعد وفاة رافيولو .

ولما أهدى سعيد باشا عبد الرحمن رشدى بك مطبعة بولاقي ، قرر صاحب المطبعة الحديد أن يقوم بإصلاحها ، فأرسل في طلب أنطوان موريس وعرض عليه عقداً لمدة خمس سنوات وبعد أخذ ورد اتفق الطرفان على أن يقوم موريس بإعادة تنظيم المطبعة ويتقاضى في مقابل ذلك ولدة سنتين مرتباً شهرياً قدره أربعة آلاف قرش وثلاثون في المائة من الأرباح .

ترك موريس شريكه رى على رأس المطبعة الفرنسية بالإسكندرية وتفرغ لتنظيم مطبعة بولاقي . ثم سافر إلى باريس حيث ابتاع مطابع آلية ماركة ألوزيه . وهي آلات شهد لها الجميع في ذلك الحين بحسن أدائها ومتانة صنعها . ولما باع عبد الرحمن رشدى مطبعة بولاقي إلى الدائرة السنية أعطى موريس نصيبه من الثمن فناله خمسة آلاف جنيه .

(١) يوسف اليان سركيس : المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ٦٠٧ .

عاد موريس إلى الإسكندرية سنة ١٨٦٣ وبدأ يعمل على توسيع مطبعته بعد أن ضم إلى رأس المال المبلغ الذى ناله من بيع مطبعة بولاق . وازداد الضغط على مطبعة موريس وانهاالت الطلبات عليها من شركة قناة السويس . واضطر موريس أن يقوم بتوسيعها مرة أخرى وجلب لها أحسن المعدات . واشتركت المطبعة الفرنسية فى معرض باريس الذى أقيم فى سنة ١٨٦٧ فنالت مطبوعاتها المعروضة الميدالية الفضية أسوة بمطبعة بولاق .

وكان موريس يقوم إلى جانب أعماله الكثيرة بطبع بعض مطبوعات الحكومة . فقد طبع جانباً من مؤلفات مارييت^(١) . كما طبع صحيفة « إيجبت » الفرنسية مدة خمس سنوات اعتباراً من شهر مارس سنة ١٨٧٤ . وكان يتقاضى فى مقابل ذلك ستين ألف فرنك سنوياً^(٢) . وطبعت مطبعة موريس فهرست دار الآثار المصرية وتقاظت عنه « أربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة وخمسة وثمانين غرشا^(٣) » ومختصر تاريخ مصر باللغة الفرنسية^(٤) . كما طبعت بعض المطبوعات لنظارة الحقانية^(٥) . وكان أنطون موريس يقوم بطبع المونيتور إجيسيان لحساب الحكومة المصرية^(٦) . وفى سنة ١٨٧٥ أسس موريس المطبعة الفرنسية ببور سعيد وسلم إدارتها إلى سرير Serrière الذى أصبح فيما بعد صاحب المطبعة .

وتأثر موريس بالأزمة المالية الشديدة التى كانت تعانيها الحكومة المصرية ، فاضطر إلى قبول إدارة مطبعة أركان حرب الجهادية وترك مطبعته بالإسكندرية لأحد مستخدميه . ولما ضمت مطبعة أركان حرب إلى مطبعة بولاق أصبح موريس مديرها الفنى .

وعرفت مصر المطابع الحجرية متأخرة بعض الشيء بفضل المطابع التى ألحقها الحكومة المصرية بمدارسها العسكرية وغير العسكرية . أما مطابع الأجانب فقد

(١) محفوظات عابدين ، أمر كريم للمالية فى ١٦ شوال سنة ١٢٨٩ .

(٢) أمين سامى (باشا) . تقويم النيل ، الجزء الثالث ، المجلد الثالث ، ص ١٤٤٧ و ص

١٤٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦٩ .

(٥) المصدر السابق ص ١٢٣٥ .

(٦) المصدر السابق ص ١٣٥٠ .

عرفتها في سنة ١٨٦٧ حين أسس بناسون بالإسكندرية أول مطبعة حجرية فنية أجنبية . واستقدم بناسون الخبراء والفنيين من أوروبا . وتمكن بعد قليل من إخراج أشغال غاية في الدقة والإتقان مما حدا بالحكومة المصرية أن تطلب إليه في سنة ١٨٦٧ طبع المجموعة الثانية من طوابع بريدها . وقام الفنان « هوف » بعمل الرسم . وكان عبارة عن شكل بيضوي رسم فيه أبو الهول والهرم الأكبر . وصدر في تلك السنة أمر بمنح تلك المطبعة امتياز طبع طوابع بريد الحكومة . وكان عدد طوابع هذه المجموعة سبعة .

وعرفت المطبعة بعد ذلك باسم المطبعة الخديوية وقام على إدارتها أنطون هورن بعد أن انتقلت إلى شارع الكلوب الإنجليزي . وبعد موت مؤسس المطبعة حل ابن أخيه محله ، غير أن الأشغال بدأت تقل شيئاً فشيئاً واضطرت المطبعة آخر الأمر إلى إغلاق أبوابها^(١) .

ومن المطابع الأجنبية الشهيرة المطبعة الفرنسية لصاحبها دالبوس وديموريه Dalbos-Demouret . وكانت في أول أمرها بشارع أوتيل أوريك حيث قامت بطبع تقرير شركة مياه القاهرة في سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ . وانتقلت بعد ذلك إلى شارع البوسطة القديمة ثم إلى شارع المحكمة . وفي سنة ١٨٨٠ دخل جابلان شريكاً ثالثاً وأصبحت المطبعة تعرف باسم « المطبعة الفرنسية ليون جابلان وشركاه Typographie Française Leon Jablin & Cie.

وفي الإسكندرية تأسست المطبعة الأمريكية لطبع الكتب الدينية حسب المذهب البروتستانتي . وكانت حروفها هي حروف المطبعة الأميركية ببيروت . وفي القاهرة قام أندريه كاستاليولا في سنة ١٨٧٠ بتأسيس مطبعة زودها بأحدث أدوات الطباعة . وامتازت بطبع إعلانات الحائط الملونة والمطبوعات التجارية . وعمل الشيخ على يوسف في تلك المطبعة قبل أن يؤسس جريدة المؤيد^(٢) . وعرفت القاهرة المطابع الحجرية الفنية الأجنبية بعد الإسكندرية بوقت طويل .

(١) Histoire de la lithographie en Egypte; Revue l'art graphique en Egypte, p. 34.

et p. 35, Février 1933.

Munier : La presse en Egypte, Le Caire 1930, p. 28.

(٢)

وأول من أنشأ مطبعة من هذا النوع هو دى لاروكا سنة ١٨٧٧ . وتلاه بعد ذلك نقييل كاستاليولا فقد أضاف إلى مطبعة الحروف التي أنشأها قسماً للطباعة الحجرية . وفي سنة ١٨٨١ أسس فرنان موريس بن أنطوان موريس مطبعة بالقاهرة اختار لها مقراً في حي الأزبكية واشترك أخوه معه في تأسيسها وأطلقا عليها اسم « المطبعة الفرنسية لصاحبها فرنان موريس وشركاه » . وعلى الرغم من النجاح العظيم الذي لاقته المطبعة في أول عهدها فقد اضطرت إلى التوقف عن العمل خلال الثورة العربية .

إن مطابع الأجانب في تلك الحقبة من تاريخ الطباعة في مصر كانت في تقدم مستمر نظراً لكثرة الأجانب وازدياد عدد الشركات والبيوت التجارية والملاهي وما إليها من الدور التي كانت في حاجة إلى مطبوعات مختلفة الأنواع . ولما اشتعلت الثورة العربية انكمش الأجانب في مصر وخاصة بالقاهرة حيث أغلقت بعض المطابع الأجنبية أبوابها .

ثالثاً : مطابع المصريين

انتشرت مطابع المصريين خلال حكم سعيد للبلاد . وطبع في ذلك العهد كتاب « سفينة الملك » تأليف الشيخ شهاب الدين مصحح العلوم وشاعر محمد علي . ويقع هذا الكتاب في ٤٩٦ صفحة مطبوعة على الحجر . وذكر في آخر الكتاب « كان تمام طبعها في المطبعة الحجرية بمصر المحمية مصححة على تصحيح مؤلفها في غرة جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف » أي في سنة ١٨٥٦ . وإن صدق تقدير مدير شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر . فإن مطبعته التي كانت تعرف باسم المطبعة الميمنية ، نسبة إلى اسم أحد شركاء مؤسسها ، تكون قد تأسست في سنة ١٨٥٦ . وتولى إدارة المطبعة في نشأتها الأولى أحمد البابي الحلبي .

وأخذت أمهات حروف تلك المطبعة من أمهات حروف المطبعة الأميرية .

ببلاق .

وفي ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) قرر المجلس المخصوص الترخيض للملاطيه لى محمود محمد كتابجى بنخان الخليلى بفتح مطبعة حجرية « لطبع بعض كتب صغيرة لازمة لتعليم الأطفال لأجل سهولة معاشه ومنفعة الأطفال تحت ظل الخديوى^(١) ». وقد اشترط المجلس على صاحب المطبعة الجديدة وعلى غيره ممن يريدون فتح المطابع ، أن يقدموا أصول الكتاب المراد طبعه إلى نظارة الداخلية « لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضرّة للديانة ولنافع الدولة العلية والدول الأجنبية والعامة أم لا . . . » كذلك لا يمكن لأية مطبعة أن تطبع « جرائيل وغازيات وإعلانات . . . » قبل طلب الترخيض بذلك من نفس النظارة وإلا عرض مطبعته للإغلاق . ويمنع المجلس المطابع من « نشر زطبع كتب ورسائل إهانة للديانة وللبوليتيكية والآداب والأخلاق . . . »

وحرصت نظارة الداخلية أيضاً على مصلحة المؤلف ، فهي تفرض على المطبعة ألا تطبع إلا الكمية التى اتفق عليها بينها وبين صاحب الكتاب أو الملتزم وإلا عد ذلك سرقة يعاقب عليها .

ويقبل الناس فى عهد سعيد على فتح المطابع ، فقد أنشأ محمد عثمان الونائى مطبعة حجرية^(٢) لطبع عليها كتاب العيون اليواقظ . ثم باع المطبعة بعد أن تم له طبع الكتاب .

أما أول مطبعة حروف أنشئت فى ذلك العهد فهي المطبعة الأهلية القبطية . وإلى الأنبا كيرلس الرابع المعروف بأبى الإصلاح القبطى يعود فضل التفكير فى تأسيسها . وكان مقرها فى البطريكية القبطية بشارع كلوت بك . وكان الغرض من إنشائها نشر الكتب الدينية المخطوطة . وطلب البطريك من رفله عبيد السورى الأرثوذكسى فى حوالى سنة ١٨٦٠ أن يبتاع له من إنجلترا مطبعة كاملة المعدات . وطلب البطريك من الوالى سعيد أن يأذن لأربعة من الرهبان الأقباط بتعلم فنون الطباعة بالحروف فى مطبعة بولاق .

ولما وصلت المطبعة إلى القاهرة تسلمها جورجى كرياكو الخبير فى صناعة

(١) محفوظات القلعة ، قرار من المجلس المخصوص فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ ، دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات مجلس الأحكام ص ٣٠٧ .
(٢) أبو الفتوح أحمد رضوان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

الحروف . وقام بإعداد الحروف اللازمة لها والتزم بإدارة المطبعة لحسابه بعد أن توفي صاحبها البطريك .

ويقال إن البطريك لما علم بنجر وصول المطبعة إلى ميناء الإسكندرية طلب إلى وكيل البطريكية القبطية بالقاهرة أن يستقبلها باحتفال رسمي يسير فيه الكهنة والشمامسة بملابسهم الكنائسية الخاصة . وعندما سئل البطريك عن السبب الذي دعاه إلى الاحتفاء بتلك المطبعة أجاب : « إنما أنا أحيي النهضة العلمية وأحتفل بمستقبل حظ الأقباط منها . لأن هذه الآلات الحديدية هي الوسيلة الوحيدة للرقى والدليل على احترام العلم والرغبة في إحرازه عن طريقه القويم . ولئن استغربتم صدور أمرى ، فإننى لو كنت حاضراً لرقصت أمامها طرباً كما رقص داود النبي أمام تابوت العهد^(١) » .

ولم تبدأ المطبعة عملها فعلاً إلا في سنة ١٨٧٠ . وشكلت لها لجنة خاصة لتقرر ما يصح طبعه من الكتب والمخطوطات القديمة . واتخذ لها مقراً منزل الرهبان أمام الدار البطريكية . ونشرت المطبعة عدداً كتب الدين ، كتباً علمية وتاريخية وأدبية منها « تهذيب الأخلاق » لأبى زكريا يحيى بن عدى التكريتى (١٥٨٨ قبطية) . وأخرجت تلك المطبعة مؤلفات ثمينة أحدثت في الأمة ثورة أدبية كان تأثيرها هائلاً في الأفكار . . . » .

إلا أن النساخين الأقباط الذين كانوا يعيشون على نسخ كتب الصلاة القبطية قاموا في وجه المطبعة مما جعلها لا تنتج بالقدر الذى كان منتظراً منها .

وأنشأ أحد المغاربة واسمه السيد محمد هاشم في سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) مطبعة حروف طبعت ديوان الشيخ محمد شهاب شاعر محمد على . وكانت المطبعة في حارة بيرجوان .

وفي سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) أنشأ مصطفى وهبى المطبعة الوهبية ، وكان وكيلها لدار الكتب الخديوية وأصله مملوك الشيخ شهاب المشهور ، شاعر محمد على ونديمه . وقامت تلك المطبعة بطبع كتاب مراقى الفلاح شرح نور الإيضاح للشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى (١٢٨١ هـ) .

(١) توفيق إسكاروس : تاريخ الطباعة في وادى النيل ، مجلة الهلال مارس ١٩١٤ .

ونشرت الوقائع المصرية في عددها الصادر في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦ هذا الإعلان : « بحانوت الشيخ حسن زغلة الكتبي داخل بوابة سيدنا الحسين مما يلي باب المزينين أحد أبواب الأزهر المعلوم للناس أجمعين يباع شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر بن أيوب مطبوعاً بمطبعة السيد محمد شاهين على الوجه المرغوب^(١) » .
لم يكن عدد المطابع الأهلية المصرية بالقاهرة قليلاً خلال حكم الوالي سعيد بالنسبة إلى الحالة التي كانت عليها البلاد في تلك الحقبة من تاريخها .
وفي أول حكم إسماعيل أنشأ قدرى باشا ناظر المعارف مطبعة له . ولكنها لم تعيش طويلاً . وفتحت بعدها مطبعة وادى النيل^(٢) .

وفي سنة ١٨٦٨ أسس محمد باشا عارف أحد أعضاء مجلس الأحكام جمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة . وانتهر إبراهيم المويلحي الفرصة لينشئ مطبعة باسم الجمعية تطبع فيها تلك الكتب^(٣) . ووضع إسماعيل الجمعية تحت رعاية ابنه توفيق . ولكن حدث أن اتهم رئيس الجمعية بالاشتراك في الدعوة إلى خلع إسماعيل وإحلال الأمير حلیم محله ، ففر إلى الآستانة حيث توفي^(٤) .

وقامت مطبعة جمعية المعارف بطبع جريدة نزهة الأفكار التي أنشأها إبراهيم المويلحي والتي أغلقت بعد العدد الثاني^(٥) . وطبع في هذه المطبعة عدد لا بأس به من الكتب الأدبية والدينية .

ومن المطابع الكبرى التي تأسست في ذلك العهد ، المطبعة الشرفية التي أسسها محسن شرف بالقاهرة سنة ١٨٧٣ . وتولى إدارتها أحمد شرف . وكان يعمل في تلك المطبعة ثمانية صفافى حروف وعامل لتوضيب الصفحات ومصصح . وكانت المطبعة تطبع بالحروف وعلى الحجر .

ويلاحظ على مطابع المصريين في ذلك العهد أنها لم تكن في المستوى الذي كانت عليه مطابع الأجانب . وهذا يعود إلى أن الإقبال على المطابع الأولى كان قليلاً بالنسبة للإقبال على المطابع الثانية .

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤١ في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦ .
(٢) يأتي الكلام عن هذه المطبعة في الجزء الخاص بمطابع الصحف .
(٣) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ص ٧٨ .
(٤) عمر طوسون : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ و ص ٣٢٧ .
(٥) جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٢

رابعاً : مطابع الصحف

لم يكن للصحف المصرية مطابع خاصة بها في أول الأمر ، بل كانت تطبع في المطابع التجارية . وأول مطبعة أنشئت لطبع صحيفة هي مطبعة وادى النيل . وقد أسسها في سنة ١٨٦٦ أبو السعود أفندى والد أنسى بلك مفتش المعارف سابقاً^(١) . وكانت حروف صحيفة وادى النيل هي حروف مطبعة بولاق ثم صب صاحبها حروفاً جديدة على قاعدة تخالف قاعدة بولاق وأعلن خفض أجور المطبوعات إلى الثلثين^(٢) . وكانت مطبعة وادى النيل في حي باب الشعرية ، في المكان نفسه الذي كانت تحرر فيه الصحيفة . وكان صاحبها يقيم أيضاً في البناء نفسه^(٣) . وكان الحديو إسماعيل شديد الاهتمام بتلك الصحيفة ، يصدق على صاحبها المال ويمدها بالأخبار . فقد قرر لها سنة ١٨٧٢ ثمانية وعشرين ألف قرش إعانة تشجيعاً لصاحبها على المضي في نشرها^(٤) .

واشتهرت مطبعة وادى النيل بكثرة عدد عمالها وآلاتها وظلت تعمل ما يقرب من عشرين سنة . ولم يقتصر نشاطها على طبع صحيفة وادى النيل ، بل تعداه إلى طبع نشرة أركان حرب الجيش المصرى ومجلة روضة المدارس . إلا أن طبعها للصحيفة الأولى كان أقل أناقة من مطبعة عموم أركان حرب . وطبعت أيضاً صحيفة روضة الأخبار لمحمد أنسى . وإلى مطبعة وادى النيل يعود فضل نشر عدد لا بأس به من الكتب العربية ، فقد قامت في سنة ١٢٨٦ هـ بطبع « الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر » لعبد اللطيف البغدادي . واهتمت أيضاً بالمكفوفين فطبعت لهم في سنة ١٢٩١ كتاب « القراءة والكتابة للعميان »

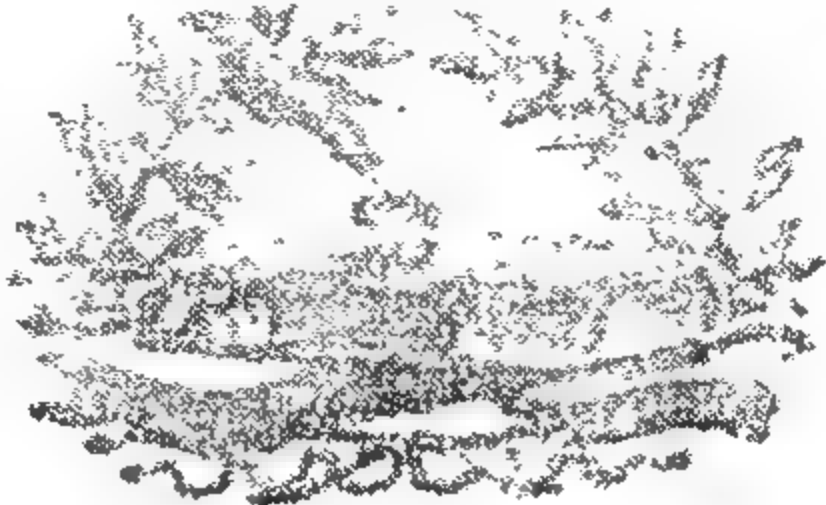
(١) A. Geiss; op. cit., p. 39

(٢) الهلال ، مارس سنة ١٩٠١ ، السنة التاسعة .

(٣) إبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، المطبعة النموذجية بالقاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ ، ص ١٠٢ الحاشية .

(٤) محفوظات عابدين ، وثيقة رقم ٢١١ ، معية تركي ، في ٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٩ .

(شركة ١) يوم السبت ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ الموافق ٩ برمود سنة ١٥٨٦ (شعبان ١٣٨٦)



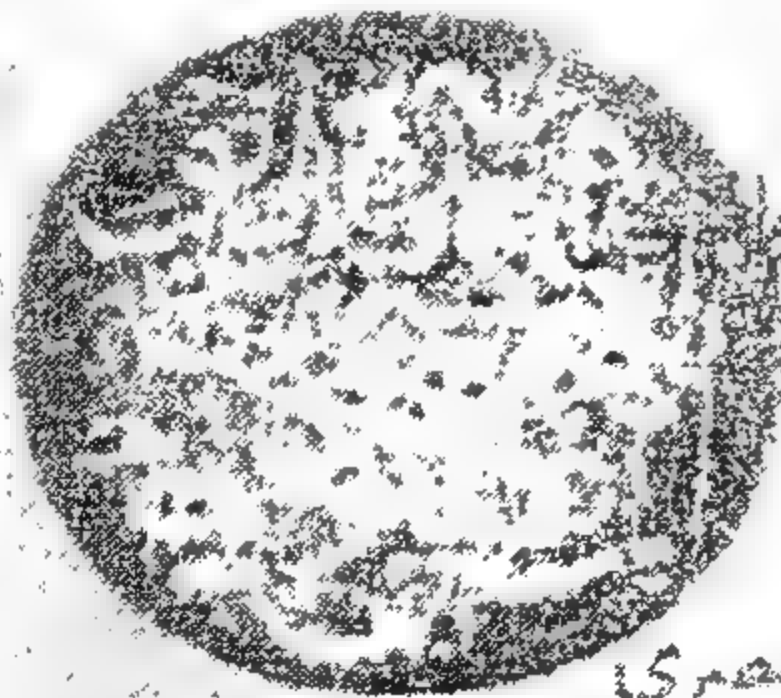
روضة المدارس المصرية

تعلم العلم واقرأ في شمس نهار النور
والله قال يحيى في خلد السكابة

تحت نظارة

رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس

مباشرة تحريرها



على فوهى بك مدرس الانشاء مدرسة الادارة

تطهر في الاسبوعين مرة واحدة

ومن ترتيبها عن سنة واحدة

٧٧	٦	بالقاهرة
٨٢		بالمدارس المصرية
٩٠		بالخارج
أو ٣٣ فرقة واحدة		

مطبعة جرنال وادى النيل

بالقاهرة الخروية قسما الشرقية

لمحمد أنسى ، وهو أول كتاب من نوعه يصدر في مصر والبلاد العربية .

وفي سنة ١٨٧٢ تأسست مطبعة جريدة كايرون اليونانية وكان صاحبها المسيو فافا كوكى . وكان يشرف على العمل فيها جاك استاورو . أما العمال فكان عددهم ثمانية عشر ، ثمانية لصف الحروف وثلاثة لإدارة الطابعة الوحيدة الإيطالية الطراز . وإلى جانب طبع الصحيفة كانت المطبعة تقوم بإنجاز بعض المطبوعات التجارية^(١) . ولطابع جريدة الأهرام الكائنة اليوم ببولاق وشارع الجلاء قصة تبدأ في الإسكندرية سنة ١٨٧٥ ، فقد تقدم سليم تقلا في تلك السنة إلى الخديو إسماعيل يستأذنه في إنشاء جريدة الأهرام . وقد أشر المسؤولون في نظارة الخارجية على الطلب « يتوضح من مقدمه عن كيفية الجريدة الملتبس إنشائها في مدينة الإسكندرية مع إيضاح موقع المطبعة المقتضى الطبع فيها وإن كانت حبر أو حروف » . فكتب سليم على الطلب « الإفادة عن ذلك أن الجريدة الملتبس إنشائها في مدينة الإسكندرية تحتوى على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا من المقاصد طبع بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكم والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وما شاكل ذلك من الأشياء الجائز طبعها بدون أن أتعرض للدخول مطلقاً في الأمور البوليتيقية ، وإذا وقع منى مخالفة أو أجريت طبع شيء مما لا يجوز طبعه فإني قابل ما يترتب على حسب قوانين المطبوعات . كما أتعهد بأن كل ما يجرى طبعه أقدم من كل طبعة نسختين لنظارة الخارجية بالحليلة . وبما أن المطبعة المقتضى طبع الكتب المذكورة فيها كائنة بجهة المنشية بالإسكندرية وأنها مطبعة حروف تحت اسم مطبعة الأهرام .. » وأرسلت نظارة الخارجية إلى ضبطية الإسكندرية إفادة رقم ٥ في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٧٥ هذا نصها : « تقدم إلى الخارجية لإنهى من الحاجة سليم تقلا يلتبس التصريح إليه بإنشاء مطبعة حروف تسمي "الأهرام" كائنة بجهة المنشية بالإسكندرية : يطبع فيها جريدة تسمي "الأهرام" أيضاً ، تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر

والأشعار والقصص الأدبية وما ثل ذلك من الأشياء الجائز طبعها. وحيث إنه أخذ على الحاجة المذكور التعهد اللازم بعدم التعرض للدخول مطلقاً في المواد البوليتيكية وامتناله لقانون المطبوعات ومعاملته بمقتضاه عند وقوع أى مخالفة منه وعلى أنه يقدم للخارجية نسختين من كل ما يطبعه وأعطيت له الرخصة اللازمة من قلم المطبوعات بالخارجية فاقتضى ترقيمه لسعادتك للمعلومية وعدم المعارضة للحاجة المذكور في إنشاء المطبعة المحكى عنها وعلى الوجه المتقدم ذكره . أفندم .

« في ٢٩ ذو القعدة سنة ١٢٩٢ .

ناظر خارجية وتجارة^(١)

ختم

لم تكن مطبعة الأهرام مقصورة إذن على طبع الجريدة فحسب بل كانت تقوم أيضاً بطبع الكتب الأدبية والقصص . ولم تصدر الأهرام إلا بعد حصول صاحبها على الترخيص بسبعة أشهر وتسعة أيام^(٢) . وفي تلك الأثناء أرسل سليم تقلا في طلب أخيه بشاره فحضر الأخير في الحال . وبدأ الشقيقان يعملان معاً فاشترى مطبعة واحدة « هزيلة بطيئة^(٣) » . وأول مطبوع أخرجته هو « مثال الأهرام » ، وكان ذلك في ١٥ يولييه سنة ١٨٧٦ . وكانت المطبعة تستخدم في أول الأمر الحروف المسبوكة في بيروت . وكانت لديها أيضاً حروف فرنجية مختلفة الأشكال والأحجام . وتنقسم حروف مطبعة الأهرام العربية إلى نوعين . فالنوع الأول كبير واضح قليل الهمزات يشبه إلى حد كبير حروف الوقائع المصرية . أما النوع الآخر فهو صغير يشبه حرف بنط ١٢ المستعمل اليوم ، وإن متصفح الأعداد الأولى لتلك الجريدة لا بد وأن يحكم أنه لم يكن فيها مصحح . وأكبر الظن أن الشقيقين سليم وبشاره كانا يقومان بتلك المهمة بقدر ما كان يسمح لهما وقتيما . ولذا جاءت الأعداد الأولى كثيرة الأخطاء المطبعية . وإن حروف أعداد السنة الثانية من الأهرام أكثر وضوحاً والأخطاء المطبعية قليلة إن لم تكن نادرة . وأخذت مطبعة الأهرام تقوم بنشر

(١) وزارة الداخلية ، إدارة المطبوعات دوسيه رقم ١١ - ٩٤٦/٢ الجزء الأول .

(٢) إبراهيم عبده : جريدة الأهرام ، ص ٢٢ وما بعدها ، دار المعارف سنة ١٩٥١ .

(٣) خليل مطران : بشاره تقلا ، القاهرة سنة ١٩٠٢ ، ص ٥ .

الروايات المترجمة إلى اللغة العربية وتعرضها للبيع بأرخص الأثمان^(١) .

ولم تستمر مطبعة الأهرام على الحرف الكبير مدة طويلة ، فقد رأت ابتداء من العدد السادس أن تستبدله بحرف أصغر . وقد كتبت تقول « نظراً إلى إقبال المشتركين على الأهرام ، اعتمدنا أن نجعل حروفها في العدد الآتى وما فوقه من الجنس الثانى — أى الصغير — فتكون جامعة أكثر من الجنس الأول وكافلة بدرجة ما يجب وضعه مما يفيد المطالع^(٢) » . ولا يقتصر اهتمام مطبعة الأهرام على الحروف وأحجامها وأنواعها فحسب . بل تضيف إلى أقسامها فرعاً لتجليد الكتب تعلن عنه فى أحد أعدادها ، إذ تقول إن « إدارة الأهرام قد استحضرت على مجلد لتجليد الكتب متقن هذه الحرفة حق الإتقان ويأتى حسب إرادة الطالب سواء كان المطلوب تذهيباً أم كتابة وما شاكل ذلك . فمن يرغب تجليد شئ فليخاطب الإدارة^(٣) » .

ويتسع نشاط مطبعة الأهرام وتكثر الطلبات عليها ويقرر آل تقلا شراء طابعة جديدة يعلن عنها فى عدد الأهرام الصادر فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٨ على النحو الآتى : « إن الوابور الذى كنا ننتظر حضوره حضر فى هذا الأسبوع . وهو آلة جميلة تطبع فى الساعة نحو ألف طامحة من الورق طبعاً نظيفاً متقناً للغاية . واستحضرننا قبله ومعه جميع أشكال الحرف الإفرنجى الجميل لتقوم إدارتنا بحقوق الجريدة الرسمية المختصة بمجالس الحقانية التى تطبع عندنا الآن بالعربية والفرنسوية والإيتالية ولنقوم أيضاً بخدمة من يشرفنا بطبع ما يروم ، فترجو من الجمهور أن يثق باستعدادنا لمرضاته وهى حسبنا » .

وكان بشارة تقلا يقوم بترجمة التلغرافات الواردة إلى صحيفته ويوزعها على المشتركين صباحاً ومساءً ، مما جعل المطبعة تشتغل ليل نهار لكى تقدم للمشاركين الأخبار الخاصة بالحرب الروسية التركية ساعة فساعة . فمطبعة الأهرام إذن هى المطبعة الأولى فى مصر التى عملت ليلاً ونهاراً . وعن تلك المطبعة صدرت خمس صحف وثلاث أخرى عدا الكتب والمطبوعات التجارية المختلفة . واستطاعت الأهرام بعد

(١) الأهرام فى ٧ يوليه سنة ١٨٨١ .

(٢) الأهرام فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٦ .

(٣) الأهرام فى ٧ أكتوبر سنة ١٨٧٦ .

فترة وجيزة من إنشائها أن تستحضر حروفًا عليها المهمزات والشدات . بينما كان معظم مطابع مصر خاليًا منها .

وقامت مطبعة الأهرام بطبع صدى الأهرام وهي جريدة يومية أصدرها سليم وبشارة تقلا . ويرجح أن يكون عددها الأول قد صدر في العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٧٦ . وصدرت عن مطبعة الأهرام أيضًا « حقيقة الأخبار » ، وهي مجلة صغيرة أنشأها بشارة تقلا سنة ١٨٧٨ لينشر فيها ترجمة البرقيات التي ترد إلى الأهرام عن الحرب الروسية التركية . ولما أغلقت « صدى الأهرام » أصدر سليم تقلا بدلًا منها جريدة أطلق عليها اسم « الوقت » وقد ظهرت في أوائل سنة ١٨٧٨ . وطبعت مطبعة الأهرام في سنة ١٨٧٩ كتابًا لأمين شميل عن المسألة الشرقية . وكانت قد طبعت قبل ذلك بسنة كتابًا للمؤلف نفسه ولسليم تقلا اسمه « الوافي في تاريخ المسألة الشرقية ومتعلقاتها » .

وقد عمل في مطبعة الأهرام في نشأتها الأولى أمين الحداد الذي هاجر إلى الإسكندرية . وكان مشرفًا على قسم تنضيد الحروف وعلى سائر الأدوات ، وكان يعمل بها في الوقت نفسه عبده بدران ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم التحرير . وتنشب الثورة العربية في صيف سنة ١٨٨٢ ويأمر عرابي باشا ناظر البحرية والجهادية بتعطيل صحيفة الأهرام شهرًا واحدًا ابتداءً من أول يونيه سنة ١٨٨٢ . وتظل مطابع الأهرام حرة طليقة تنجز ما يطلب إليها طبعه من كتب وأوراق تجارية . وقد صرحت الحكومة لسليم تقلا بإصدار صحيفة « الأحوال » التي ظهر عددها الأول في ٧ يونيه سنة ١٨٨٢ . غير أن حريق الإسكندرية لم يلبث أن يأتي على المطبعة ومحتوياتها؛ وتضطر « الأحوال » إلى الاحتجاب بعد صدورها بأسابيع . ويعود سليم تقلا مع أسرته إلى لبنان .

وفي سنة ١٨٨١ أسس فرنسي يدعى جاك سيري Serrière صحيفة البوسفور إجبسيان بمدينة بور سعيد واشترى لها مطبعة مورييس . وخلال الثورة العربية ألغيت تلك الصحيفة وتعطلت المطبعة .

ومن الملاحظ على مطابع الصحف في تلك الحقبة من تاريخ الطباعة أنها لم تكن تتميز عن سائر المطابع إلا في كثرة عدد عمالها . أما الطابعات فكانت

واحدة في مطابع الصحف ، ومطابع الكتب والأوراق التجارية ، ذلك أن عدد ما كان يوزع من نسخ الصحف كان محدوداً ، فلم تظهر الحاجة بعد إلى استيراد الطابعات السريعة التي كانت قد انتشرت في أوروبا وأمريكا .

الفصل الرابع

عهد التفوق

١٨٨٣ - ١٩٢٤

أولا : المطابع الرسمية

توقفت مطبعة بولاق عن العمل بعض الوقت خلال الثورة العربية واحتلال الإنجليز للبلاد . ونزح عدد من الأجانب عن مصر ومن بينهم بعض عمال المطبعة من الفنيين . وما لبث أن عاد الجميع بعد أن هدأت الأحوال . واستأنفت المطبعة أعمالها خلال شهر سبتمبر من سنة ١٨٨٢ . وفي ١٦ أكتوبر من السنة نفسها أبعاد على جودت بك عن نظارة المطبعة ليتولى أمرها حسين حسنى من جديد . وفي عهده تقدمت المطبعة تقدماً ملحوظاً . إذ بدأت تستبدل وسائلها القديمة بوسائل حديثة لتساير الزمن . وكانت المطبعة تقوم بتجليد سجلات المصالح الحكومية ودفاترها بالجلد الثمين ، فوافق حسين حسنى على الاستغناء عن الجلد في مثل هذه الأحوال . والاكتفاء بالتيل . ونتج عن هذا الإجراء وفر كبير .

وزاد عدد العمال الإيطاليين زيادة كبرى . وهم من فئة الطباعين وصفافى الأحرف والمجلدين . وقد ألحقوا جميعاً لطبع كتاب عن الإحصاء العام بالعربية والفرنسية . وأنجزت المطبعة فى تلك الفترة جميع الأشغال التى كلفتها بها المصالح الحكومية المختلفة كالأوامر والميزانيات والتقارير والسجلات . واستقدم من تورينو بإيطاليا حفار ماهر يدعى موسكا G. Mosca ، وهو أخصائى فى الطبع على الحجر . إلا أن شيخ الكوليرا ما لبث أن خيم على مصر فى سنة ١٨٨٣ . وراح هذا الداء الوبيل يحصد الناس حصداً . وأبدى عمال المطبعة شجاعة وصبراً وجلداً خلال تلك المحنة القاسية فظلوا يعملون فى غير اكتراث بالبواب الذى بلغت ضحاياه الآلاف . وكان العمال يبيتون فى المطبعة لإنجاز المطبوعات الخاصة بنظارة المالية

وكانت في حاجة ماسة إليها، ولإنجاز « لسان العرب » وهو معجم ضخم يتكون من عشرين مجلداً . ولما انتهى الوباء قام الخديو توفيق بزيارة المطبعة وأنعم على حسين حسنى برتبة الميرمران (١) في الثاني من شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٠ الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٣ . وظل ناظراً للمطبعة بولاق حتى أول مايو سنة ١٨٨٥ حين أنزلت درجته وأصبح ناظراً على القسم الأدبي . ولكن مرتبه ظل على ما هو عليه . وبقي حسين حسنى (باشا) في وظيفته الجديدة إلى أن توفي في ١٩ مارس سنة ١٨٨٦ (٢) .

وكانت ميزانية مطبعة بولاق مستقلة عن سائر ميزانيات النظارات حتى سنة ١٨٨٤ . وكان على رأس المطبعة مدير إداري ومدير فني ووكيل كان يقوم أيضاً بأعمال التصوير . ومعاون ورئيس للكتابة ورئيس للمحاسبين وثمانية عشر مستخدماً بين كاتب ومترجم ومعاون وثلاثة مستخدمين هم الصراف وأمين المخزن والمعاون . أما الخدم السائرة فكان عددهم أحد عشر .

وكان في قسم التصحيح العربي ستة عشر مستخدماً وكان على ورشة الجمع العربي رئيس مصري وعلى ورشة الجمع الإفرنجي أوربي يتقاضى مرتباً سنوياً قدره ٣٠٤ جنيهات مصرية في حين أن زميله المصري لم يكن مرتبه يزيد على ١٣٨ جنيهاً مصرياً . وكان على ورشة الطبع والتجليد رئيسان أجنيان . أما عدد الطابعين والمجلدين فكان يبلغ الثمانية . يضاف إلى ذلك العمال الذين كانوا يشتغلون بطريق الالتزام .

وقد قدرت ميزانية سنة ١٨٨٣ دخلاً للمطبعة قدره ٢٩٣٤٤ جنيهاً مصرياً . أما المصروفات فقد قدرت بـ ٢٥٠٧٧ جنيهاً مصرياً .

واعتباراً من سنة ١٨٨٤ أدرجت مطبعة بولاق في ميزانية الحكومة العامة . وهكذا سرت عليها ابتداء من تلك السنة جميع الأحكام المتعلقة بتأدية اللوازم بين مصالح الحكومة . ولما كانت كافة المصروفات التي تجريها المطبعة يجري احتسابها من أصل الاعتمادات الواردة لها بالميزانية . فقد صار يخصم على الجهات قيمة

(١) محفوظات القلمة ، دفاتر استحقاقات المطبعة من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٦ .

(٢) المصدر السابق .

الأصناف التي تصرف لها من المطبعة ، بل تضيف الجهات تلك الأصناف بحساباتها بالوجه وأصبح لزاماً على الجهات أن تحرر طلبات صرف الأصناف بدقة وأن تعطى إيصالاً بما يسلم إليها .

ولما كانت المطبعة ستعجز كافة مطبوعات الحكومة المصرية بما في ذلك نشر الوقائع المصرية و Le Moniteur Egyptien ، فقد رفع اعتمادها إلى ٣٢٥٥ جنيهاً مصرياً ، فأصبحت الميزانية ثلاثين ألفاً . ويلاحظ أن التنظيم الجديد لمطبعة بولاق قد حقق وفراً كبيراً في باب تموين الشون والمخازن .

وفي عام ١٨٨٤ استقدمت الحكومة المصرية إدمون بانجيه Banget من مطبعة « شيه » Chaix بباريس ليقوم بالتفتيش على المطبعة فنياً وإدارياً . وقد أبدى بانجيه إعجابه بمقدرة رؤساء الأقسام جميعاً . واقترح إجراء بعض التغييرات في الإدارة وفي معدات المطبعة . كما أشار بأن تتخلص المطبعة من حروفها القديمة ومن الآلات البالية التي تخلفت عن المطابع الرسمية الملغاة . وبعد أن قام بانجيه بتقديم تقريره لنظارة المالية ، صدر قرار في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٥ بتعيينه مديراً للمطبعة ليصلح نظامها ويدير حركتها . أما حسين حسنى (باشا) فقد نقل مديراً للقسم الأدبي كما رأينا ، بينما فصل أنطوان موريس وتقاضى عن فصله تعويضاً مناسباً .

وابتداءً من تعيين بانجيه على رأس المطبعة أطلق عليها رسمياً اسم « المطبعة الأهلية » وبالفرنسية^(١) Imprimerie Nationale .

وكان لابد لانتظام سير العمل وتقدمه من تعيين عدد آخر من العمال ، وكان بانجيه يلحق كل من يتقدم له ، ولو أنه كان يفضل الإيطاليين . فقد عين في عهده الحفار الإيطالي المعروف داميلانو G. Damilano الذي استقدمه من تورينو . وإلى العمال الإيطاليين يعود فضل إعادة طريقة الطبع بالقوالب المصبوبة المعروفة فنياً باسم Stéréotypie والطلاء بالكهرباء المعروف باسم Galvanoplastie والحفر على الزنك المعروف باسم Photo Zinctypie . وأحضر بانجيه من إيطاليا

(١) مجموعة القرارات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات في سنة ١٨٨٥ ، ص ١٥ . .

أحد الخبراء للإشراف على آلات السبك .

وكانت مطبعة بولاق موضع اهتمام الصحافة الأجنبية في مصر ، فكتبت صحيفة البوسفور إجبسيان في عددها الصادر في ٢ يولييه سنة ١٨٨٥ مقالا عنوانه « إصلاح حروف الطباعة العربية والتركية والفارسية » ، ذكرت فيه أن محمد حسن أفندي قد نشر كراسة باللغتين العربية والفرنسية يقترح فيها إصلاح حروف المطبعة العربية تسهيلا لمهمة طبع الحركات . وتضيف الصحيفة أن الحروف الثمانية والعشرين للأبجدية العربية تختلف أشكالها باختلاف أوضاعها مما يجعل عددها حالياً تسعمائة حرف . ويقرر محمد حسن (١) أفندي إلغاء حروف التعليق والاحتفاظ بشكل الحرف الأصيل . وهكذا خفض حروف الطباعة من تسعمائة إلى ٢٨ فأصبح طبع الحركات من السهولة بمكان . وترى الصحيفة أن الكتابة العربية لم تتغير على الرغم من تبسيطها ، وأن الكتب المطبوعة وفق الطريقة الجديدة ، أى بالحركات والحروف سوف تتكلف نصف أو ثلث ما كانت تتكلفه الكتب التي كانت تطبع بالحروف فقط . هذا من الناحية الاقتصادية أما من الناحية الأدبية ، فإن الأثر الذي سيركه إصلاح الحروف العربية سيكون عظيماً لأنه سيتيح للطبقة الفقيرة من المجتمع فرصة تعلم لغة الآباء والأجداد ، ولاشك في أن مثل هذه المقالة وغيرها من المقالات التي كتبت عن إصلاح حروف الطباعة العربية هي التي دفعت الحكومة المصرية آخر الأمر إلى تشكيل لجنة تبحث مشكلة الحروف العربية وتصف لها حلاً .

وإذا انتقلنا إلى سنة ١٨٨٦ وجدنا أن الميزانية اعتبرت مطبعة نظارة المالية جزءاً من المطبعة الأهلية ، وقد اعتمد لها مبلغ أربعمائة وستة وخمسون جنيهاً مصرياً خصصت للموظفين . ويلاحظ أن تلك الميزانية قد خفضت عدد موظفي المطبعتين من ٧٥ في سنة ١٨٨٥ إلى ٤٤ في سنة ١٨٨٦ ، كذلك انخفض الاعتماد من ثلاثين ألف جنيه في سنة ١٨٨٥ إلى اثنين وعشرين ألفاً وأربعمائة وستة جنيهات في سنة ١٨٨٦ (٢) .

(١) طبق هذه الفكرة المهندس اللبناني نصرى خطار بعد ذلك بخمس وسبعين سنة (انظر الطباعة في لبنان الفصل السادس) .

(٢) Budget provisoire du gouvernement égyptien pour l'exercice 1886, Le Caire, (٢)

Impr. Nationale, section des finances, 1886.

وفي شهر أغسطس سنة ١٨٨٧ زار بعض مهندسي نظارة الأشغال العمومية مبنى المطبعة الأهلية ببولاق ومبنى مطبعة نظارة المالية لدراسة الإجراءات التي يجب أن تتخذ لضم المطبعتين في مقر واحد . وكانت اللجنة التي شكلت لهذا الغرض قد اقترحت ضم المطبعتين الرسميتين ووقع اختيارها على المبنى الكبير الذي كان فيما مضى إسطبلا للخيول ، ويشغل الدور الأرضي من نظارة المالية . وكان أولو الأمر قد قرروا إجراء الإصلاحات اللازمة لإعداد المقر الجديد لاستقبال المطبعتين في أواخر سنة ١٨٨٧ . غير أنه عدل عن هذا القرار في اللحظة الأخيرة . وفكرت نظارة المالية في الوقت نفسه في إعادة النظر في عدد موظفي وعمال المطبعتين^(١) . وكان المسيو أورنشتين رئيس مكتب المستشار المالي قد تقدم إلى نظارة المالية بمشروع ضم المطبعتين . كما خفضت ميزانية المطبعة لسنة ١٨٨٨ بمقدار ألفين من الجنيهات تخصم من أجور العمال . وحددت مواعيد العمل في المطبعة فأصبحت تبدأ في الساعة السابعة والنصف صباحاً وتنتهي في الساعة الرابعة والنصف مساءً ، أي أصبح العامل يشتغل تسع ساعات يومياً بدلاً من سبع ساعات^(٢) . وبعد أخذ ورد دام أكثر من نصف سنة تم نقل مطبعة نظارة المالية في ١٣ يناير سنة ١٨٨٨^(٣) إلى المطبعة الأهلية ببولاق .

وكتبت صحيفة البوسفور إجبسيان في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨٨ نقلاً عن صحيفة كانت تصدر بالإسكندرية ، تقول : « بلغت ميزانية المطبعة الأهلية عن سنة ١٨٨٨ مبلغاً وقدره ٢٧٥٦٥ جنيهاً مصرياً وخصص ٦٠١٢ جنيهاً منه لمصروفات الإدارة . ولما ضمت إليها مطبعة نظارة المالية أصبحت الميزانية نتيجة لهذا الإجراء ٣٥٣٦٥ جنيهاً مصرياً منها ٤٤٥٨ جنيهاً للأعمال الإدارية والمصلحية . »

« إن المطبعة الأهلية مؤسسة واسعة وعظيمة ولكنها على الرغم من ذلك فإن الناس يجهلون كما لو أنها تعمل على ضفاف النهر الأصفر . . . »

وتستطرد الجريدة فتقول : « يعمل في هذه المؤسسة ٢٨٦ عاملاً باليومية ومتوسط أجر كل منهم في العام ما يساوي ألف فرنك » (أي حوالي أربعين جنيهاً) .

(١) Le Bosphore Egyptien, Lundi et Mardi 15 et 16 Août 1887.

(٢) المصدر السابق العدد رقم ١٨٢١ ، السنة العاشرة الأحد ١٢/٤/١٨٨٧ ص ١ عمود ٢ .

(٣) المصدر السابق العدد رقم ١٨٥٥ ، السنة العاشرة الجمعة ١٣/١/١٨٨٨ .

« وإن عدد الطلبات التي تتقدم بها مصالح الدولة المختلفة يصل إلى حوالي خمسة عشر مليون نسخة ، وإلى حوالي ثمانين ألف سجل أو دفتر .
« وتتطلب هذه الأشغال الهائلة استخدام ٢٥٠,٠٠٠ كيلوجرام من الورق و ٢٥,٠٠٠ كيلو جرام من الكرتون وحوالي ٢٠,٠٠٠ متر من القماش . وفي المطبعة ٣٧ طابعة تعمل عملاً متواصلاً ، ويدار خمس وعشرون منها بقوة البخار . أما الباقي فيدار باليد » .

وكانت إدارة المطبعة قد قامت بفصل عدد من الموظفين اعتباراً من أول مارس سنة ١٨٨٨ تمهيداً مع سياسة الوفرة التي استنتجتها نظارة المالية في ذلك الوقت ^(١) . غير أنه تبين بعد ذلك بسنة واحدة أن ميزانية المطبعة ما زالت في حاجة إلى ضغط . فقد زارها في أكتوبر سنة ١٨٨٩ رياض باشا وطلب الاطلاع على ميزانيتها وعلى كشف مستخدميها . وبعد أن عكف رئيس النظار على دراسة تلك الأوراق قرر إلغاء قلم الحسابات في المطبعة وفصل موظفيه اعتباراً من أول نوفمبر سنة ١٨٨٩ ^(٢) .
وفي ٥ يناير سنة ١٨٨٩ زار الخديو توفيق المطبعة الأهلية . واستقبله مديرها بانجيه (بك) ومعه رؤساء مصالح المطبعة . وطاف الخديو بمسبك الحروف العربية والإفرنجية والقاعة التي تطبع فيها الجريدة الرسمية الفرنسية وقسم جمع الحروف الإفرنجية والعربية وقسم المطابع الحجرية والبخارية واليدوية ومعمل الحفر على الحجر . وقدّم إليه في هذا القسم أقدم عامل من عمال دار الطباعة ، وهو إبراهيم الشبراوي . وكان قد مضى على خدمته فيها ٤٨ سنة . وعابن الخديو بعد ذلك قسم التجليد وشاهد آلات التنمير والقص ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم التوضيب ^(٣) .

وكانت المطبعة في عهد بانجيه بك مقسمة إلى ورشة الجمع الإفرنجي وورشة الجمع العربي وورشة الطباعة بالحروف المتفرقة وورشة الطباعة بالحجر وورشة الحفر على الحجر وورشة التصوير والحفر على الزنك وورشة التجليد والمسبك والكليشيات . وكان جميع رؤساء هذه الورش من الأجانب عدا رئيس ورشة الجمع العربي .

(١) مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات من أول شهر مارس إلى ٣١ منه سنة ١٨٨٨ .

(٢) Le Bosphore Egyptien, No 2397, douzième année, mercredi, 16 octobre 1889.

(٣) الوقائع المصرية في ٧ يناير سنة ١٨٨٩ .

وعلى الرغم من تمكن المطبعة الأهلية من إنجاز كل ما كان يطلب إليها من مطبوعات فإن بعض الجهات الحكومية كانت تؤثر عليها مطبعة إحدى الصحف مما أثار ، حفيظة البوسفور إجبسيان التي كتبت تقول : « عند ما أسست الحكومة المطبعة الأهلية احتكرت صناعة كان يعيش عليها عدد من الناس ^(١) ، وليس لنا اليوم أن نعود إلى مناقشة أمر قد تم ، ولكن من حقنا أن نبدي دهشتنا من أن الحكومة . بعد أن تكبدت نفقات كبيرة لتأسيس مطبعتها ، فإننا نجد الشرطة لا تزال تؤجر مطبوعاتها لمطبعة المقطم دون إجراء مناقصة ، وتدفع في ذلك أسعاراً جنونية . ويؤكد البعض أن صاحب نفوذ كبير كان له دخل في الموضوع . وهكذا اكتشفت طريقة جديدة — على حساب مصر — لزيادة مكافأة تلك الصحيفة العربية التي تعمل جاهدة لخدمة الإنجليز ^(٢) » .

وحدث أن اتهمت بعض الصحف المحلية المطبعة الأهلية بأنها تقوم بطبع كتب منافية للآداب ومخالفة للدين . واهتمت نظارة المالية بالأمر وأحالت وكيل المطبعة حسن بك حسنى إلى مجلس تأديب ^(٣) الذى قرر أن المذكور « خال من المسئولية مطلقاً » وقد برئت ساحته مما نسب إليه ، وصدر قرار بذلك من ناظر المالية في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٢ ^(٤) .

وفي سنة ١٨٩٣ تدخل المطبعة الأهلية لأول مرة في مصر طريقة طبع الصور الفوتوغرافية Phototypie . ويقوم الماركيز دى ريفرسو وكيل الحكومة الفرنسية وقنصلها العام في مصر بزيارة المطبعة بهذه المناسبة ويبدى إعجابه الشديد بها . وعلى الرغم من إدخال تلك الطريقة الجديدة في نقل الصور وطبعها ، فقد ظلت مطبعة بولاق محتفظة بطباعة الحجر .

ويعتبر عهد بانجيه عهد المطبعة الذهبى . فقد جددت فيه آلاتها وأعيد تنظيمها وأدخلت وسائل جديدة في الطباعة لم تكن تعرفها المطبعة الأهلية واستقدم خبراء أجانب علّموا العمال المصريين فن الطباعة على أصوله فغدا الطابع المصرى

(١) لا شك في أن الجريدة كانت تقصد إعادة تنظيم المطبعة لا تأسيسها .

(٢) Le Bosphore Egyptien, No 3369, quinzième année, samedi 10 Dec. 1892.

(٣) المصدر السابق ١٤ يناير سنة ١٨٩٣ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣ السنة الثانية والستون ، يوم السبت ٧ يناير سنة ١٨٩٣ .

اليوم في مقدمة عمال الطباعة في الشرق العربي .

وتولى شيلو (بك) إدارة المطبعة بعد مرض بانجيه (بك) في سنة ١٨٩٤ . ولم يكن شيلو (بك) مديراً للمطبعة فحسب ، بل كان مديراً للجريدتين الرسميتين أيضاً وهما الوقائع المصرية والجريدة الرسمية التي تصدر باللغة الفرنسية . وكان يمتاز بالحزم والنشاط وحسن الإدارة . وقد أعاد تنظيم المطبعة من الناحية الإدارية وأراد التقدم بها نحو الكمال . ولم يكن في حاجة إلى بذل مجهود كبير في هذا المضمار ، فقد وجد عند تعيينه أن كل شيء قد أعد الإعداد اللازم ، فلم يكن أمامه إلا السير في الطريق الذي مهد له ولغيره من الأجانب الذين تولوا إدارة المطبعة من بعده .

أمر المدير الجديد بهدم قاعات المطبعة القديمة وبناء قاعات جديدة بدلا منها وفق آخر مستحدثات الفن المعماري المعمول بها في أوروبا . وركزت الجهود على القاعات التي ركبت فيها آلات الطباعة ، فقد كانت متمشية تماماً مع الغرض الذي بنيت من أجله . ولم يقتصر جهد شيلو على المباني فحسب ، بل تعداها إلى استحضار مختلف الآلات اللازمة لورش المطبعة . وكان له فضل إدخال أنواع حديثة من معدات المطبعة لم تكن معروفة في مصر خلال ذلك العهد . وكان شيلو يجمع رؤساء الأقسام ويطلب إليهم أن يدلوا له برأيهم في شئون المطبعة المختلفة .

ولما كان شيلو (بك) لا يعرف الكثير عن الطباعة ، فقد قام بعدة رحلات إلى فرنسا وإنجلترا وألمانيا . وكان هدفه منها زيارة أكبر مطابع تلك البلاد سواء كانت مطابع حروف أو مطابع حجرية . وقد تعلم خلال تلك الجولات خصائص الفن المطبعي . وفي سنة ١٨٩٩ طلب المدير إلى رئيس ورشة التجليد أن يصحبه إلى باريس لكي يتعلم طرق التجليد الجديدة بوساطة آلة الخياطة بالسلك أو بالخيط المصنوع من الكتان وآلات طي الورق وغيرها من الآلات التي اخترعت في ذلك العهد لتسهيل تجليد الكتب . وقد تبين لشيلو (بك) خلال رحلاته تلك عظم فائدة آلات الطبع المعروفة عند أهل الفن باسم Machines à retiration ، وهي آلة سريعة تطبع وجهي الورقة دفعة واحدة ، كما لمس أيضاً النجاح الذي أحرزته آلات تنضيد الحروف المعروفة باسم مونوتايب Monotype فأرسل في طلبها وركبت حال وصولها . وفي عهد شيلو (بك) ، وعلى وجه التحديد في سنة ١٨٩٧ ، وضعت تعريفة

للطبع خفضت في سنة ١٩٠٣ بمقدار ١٠٪ . وابتداء من ١٤ مارس سنة ١٩٠٨ أضيف إلى التخفيض السابق ٥٪^(١) .

وأمر شيلو (بك) في سنة ١٩٠٠ بهدم باب المطبعة القديم ليحل محله مدخل واسع وضع في أعلاه اللوحة التذكارية التي كتبت بالتركية سنة وضع الحجر الأساسى للمطبعة . وعمل المدير على فصل الورش بفناء يتوسطها وقام بزرع حديقة صغيرة بها نافورة ماء . وكان يحد البناء من الجنوب حديقة المدير ومسكنه .

وظل شيلو (بك) يعمل على رأس المطبعة الأهلية إلى أن أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية في سنة ١٩١١ . وقد اعترفت الحكومتان المصرية والفرنسية بفضله فمنحته الأولى رتبة الباشوية قبل إحالته إلى المعاش . في حين نال من الثانية وسام جوقة الشرف برتبة فارس .

وقد لاحظ المهيمنون على شئون المطبعة أن حروفها العربية لم تعد تجارى العصر ، وأنه لا بد من التفكير في قاعدة جديدة تحل محل القاعدة القديمة المعقدة . فلما زار الحديو عباس الثانى المطبعة في ١٢ مارس سنة ١٩٠٢ ليفتح المباني التي أنشئت فيها خلال عهد مديرها شيلو بك ، استحسن من الإصلاحات المطلوبة صنع حروف جديدة واختصار الحروف وتغيير القاعدة .

وفي ٢٧ صفر سنة ١٣٢٠ الموافق ٤ يونيه سنة ١٩٠٢ تكونت لجنة من الشيخ حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بنظارة المعارف وشيلو بك مدير المطبعة الأهلية وأحمد زكى بك سكرتير ثان مجلس النظار وأمين سامى بك ناظر مدرسة الناصرية . وأسندت رئاسة تلك اللجنة إلى إبراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية . وكان أحمد مظلوم باشا ناظر المالية قد أمر بتشكيل تلك اللجنة لبحث « عيوب حروف المطبعة وأشكالها وتركيبها وللدلالة على الوسائل التي يترتب على اعتماد العمل بها تقليل عدد الحروف المستعملة مع المحافظة على جودة الخط وترقيتها ترقية تناسب احتياج العصر الحالى . . »^(٢) . وكان للجنة الحق في الاستعانة بالخبراء ، إن

(١) محفوظات وزارة المالية ، تنظيم المطبعة الأميرية ، دوسيه ع ٧١ - ١/٤٥ خطاب من مدير المطبعة إلى وزير المالية في ٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ .
(٢) أمين سامى (باشا) : التعليم في مصر ، هامش ص ١٠٧ .

دعت الحاجة إلى ذلك^(١). ثم رأت اللجنة أن تنتدب شيلو بك وأحمد زكى بك لدراسة تقدم صناعة الحروف في الخارج. فزارا أشهر المطابع والمسابك بالآستانة وفيينا وليبزج وبرلين وليدن وأكسفورد وباريس وقدم كل منهم تقريراً وافياً عن زيارته. وعرضوا بعض المقترحات وافقت عليها اللجنة بإجماع الآراء. واهتم أحمد زكى باختصار صندوق الطباعة والعمل على تسهيل جمع الحروف. وتمكن بعد جهد من تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة إلى ١١٢ حرفاً. وكانت الحروف المستعملة في مطبعة أكسفورد العربية تبلغ ٢٨٢. وأجرى أحمد زكى عدة تجارب في مطبعة بولاق. وبعد ثلاثة شهور من العمل المتواصل. تمكن من اكتشاف قاعدة جديدة أتاحت له جمع أية كلمة عربية أو تركية أو فارسية^(٢). وكانت الطريقة القديمة المستعملة في مطبعة بولاق تقتضى من الجماعين معرفة ١٥٧٧ شكلاً للحروف. أما الطريقة الجديدة فهي لا تتطلب منهم أكثر من معرفتهم لمائة وخمسة وأربعين حرفاً أو شكلاً^(٣).

وكانت قاعدة مطبعة أكسفورد العربية تتكون من ٢٨٢ حرفاً بينما وصلت قاعدة مطبعة ليزج إلى ٣٢٩ حرفاً وبرلين إلى ٥٠١ والآستانة إلى ٦٣٨ وفيينا إلى ٦٦٠ وباريس إلى ٨٠٠. وكانت قاعدة مطبعة بولاق تتكون من ٩٠٠ حرف فانخفضت بمقتضى الإصلاح الجديد إلى ١٧٨ حرفاً.

وأضاف أحمد زكى إلى حروفه علامات الرسم والإملاء المستعملة في اللغات الأوروبية. وهى علامات الوقف. ثم الوقف القليل ثم الوقف المتوسط. ثم التفسير والبيان ثم الاستفهام فالتعجب أو النداء أو القسم أو التحذير أو الاستغاثة وأشكالها كالآتى : . . . : ؟ ! . ولم ينس أحمد زكى الأقواس فى المشروع الذى تقدم به : كذلك قرر أن تبقى بعض التراكيب مجموعة جاهزة مثل « الله ».

وقد خفضت الطريقة الجديدة عدد أدوات الطباعة والجهد والتكاليف وقللت مدة الطبع فضلاً عن أنها حسنت شكل الطباعة العربية وجعلت الكتب فى متناول

(١) الأهرام فى ٥ يونية سنة ١٩٠٢.

(٢) أحمد زكى (بك) : خلاصة وجيزة على مباحث وأعمال لجنة إصلاح وتحسين الحروف

العربية بمطبعة بولاق ، ص ٥ ، سنة ١٩٠٣.

(٣) المصدر السابق ص ٦.

الجميع بعد أن أنزلت سعرها . وأتاحت استخدام الحروف الجديدة في الطبع بست لغات ، وهي العربية والتركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية .

وقد وافقت اللجنة على المذكرة المقدمة من أحمد زكى بك في جلستها المنعقدة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٢ واعتمدت العمل بموجبها .

وانتقدت مجلة المقتطف^(١) مذكرة أحمد زكى . وقالت إن الطباعة العربية لا تستغنى عن بعض الحروف الممدودة مثل ن . ك . ع . وهي حروف تستعمل لإكمال السطور الناقصة حتى لا يضطر العامل الذى يقوم بالجمع إلى تقسيم الكلمة الواحدة إلى قسمين في آخر السطر كما يفعل الأوربيون . وترى المقتطف أيضاً ضرورة « جمع الشدة مع الضمة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح » . وفي رأى تلك المجلة أنه لا بد « من سبك الحروف والأرقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسابية والكميات الجبرية إذا أريد إبقاء علم الحساب والجبر في العربية . وترى المقتطف أنه من الضروري تجويف كل الحروف من طرفين أو من الأطراف الأربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ، ولا بد أيضاً من أنواع مختلفة من الفروق . فإذا تم هذا كله زاد عدد الأشكال مائة أو مائتين هذا بصرف النظر عن العلامات الإملائية كالفصلة والنقطة والأقواس وعلامات التعجب والاستفهام إلخ . . . »

وترد المقتطف على قول أحمد زكى بأن مشروعه الجديد سيخفض تكاليف الطبع بمقدار ٢٥ ٪ ، بأن أجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠ ٪ من نفقات الطبع ، فيكون الوفّر الحقيقى ٢ ٪ لا ٢٥ ٪ وهو وفّر بسيط جداً . وتخلص المجلة إلى القول بأن « الإصلاح الذى أشارت به اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتماً ، ولو لم تفق به بعض مطابع العاصمة ولا بلغت به مطابع بيروت . . . »

ويأخذ جورجى زيدان على الحكومة المصرية عدم استعانها بفن الشيخ إبراهيم اليازجى وخبرته « لأنه أقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرواق ، ولو فوضت إليه هذا العمل لأحسن صنعاً واستثمرت قريحته ثمراً نافعاً للغة العربية على الإجمال^(٢) » .

(١) حروف الطباعة العربية : مجلة المقتطف ، الجزء الرابع ، المجلد الثامن والعشرون في أول أبريل سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٨٥ وما بعدها .

(٢) جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٢ ص ١١٨

وقام جعفر (بك) بكتابة خط القاعدة الجديدة . ومهما يقل في تلك القاعدة فإن حروفها تعد من خيرة الحروف العربية لجمال خطها وحسن تركيبها وسهولة جمعها وأول عدد من الوقائع المصرية صدر بالحروف الجديدة هو العدد الصادر في ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ورقمه ١٢٤ . ويلاحظ أن حروف القاعدة الجديدة قد أدخلت بالتدريج : وابتداء من العدد الصادر في أول يناير سنة ١٩٠٧ أصبحت الوقائع تطبع كلها بالقاعدة الجديدة . ولكن مامحق العدد المذكور جمعت حروفه بالقاعدة القديمة .

وبلغت إيرادات المطبعة في سنة ١٩٠٧ ٥٢,١٦٤,٠٨٥ جنيهاً مصرياً في حين أن مصروفاتها لم تتعد ٤٤,٨٧٨,٣٤٥ جنيهاً مصرياً . واقترح شيلو بك في خطابه إلى وكيل المالية أن يصرف الفائض على تشييد منازل للعمال وعلى أعمال السكرتارية والحسابات العمومية وطبع ورق تمغة وشراء مطبعة حجرية بسمائة جنيه . أما الرصيد الباقي فيمكن صرفه على أعمال تحسين الحروف العربية وعلى مساكن العمال وتوسيع مباني المطبعة وعلى بناء منازل اقتصادية لصغار مستخدمي المطبعة (١) . وازدادت الأعمال في المطبعة منذ نهاية ديسمبر سنة ١٩٠٧ زيادة كبيرة نتج عنها ارتباك العمل وتأخير طلبات المصالح الحكومية المختلفة . وقرر مدير المطبعة في ١٥ يناير سنة ١٩٠٨ لتخفيف ذلك الضغط أن تطبع مطبوعات مصلحة البريد التي تمثل ١٥٪ تقريباً من مجموع أشغال المطبعة ، في المطابع الأهلية .

وقرر شيلو بك في ٢٠ يناير سنة ١٩٠٨ تجديد ساعات العمل اليومي بثمان ساعات . على أن يتقاضى العامل عن الساعات الإضافية نفس الأجر الذي يتقاضاه عن ساعات العمل العادية .

وفي العشرين من أكتوبر سنة ١٩٠٨ أرسلت وزارة المالية المستر مدلتون ليفتش على المطبعة . ووضع ذلك المفتش تقريراً لاحظ فيه أن ثلث عدد الطابعات يظل معطلا على مدار السنة . واقترح عدم تشغيل بعض المطبوعات الحكومية في المطابع الأهلية خاصة وأن طابعتين قد اشترينا لإنجاز مطبوعات مصلحة البريد .

(١) محفوظات وزارة المالية : تنظيم المطبعة الأميرية دوسيه ع ٧١ - ١/٤٥ من شيلو بك إلى وكيل المالية في ٢٩ فبراير سنة ١٩٠٨ .

ولاحظ المفتش أن هناك طابعات تعمل منذ سنة ١٨٨٤ وسنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٨ . وهو يرى ضرورة استبدالها بطابعات جديدة وسريعة .

ورأى وزير المالية أن إيرادات المطبعة تزيد على مصروفاتها زيادة كبيرة ، فطلب من مديرها أن يتخذ ابتداء من سنة ١٩٠٩ الإجراءات الكفيلة بتخفيض تعريف المطبعة .

وكانت المطبعة الأهلية إلى ما قبل سنة ١٩٠٩ تقوم بطبع نتائج وتقاويم غاية في الأناقة والفخامة وتوزعها بالمجان^(١) . إلا أن وزارة المالية قررت في ١٨ مارس سنة ١٩٠٩ أن تتوخى المطبعة الاقتصاد في طبع تلك النتائج والتقاويم ولا تعطيها إلا بالثمن^(١) . ويمكن اعتبار تلك السنة الحد الفاصل بين الإسراف والاقتصاد . فقد كانت المطبعة تقوم بتوريد بعض أصناف المطبوعات بالمجان إلى مختلف المصالح ثم ما لبثت أن قصرت تلك المجانية على مطبوعات الحديو . ويشتم من الخطابات التي كان يرسلها وكيل الوزارة الإنجليزي إلى شيلو بك أن الأول كان يريد الحد من سلطان الثاني . وقد تم له ما أراد ، حين قام بتعيين تريلوني وكيلا للمطبعة . وما لبث أن أصبح الأخير مسئولاً عن المطبعة ومشرفاً على الصحف الرسمية ابتداء من سنة ١٩١١ . وظل يشغل هذا المنصب بصفة جدية حتى سنة ١٩١٧ .

واعتباراً من سنة ١٩١١ تقرر مسك حسابات المطبعة الأميرية بمعرفة المطبعة نفسها فقطعت إدارة الخزينة العمومية بواقى حسابات التسوية الخاصة بالمطبعة لغاية ٣١ يناير سنة ١٩١١ وسددت للمطبعة ما يلزم سداده وخصمت عليها ما يلزم خصمه من الأمانات وخالفه من باقى حسابات التسوية .

وكانت ترد للمطبعة الأميرية طلبات غير مصحوبة بالتعليمات والتفصيلات اللازمة فيتسبب عن هذا النقص أخطاء يترتب عليها خسارة في الوقت والمال . ومنعاً لذلك وضعت المطبعة كتيباً صغيراً وزعته على جميع المصالح الحكومية حاوياً لجميع التعليمات الواجب اتباعها .

وبلغت سرعة بعض طابعات بولاق قبيل الحرب العالمية الأولى أربعة آلاف دورة في الساعة . وكان بين آلاتها طابعة تدور ستة آلاف دورة في الساعة .

(١) المصدر السابق .

وتتولى أربعة محركات كهربائية مجموع قوتها ١٤٠ حصاناً إدارة آلات المطبعة جميعاً . وكان يعمل في ذلك العهد ستائة عامل منهم مائة موظف داخل الهيئة وخمسمائة عامل بالأجرة اليومية .

وفي مارس سنة ١٩١٤ اعتمد وكيل وزارة المالية د. ت. لندسي لائحة الطباعة المصححة بدلا من اللائحة الواردة في القسم التاسع عشر من الجزء الأول لللائحة المخازن . وتنص المادة الأولى من تلك اللائحة على قيام المطبعة الأميرية بطبع وتجليد جميع استمارات الحكومة ودفاترها وتقاريرها وغير ذلك من مطبوعاتها . وتحتم المادة نفسها على مصالح الحكومة ألا تطبع أى مطبوع في غير المطبعة الأميرية ولكنها تستثنى من ذلك مصاحبة الآثار المرخص لها بطبع « كتالوج الأنتيكات المصرية » ومحاضرها السنوية في غير المطبعة الأميرية . وتستثنى المادة الثانية المصالح المخول لها إيجاد مطابع خاصة بها وهى : مصاحبة عموم السكك الحديدية لطبع كل الأعمال المتعلقة بها ، ومصاحبة عموم المساحة لطبع الخرائط ونظارة الحربية لطبع الأعمال السرية وغيرها . . . أما المطابع الأخرى الصغيرة المرخصة من نظارة المالية في بعض المصالح ، وهى مطبعة نظارة الداخلية ومطبعة محافظة القاهرة ومطبعة نظارة المعارف العمومية ومطبعة مصاحبة عموم خفر السواحل بالإسكندرية ومطبعة محافظة الإسكندرية ، فإنه يخول لها أن تطبع ما يلزمها من الأعمال مع ملاحظة اتباع تعليمات الحكومة فيما يختص بالطباعة والمطبعة الأميرية التفتيش عايتها . وكل ما يلزم للمطابع المذكورة من الأدوات والأثاث تحصل عليه من المطبعة الأميرية ^(١) .

وتنص المادة ٢٢ فقرة ب من هذه اللائحة على أن المطبعة الأميرية هى المصاحبة الوحيدة المخول لها نشر الصور الحقيقية الرسمية للقوانين والأوامر العالية . وتنص المادة ٢٩ فقرة ١ على أن « الأصول يلزم أن تكون على وجه واحد من الورق ويجب أن تكتب بالمداد أو آلة الكتابة (التايب رايتير) فالمطبعة الأميرية لا يمكنها قبول أصول مكتوبة بالقلم الرصاص . . وتنص المادة ٤١ على أنه « بعد مضي خمسة عشر يوما من تسليم المطبوع تفك حروفه إذا لم يصل للمطبعة طالب من المصاحبة ذات الشأن بحفظها مرصوبة ^(٢) » .

وبعد أن تولى المستر تريلونى إدارة المطبعة عين أحمد صادق (بك) وكيلا لها في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٢ وتم اختياره ملاحظاً لها في ٣٠ أبريل سنة ١٩١٩ بمقتضى

(١) لائحة الطباعة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩١٤ ص ٢٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥ .

أمر وزارى صدر بهذه الترقية . ولم يطل عهد أحمد صادق فى يولاى ، فقد رقى فى أول أبريل سنة ١٩٢٠ مديراً للمكتبة السلطانية^(١) . وكانت المطبعة الأميرية فى عهد تريلونى وأحمد صادق تابعة لمراقبة مطبوعات الحكومة بوزارة المالية .

ولما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى قل ورود الورق وأدوات الطباعة المختلفة من أوروبا . وعانت المطبعة الأميرية وغيرها من المطابع المصرية الشىء الكثير من جراء تلك الحرب .

ولم يمكث أحمد صادق ملاحظاً للمطبعة مدة طويلة كما رأينا ، فقد حل محله المستر نيوتن الذى كان فى أول الأمر كبيراً للمصححين الإفرنج . وقد عين فى تلك الوظيفة بقرار من مجلس النظار صدر فى ٧ مايو سنة ١٩١١ ، ثم رقى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ رئيساً لورشة المطبعة ووقع عليه الاختيار فى سنة ١٩١٧ ليعمل فى القسم الحربى الخاص بنشر المطبوعات . وظل فى تلك الوظيفة قرابة ثلاث سنوات ؛ ثم عين فى أول أبريل سنة ١٩٢٠ ملاحظاً للمطبعة الأميرية ، وهى أكبر وظيفة فى المطبعة . وقد اعتزل مستر نيوتن خدمة الحكومة المصرية فى ١٧ يناير سنة ١٩٢٤^(٢) .

وقد أنشأ جورج نيوتن فى الفترة التى تولى خلالها شئون المطبعة الأميرية ، مدرسة لتعليم فن الطباعة علمياً وعملياً . وكان يعلم فى تلك المدرسة المستر رانديل Randale ، وهو إنجليزى كان يعمل رئيساً لورشة الجمع الإفرنجى . وكان أحمد صادق عفيفى يعلم الحساب والهندسة واللغة الإنجليزية فوق قياده بأعمال السكرتارية الخاصة بملاحظ المطبعة .

وأعلنت المطبعة عن افتتاح تلك المدرسة فى الصحف المصرية . واشترطت فى تلاميذها أن يكونوا حاصلين على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية . وعلى الرغم من نشر الإعلان عدة مرات ، فإن تلميذاً واحداً لم يتقدم للالتحاق بالمدرسة . فاضطر ملاحظ المطبعة إلى اختيار عامين فى المطبعة يحمل أحدهما الشهادة الابتدائية فى حين كان الآخر من حملة شهادة مدرسة الصنائع . وترغيباً فى الالتحاق بتلك

(١) أرشيف وزارة المالية المصرية ، ملف رقم م ٧١ - ١/١٥ .

(٢) أرشيف وزارة المالية المصرية ، ملف رقم م ٧١ - ١٠/٢٦ .

المدرسة أعلن الملاحظ عن عزمه على إنشاء فرقة كشافة للتلاميذ ، فتقدم أربعة فقط في الأسبوع الأول وخمسة في الأسبوع الثاني ، فاضطر الملاحظ أن يعدل عن إنشاء تلك الفرقة (١) .

وكان اليوم الدراسي موزعاً على النحو الآتي : من السابعة صباحاً إلى الحادية عشرة إلا ربع دراسة نظرية . ومن الحادية عشرة إلى الثانية بعد الظهر دراسة في الورش . وبعد اعتزال المستر نيوتن الخدمة في سنة ١٩٢٤ أغلقت المدرسة ووزع تلاميذها على مختلف ورش المطبعة كرؤساء فرق . وفي تلك السنة فكرت المطبعة في إرسال بعثات من هؤلاء التلاميذ ليدرسوا فنون الطباعة في أوروبا . وكان المستر نيوتن من خيرة الذين خدموا المطبعة الأميرية في عهدها السابقة وقد منحته الحكومة المصرية نيشان النيل الرابع وأنعمت عليه برتبة البكوية .

* * *

وإن انتقلنا إلى المطابع الرسمية الأخرى نجد مطبعة المهندسخانة التي قامت بطبع كتب الهندسة حتى نهاية القرن التاسع عشر . ولا يعرف عنها شيء بعد ذلك . واستمرت مطبعة نظارة الداخلية تعمل طوال الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٢٤ لإنجاز مطبوعات الوزارة .

ومن المطابع التي أنشئت خلال تلك الحقبة مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، وهي مطبعة حجرية بدأت نشاطها بعيد سنة ١٨٨٢ وقامت بطبع الكتب الخاصة بمدرسة الفنون والصنائع .

وفي أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤ تأسست مطبعة نظارة المالية . وابتداء من أول يناير سنة ١٨٨٥ أصبحت صحيفة الوقائع المصرية والصحيفة الرسمية الفرنسية تطبعان فيها . وأدوات ومعدات هذه المطبعة هي عبارة عن أدوات ومعدات المطبعة الفرنسية لصاحبها فرنان موريس وشركاه . ووضعت المطبعة في مقر النظارة نفسها وكان عدد كبير من عمالها من الإيطاليين .

وقامت بطبع قانون المعاشات الملكية سنة ١٨٨٧ ولائحة تتعلق بإعطاء

(١) من ذكريات السيد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة سابقاً ومدير مركز التدريب المهني لحرف الطباعة بامبابية حالياً .

شهادات الدراسة الثانوية من نظارة المعارف . ولم تعش المطبعة طويلا . فقد تقرر ضمها إلى مطبعة بولاق ، ونقلت فعلا إليها في ١٣ يناير سنة ١٨٨٨ (١) .

ويعود لإنشاء مطبعة ديوان الأوقاف إلى حوالى سنة ١٨٨١ فقد طبعت في تلك السنة « قانون ديوان عموم الأوقاف » . ويمكن اعتبار سنة ١٩٠٠ الحد الفاصل بين ماضى هزيل لتلك المطبعة قل فيه شأنها ومستقبل زاهر استطاعت المطبعة خلاله أن تثبت وجودها .

ويبدو أن المطبعة حتى سنة ١٩٠٥ لم تكن لها لائحة تنظم أمورها مما دعا الخديو عباس الثانى أن يكتب إلى رئيس ديوانه فيقول : « . . . ترون طى هذا قصيدة رثاء (٢) قالها أحد مستخدمي الأوقاف العمومية وقد طبعت أيضاً بمطبعة الديوان المذكور والجناب يحب أن يعرف إن كانت مطبعة الديوان جعلت لأعمال المصاحفة فقط أو لها ولغيرها فقط . فاستدعوا عبد الحلیم عاصم باشا عندهم واستفهموا منه هذه الاستفهامات وأسألوه إن كان ذلك الشاعر المطبوع طبع هذا الرثاء بأمر من الباشا أو بغير علمه ، فإذا كان بغير علمه ، فكيف يقع ذلك وسعاده يشرف على کلیات وجزئیات هذا الديوان ؟ وإن كانت طبعت بأمره ، فكيف يكون ذلك وصاحب الأمر موجود ؟ وبالجمله فالمطلوب كتابة تقرير مسهب عن تفصيل هذه المسألة ويكون ممضى بإمضاء سعاده وإمضاء سعادتكم ، ولا يمنعكم ذلك من تعليق ملحوظاتكم وأرسلوا جميع ذلك إلى الجناب العالی ليطلع عليه ليرى رأيه فيه (٣) » .

وتخبرنا المجلة المطبعية الصادرة في ٣ مارس سنة ١٩٠٩ باختيار « حضرة الشاب المهذب النجيب سليمان أفندى إبراهيم مأموراً لمطبعة مصاحفة الأوقاف » وتردف بأن تلك المصلحة « منحته علاوة أربعة وعشرين جنيهاً في العام ليبلغ مرتبه ١٤٤ جنيهاً » ، وتقول المجلة إن « من مقدمات عمله ونفحات نشاطه طبعه النتيجة السنوية المعتاد طبعها هذه السنة بشكل جميل يسر الناظر وهي محمودة له تؤثر على الأيام وتشكر » .

Le Bosphore Egyptien, vendredi 13 Janvier 1888.

(١)

(٢) قصيدة في رثاء الشيخ محمد عبده .

(٣) أحمد شفيق (باشا) : مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الثاني ص ٧٣ ، الطبعة الأولى سنة

. ١٩٣٦

وكانت المطبعة في ذلك العهد عبارة عن ثلاث حجرات . الأولى لصف الحروف والثانية للطبع . وكان فيها آلة طبع كبيرة وأخرى صغيرة والثالثة للتجليد . ومن مطبوعاتها في تلك الحقبة « روض القلوب المستطاب » للشيخ حسن رضوان (١٣٢٢هـ) و « أحكام الأوقاف » للإمام أحمد بن عمر الخضاف (١٣٢٢هـ) و « التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية » لإبراهيم حلیم باشا القوقاسي

وفي حوالى سنة ١٨٨٢ أنشئت مطابع سكك حديد الحكومة المصرية . وظلت إلى سنة ١٩٠٥ تابعة لقلم المخازن ثم انتقلت تبعيتها إلى قلم المراقبة العام لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية . وكانت حتى سنة ١٩١٤ تقوم بتزويد السكك الحديدية والتلغرافات بالمطبوعات المستعجلة أما الكتب والصكوك فكانت تطبع في الخارج .

وفي ٧ يونيه سنة ١٩٠٨ أضرب عمال تلك المطبعة لخلاف وقع بينهم وبين المستر أرز وكيل قلم التوريدات والمطابع لأنه أمر بإغلاق نوافذ المطبعة . وكان أن قدم عمال المطبعة مذكرة طالبوا فيها بزيادة أجورهم ومنحهم إجازة ١٥ يوماً في السنة وفتح النوافذ ونقل المسبك من مقر المطبعة وأن تكون ساعات العمل من الساعة صباحاً إلى الثانية بعد الظهر^(١) .

وكانت المطبعة في سنة ١٩١٠ تتكون من ورشة للجمع الإفرنجي وأخرى للجمع العربي وورشة لصب الفورم وورشة للطبع تحتوى على تسع طابعات بينها اثنتان ماركة بابكوك الأمريكية وواحدة ماركة ألوزيه الفرنسية وواحدة ماركة برمر وواحدة ماركة فولكون وواحدة ماركة كوهينور وثلاث آلات ماركة هارياد . والآلات الخمس الأخيرة كانت تدار بالقدم ، وكانت توجد أيضاً طابعتان حجريتان الأولى ماركة ألوزيه والثانية ماركة بوليتو ، عدا عدد كبير من آلات الترقيم ماركة رافاس .

ولما ضمت التليفونات إلى الحكومة في سنة ١٩١٨ أصبحت المطبعة تنجز جميع أشغال السكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات كجداول المواعيد وتعريف البضائع ودفاتر تليفونات المشتركين والأدوات الكتابية .

(١) الأهرام في ٨ يونيه سنة ١٩٠٨ .

وعندما أنشئت مصلحة المساحة في سنة ١٨٩٨ لم تكن مطبعتها تطبع إلا الخرائط الخاصة بالمصلحة ذات المقياس ١/٤٠٠ و ١/٢٥٠٠ . وجاءت بعد ذلك الخرائط الطبوغرافية بمقياس ١/١٠٠٠٠ التي طبعت باللونين الأسود والأزرق .

ومما هو جدير بالذكر أن التصوير الفوتوغرافي لم يقيم بأى دور فى أول الأمر ، وظل الحال كذلك إلى سبتمبر سنة ١٩٠٢ حين استدعى إلى مصر أحد خبراء الإنجليز فى التصوير الفوتوغرافي وهو المستر كيرنى Kearny ولم يبدأ هذا الخبير عمله فعلا إلا فى أوائل سنة ١٩٠٣ . وقد استغرق إنشاء قسم التصوير وقتاً طويلاً . ولم يتم إلا فى سنة ١٩٠٧ .

وفى سنة ١٩٠٦ بدئ فى إصدار مجموعة من الخرائط ذات المقاييس الصغيرة (١/٥٠٠٠٠) وبلغ عدد خرائطها ١٥٣ خريطة سنة ١٩١١ .

واحتاجت وزارة المعارف العمومية فى سنة ١٩٠٧ إلى خرائط باللغة العربية لتستعملها فى مدارسها فتوجهت بطلبها إلى مصلحة المساحة التى بادرت إلى طبع إحدى وعشرين خريطة طبيعية وسياسية فى سنة ١٩١١ . وأخرجت مصلحة المساحة فى سنة ١٩٢٠ أطلساً ابتدائياً باللغة العربية كان أول أطلس تخرجه مطابعها . وبدأت المصلحة تطبع بأربعة ألوان سنة ١٩٠٩ ، وكانت تستعمل الألوان الأسود والأزرق والأخضر والبني .

وكانت مطبعة المساحة تستخدم فى سنة ١٩١٠ حوالى الثمانين بين رسام وعامل وكان لديها اثنتا عشرة آلة طباعة بينها ثمان ماركة فيتشنر وآلة طبع حجر تدار باليد وثلاث آلات أخرى ماركة فواران واثنان أخريان من طراز إنجليزى . وكانت تلك المطبعة أول مطبعة فى مصر تقضى طابعة أوفست ، وقد اشترتها من مصانع مان Mann سنة ١٩١٢ (١) .

وفى عام ١٩١٣ وضع ج . هارفى راوتري كتاباً عن الطباعة بالحجر باللغة الإنجليزية ليستفيد منه المعنيون بهذه الطباعة فى مصر عامة وفى مصلحة المساحة خاصة . وقد طبع الكتاب بمطبعة بولاق (٢) .

(١) الكتاب الذهبى لاتحاد الصناعات المصرية ، ص ٢٤٠ .

(٢) J. Harvey Rowntree : The process of lithography Cairo Government Press, 1913.

وقر رأى الحكومة المصرية فى السنوات الأولى من القرن العشرين على طبع المصحف الشريف طبعة جديدة . وأعدت لتلك الطبعة حروف جديدة غاية فى الجمال ودقة الصنع . غير أنه اتضح عند التجربة أن سبيكة تلك الحروف ضعيفة مما يعرضها للانكسار أثناء عملية الطبع . وفى ديسمبر سنة ١٩١٢ فكرت مصلحة المساحة فى طبع المصحف بطريقة الفوتوليتو على أن تقوم مطبعة بولاق بتقديم تجارب الصفحات مطبوعة طبعاً متقناً توطئة لتصويرها بالطريقة سالفة الذكر . وفى تلك الأثناء عرض اقتراح جديد يقضى بعمل كليشيات الصفحات بطريق الحفر على الزنك . وقد استغرقت دراسة الطريقتين مدة طويلة . وفى سنة ١٩١٤ تقرر صنع الحروف بطريقة الطلاء بالكهرباء فى أوروبا . ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى تأجل المشروع لي طرح مرة أخرى على بساط البحث سنة ١٩١٧ . وفى هذه المرة تقرر الطبع بطريقة الفوتوليتو فى مصلحة المساحة . فقامت مطبعة بولاق عندئذ بتقديم نسختين مطبوعتين لكل صفحة من صفحات القرآن إلى مصلحة المساحة لتصويرها . ولكن كثرة العمل وقلة المواد حالاً دون القيام بتلك المهمة فوراً . واتضح فى الوقت نفسه أن الزخارف المحيطة بالنص غير مناسبة فطلب إلى مصلحة المساحة إعداد نقوش جديدة استغرق رسمها وقتاً طويلاً . وأخيراً تم طبع المصحف الشريف فى سنة ١٩٢٤ بطريقة الطباعة الملساء (أوفست) .

وقامت المطبعة خلال الحرب العالمية الأولى بطبع الخرائط الطبوغرافية للجيش البريطانى ، ولما انقطع ورود البضائع من أوروبا فى تلك الحرب ، قامت مصلحة المساحة بطبع طوابع بريد الحكومة الحجازية وطوابع حملة فلسطين . وقامت المصلحة أيضاً برسمها . وطبعت أوراق النقد من فئة الخمسة قروش صاغ . وكان لنجاح التجربة التى قامت بها المطبعة فى طبع طوابع البريد أن فكرت الحكومة المصرية جدياً فى أن تكلفها بإصدار طوابع البريد المصرية . وبدأت مصلحة المساحة منذ سنة ١٩١٩ فى دراسة طريقة لإخراج هذه المطبوعات الجديدة إلى حيز الوجود . واستطاعت المطبعة فى سنة ١٩٢٣ أن تطبع أول طابع بريد وكان يحمل صورة الملك فؤاد مرسومة رسماً خطياً .

وكان الديوان السلطانى يطبع مطبوعاته فى المطابع الأهلية المختلفة ثم رأى عند

تولى الملك فؤاد أن تنشأ مطبعة فى قصر عابدين لتوحيد طبع النماذج المطلوبة للخاصة والأوقاف الملكية فخوبرت مطبعة وزارة الأوقاف وقلم مطبوعات الحكومة لتنفيذ هذه الفكرة . وكانت المطبعة فى أول الأمر عبارة عن طابعتين صغيرتين وبعض الأدوات الضرورية اللازمة لتشغيلها .

واستقر الرأى فى سنة ١٩٢١ على نقل القسم الأدبى ومطبعته من دار المطبعة الأميرية إلى دار الكتب المصرية . وتقبل هذه المطبعة طبع المؤلفات العلمية والأدبية على نفقة ناشريها أو أصحابها ^(١) . وهدفها إحياء الآداب العربية بنشر أمهات الكتب .

ثانياً : مطابع الأجانب

وتعتبر هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر أفضل حقبة بالنسبة لمطابع الأجانب . فقد نمت تلك المطابع وازدهرت بسبب زيادة عدد الأجانب واستتباب الأمر بالنسبة لهم بعد إخماد الثورة العربية . فتأسست المصارف ودور التجارة والصناعة فى القاهرة والإسكندرية وبعض مدن الوجهين البحرى والقبلى .

وعلى الرغم من بيع أنطوان موريس مطبعته بالإسكندرية إلى مطبعة بولاق فى سنة ١٨٨٥ ، فقد قام ابنه فى السنة التالية بتأثيث مطبعة جديدة بالاشتراك مع لويس كارير .

وفى سنة ١٩٠٠ استطاع موريس الابن أن يشتري المطبعة من شريكه فأصبحت تعرف باسم المطبعة العمومية . واحتلت هذه المطبعة الجديدة الصف الأول بين دور الطباعة فى القاهرة والإسكندرية . ولما تبين لصاحب المطبعة أن مقرها ضاق بعمالها الذين بلغوا الثمانين ، ضم إليها محلين آخرين . وهى أول مطبعة أجنبية فى مصر تجلب آلات تنضيد الحروف لينوتيب ماركة مارجنتالر الأمريكية ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٨ .

(١) نبذة تاريخية فى أصل دار الكتب المصرية وتأسيسها وحركة أعمالها ومطبوعاتها ص ٧ . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٢٧ .

وفي سنة ١٩١١ اشترت شركة النشر المصرية مطبعة أنطوان موريس الابن ، وكانت تلك الشركة قد ضمت إليها في سنة ١٩٠٦ مطبعتي بناسون والبورص لجبسين .

أما مطبعة كاستاليولا فقد تولى أمرها في سنة ١٩١٠ المسيو جورجون فجلب لها طابعات جديدة من أوروبا . ومنحت لجودة مطبوعاتها لقب « مورد سمو الخديو » . وفي سنة ١٨٨٤ افتتح المسيو هاريسياس مطبعة باسم زوجته فيليسيا هاريسياس وقد أشرفت تلك السيدة على تركيب الآلات بنفسها ذلك أنها كانت قد تدربت على هذا الفن أثناء اشتغالها في مطبعة لاجوداكيس بالإسكندرية . وتعتبر المرأة الأولى التي اتمت صناعة الطباعة في مصر .

وقد نجحت المطبعة نجاحاً كبيراً في أول الأمر ثم بدأت الأحوال تتغير والأعمال تقل شيئاً فشيئاً . وكاد يقضى على المطبعة لولا دخول المسيو ماتاندوس شريكاً في سنة ١٨٩٧ . واتخذت المطبعة منذ ذلك الحين اسم مطبعة ن . ماتاندوس وشركائه .

وأنشئت مطابع حجرية بعد ذلك عند كل من سرباكيس وأرواند وأيرايان والرغائب وتشايليكيان والمستقبل ولاشيري وديصر وأندريه ليوكيس . ولما عاد لاجوداكيس إلى الإسكندرية في سنة ١٨٨٢ بعد أن طاف بأوروبا دارساً طرق الطباعة الحجرية ومستحدثاتها ، أسس ورشة جديدة في شارع كليوباترة . وكان لاجوداكيس أول طابع يقوم بإنتاج البطاقات والأغلفة التي تلتصق على علب السجائر . وكانت السجائر المصرية تقدم حتى ذلك الوقت في صناديق بعيدة عن الذوق السليم .

واتسعت أعمال تلك المطبعة حتى ضاق بها المقام فانتقل لاجوداكيس بمطبعته إلى حي محرم بك حيث شيد لها مبنى كبيراً . وحل لاجوداكيس الابن محل أبيه بعد وفاته ، في إدارة المطبعة التي أصبحت بعد ذلك شركة توصية .

ومن المطابع الشهيرة في ذلك العصر مطبعة س . برس التي كانت في أول شارع الموسكى .

وفي سنة ١٨٨٢ تأسست بالقاهرة مطبعة متاندوس وهاريسياس وتخصصت

فى طبع البرونز والألوان وورق السجاير وأغلفة العلب المطبوعة بالكرومو والعلب الملونة ذات الكتابة البارزة . وكانت تستخدم ١٨٦ عاملا .

وأنشئت فى سنة ١٨٨٣ مطبعة بوهم واندرر وهى مطبعة ألمانية تخصصت فى طبع الكراريس ومن المرجح أنها صفت خلال الحرب العالمية الأولى مثلها فى ذلك مثل جميع المؤسسات الألمانية .

وفى سنة ١٨٨٥ تأسست فى القاهرة مطبعة موناكو واتخذت مقرها فى شارع السبتية رقم ٦ . وطبعت ابتداء من سنة ١٨٩٤ صحيفة الأمبرسيالى الإيطالية . وعمل صاحب تلك المطبعة قبل أن يؤسسها فى مطبعة صحيفة البوسفور لجبسيان وفى مطبعة صحيفة الجورنال لجبسيان .

وفى سنة ١٨٩٨ تأسست بالقاهرة مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية . وقد قام بتنظيمها إميل جيوم الذى كان يعمل فى قسم صف الحروف الشرقية فى المطبعة الأهلية بباريس . وقد تمكن بسهولة من العثور على صفافى الحروف العربية والقبطية ، ولم يجد كبير عناء فى إيجاد من يصف حروفاً عبرية ويونانية . ولكنه صادفته أكثر من عقبة عندما بدأ فى تعليمهم صف الحروف الهيروغليفية والنيماوية . وقد رصدت الحكومة الفرنسية لعام ١٨٩٨ اثنى عشر ألف فرنك لمستخدمى المطبعة وثلاثة آلاف فرنك لتجديد معداتها . وأول مطبوع ظهر عن تلك المطبعة هو لائحة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة . وهى أول مطبعة فى مصر تستخدم الحروف أو الأشكال الهيروغليفية . وكانت مصلحة الآثار المصرية من أكبر عملائها .

وفى منتصف شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ وصل أليير جيس القاهرة ليحل محل مدير المطبعة السابق بول باربيه . وفى عهد المدير الجديد نقلت المطبعة إلى مقرها الحالى بالمنيرة بعد أن كان فى قصر النيل .

واستخدمت المطبعة الحروف العربية واليونانية والعبرية والقبطية والآشورية والهيروغليفية . وللحروف الأخيرة قصة جديدة بأن يعرفها كل من يعنى بتاريخ الطباعة . فقد كان عدد رموز تلك اللغة عندما أحضرها إميل جيوم لا يتجاوز

(١) كان الفرنك يساوى أربعة قروش تقريباً .

الـ ٥٦٨٨ بأبنائها الثلاثة ، فبلغ عددها في سنة ١٩١٠ : ٦٨٠٠ رمز .

وتأسست بالإسكندرية سنة ١٨٩٨ مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع وألحقت بها ورشة للتجليد . وكان الغرض من إنشاء هذه المؤسسة تعليم الفن المطبعي وفن التجليد لكل من يرغب في ذلك ، وطبع مطبوعات مدارس الفرير المنتشرة في مصر . ولما أخذ عدد تلك المدارس في الازدياد ، رأى المهيمنون على شئون المطبعة تلبية للطلبات المتكاثرة التي ترتبت على هذه الزيادة ، توسيع المطبعة وورشة التجليد ، فتم لهم ما أرادوا . وفي خلال الحرب العالمية الأولى فتر نشاط المطبعة لسفر بعض معلمها إلى ميدان القتال . وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأ النشاط يدب في أركان المطبعة التي لم يقتصر إنتاجها على مدارس الفرير فحسب ، بل تعداها إلى البيوتات الفرنسية التجارية التي صارت ترسل مطبوعاتها إلى تلك المؤسسة تشجيعاً لها .

وقد ألف الأخ سيريل لوسيان مدير المطبعة كتاباً في الطباعة نشره سنة ١٩٢٣ . وفي القاهرة أنشأ أورست مورافتي اليوناني مطبعة حجرية في سنة ١٨٩٨ . وكانت تطبع أوراق الخطابات والفواتير والنشرات والشيكات والسندات والأسهم ونوتات الموسيقى وأوراق علب السجائر وعلب الأدوية والحلوى والأشربة والإعلانات وأوراق اليانصيب .

واتخذت المطبعة في نشأتها الأولى مكاناً في شارع البواكي ثم انتقلت منه إلى شارع نوبار (الجمهورية اليوم) وتركته إلى شارع علوي ومنه إلى شارع الترجمان ببولاق .

وأسس أنجلو بروكاشيا بالقاهرة في سنة ١٩٠٠ ، مطبعة لتنمية وتحسين الفن المطبعي في مصر . واتخذ لها مقراً في سوق المرور ثم انتقل بها إلى شارع المدابغ (شريف اليوم) فشارع المناخ (عبد الخالق ثروت اليوم) وفتح لها فرعاً بالإسكندرية في شارع سعد زغلول بالقرب من محطة الرمل . وقد أصبح هذا الفرع الأخير أصلاً ، ثم ابنتى لمطبعته بالقاهرة عمارة في ١٢ شارع جلال انتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى شركة الإعلانات الشرقية فاتخذتها مركزاً رئيسياً لها . وكانت المطبعة في عهدها

الأول تقوم بإنجاز جميع أشغال المدينة والنشرات والمطبوعات الفاخرة وإعلانات الحائط الملونة .

وفي سنة ١٩٠٥ أنشأ فرنسى يدعى بول باربيه مطبعة بالقاهرة اتخذ لها مقراً فى شارع عبد العزيز. حيث ظلت إلى سنة ١٩١٨ ثم انتقلت إلى حارة فايد رقم ٨ بقسم عابدين .

وكان بول باربيه قد درس فن صف الحروف الشرقية فى المطبعة الأهلية بباريس ثم قدم القاهرة ليتولى إدارة مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية حتى سنة ١٩٠٣ . وبعد وفاته فى سنة ١٩٠٨ انتقلت ملكية مطبعته إلى أرملة . وكانت الحكومة الفرنسية قد منحته وسام جوقة الشرف برتبة فارس مكافأة له على الخدمات التى أداها لفرنسا فى مصر .

وكانت المطبعة تقوم بطبع بعض الصحف والأشغال التجارية والكتب . وإعلانات الحائط والكتب المدرسية الخاصة بمدارس الفرير بمصر . كما قامت بطبع نشرات جمعية الحشرات المصرية وتذاكر سباق الخيل منذ سنة ١٩٠٩ . وأسس موريس جرونبرج مطبعته بالقاهرة سنة ١٩٠٤ لإنجاز المطبوعات التجارية . وكانت فى أول الأمر بالعتبة الخضراء .

* * *

كثر عدد مطابع الأجانب فى مصر خلال الربع الأول من القرن العشرين . وترجع أسباب هذه الكثرة إلى الانتعاش الاقتصادى الذى عم البلاد وتأسيس الشركات المساهمة وازدياد عدد المدارس وانتشار العلم والصحف انتشاراً لم تعرفه مصر فى القرن التاسع عشر . وكان لتشجيع المصريين للأجانب أطيب الأثر على الطباعة . فقد نزع من إيطاليا وفرنسا وألمانيا عدد كبير من رجال الطباعة وافتتحوا بالقاهرة والإسكندرية وبور سعيد مطابع كانت لا تقل كثيراً عن مطابع أوروبا ، وقد عمل المصريون فى هذه الدور فتعلموا الكثير من الفنون المطبعية التى كانت خافية عليهم ، وإن كانت مصر قد بزت غيرها من الدول العربية ، بل بعض دول أوروبا

فى الطباعة : فالفضل يعود إلى الحكومة والشعب اللذين شجعا الأجانب على ترك بلادهم ليعيشوا فى أرض الكنانة معززين مكرمين ، مطمئنين على أرواحهم وأموالهم ، فتعلم بعض المصريين هذا الفن منهم وأجادوه إلى حد كبير .

ثالثاً: مطابع المصريين

نشطت مطابع المصريين نشاطاً ملحوظاً بعد سنة ١٨٨٢ . فقد تأسست مطابع جديدة وتوسعت معظم المطابع القديمة بفضل انتشار التعليم وازدياد عدد الصحف والمجلات والانتعاش الاقتصادى . فبعد وفاة أحمد البابى الحلبي فى سنة ١٨٩٨ خلفه مصطفى البابى الحلبي . وظلت مطبعة الحلبي محتفظة باسمها القديم ألا وهو المطبعة الميمنية حتى سنة ١٩١٩ حين انفصل ورثة المؤسس وحلوا الشركة التى كانت لهم باسم « شركة دار الكتب العربية الكبرى لأصحابها مصطفى البابى الحلبي وأخويه » . وفى تلك السنة أسس مصطفى شركة جديدة له ولأبنائه باسم شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ومقرها شارع الشيخ محمد عبده رقم ١٢ . (التبليطة سابقاً) .

ومن المطابع التى لم تعيش طويلاً المطبعة الأهلية القبطية : فقد تولى أمرها رزق بك جرجس ثم انتقلت إلى أخيه إبراهيم جرجس وأصبح يطلق عليها اسم « مطبعة الوطن » . وفى سنة ١٨٩٣ بيعت المطبعة إلى يوسف بك منقريوس فطبع عليها مجلة الحق . وانتهت آخر الأمر إلى حبيب جرجس فأدارها مدة إلى أن استهلكت فبيعت مجزأة إلى أحد تجار الحردة . وهكذا انتهت قصة أول مطبعة قبطية عرفتها مصر .

وفى حوالى سنة ١٨٨٣ أنشأ محمد درى باشا مطبعة لطبع الكتب الطبية وبعض الكتب التاريخية . ولم يكن الغرض من تلك المطبعة الكسب المادى ، ويرجح أنها أغلقت قبل وفاة صاحبها فى سنة ١٩٠٠ .

وكتبت الوقائع المصرية فى عددها الصادر يوم الأربعاء ٤ فبراير سنة ١٨٨٥

بأنه « صدرت الرخصة من نظارة الداخلية لحضرة على أفندى عزمى من أهالى المحروسة بفتح مطبعة حروف وحجر فى مصر وكتب له من الداخلية فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٥ بذلك مشروطاً عليه التزام العمل بقانون المطبوعات ومحافضة مصر إخطار بفتح تلك المطبعة حتى يكون ذلك معلوماً » .

وكان للشيخ حسن الطوخى مطبعة ألغها نظارة الداخلية لوفاته . وقد كتبت الداخلية إلى المحافظة فى ٦ يونيه سنة ١٨٨٩ « بمراقبة عدم فتح المطبعة المذكورة (١) » . وأشهر المطابع المصرية بالقاهرة فى سنة ١٨٨٩ هى مطبعة المقتطف بشارع عابدين ومطبعة الوطن بشارع كلوت بك ومطبعة الفلاح بشارع عبد العزيز ومطبعة الآداب بشارع محمد على ومطبعة القاهرة بشارع قنطرة الدكة ومطبعة الشيخ شرف بخان أبو طاقية ومطبعة محمد مصطفى بجوار الشيخ الدردير ومطبعة أحمد الحلبي بجوار الشيخ الدردير ومطبعة الطوبى والخشاب بالجمالية ومطبعة عثمان عبد الرازق بالفراخه والمطبعة العمومية لصاحبها يوسف آصاف اللبناى ، وكان مقرها بشارع عبد العزيز رقم ١٨ أمام سراى على باشا شريف .

وفى سنة ١٨٩٠ أنشأ نجيب مئرى « مطبعة المعارف ومكتبتها » . وقد عملت هذه المؤسسة منذ اللحظة الأولى على ترقية فن الطباعة العربية والنهوض بها إلى مصاف الطباعة الإفرنجية . وكان مقرها فى الدور الأرضى من عمارة الدمرداش الكائنة فى شارع الفجالة (كامل صدق اليوم) ثم انتقلت إلى العمارة رقم ٧٠ من الشارع نفسه بالقرب من ميدان باب الحديد .

وقد ولد صاحبها نجيب مئرى فى أول مايو سنة ١٨٦٥ فى الشويفات من أعمال جبل لبنان وتلقى دروسه الأولية فى مدرسة البلدة التى ولد فيها . ثم نزل إلى بيروت حيث تعلم صناعة الطباعة . وفى سنة ١٨٨٤ اتفق عزيز الزند معه ليتولى إدارة مطبعة المحروسة بالقاهرة . ولكن لم يلبث نجيب أن ترك تلك المطبعة فى سنة ١٨٨٩ ليؤسس مع جورجى زيدان مطبعة التأليف . وقام نجيب بإدارتها سنة واحدة ثم تركها لشريكه وأنشأ لنفسه « مطبعة المعارف »

اختار نجيب مئرى لمطبعته ثلاث غرف وحوشاً صغيراً داخل بوابة بأول شارع

(١) مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظارة ومن النظارات من أول يوليه

سنة ١٨٨٩ إلى ٣٠ منه ، ص ٥٢٣ .

الفجالة ملك خليل الزهار : وكانت المطبعة في أول عهدها عبارة عن آلة صغيرة للطبع تدار باليد وآلة لطبع التجارب وبضعة صناديق للحروف بنط ٢٠ ، ٢٤ : وبعد خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل غدت « مطبعة المعارف » من أكبر مطابع القاهرة وأكثرها استعداداً : واشتهرت تلك المطبعة بنظافة طبعها وإتقانه : وأضاف نجيب إلى مطبعته قسماً جديداً لتجليد الكتب واستأجر بعد ذلك محلاً في شارع الفجالة نفسه خصصه لبيع الكتب وأطلق عليه اسم « مكتبة المعارف » : وكان يتردد على « مطبعة المعارف » في نشأتها الأولى عدد كبير من الكتاب والأدباء والشعراء نذكر منهم خليل مطران وصالح جودت ومحمد البيلال وإسماعيل باشا حسنين وحافظ بك إبراهيم شاعر النيل وحلمى بك عيسى وعبد الحميد أبو هيف ومصطفى لطفى المنفلوطى وولى الدين يكن ، وإسماعيل باشا صبرى والشيخ إبراهيم اليازجى وقاسم بك أمين وفتحى باشا زغلول وغيرهم من فحول الأدب والسياسة :

ولم ينهض نجيب مترى بالفن المطبعى فى مطبعته فحسب ، بل حاول أن ينهض به فى مطابع مصر كلها بمن درب من العمال الذين خرجوا ينشرون فنه فى مختلف مطابع مصر :

ولما أتمت مطبعة المعارف خمساً وعشرين سنة من حياتها ، قدم فريق من المؤلفين والأدباء إلى صاحبها كأساً تذكارية للعيد الفضى الذى أقاموه بفندق الكونتنتال بالقاهرة فى ٢٨ أبريل سنة ١٩١٦ :

وفى أوائل سنة ١٨٩٣ فكر بعض تجار الإسكندرية فى إقامة معرض وطنى فأدرجت الحكومة له ألفاً من الجنيهات كما دفعت بلدية الإسكندرية أربعمائة جنيه : وجمع اكتاب بالقاهرة للغرض نفسه : وافتتح المعرض فى ٢٢ أبريل سنة ١٨٩٤ :

وفى المجموعة الأولى من قسم الفنون الجميلة قدم شولر فى قسم النحت والحفر رسم ثعلب مطبوعاً بالزنكغراف ، وساهم فى هذا المعرض أيضاً دانيال وجان ستيل الحفاران والطابعان بالحجر : وقد عرض أيضاً دى لاروكا وبناسون ومطبعة ديبلوسترولوجو بيورسعيد ومطبعة لاجودا كيس بالإسكندرية ومطبعة فروزان أخوان

بالمنصورة ومطبعة محمد مسعود .

ونال لاجودا كيس وبناسون الميداليتين الذهبيتين وحازت مطبعة البورصة ومطبعة ديلاوستر ولوجو الميداليتين الفضية . وفاز بالميداليات البرونزية مطبعة لاروكا ودانيال وستيبل وجمبل . واستحق بلادينو الميدالية الفضية لفن التجليد .

وعرفت سنة ١٨٩٤ ثلاث مطابع جديدة ، وهي المطبعة العمومية بطنطا لأنطون غوش . وكانت تطبع بالعربية والفرنسية واليونانية . وفي ٢٧ نوفمبر من السنة نفسها صرحت نظارة الداخلية لتحليل الشدياق من محررى الجرائد العربية بإنشاء مطبعة عربية باسم المطبعة الشدياقية . وثالثة هذه المطابع هي مطبعة جمعية التوفيق القبطية ، وهي أول مطبعة قبطية تؤسس بأسماء بلغ عددها ثلاثمائة سهم وتمن السهم جنيه مصرى واحد . وقام بإنشاء المطبعة جمعية التوفيق القبطية واختارت لها ورشة فى شارع كلوت بك . وقد طبعت فيها مجلة التوفيق طوال ثلاث عشرة سنة (١) وإلى مساعى الدكتور إبراهيم منصور يعود فضل إنشاء تلك المطبعة (٢) .

ولما رأى الشيخ إبراهيم اليازجى أن الآداب العربية والصحافة قد انتقلت من بيروت إلى مصر لانطلاق الحرية فيها ، قرر السفر إليها لينشئ فيها مطبعة ومجلة علمية . وقد تم الاتفاق بينه وبين صديقه الدكتور زلز وهو شريكه فى مجلة « الطبيب » على أن يذهب إلى مصر معاً حيث أسسا مطبعة البيان فى سنة ١٨٩٧ . ولم تعش تلك المطبعة أكثر من سنة ، فقد فضت الشركة وأغلقت المطبعة . وتمكن إبراهيم اليازجى خلال إقامته فى القاهرة من صنع حرف جديد بنط ٢٠ . وقد استخدمته مسابك القاهرة وشاع استعماله فى المطابع المصرية .

وكان من نتيجة ازدياد عدد المطابع اشتداد المنافسة بينها فانخفضت أسعار الطبع واختفت بعض المطابع التى لم تستطع مسايرة التقدم الذى أصاب الفن المطبعي فى أوائل القرن العشرين . وظهرت مطابع جديدة جهزت نفسها بآخر المستحدثات المطبعية ودخل المصريون ميدان الطباعة الراقية واستطاعوا أن يقفوا على أقدامهم

(١) من حديث مع السيد جرجس فلتنوس عوض صاحب المطبعة العصرية .

(٢) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين ، الجزء الرابع ، مطبعة رعمسيس ، ص ٦٨ .

وقفة الواثق من نفسه الخبير بثئون هذا الفن : ولم يمض وقت طويل حتى أصبحوا
أسياد الموقف :

ولكن دخول الآلات المطبعية الحديثة مصر لم يمر دون جلبة : ففي أوائل
سنة ١٩٠٨ جلب أنطوان موريس الابن إلى مطبعته بالإسكندرية آلة تنضيد
الحروف المعروفة باسم « لينوتيب » : فقامت قيامة العمال لأنهم رأوا فيها منافساً
خطيراً لهم :

وبعد بضعة شهور جلبت مطبعة الإيتاندار إجبسيان والإجبشيان ستاندرد
صحيفتا مصطفى باشا كامل آلة لينوتيب فاستغنت عن عدد كبير من عمالها صفاقى
الحروف بعد أن دفعت ٤٧٥ فرنكاً تعويضاً لكل عامل استغنت عنه وكان يتقاضى
مرتباً شهرياً : أما عمال اليومية ، فقد صرف لهم ما يساوى أجر عشرة أيام :

وفي السنة نفسها قامت منافسة شديدة بين مصنعين لآلات تنضيد الحروف ،
واسم المصنع الأول مرجنتالر وهو أمريكى . أما المصنع الثانى فانجليزى واسمه لينوتيب
آند ماشينرى لمتد Linotype & Machinery Ltd وادعى المصنع الأخير حق تصدير
آلاته إلى بعض البلاد وخاصة إلى وادى النيل على اعتبار أنه تحت الاحتلال
البريطانى : وقد انتهى هذا النزاع بحكم أصدرته محكمة الإسكندرية المختلطة فى
٢١ أبريل سنة ١٩٠٨ ويقضى برفض دعوى المصنع الإنجليزى الذى استأنف
الحكم فرفضته المحكمة ، وانتهى النزاع بعقد اتفاقية تجارية بين المصنعين :

وكان للنشاط المطبعى الذى ظهر واضحاً فى السنوات العشر الأولى من القرن
العشرين أطيّب الأثر على هذا الفن : وقد شعر بعض المعنيين به من مصريين
وأجانب بالحاجة إلى إصدار نشرة كانت تطبع بمطابع الدليل المصرى بدون مقابل :
وكانت تلك النشرة واسمها Le Bulletin Typographique . تعيش من الإعانات
التي تقدمها لها المطابع الكبرى . ولكن على الرغم من دسامة موضوعاتها وحسن
إخراجها فإنها لم تعيش طويلاً : واحتجبت بعد العدد الخامس :

وفي يناير سنة ١٩٠٩ صدرت بالقاهرة مجلة شهرية مطبعية باللغة العربية اسمها
« المجلة المطبعية » : وكان محررها ويطلعها صاحبها أحمد الزايط وفرنسيس ميخائيل :

وكان اشترى كها السنوى خمسة عشر قرشاً . إلا أنها احتجبت بعد قليل .
ومن المطابع الهامة التى تأسست فى تلك الحقبة مطبعة الرغائب . أنشأها
عبد الرحيم بدوى فى سنة ١٩٠٨ واتخذ لها محلاً فى شارع المنجلة بقسم الدرب الأحمر ،
وكانت فى أول أمرها مطبعة حروف تطبع الكتب والمطبوعات التجارية . ولم تلبث
أن انتقلت المطبعة فى سنة ١٩١٢ إلى دارها الحالية حيث شغلت المقر الذى كانت
تحتله جريدة المؤيد للشيخ على يوسف بشارع محمد على رقم ١٣٠ .
وبدأت مطبعة الرغائب فى مسابقة النهضة التمثيلية فى مصر فأدخلت طباعة
الحجر لتخرج إعلانات الحائط الضخمة التى كان يقوم بتنفيذها فنانون مصريون
بعد أن كانت مقصورة على الفنانين الأجانب .
وفى سنة ١٩٠٩ توصل على خليل النجار إلى اختراع آلة من خشب لطبع
التجارب وهى عبارة عن منضدة من الخشب الموسيقى ذات ظهر مرخم بالرخام
وطنبور من خشب البلوط سككه من خشب الزان وفى باطن المنضدة درج للمحبرة
مرخم من الداخل وبه سلندر (أى أسطوانة) للتحرير يعلق فى المنضدة . وسجل
هذا الاختراع تحت رقم ٤٨٠٤ وكان ثمنه ٣٠٠ قرش .
وفى السنة نفسها أقيم بالجيزة معرض زراعى صناعى . ولم يتقدم من المطابع
إلى هذا المعرض سوى المطبعة الملحقه بإصلاحية الأحداث بالجيزة . ونالت جائزة
على تجليد الكتب .
وبلغ عدد المطابع فى مصر سنة ١٩٠٩ اثنتين وستين مطبعة فى القاهرة وستاً
وأربعين بالإسكندرية واثنين بأسيوط وواحدة فى كل من بنها وبني سويف ودمهور
والفيوم والمنيا وميت غمر والسويس وأربعاً فى كل من المنصورة وطنطا وبور سعيد
واثنتين فى الزقازيق فيكون مجموع تلك المطابع مائة وإحدى وثلاثين مطبعة عدا
المطابع الصغيرة التى لا يعمل فى كل منها أكثر من صبيين .
وفى سنة ١٩١٠ أنشأ جرجس فلتنوس المطبعة المصرية الأهلية واتخذ لها محلاً
فى عطفة شق الشعبان المتفرعة من شارع كلوت بك ، ثم انتقلت إلى حارة العتبة
المتفرعة من شارع محمد على حيث اشترى لها محرك بخارى لإدارة طابعاتها . وطبعت
فى تلك المطبعة مجلة المنارة للقمص مرقس سرجيوس ومجلة الإيمان ومجلة أسيوط ومجلة
الوطنية لأيوب صبرى ورسالة الحياة والمجلة القبطية لجرجس فلتنوس .

وفي سنة ١٩١٢ أنشأ كيرلس تادرس المنقبادى مطبعة رعمسيس فى أول شارع الفجالة . وقد أعطاه والده تادرس المنقبادى بعض الآلات المطبعية التى كانت فى حوزة مطبعة جريدة مصر . وقامت المطبعة بطبع الكتب القبطية والمدرسية والمطبوعات التجارية والبطاقات والفواتير ومجلة رعمسيس التى أنشأها كيرلس تادرس المنقبادى ورمزى تادرس فى سنة ١٩١٢ ، وظلت تصدر حتى سنة ١٩١٨ . تأثرت صناعة الطباعة كثيراً فى مصر عقب إعلان الحرب العالمية الأولى ، فقد قل ورود الورق من الخارج وأصبحت الجرائد الكبرى تصدر فى ورقة واحدة مطبوعة طبعا رديئا لرداءة نوع الورق نفسه . وقد انقطع أو كاد ورود أدوات الطباعة نفسها واضطرت بعض المطابع إلى إغلاق أبوابها فى حين صمدت مطابع أخرى إلى أن انجلى كابوس الحرب وعادت المياه إلى مجاريها .

غير أنه ما لبث أن اشتعلت نار الثورة المصرية وقام المصريون يطالبون المحتل بالخلاء . وفرضت الرقابة على الصحف والمطابع . ومع ذلك فقد ظهرت فى زفتى منشورات مطبوعة . . . منشورات تحض الناس على الثورة وتذيع قرارات لجنة الثورة وتعليقاتها وأخبارها . لقد كانت هذه المنشورات تطبع فى مطبعة محمد عجينة بزفتى وتوزع على الوطنيين فى كل مكان . . . كانت مطبعة صغيرة ولكنها استطاعت أن تثبت وجودها وتخلد اسمها بفضل كفاحها المبرر فى سبيل استقلال مصر .

وخلال تلك الفترة من حياة مصر أسس إلياس أنطون إلياس المطبعة العصرية لطبع عليها قاموسه العصرى الإنجليزى العربى ، بعد أن طبعه فى المرة الأولى فى مطبعة المقطم .

وكانت المطبعة فى شارع علوى خلف البنك الأهلى حيث كانت أيضاً إدارة جريدة البلاغ . وكانت المطبعة فى عهدها الأول تستورد حروفها من مسبك يوسف الحاج ، وهو من المسابك التى كان لها شأنها فى الربع الأول من القرن العشرين .

وفى سنة ١٩٢٢ تأسست شركة مطبعة مصر برأس مال قدره خمسة آلاف من الجنيهات . وكان الغرض من إنشاء تلك المطبعة فى أرل الأمر أن تقوم بطبع مطبوعات بنك مصر وشركاته . ولم يكن فيها سوى طابعتين مقاس ١٠٠×٧٠ وطابعتين متوسطتى الحجم وأربع آلات من الحجم الصغير . كما كانت توجد آلة

« ليتو أوفست » لطبع السندات والإعلانات الملونة والأشغال الفاخرة . وكان يوجد أيضاً قسم خاص للطباعة على الحجر ، وكانت الحروف تجمع باليد . أما عدد العمال فلم يكن يتجاوز الخمسين :

وفي سنة ١٩٢٤ أصدرت الشركة سندات قيمتها عشرون ألفاً من الجنيهات وأمدتها بنك مصر بمبلغ آخر حتى زاد رصيدها المدين في نهاية سنة ١٩٢٤ على أربعة وثلاثين ألفاً من الجنيهات ،

تلك هي حال مطابع المصريين حتى نهاية سنة ١٩٢٤ وهي حال تبشر بمستقبل زاهر بفضل إقدام المصريين أنفسهم على افتتاح المطابع وجلب المعدات الحديثة ليقفوا بها جنباً إلى جنب مع مطابع الأجانب .

رابعاً : مطابع الصحف

ازداد عدد مطابع الصحف في تلك الفترة من تاريخ الطباعة في مصر ، وافتتحت مطابع جديدة وأغلقت في الوقت نفسه مطابع قديمة كمطبعة وادى النيل التي توقفت عن العمل في سنة ١٨٨٣ وتوفي صاحبها أنسى بك في سنة ١٨٨٦ . أما مطبعة جريدة الأهرام فقد عاد صاحبها إلى الإسكندرية بعد الثورة العربية وافتتح مطبعة جديدة : وإلى فتح الله بك جاويش يعود فضل استكمال معدات مطابع الأهرام : فقد كان وكيلاً للأهرام في سوريا لمدة عشرين سنة ، وكان يقوم بشراء أدوات الطباعة والمسالك والحروف ويرسلها إلى الإسكندرية برسم مطابع الأهرام : ولكن لم تلبث المطبعة بعد ذلك بسنتين أن مرت بمحنة جديدة . فقد أغلقت حكومة نوبار الأهرام ومطبعها شهراً نظراً لأنها « نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية . . » وكان ذلك في ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٤ :

وتوفي سليم تقلا في أغسطس سنة ١٨٩٢ وانتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى شقيقه بشار تقلا الذي عين « عزتلو رشيد بك الشميل مديراً مطلقاً للجريدة

وإدارة المطبعة في كل ما يختص بها^(١) .

وفي أول نوفمبر سنة ١٨٩٩ انتقلت الأهرام ومطابعها إلى القاهرة وظلت مطبعة الإسكندرية لتطبع جريدة الأهرام صغيرة الحجم الخاصة بذلك الثغر .

وكان لمطابع الأهرام بالقاهرة اثنتا عشرة طابعة يدار أكثرها بالبرول . ولما توفي بشارة تقلا في سنة ١٩٠١ انتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى أرملته وابنه جبرائيل .

وطبعت مطبعة الأهرام أيضاً الصحيفة الفرنسية « لي بيراميد » Les Pyramides التي صدر عددها الأول في يناير سنة ١٩٠٠ واحتجبت في ٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ .

وكانت المطبعة مقسمة في سنة ١٩١٠ إلى ورشة جمع إفرنجي وورشة جمع عربي وورشة جمع يوناني . واشترت الأهرام آلتين لينوتيب لجمع أصول الصحيفة الفرنسية . وأصبحت الطابعات تدور بواسطة محرك كهربائي .

وفي سنة ١٩٢٤ توفيت أرملة بشارة تقلا فانتقلت ملكية المطبعة والصحيفة إلى جبرائيل تقلا وحده .

وانتقل چاك سرير بجزء من مطبعته إلى القاهرة بعد الثورة العربية وأصدر صحيفة البوسفور لإجسيان بالاشتراك مع بول جيرو . وهاجمت الصحيفة السياسة الإنجليزية في مصر ، فما كان من المعتمد البريطاني إلا أن أمر بتعطيل الجريدة وإغلاق مطبعتها . وعبثاً حاول قنصل فرنسا أن يثنى المعتمد البريطاني عن عزمه . وكان يوم تنفيذ أمر الإغلاق مشهوداً . فقد جاء جيرو رئيس تحرير الصحيفة ومحرروها أمام باب المطبعة مدججين بالسلاح . وكان في الانتظار أيضاً مستشار القنصلية الفرنسية محاطاً برجاله وقواسيه . وضربت الحراسة على جميع الشوارع المؤدية للمطبعة . وحضر ضابط إنجليزي كبير ليشرف على إجراءات الإغلاق ، وقام بتلاوة المحضر علناً . ولكن أحداً من رجال « سرير » لم يتحرك . وبدأ على وجه الضابط الإنجليزي الحيرة . فما كان من جيرو إلا أن تقدم منه قائلاً : « امسكني على الأقل من عنقي ليبدو على أنني استسلمت للقوة » . فلمس الضابط ذراع جيرو بكل أدب وقل له : « أهذا يكفي ؟ » فأجاب جيرو : « بكل تأكيد » . وهكذا

(١) الأهرام في ٣١ أكتوبر سنة ١٨٩٣ .

أغلقت البوسفور ومطبعتها في سنة ١٨٨٤^(١) . وقد صرفت الحكومة للمسيو سرير مبلغ اثنين وأربعين ألف فرنك تعويضاً له على إغلاق مطبعته .

ولم تقتصر تلك المطبعة على طبع البوسفور إجبسيان ؛ فقد طبعت أيضاً صحيفة « الحماسين » ، وكانت تصدر باللغة الفرنسية . كما أخرجت صحيفة أسبوعية انتقادية باللغة الفرنسية اسمها « مفيستو » . ولم تعش الصحيفة الأخيرة طويلاً ، فقد حلت محلها « لاجوريسبرودانس إجبسيين La Jurisprudence Egyptienne وهي صحيفة قضائية . وقد توفي جاك سرير في سنة ١٨٨٧ أثر حادث أليم .

وتأسست بالقاهرة سنة ١٨٨٠ مطبعة صحيفة الإجبسيان جازيت لصاحبيها ساك ومانسون Sack & Manson ، وكان مقرها في عمارة البورصة القديمة . وكانت تقوم إلى جانب طبع صحيفة الإجبسيان جازيت بطبع الأشغال التجارية المختلفة . ومن المطابع الكبرى التي أنشئت في ذلك العهد مطبعة المقتطف والمقطم . ففي شهر مايو من سنة ١٨٧٦ أنشأ يعقوب صروف وفارس نمر مجلة المقتطف ببيروت ثم انتقلا بها إلى القاهرة في سنة ١٨٨٥ . وكان شاهين مكاروريوس يشرف على تلك المجلة أثناء إصدارها ببيروت في مطبعة الأميركان ، ثم ما لبث أن انضم إلى الشريكين وجاء معهما إلى مصر بعد أن حمل معه مجموعة من حروف مسبك خليل سركيس ببيروت . وأسس الشركاء الثلاثة بالقاهرة مطبعة لطبع المقتطف وغيره من المطبوعات

وكانت المقطم حتى سنة ١٩٠٨ تطبع على آلات الطباعة المسطحة ، ثم حذت حذو المؤيد والأهرام واللواء فابتاعت آلة طباعة دوارة (روتاتيف) . وكانت المطبعة في أول أمرها تشغل مكاناً ضيقاً أمام جامع أولاد عنان في ميدان باب الحديد . وبقيت المطبعة هناك إلى سنة ١٨٩٢ ثم انتقلت إلى عابدين في ملك سالم باشا سالم فبقيت هناك إلى سنة ١٩٠٥ حين انتقلت إلى سراي المرحوم عبد الخالق ثروت باشا بشارع القاصد (شارع محمد محمود باشا اليوم) .

وفي سنة ١٩١٣ عرض محل نكامولي على إسكندر مكاروريوس مدير المطبعة شراء آلة ألمانية لصف الحروف ماركة تيبوجراف . ووضعت الآلة في المطبعة

(١) Munier : La Presse en Egypte, Le Caire 1930, p. 11, 13 et 14.

لتجربتها . ولكنها أعيدت إلى صاحبها بعد بضعة شهور . وفي تلك الأثناء سعى مدير المطبعة لدى شركة لينوتيب الإنجليزية لشراء آلة تصنف الحروف العربية . ووضعت الآلة في دار المقطم لتجربتها وظلت هناك منذ قيام الحرب العالمية الأولى حتى سنة ١٩١٥ حين توقفت الشركة عن إمداد تلك الآلة بقطع الغيار اللازمة بسبب الحرب فاضطرت المطبعة إلى إعادة الآلة إلى الشركة صاحبها . وظلت مطبعة المقتطف والمقطم تجمع حروفها باليد إلى أن احتجبت الصحيفتان .

أما الطابعات فقد جددت في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وقامت تلك المطبعة بطبع عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية على نفقة أصحابها ، كما قامت بطبع بعض مطبوعات الحكومة في أواخر القرن الماضي .

وأنشأ الشيخ على يوسف صحيفة المؤيد في سنة ١٨٨٩ . وكانت مطبعتها صغيرة تدار باليد وتطبع طبعاً مسطحاً ولا يزيد عدد ما تطبعه في الساعة على مائة نسخة . وبعد سنتين من إنشاء الجريدة اشترى لها صاحبها طابعة «ألوزيه» تطبع بكابس أسطوانى إلى ٦٠٠ نسخة في الساعة الواحدة . وزاد الإقبال على صحيفة المؤيد زيادة كبيرة حتى بلغ عدد المطبوع منها خمسة آلاف نسخة . فرأى الشيخ على يوسف أن يستورد مطبعة ألمانية كبيرة ذات مكبس أسطوانيين تدار بقوة البخار . وهكذا أمكن إصدار المؤيد في ثمانى صفحات ابتداءً من ١٦ يولييه سنة ١٨٩٩ .

ورأى صاحب المؤيد في سنة ١٩٠٦ أن يشترى لجريدته طابعة «من اختراع الخواجة مارينوى الفرنساوى المشهور باختراعاته المطبعية . ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر وجلبت إليها وتبدأ عملها منذ اليوم ، فقد دعونا الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع في الطبع . . .^(١) وهكذا عرفت مصر أول مطبعة روتاتيف في أكتوبر سنة ١٩٠٦ بفضل همة الشيخ على يوسف .

وكان مقر الجريدة والمطبعة في شارع محمد على رقم ١٠٧ . وكان في المطبعة ورشة للحفر على الزنك . وظلت مطبعة المؤيد حتى سنة ١٩٠٧ سيدة مطابع الصحف المصرية ، ثم أحضرت اللواء مطبعة روتاتيف وتلتها مطبعة الجريدة فالمقطم فالعلم^(٢) .

(١) المؤيد في ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ .

(٢) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ، المجلد الخامس ، ص ٦٨٥ المادة مطبعة .



العدد الأول من صحيفة المؤيد

وفي سنة ١٨٩١ أنشأ جورجى زيدان بالاشتراك مع نجيب مئرى مطبعة صغيرة أطلقا عليها اسم مطبعة التأليف . وكان مقرها آخر شارع الفجالة . وبعد ذلك بسنة انفضت الشركة واحتفظ جورجى زيدان بالمطبعة بعد أن أطلق عليها اسم الهلال فى حين أسس نجيب مئرى مطبعة المعارف .

وأصدر جورجى زيدان فى تلك السنة مجلة الهلال . وكانت مطبعة الهلال حتى سنة ١٨٩٩ لا تطبع إلا الكتب التى تقوم بنشرها على حسابها ، غير أن صاحبها لما رأى « إقبال الناس على الكتابة والتأليف والطبع والنشر . . . » بعث يستحضر آلات طبع أخرى « من أتقن طراز وأجمل وضع فى أوربا » فوق ما عنده من آلات ومعدات . وقد استوردت مطبعة الهلال فى أوائل فبراير سنة ١٨٩٩ « آلة (ماكينة) كبيرة من طراز ألوزيه المشهور بدقته وسرعته وستصلنا العدد الباقية قريباً » . وكانت المطبعة تقوم بمراجعة التجارب وتصحيحها إن كان صاحب المطبوع خارج القاهرة (١) .

وكان لدى مطبعة الهلال فى نهاية القرن الماضى ستة أنواع من الحروف العربية وهى « الحرف الفارسى الجديد والحرف الثالث الصغير والحرف الجنس الأول الإسلامبولى والحرف الجنس الثانى الأسود والحرف الثانى الأميركانى والحرف الجنس الثالث المصرى الجديد » . وجلبت المطبعة لطبع رقاع الدعوة والبطاقات الخصوصية « سبعة عشر نوعاً من الحروف الإفرنجية » . وكان فى المطبعة قسم للتجليد يجلد « كل أنواع التجليد موسومة بالذهب حسب الطلب » .

ظلت مطبعة الهلال بشارع نوبار رقم ٤ حتى سنة ١٩٢٣ ثم انتقلت إلى شارع الأمير قدادار حيث احتلت بناءً مكوناً من طابق واحد .

وكانت دار الهلال أول دار صحفية فكرت فى إدخال طباعة الروتغرافور . وفى يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤ صدر العدد الأول من مجلة المصور الأسبوعية مطبوعاً بالروتغرافور . وكان ظهورها فتحاً جديداً فى عالم الطباعة والصحافة العربية .

وأسس تادرس (بك) شنودة المنقبادى جريدة مصر فى سنة ١٨٩٥ وكانت تلك الجريدة فى أول أمرها تطبع فى مطبعة جمعية التوفيق القبطية . ولكن ما لبث

(١) مجلة الهلال فى ١٥ فبراير سنة ١٨٩٩ ص ٣٢٠ .

أن دب الخلاف بين صاحب الجريدة وجندى (بك) إبراهيم وكيل جمعية التوفيق فاضطر الأول في سنة ١٨٩٧ إلى شراء مطبعة تدار باليد واختار لها ولإدارة الجريدة مقراً في شارع كلوت (بك) بأول الدرب الإبراهيمي . أما الحروف فقد اشتراها من مسبك نجروني بالإسكندرية . وظلت المطبعة في هذا المقر حتى سنة ١٩٠١ ، ثم انتقلت هي وإدارة الجريدة إلى حي الفجالة في منزل تادرس (بك) المنقبادي بشارع منشرة اللؤلؤة .

وأدخلت على المطبعة في طورها الحديد بعض التحسينات وألحق بها قسم تجارى لطبع الكتب والبطاقات والظروف والجوابات والفواتير . وجلب لهذا القسم مطبعة خاصة تدار بالقدم . وفي مستهل القرن العشرين اشترى صاحب المطبعة محركاً بخارياً لإدارة الطابعات الثلاث التي اقتناها وخصص واحدة منها لطبع الجريدة والاثنين الآخرين للأعمال التجارية وطبع الكتب .

وتولى إدارة المطبعة في نشأتها الأولى فرنسيس جرجس ثم خلفه زكى رزق الله وجاء بعده مسيحة أفندى . وتولاها بعد ذلك قيصر المنقبادي ، وهو ابن المؤسس ، وكان ذلك في سنة ١٩٠٤ .

وقامت مطبعة جريدة مصر بإصدار عدة مطبوعات نذكر منها « بوق الإصلاح » وهي مجلة أسبوعية كانت تصدرها جمعية أمريكية دينية في أسيوط و « مجلة النور » التي أنشأها تادرس المنقبادي في عيد النيروز (١١ سبتمبر سنة ١٩٠٥) وكان يحررها عوض واصف ، و « الهدية التوتية » وهي مجلة سنوية كانت تصدر في عيد النيروز من كل عام . وطبعت تلك المطبعة عدة كتب .

وأسس رشيد شميل بمدينة الإسكندرية في سنة ١٨٩٧ مطبعة ليطلع عليها صحيفة « البصير » . وكانت المطبعة في أول الأمر بدائية ، وكان مقرها في شارع بولاناكي حيث ظلت إلى سنة ١٩٠٣ ثم انتقلت إلى شارع سيزوستريس . وكان رشيد شميل يتولى إدارة المطبعة . فلما توفي حل ولداه شارل وموريس محله .

ورأى الزعيم مصطفى كامل أن لابد له من جريدة يومية يتصل بالرأى العام عن طريقها فأسس صحيفة « اللواء » . واشترى لذلك الغرض مطبعة كاملة المعدات . وصدر العدد الأول من « اللواء » في ٢ يناير سنة ١٩٠٠ . وكان مقر المطبعة الأول

بالمترل رقم ١٣ شارع فهمى بجوار محطة باب اللوق : ثم انتقل بعد حوالى عامين إلى المترل رقم ٢٩ بشارع الدواوين ، وهو المترل الذى أطلق عليه « دار اللواء » وتوفى فيه مصطفى كامل : وعندما أصبحت صحيفة « اللواء » تصدر فى ثمانى صفحات استورد لها أصحابها طابعة روتاتيف تطبع فى الساعة الواحدة اثنى عشر ألف نسخة : وطبعت مطبعة اللواء صحيفتى The Egyptian Standard و L'Etendard Egyptien ومجلة اللواء : وطبعت تلك المطبعة أيضاً جريدة أسبوعية اسمها « العالم الإسلامى » : وسافر مصطفى كامل بنفسه إلى أوروبا لشراء الطابعة الروتاتيف والمعدات المطبعية الأخرى التى لا بد منها لطبع ثلاث صحف يومية^(١) : وانتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة صاحبها إلى على (بك) كامل وشركاه : واستخدمت المطبعة آلتين لينوتيب من طراز أمريكى : وكانت مطبعة اللواء أكبر مطبعة مصرية فى سنة ١٩١٠ : ولما توقفت اللواء عن الصدور بيعت الطابعة الروتاتيف إلى هنرى بوتنييه صاحب البورص إجبسيين :

ومن مطابع الصحف التى أسست فى أواخر القرن التاسع عشر بالقاهرة مطبعة البورص إجبسيين ؛ فقد أنشأها هنرى بوتنييه فى سنة ١٨٩٩ لطبع عليها صحيفته : ولم يكن فى وسع هذه المطبعة أن تطبع أكثر من أربعمئة نسخة من تلك الصحيفة فى الساعة الواحدة : وكان شريك بوتنييه فى هذا المشروع أحد رجال المال الهولنديين ؛ فقد دفع له مبلغاً ساعده على شراء مطبعة مستعملة واستئجار حانوت صغير فى شارع بولاق ، فى المكان الذى تشغله اليوم محلات شيكوريل . وفى سنة ١٩٠١ قرر بوتنييه تأجير المطبعة لتاجر يهودى صغير وشراء مطبعة البروجريه التى كانت تقع خلف ميدان الأوبرا فى شارع كان يعرف باسم شارع التليفون : وانتقلت المطبعة بعد ذلك إلى شارع شريف باشا حيث توجد اليوم شركة السياحة الإيطالية : وفى عام ١٩٠٨ سافر بوتنييه إلى باريس حيث اشترى لمطبعته آلتى لينوتيب :

وظلت المطبعة فى شارع شريف حتى سنة ١٩٢٠ . وكانت قد ضمت إليها فى سنة ١٩١١ مطبعة بناسون تحت اسم شركة النشر المصرية : وفى سنة ١٩١٥

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٤٣ ، ٢٤٥ ، القاهرة سنة ١٩٣٩ .

اشترت المطبعة الطابعة الروتاتيف ماركة مارينوفى التى كانت فى مطبعة « اللواء » ، وكان صاحب البورص فى حاجة إلى مثل تلك الطابعة السريعة لطبع عليها مائة ألف نسخة من صحيفة الإيجيشيان ميل التى كانت توزع على القوات البريطانية المعسكرة على ضفاف القناة .

وانتقلت المطبعة بعد سنة ١٩٢٠ إلى شارع قصر النيل حيث توجد الآن محلات الصالون الأخضر .

وشهد مطلع القرن العشرين مولد عدد من مطابع الصحف العربية والأجنبية ، نذكر منها مطبعة صحيفة « فوس » اليونانية التى أسسها جان بوليتس سنة ١٩٠٢ . وقد استقرت منذ تأسيسها فى الدور الأرضى من عمارة ستون الكائنة فى شارع جلال رقم ١٤ . وتقوم المطبعة إلى جانب إصدار الجريدة بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة . وقد انتقلت ملكيتها من مؤسسها إلى الكسندر كناكيس و ك . بونارس . ويمكن وضع تلك المطبعة فى مصاف مطابع الصحف الصغيرة .

وفى سنة ١٩٠٤ أسس إدريس راغب بك مطبعة جريدة « ليجيب » L'Egypte . وأسس كامل تويج مطبعة الجورنال دى كير Le Journal du Caire فى سنة ١٩٠٥ . وكانت تطبع إلى جانب الجريدة المذكورة صحيفة « لوريان » L'Orient ونشرة بالفرنسية اسمها لاكوت إيجسيين La Côte Egyptienne .

وتأسست فى سنة ١٩٠٦ مطبعة شركة النشر المصرية^(١) وهى عبارة عن مطبعى بناسون والبورص بعد أن ضمتا إلى بعضهما البعض . وفى سنة ١٩١١ ضمت إلى تلك الشركة أيضاً المطبعة العمومية بالإسكندرية لصاحبها أنطوان موريس الابن ، وكان فى تلك المؤسسة آلتان لتنضيد الحروف (لينوتيب) من طراز أمريكى واحدة بخزان بسيط والأخرى بخزائين . وقامت المطبعة إلى جانب طبع بعض الصحف الأجنبية بإنجاز الأشغال التجارية التى كانت تكلف بها .

وتأسست مطبعة « الجريدة » فى سنة ١٩٠٧ ، وهى شركة مساهمة برئاسة محمود باشا سليمان وإدارة أحمد لطفى السيد بك . وكان يدير آلتها محرران أحدهما

يسير بقوة الكهرباء والآخري يسير بقوة البترول . وبعد توقف « الجريدة » بيعت المطبعة .

وعلى الرغم من قيام الحرب العالمية الأولى وقلة ورود الأدوات المطبعية من أوروبا وأمريكا فقد تمكن إسكندر مكارىوس فى سنة ١٩١٥ من إنشاء مجلة « اللطائف المصورة » . واستحضر آلة لطبع الكليشيات المحفورة على الزنك . وظلت تلك المجلة المصورة تطبع بطريقة الزنكغراف حتى سنة ١٩٢٦ . وكان مقر المطبعة فى عهدها الأول فى عمارة مظلوم باشا التى تواجه دار جريدة الأهرام أمام جامع جركس . وقد شيدت مكانها الآن عمارة شوشة . وبقيت المطبعة فى ذلك المقر حتى سنة ١٩٢٦ .

وتعاقد نجيب ولاية صاحب الجريدة التجارية المصرية مع عبد الحميد شرارة على شراء مطبعته ، وكان مقرها بشارع الحمرك القديم بالإسكندرية . وبعد طبع العدد الأول من الجريدة فى ١٦ مايو سنة ١٩٢١ أصيبت الطابعة بعطب يتعذر إصلاحه فاقترصر عمل المطبعة وقتذاك على جمع حروف الصحيفة . أما الطبع فكان يتم فى مطبعة السلام بالإسكندرية .

وظلت جريدة السياسة تطبع فى مطبعة صحيفة « الأخبار » لمدة أربعة شهور ثم استحضر لها أصحابها مطبعة روتاتيف من نوع ألماني كانت تطبع ١٢ ألف نسخة فى الساعة . وطبع فى هذه المطبعة أيضاً مجلة السياسة الأسبوعية ، وكانت تطبع على طابعة حجر لأن غلافها كانت ملونة . أما سائر صفحات المجلة فكانت تطبع على طابعة مسطحة . وكانت المطبعة فى أول أمرها فى شارع المبتديان وانتقلت بعد ذلك إلى شارع المناخ (عبد الحالى ثروت الآن) فى منزل عبد الحميد الشواربى (١) . وبدأت مطبعة « البلاغ » عملها فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ . وكانت عبارة عن طابعة روتاتيف اشتراها محمد عبد القادر حمزة من أوروبا . وكان مقرها فى أول شارع عماد الدين عند تقاطعه مع شارع السلطان حسين .

وهكذا نرى أن عدد مطابع الصحف قد زاد زيادة كبيرة فى الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٢٤ . إن ظهور الأحزاب جعل كل حزب يفكر فى إصدار جريدة أو مجلة تدافع عن وجهة نظره . فجلبت الطابعات الحديثة وانتشرت

(١) استقيننا هذه المعلومات من المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

طابعات الروتاتيف بحيث أصبحت معظم الصحف اليومية المصرية تطبع بها . أما الصحف الإفرنجية فقد تسابقت على اقتناء آلات تنضيد الحروف من صنع إنجلترا وأمريكا . وتوسعت المجالات في نشر الصور الفوتوغرافية فجلبت ورش الحفر على الزنك . وبدأت بعض المجالات في طبع غلافاتها بالألوان فاستخدمت لهذا الغرض مطابع الحجر في انتظار الوسائل الطباعية الأخرى التي لم تكن تعرف في مصر إلا في مطبعة مصالحة المساحة .

لقد احتلت الطباعة في مصر في هذه الفترة من حياتها المكانة اللائقة بها بفضل الجهود التي بذلتها الحكومة من ناحية والأفراد من ناحية أخرى .

الفصل الخامس

الطباعة قوة

١٩٢٤ - ١٩٣٩

أولاً: المطابع الرسمية

فقدت مطبعة بولاق الشيء الكثير من مصيريتها في عهد الاحتلال ، فقد تولى أمرها بعد حسين حسنى مديرون فرنسيون وإنجليز ولم تشذ عن هذه القاعدة إلا مرة واحدة ولمدة سنة فقط حين عين أحمد صادق ملاحظاً لها . وفي ذلك العهد زاد عدد العمال والموظفين الأجانب زيادة كبرى واتسعت أعمال المطبعة وجلبت لها أدوات وآلات حديثة تدار بالكهرباء ، كما جددت بعض الأبنية واستحضرت آلات المونوتيب للجمع الإفرنجي حتى غدت قبيل الحرب العالمية الأولى أكبر مطبعة عربية في الشرق والغرب على السواء .

وعلى الرغم من تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فقد ظل أمر المطبعة الأميرية موكولاً إلى الأجانب فترة من الزمن . وقد زادت المطبوعات من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٣ بنسبة ٤٦ ٪ . وقامت المطبعة خلال سنة ١٩٢٣ بإعادة طبع طوابع البريد على الحجر .

وزود قسم الطباعة بآلتين جديدتين للطبع سرعة الواحدة منهما ألفاً فرخ ورق في الساعة . واستوردت المطبعة أيضاً طابعتين أصغر حجماً من طراز بلاتن Platen زودتا بجهاز لمناولة الورق وسرعة كل منهما ثلاثة آلاف فرخ في الساعة . وشيّد في تلك السنة بناء جديد في الحديقة بين المطبعة والنيل لتخزين الورق . وبعد اعتزال جورج نيوتن خدمة الحكومة عين إميل فورجيه مكانه في سنة ١٩٢٤ (١) وقد ظل في هذه الوظيفة زهاء سنتين ونصف ثم اعتزل الخدمة سنة ١٩٢٦ .

(١) محفوظات وزارة المالية م ٧١ - ١٢/٥ .

وعمل محمد أمين بهجت ، الذى تولى شئون المطبعة بعد اعتزال فورجيه ، على النهوض بالمطبعة فى شتى النواحي ومنع أية سلطة حكومية من التدخل فى شئونها . وأخيراً استطاع فصلها عن مراقبة مطبوعات الحكومة وإلغاء مراقبة المطبوعات نفسها وقصرها على إدارة التوريدات .

وقد أصدرت وزارة المالية قراراً بإبدال وظيفة « ملاحظ » المطبعة بوظيفة « مدير » المطبعة .

وبعد زيارة أمين بهجت بك لمعرض الطباعة فى لايبزج سنة ١٩٣٢ قدّم تقريراً إلى رئيس الوزراء طلب فيه بناء المخازن الفسيحة والورش الواسعة محسنة التهوية والإضاءة وتجديد المحركات والآلات . وطلب فيه أيضاً ضم المطابع الفرعية التابعة للوزارات المختلفة إلى المطبعة الأميرية توحيداً للعمل واقتصاداً للوقت . وقد ظلت هذه المقترحات حبراً على ورق .

وأدخلت المطبعة فى سنة ١٩٢٨ طريقة جديدة فى الطبع بالحفر على الصلب ، وهى طريقة الطبع بالحبر البارز وذلك بحفر الصورة المراد طبعتها حفرًا عميقاً فى الصلب . وفضلاً عن الآلات اليدوية المستعملة فى هذا اللون من الطباعة ، فإن المطبعة الأميرية اقتنت آلة تدور أوتوماتيكياً وتطبع بمعدل ١٠٠٠ نسخة فى الساعة . وفى سنة ١٩٢٩ أمر الملك فؤاد بأن تشكل لجنة لتنظيم مسابقة الغرض منها ابتكار حروف جديدة توضع فى أول الكلمة مثل الحروف الكبيرة المستعملة فى اللغات الأوروبية . وقد توصلت تلك اللجنة إلى عمل حروف التاج^(١) . إلا أن تلك الحروف لم يكتب لها البقاء طويلاً ، إذ لم تستعمل إلا فترة من الزمن ثم تلاشت تماماً .

وفى سنة ١٩٣١ اشترت المطبعة أول آلة أنترتيب ألمانية لتنضيد الحروف الإفرنجية . وهى آلة سهلة الاستعمال .

وجهزت المطبعة بحروف اللغات الهيروغليفية والقبطية واليونانية والعبرية والسريانية لطبع المؤلفات العلمية .

وحدث فى سنة ١٩٣٧ أن ثار عمال المطبعة وتمردوا ضد المشرفين عليها فتعطلت

(١) محمد أمين بهجت : تقرير عن معرض الطباعة بمدينة لايبزج ، ص ١٧ .

مطبوعات الوزارات والمصالح ثلاثة أشهر مما جعل الحكومة تفكر في الأمر ملياً . ولم تر بدءاً من تعيين محمد بكري مديراً للمطبعة ، فعاد العمال إلى عملهم واستأنفت المطبعة نشاطها وظلت تعمل ليلاً ونهاراً حتى أتمت طبع المتأخر من الأعمال .

ولما أقيمت وزارة الوفد في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ فصل محمد بكري من الخدمة وعين خلفاً له محمود زكي إبراهيم . وهكذا أصبحت المطبعة الأميرية في تلك المرحلة من حياتها ألعوبة في يد الحكام ومسرحاً للنزاع الحزبي الذي اشتد واستفحل بين سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٥٢ .

وكما كانت مطبعة بولاق توفد البعثات ، فقد كانت تستقبل البعثات المرسلة إليها . وقد رأت الحكومة العربية السعودية في سنة ١٩٣٨ أن توفد إلى مصر بعثة مكونة من ستة عمال للتخصص في فن الطباعة . غير أنها في سبتمبر سنة ١٩٣٩ اضطرت إلى استدعاء أعضاء بعثاتها من مصر ، وكان من ضمنهم أعضاء بعثة الطباعة ، وذلك لقيام الحرب العالمية الثانية .

* * *

وكما تقدمت مطبعة بولاق في هذه الحقبة من تاريخ الطباعة في مصر ، تقدمت أيضاً المطابع الرسمية الأخرى وازداد عددها . فقد استمرت مطبعة وزارة الداخلية في عملها بعد أن جددت آلاتها . وهي من المطابع الفرعية التابعة إدارياً وفنياً لمطبعة بولاق .

وألحق بمدرسة الفنون والصنائع مطبعة لتدريب تلاميذها على فن الطباعة ، كما أنشئت مطبعة في إصلاحية الأحداث بالجيزة .

أما مطبعة وزارة الأوقاف فقد تقدمت تقدماً ملحوظاً . فاشترت طابعات جريدة اللواء عندما تمت تصفيتها . وأدخلت المحركات الكهربائية لإدارة آلاتها . وكان أول عهد مطبعة السكك الحديدية بآلات تنضيد الحروف سنة ١٩٢٤ ، فقد اشترت آلتين واحدة عربية والأخرى إفرنجية .

وفي سنة ١٩٢٧ قامت المطبعة بإنجاز مطبوعات مؤتمر الإحصاء الذي عقد بالقاهرة . ولما تولت الحكومة مراقبة خط رمل الإسكندرية الكهربائية في سنة ١٩٢٨ طلبت إلى المطبعة توريد التذاكر اللازمة . وقد تمكنت في عشرة أيام من طبع

وتجليد وتوريد أحد عشر مليوناً وسبعمائة ألف تذكرة .

وفي سنة ١٩٢٩ تم وضع نظام جديد للعمل وأدخلت أساليب جديدة ضابطة لعمليات الاستلام والحفظ وتصريف المخزون ، وجددت بعض آلات الطبع والتجليد والتسطير وأضيف إلى البناء طابق ثالث .

وإن انتقلنا إلى مطبعة مصلحة المساحة ألفيناها تتقدم بخطوات سريعة . وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية في المعرض الدولي الذي أقيم بمدينة لييج ببلجيكا سنة ١٩٣٠ ، وجائزة سوق الشرق الذي أقيم سنة ١٩٣٣ بمدينة باري بإيطاليا ، والدبلوم والجائزة الأولى من المعرض الدولي الذي أقيم بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٥ . وغيرها وغيرها من الجوائز .

ولطبع طوابع البريد استقدمت مصلحة المساحة خبيرين أجنيين في طباعة الروتغرافور لتشغيل الطابعتين اللتين اشترتهما في سنة ١٩٢٥ . وفي سنة ١٩٣٠ أدخلت المصلحة تحسيناً على طباعة الروتغرافور ، وذلك باستعمال فيلم رقيق جداً من الكروم يلصق على الأسطوانة النحاسية بالكهرباء لتتمكن من طبع أربعة أضعاف الكمية التي كانت تطبعها .

وعندما تأزمت الأمور في أوروبا سنة ١٩٣٨ أدرجت وزارة المالية اعتماداً قدره مائة ألف من الجنيهات لمصلحة المساحة لكي تشتري الآلات والخبر والورق وجميع الأدوات الخاصة بالتصوير والطباعة حتى لا تتعطل أعمالها إن قامت الحرب . وهكذا استطاعت المصلحة أن تقتني أحدث آلات التصوير والطباعة في الشرق العربي .

أما مطبعة الأوقاف الملكية والخاصة فقد زاد عدد عمالها ولكنها ظالت في عداد المطابع الصغيرة .

وتمكنت مطبعة دار الكتب الأهلية في سنة ١٩٢٤ من طبع أربعة عشر ألف نسخة من المؤلفات العربية وحوالي خمسين ألف نسخة من الكتب المطبوعة على نفقة أصحابها . وفي مايو سنة ١٩٢٥ رأت الدار أن تخفض أسعار الطبع في مطبعتها ليقبل عليها المؤلفون ودور النشر .

وفي سنة ١٩٣٢ قدمت وزارة المعارف إلى وزارة المالية مذكرة بطلب فتح اعتماد

بمبلغ ١٥٥٠ جنيهاً لإنشاء وإعداد الجناح الشرقى بمدرسة المعلمين العليا للمطبعة السرية التى تطبع فيها أسئلة الامتحانات. وفى السنة نفسها أصدرت وزارة المعارف لائحة لتلك المطبعة حصرت المسئولية من حيث سرية الأسئلة فى رئيس الامتحانات العام ورئيس المطبعة وواضعى الأسئلة. وكان فراش المطبعة قبل ذلك بعام قد اتصل ببعض الأشخاص فى أثناء نقل المطبعة من مكان إلى آخر.

وبدأ التفكير فى إنشاء مطبعة للجامعة القاهرة فى سنة ١٩٣٨. وأدرجت فى ميزانية الجامعة بعض الدرجات للموظفين الإداريين فى المطبعة. وظل الأمر عند هذا الحد إلى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية.

لقد برزت ثلاث مطابع رسمية فى هذه الفترة من تاريخ الطباعة فى مصر: وهى مطبعة بولاق أو المطبعة الأميرية ومطبعة مصلحة المساحة ومطبعة السكك الحديدية، أما بقية المطابع الرسمية فكانت مطابع صغيرة معاونة ليست ذات شأن.

ثانياً : مطابع الأجانب

بدأت مطابع الأجانب فى مصر تشعر بوطأة منافسة المطابع المصرية التى ظهرت واضحة بعد سنة ١٩٢٤ الأمر الذى حدا ببعض أصحاب المطابع أن يصنفى مركزه. ولم يثبت فى الميدان إلا مطابع الهيئات وشركات النشر ودور الصحف، وبعض مطابع الأفراد.

أما مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فقد ظلت معداتها على ما كانت عليه حتى سنة ١٩٣٠ تقريباً، غير أن عدد عمالها وصل إلى الستين ثم قل بالتدريج تبعاً لقلّة المطبوعات. وقد منحت الجمعية الزراعية الملكية المطبعة فى أوائل أبريل سنة ١٩٣١ الميدالية الذهبية ودبلوم الشرف بناء على قرار لجنة التحكيم.

ومضت مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع قدماً فجلبت المعدات الحديثة وألف مديرها كتاباً فى فن التجليد طبعه فى سنة ١٩٣٢. واشتمل برنامج المدرسة على دراسة نهى التلميذ للحصول على معلومات فى مستوى شهادة إتمام الدراسة

الابتدائية الفرنسية ودراسة هذه الصنعة نظرياً ثم عملياً وذلك بالتدريب في ورش الطباعة والتجليد . والدراسة فيها تستغرق أربع سنوات قد تختصر إلى ثلاث بالنسبة للتلاميذ الممتازين . وإلى هذه المدرسة يعود فضل تزويد مطابع الإسكندرية بعدد من عمال الطباعة المهرة في فهم .

وظلت مطبعة مورافتلى بالقاهرة تعمل بجد ونشاط حتى سنة ١٩٣٠ حين انفصل ثلاثة من الإخوة عن أخيهما الأكبر صاحب المطبعة وأسسوا مطبعة جديدة باسم « مطبعة إخوان مورافتلى » واتخذوا لها مقراً في شارع جامع البنات رقم ٩ .

وفي سنة ١٩٣٠ أيضاً أدخل أنجلو بروكاشيا على مطبعته أول آلة لتنضيد الحروف المعروفة باسم أنترتيب .

وانتقلت المطبعة في سنة ١٩٣٢ إلى شارع صلاح الدين بالإسكندرية . وبعد ذلك بسنتين اشترى صاحبها لها أول مطبعة روتاتيف عرفتها عاصمة مصر الثانية لتطبع عليها صحيفة البورص التي كانت تصدر بالإسكندرية .

وباعت أرملة بول بارييه في سنة ١٩٣٢ مطبعته إلى سلامون كلمن الذي جدد بعض معداتها إلا أنه لم يحاول الانتقال بها إلى مكان أكثر راحة .

وانتقلت مطبعة جرونبرج في سنة ١٩٢٥ إلى الممر التجاري ثم استقرت بعد ذلك بثلاث سنوات في ممر كوداك المتفرع من شارع عدلى باشا . وقامت في تلك الفترة بتجديد آلاتها تدريجياً . وبعد وفاة مؤسسها مورييس جرونبرج انتقلت ملكية المطبعة إلى ابنه لازار وشارل جرونبرج .

وحاول محفار أرمني يدعى كالفيان إصدار مجلة مطبعية أسماها L'art Graphique وعاشت تلك المجلة من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ وأدت لفن الحفر في مصر أجل الخدمات .

لقد تقدمت مطابع الأجانب في مصر تقدماً ملحوظاً إلا أن هذا التقدم كان بطيئاً إذا قيس بتقدم مطابع المصريين . إن عدد المطابع الأجنبية أخذ يتناقص رويداً رويداً . أما المطابع التي ظلت في الميدان فقد اقتنت الآلات وخفضت من أسعارها المرتفعة وبدأت تقبل المطبوعات العربية .

ثالثاً : مطابع المصريين

شعر المصريون بقوة الطباعة وبفائدتها فأخذت مطابعهم تنمو بصورة واضحة ، بعد أن استقرت الأحوال في مصر وقامت الحياة النيابية . لقد كانت مطابع الأجانب ذات رءوس أموال ضخمة وكانت في حضي الامتيازات الأجنبية . ولكن المصريين قبلوا المنافسة واستطاعوا بعد جهد مضمّن أن يصلوا بمطابعهم إلى مستوى مطابع الأجانب من حيث الفن والدقة مع رخص الأسعار .

ومن المطابع التي برزت في هذا المضمار مطبعة مصطفى البابي الحلبي . فقد اتسعت أعمالها مما حدا بأصحابها أن يشيدوا بناء جديداً لها بشارع مصنع الطرابيش ، انتقلت إليه في سنة ١٩٣٥ بعد أن جددت معظم أدواتها .

ونهجت مطبعة المعارف نهج سابقها في التجديد والتوسع واهتمت أكثر ما اهتمت بطبع الكتب المدرسية التي تقررها وزارة المعارف . وفي سنة ١٩٢٨ توفي منشئها نجيب مّري فانتقلت ملكيتها إلى ولديه إدوار وشفيق . وبدأت المطبعة تطبع بالألوان طبعاً دقيقاً . يشهد على ذلك سلسلة الكتب التي أخرجتها للأطفال .

وفي سنة ١٩٣٥ توفي إدوار مّري فتولى أخوه شفيق الإدارة وحده . وعلى الرغم من ازدياد عدد المطابع في القاهرة والمدن الكبرى واشتداد المنافسة بين أصحابها ، فقد استطاعت مطبعة المعارف أن تثبت في الميدان وتحتفظ بمكانتها .

وسارت مطبعة الرغائب قدماً في طبع إعلانات الحوائط . واعتبرت منذ سنة ١٩٣٠ في مقدمة المطابع التي من نوعها . وعاصرت تلك المطبعة النهضة الصحفية في مصر وطبعت المجلات السياسية والأدبية مثل روز اليوسف وآخر ساعة ومجلتي العمارة وأنا وأنت . وكان للنهضة السينمائية في مصر أطيّب الأثر على المطبعة إذ قامت بطبع الملصقات الملونة .

وظالت مطبعة رعمسيس تعمل بهمة ونشاط حتى أواخر سنة ١٩٣١ أي إلى حين وفاة كيرلس تادرس المنقبادي . وأجرت بعد ذلك لمدة سنة ثم بيعت في

سنة ١٩٣٢ إلى إحدى مطابع فلسطين .

وظلت المطبعة العصرية في شارع علوى حتى سنة ١٩٢٨ ثم رأى صاحبها أن الحالة تقتضى توسيعها لتصبح قادرة على تلبية جميع الطلبات التى تكلف بها ، فانتقل بها إلى شارع الخليج الناصرى بالفمالة .

وكان للمطبعة عملاء في السودان ، إذ قامت في فترة من الوقت بطبع مطبوعات شركة السودان الزراعية بالخرطوم .

وبدأت شركة مطبعة مصر بطبع الكتب في سنة ١٩٢٥ . وحصلت في سنة ١٩٣٠ على سلف صناعية قدرها عشرة آلاف من الجنيهات فأجرت عدة تحسينات كتأسيسها قسماً للزنگراف والتصوير والرسم ، غير أنها ألغت قسم الطباعة على الحجر مكتفية بقسم « الليتوأوفست » . وفي سنة ١٩٣٢ رأت المطبعة أن تستغنى عن بعض آلاتها القديمة بعد أن اشترت آلات حديثة بدلا منها .

ومن المطابع التجارية التى أنشئت في ذلك العهد مطبعة الحاج عبد السلام سليمان القناوى الذى دخل ميدان الطباعة في سنة ١٩٢٧ . وكانت المطبعة في أول أمرها تدار باليد ثم تطورت بسرعة .

وأنشأ محمد خلف في سنة ١٩٣٠ مصنعاً لإنتاج الكراريس والدفاتر التجارية كان الأول من نوعه في مصر . وما لبث أن أقبل الناس على شراء منتجاته بلحودتها ورخص ثمنها بالنسبة للمنتجات الأوربية .

ووصل عدد المطابع بالقاهرة في سنة ١٩٣٦ إلى مائة وإحدى وأربعين مطبعة وبالإسكندرية إلى ست وسبعين . وكان في أسوان مطبعة واحدة وفي أسيوط ست مطابع ، وفي كل من بنها وشبين الكوم والنفسن وقنا والأقصر والمنزلة وهيت غمر مطبعة واحدة ، وفي كل من بنى سويف ودمياط والسويس والمحلة الكبرى والزقازيق ثلاث مطابع ، وفي دمنهور ثمانى مطابع ومطبعتان في كل من سوهاج والإسماعيلية وأربع في الفيوم وخمس عشرة في كل من المنصورة وطنطا وسبع في المنيا وعشر في بورسعيد ، فيكون مجموع المطابع في تلك السنة ثلاثمائة وتسع عشرة مطبعة .

وقد أدى ازدهار حركة الطباعة في مصر إلى ظهور محلات لبيع لوازم المطابع وحاجاتها . وكان عدد تلك المحلات بالقاهرة ستة عشر وبالإسكندرية اثني عشر .

وقد زاد بالطبع عدد مسابك الحروف فأصبح خمسة بالقاهرة ؛ وتبع ذلك فتح ورش
الطلاء بالكهرباء . فأصبح عددها بالقاهرة تسع عشرة وبالإسكندرية خمساً
وببورسعيد اثنتين وطنطا ثلاثاً .

أما الحفارون فكان عددهم في تلك السنة اثنين وعشرين بالقاهرة ومثلهم
بالإسكندرية . وكان يوجد حفار واحد بالإسماعيلية وآخر ببورسعيد . وكان أشهر
هؤلاء الحفارين آرام بربريان . وكان له ورستان ، واحدة بالقاهرة والأخرى بالإسكندرية .
وأسس هـ . د . توباليان ولتر شارف مطابع محرم بالإسكندرية في شهر يولييه
سنة ١٩٣٧ . وبدئ العمل فعلاً في فرع الطباعة خلال الربع الأول من سنة ١٩٣٨ ،
بعد أن استغرق إعدادة حوالي ثمانية شهور .

وتعتبر مطابع محرم أول من أنشأ ورشة للتصوير على الحجر مجهزة بأحدث
الآلات التي تلتقط الصور مباشرة على مقاس متر طولاً في متر عرضاً . واقتنت
تلك المطبعة أيضاً آلات أوفست للطباعة السريعة بلونين .

وأنشئ فيها فرع لصناعة ورق اللعب وفرع آخر للكرتون المجمع . وهي أول
مطبعة في الشرق العربي تختص بهذه الصناعة . وكان ولتر شارف قد قضى عشرين
سنة رئيساً لاتحاد صناع ورق اللعب في ألمانيا . وهو أول من أدخل تلك الصناعة
إلى مصر حين افتتح مصنعاً بالقاهرة لورق اللعب « محرم ١١١ » .

لقد وفرت المطابع المختلفة على الدولة مئات الألوف من الجنيهات كانت تنفقها
على استيراد المطبوعات الفاخرة بعد أن أصبح في مصر مطابع تقوم بهذه المهمة
خير قيام وبأقل تكاليف ممكنة .

رابعاً : مطابع الصحف

وكما تقدمت المطابع العادية والمطابع التجارية فقد تقدمت أيضاً مطابع الصحف
بفضل إقبال الناس على القراءة وتطور الحركة السياسية وتعدد الأحزاب واتساع
رقعة الإعلانات في الصحف .

ففي حوالي سنة ١٩٢٧ سعى جبرائيل تقلا في استحضار آلة لصف الحروف
العربية من شركة لينوتيب ، ولكن الاتفاق لم يتم بين صاحب الأهرام وبين تلك
الشركة ، ذلك أن الأول طلب عمل بعض التعديلات في أشكال الحروف وعددها

وطريقة تركيبها . فلما رفضت اللينوتيب إجراء تلك التعديلات ، اتفق مع شركة منافسة تدعى شركة أنترتيب ، قبلت أن تصنع أمهات الحروف بالوصف الذى تريده الأهرام . واعتمد جبرائيل تقلا على بعض الخطاطين والفنانين مثل نجيب هواوينى الذى استنبط أشكال الحروف التى كانت أساساً لصنع أمهات حروف الأنترتيب . واستقدمت الأهرام أربع آلات كدفعة أولى . وما لبثت أن أضافت إليها آلات أخرى تكفى لإصدار الأهرام فى عشرين صفحة ^(١) .

أما قصة دخول آلات الأنترتيب إلى مصر فيقصها علينا صاحب مطبعة بروكاشيا بالإسكندرية . فى سنة ١٩٣٠ ، أدخل أنجلو بروكاشيا أول آلات لتنضيد الحروف المعروفة باسم أنترتيب . وقد رأى أن هذه الآلة يمكن الاستفادة منها فائدة كبرى فيما لو حولت إلى آلة لتنضيد الحروف العربية ، فلم يلبث أن أوحى برأيه هذا إلى جبرائيل تقلا بواسطة وكيل تلك الشركة فى مصر . ورحب صاحب الأهرام بتلك الفكرة واستعان بمحمود الليثى الأخصائى فى آلات اللينوتيب وبسليم حداد الأخصائى فى الآلات الكاتبة العربية . وابتداء من شهر يوليو سنة ١٩٣٢ بدأت الأهرام تجمع حروفاً بالآلات الأنترتيب .

أما مطابع المقطم فلم يطرأ على آلاتها تغيير يذكر فى فترة ما بين الحربين العالميتين . وقد ظلت حروفها تجمع باليد حتى آخر يوم من حياتها . ولما ازدادت أعمال مطابع الهلال قرر صاحبها إميل وشكرى زيدان إضافة ثلاثة طوابق على البناء القديم ابتداءً من سنة ١٩٣٠ .

وبعد « المصور » صدرت عن تلك الدار مجلة « كل شىء » فى نوفمبر سنة ١٩٢٥ ومجلة « الفكاهة » فى سنة ١٩٢٦ ومجلة « الدنيا المصورة » فى سنة ١٩٢٨ وقد أدمجت بعد ذلك فى مجلة « كل شىء » وأطلق على المجلة الجديدة اسم « كل شىء والدنيا » ، ثم أدمجت المجلة الأخيرة « بالفكاهة » وسميت « الاثنين والدنيا » . وفى سنة ١٩٣٢ صدرت عن دار الهلال مجلة الكواكب . وصدرت عن هذه الدار أيضاً المجلة الفرنسية « إيماج » Images ومجلة « الأبطال » ومجلة « سبى إيماج » Ciné-Images الفرنسية وكانت كل هذه المجلات تطبع بالروتوغرافور .

(١) من حديث مع المرحوم إسكندر مكاريوس مؤسس اللطائف المصورة وذلك فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ .

وتنازل تادرس المنقبادى فى سنة ١٩٢٩ عن امتياز جريدة مصر ومطبعتها إلى شاكر المنقبادى والدكتور إدوار المنقبادى اللذين نقلوا المطبعة إلى شارع الحد بالفجالة واستحضر لها آلة طباعة من الخارج تدار بالبخار وتطبع فى الساعة ستة آلاف نسخة . غير أن تلك الآلة لم يحالفها الحظ ؛ فقد خسرت الجريدة فى عهدها مبالغ طائلة واضطر صاحبها بعد وفاة تادرس المنقبادى فى سنة ١٩٣٢ إلى بيعها بنصف ثمنها . ونقلت المطبعة وإدارة الجريدة بعد ذلك إلى ملك جوائى جاد بالفجالة . وجلبت لها طابعة من طنطا تدار باليد .

وانتقلت مطبعة جريدة البصير فى الإسكندرية فى سنة ١٩٣٤ إلى دراها الكائنة بشارع أديب إسحق . وقامت المطبعة إلى جانب إصدار الجريدة بطبع الكتب والكراريس والأوراق التجارية المختلفة .

واضطّر هنرى بوتنييه صاحب جريدة البورص ومطبعها إثر الضائقة المالية التى حلت بشركائه وصحفه ومطبعته إلى بيعها جميعاً فى سنة ١٩٢٥ إلى أوزولد فى الذى أسس شركة تحت اسم « شركة الإعلانات الشرقية »^(١) . أما صحيفة البورص فلم يشترها أوزولد فى إلا فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

وكانت الشركة والمطبعة حتى سنة ١٩٣٨ فى شارع قصر النيل رقم ٣٠ (فيلا موسكات) ثم ابتاعت الشركة صحيفة الإجبشيان جازيت ومطبعها والبناء الذى تحتله فى شارع جلال باشا رقم ٢٤ ، فانتقلت إليه سنة ١٩٣٩ . وقد أشرف أنجلو بروكاشيا على إعادة تركيب معدات المطبعة .

وقرر إسكندر مكارىوس أن يدخل طباعة الفوتوغرافور على مجلته « اللطائف المصورة » ، وعرض طبعها أو طبع جزء منها على مطبعة الهلال ولكن صاحبها لم يوافق على هذا العرض ؛ فاضطر مكارىوس فى سنة ١٩٢٦ إلى استحضر طابعة صغيرة بالفوتوغرافور . وصدرت المجلة وقد طبع بعض صفحاتها بتلك الطريقة الجديدة . وفى سنة ١٩٣٠ استوردت إدارة « اللطائف المصورة » طابعة روتاتيف لطبع جريدة يومية بأربعة ألوان . وقد أنشئت تلك الجريدة فعلاً وأطلق عليها اسم « السيار » . وكانت مصورة على غرار الجرائد اليومية اللندنية والنيويوركية . ولكن

(١) حديث مع المرحوم هنرى بوتنييه فى يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٥٢ (بنسيون سلكت) .

لأسباب مالية عجز صاحب اللطائف عن استحضار آلة لينوتيب عربية . فكانت جميع أصول الجريدة تجمع باليد مما أوجد متاعب ومشاق لا توصف . واضطرت «السيار» إلى الاحتجاب بعد أن كبدت صاحبها خسائر فادحة .

وقامت مطبعة اللطائف إلى جانب ذلك بطبع مجلة للسيدات اسمها «العروسة والفن السينمائي» ، ومجلة أسبوعية الأولاد كانت الأولى من نوعها ، أطلق عليها اسم «مجلة الأولاد» . وقد توقفت عن الصدور حين شرعت الدار في إصدار الصحيفة اليومية . وطبع في تلك المطبعة أيضاً «المجلة الشهرية» ، ومجلة «على كيفك» وهي أول مجلة في حجم الجيب ، ومجلة «دلنا» وكانت صورها مشروحة بالإنجليزية والفرنسية واليونانية .

وانتقلت مطبعة جريدة «السياسة» إلى شارع المناخ (عبد الحالق ثروت) في منزل عبد الحميد الشواربي باشا وبقيت في هذا البيت من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٦ . وكانت الجريدة تصف في بدروم بشارع الشيخ بركات ثم ترسل الكرتون (الغلاف) إلى شارع المناخ حيث تطبع .

واستبدلت مطبعة البلاغ في سنة ١٩٣٠ طابعها الروتاتيف القديمة بطابعة ألمانية حديثة سرعتها ١٥.٠٠٠ نسخة في الساعة الواحدة .

ولشراء تلك الطابعة قصة ، فقد أقيم في سنة ١٩٢٧ بألمانيا معرض اسمه معرض بولونيا للصحافة والطباعة اشتركت فيه مصر ومثلها عبد القادر حمزة وحسن فهمي رفعت والدكتور أحمد فريد رفاعي . وشاهد عبد القادر حمزة في هذا المعرض الطابعات الحديثة فقرر شراء الطابعة الروتاتيف سالفه الذكر . ولما عاد إلى القاهرة ابتاع قطعة الأرض التي شيد عليها بعد ذلك ضريح سعد . فاختار عبد القادر حمزة قطعة الأرض التي أقيم عليها بناء صحيفة البلاغ^(١) . وقد تم تشييده في سنة ١٩٢٩ . وقبل ذلك كانت دار البلاغ في شارع الدواوين بجوار مطبعة مصر . أما المطبعة الأولى فكانت في أول شارع عماد الدين عند تقاطعه بشارع السلطان حسين ، ثم انتقلت إلى شارع شريفين أمام المبنى الذي تحتله الآن بورصة الأوراق المالية حيث كان قصر قطاوى باشا . وكانت مطبعة البلاغ الأسبوعي في المبنى نفسه . والبلاغ الأسبوعي هي النسخة الفنية للبلاغ اليومي . وفي ذلك البناء أيضاً

(١) مبنى مطبعة البلاغ اليوم .

صدرت مجلة « الأمل » باللغة العربية ، ومجلة « الأسبوار » L'Espoir باللغة الفرنسية لمنيرة ثابت . وكانت هاتان الصحيفتان تطبعان مع البلاغ اليومى حتى سنة ١٩٢٨ . واشترى صاحب البلاغ مع الطابعة الروتاتيف آلة كهربائية لكبس الصفحات وآلة لصب قوالب الرصاص وآلة لقطع الجوانب وتهذيب ظهر القالب .

وقامت مطبعة البلاغ فى سنة ١٩٣٦ بطبع صحيفة المصرى ، كما طبعت أيضاً

جريدة روز اليوسف اليومية والجورنال ديچيت لفترة قصيرة والإيكو L'Echo .

وأنشئت مطبعة جريدة الشعب بالقاهرة فى سنة ١٩٣٠ ، وقد صار إنشاؤها على مرحلتين ، إذ تم فى المرحلة الأولى شراء حروف تكنى لإخراج صحيفة فى ثمانى صفحات كانت تطبع فى مطبعة جريدة « الاتحاد » . وما لبث إسماعيل صدقى باشا أن كلف محمد يوسف السركى المدير العام لجريدة « الشعب » وقتئذ بأن يتصل بحسن نشأت باشا وزير مصر المفوض بألمانيا وقد تم بواسطته شراء آلة روتاتيف ماركة « كونبرج » . وقد وصلت إلى مصر وركبت فى سنة ١٩٣١ . وكان فى المطبعة عدا الطابعة الروتاتيف مكبس لعمل القالب الكرتونى بواسطة الدق بالفرشاة ثم استبدل بمكبس هيدروليكى وقالب لصب الصفحات وآلة تهذيب الصفحات المصبوبة . وكانت المطبعة تستورد حروفها من مسبك التمدن ومسبك حروف الاتحاد الشرقى . وكانت تطبع إلى جانب جريدة الشعب نشرات الدعاية الخاصة بحزب الشعب وبالجريدة نفسها .

ولما أغلقت جريدة « الشعب » عقب إبرام معاهدة سنة ١٩٣٦ ، رأى الحزب تصفية المطبعة فبيعت الحروف للمسابك والصناديق لتجار المطابع القديمة . أما طابعة الروتاتيف وما يتبعها من الأدوات ، فقد بيعت لمطبعة « بروكاتشيا » بالإسكندرية .

وأنشأ محمد يوسف السركى فى سنة ١٩٣٣ مطبعة جريدة المرشد ، وهى عبارة عن طابعة ماركة « مارينونى » تدار بمحرك كهربائى وطابعة تدار بالقدم لطبع الغلافات وإعلانات اليد وطابعة صغيرة للبطاقات وغيرها من الآلات الخاصة بقسم التجليد . وكانت المطبعة إلى جانب طبع جريدة المرشد ، تقوم بطبع بعض الكتب وتقارير الشركات وبطاقات الزيارة ونشرات الدعاية المختلفة وغيرها من المطبوعات التجارية . ولكن سوء الحالة المالية اضطر صاحبها إلى إغلاقها فى سنة ١٩٣٧ .

وأسس محمود أبو الفتح وكريم ثابت ومحمد التابعى جريدة « المصرى » سنة ١٩٣٦ . وطبعوا أعدادها الأولى الصادرة من ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ ديسمبر من السنة نفسها فى مطابع جريدة البلاغ . ثم اتفق أصحاب الجريدة مع شركة طباعة الصحف المصرية خيجاز وشركاه على طبع الجريدة على طباعة الشركة ببولاق ، وكانت قبل ذلك ملكاً لصاحب جريدة « الجهاد » . ورأى أصحاب « المصرى » بعد ذلك شراء الطباعة من الشركة المذكورة ، وكان ذلك خلال سنة ١٩٣٩ . والطباعة من طراز كينج آند باور Koenig & Bawr روتاتيف . وتطبع ٣٢ صفحة من قطع الجريدة بسرعة ١٤ ألف نسخة فى الساعة ، أو ١٦ صفحة من القطع نفسه بسرعة ٢٨ ألف نسخة فى الساعة ، أو ثمانى صفحات بسرعة ٥٦ ألف نسخة فى الساعة . كما تطبع أربع صفحات بلونين بخلاف اللون الأسود .

وعند تأسيس « الجورنال ديجيت » فى سنة ١٩٣٦ كانت أصولها تجمع على اللينوتيب وتطبع فى مطابع لنشيوى بشارع عبد الخالق ثروت . إن معظم الصحف المصرية العربية والإفريقية أصبحت تطبع فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين بطابعات الروتاتيف السريعة ، وذلك بفضل إقبال الناس على قراءة الصحف مما ضاعف توزيعها ، كما أن حروفها بدأت تجمع آلياً . أما طباعة الروتغرافور أو الهليوجرافور فقد قطعت شوطاً بعيداً فى مضمار التقدم والإتقان . وبدأت محاولات الطبع بالألوان بهذه الطريقة وجاءت نتائجها طيبة .

الفصل السادس

التجديد

١٩٤٠ - ١٩٥٢

على الرغم من اشتعال نار الحرب العالمية الثانية لمدة ست سنوات تقريباً فإن الطباعة في مصر لم تتأثر بهذه الحرب كما تأثرت بالحرب الأولى . ذلك أن الشرق العربي كان محتلاً بالجيش البريطاني والفرنسية أو واقعاً تحت نفوذ القوات الحليفة . وآمن الغرب بالدعاية فأكثر منها . وأصبحت مطابع الشرق العربي لاسيما مطابع القاهرة وبيروت تزود أجهزة الدعاية المختلفة بشئ المطبوعات التي كانت في حاجة إليها فازدهرت الطباعة ازدهاراً لم يعرف له مثيل . ومع أن الورق كان يوزع بالبطاقات فإن المطبوعات كانت وفيرة ؛ ذلك أن مخازن الجيش البريطانية كانت مليئة به . وكانت إذا أرادت طبع شيء في مطبعة من المطابع أرسلت لها الورق من عندها .

أولاً : المطابع الرسمية

تعطلت بعض آلات مطبعة بولاق وذلك لعدم وجود قطع الغيار في السوق المحلي وعدم ورودها من الخارج . ولكن ورش المطبعة تمكنت من صنعها فأصلحت الآلات المعطلة فاستأنفت عملها كسابق عهدها . وفُصل الجمع العربي عن الجمع الإفرنجي وعين رئيس لكل منهما . وبذلت محاولات جدية لتعليم بعض عمال الجمع الرموز الهيروغليفية^١ . وكانت تلك المؤسسة تضم في سنة ١٩٤٨ نحو ألفي عامل وموظف وتسبب ذلك ما لا يقل عن ٣٥٠٠ طن من الورق في السنة الواحدة . ويبدو أن زيادة العمل على المطبعة جعلتها لا تهتم كثيراً بدقة الطبع ؛ فقد

شكا نائب في إحدى جلسات مجلس النواب التي عقدت في خلال شهر فبراير سنة ١٩٥١ من أن الحروف التي تطبع بها المضابط قد تآكلت وأن مناقشات النواب تضيع بين السطور المكسورة ، وهو أمر لا يليق بمطبعة المجلس . وتدارك عبد السلام فهمي جمعة باشا رئيس المجلس مصححاً ، فقال إنها ليست مطبعة المجلس . . . ولكنها المطبعة الأميرية . . . المطبعة الميري ! وعاق بعض النواب قائلاً : نرجو أن تكون مطبعة المجلس المزعم إنشاؤها خيراً من مطبعة الميري هذه (١) .

وكانت المطبعة الأميرية تقوم قبيل حلول شهر رمضان المبارك بطبع إمساكية على الحرير الأبيض ويتوجه إلى القصر الملكي مدير المطبعة « فيرفع » إلى الملك والملكة وإلى الأمراء والأميرات نسخاً من تلك الإمساكية . ويتوجه المدير بعد ذلك إلى رئاسة الوزراء ليقدم نسخاً من الإمساكية إلى الوزراء ورئيسهم (٢) .

وتمكنت مطبعة بولاق — على الرغم من قصور إمكانياتها — من أن تنتج للمصالح الحكومية المختلفة والمدارس هذا العدد الضخم من المطبوعات النظيفة .

وقد خرج كثير من عمال المطبعة الأميرية وافتتحوا لأنفسهم مطابع كان لها أطيّب الأثر على تقدم الفن المطبعي في مصر .

وبدأ ولاية الأمر يفكرون في إحلال الطباعة الملساء أو طباعة الأوفست محل الطباعة الحجرية التي دالت دولتها في أوربا منذ زمن طويل . كما بدأوا يفكرون في إنشاء قسم للتصوير والحفر على الزنك . وعلى أي حال ، فإنه على الرغم من تقادم العهد على مطبعة بولاق ، فقد ظلت أكبر مطبعة في الشرق العربي وأكبر مطبعة عربية في العالم .

وإن انتقلنا إلى مطبعة السكك الحديدية وجدناها المطبعة المصرية الوحيدة التي تطبع بالمقاسات الإنجليزية . إذ أن المطابع في مصر جرت على اتخاذ القاعدة الفرنسية مقياساً لها .

وقامت مطبعة مصلحة المساحة خلال الحرب العالمية الثانية بطبع عدد من الكتب لجيوش الحلفاء وأوراق النقد لسوريا ولبنان والبنك الأهلي المصري من فئة

(١) صحيفة الزمان في ٢٠ فبراير سنة ١٩٥١ .

(٢) الأهرام في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ .

المائة جنيه وطوابع بريد العراق والأردن وطوابع تمغة للقنصلية اليونانية .
وتطبع هذه المطبعة منذ سنة ١٩٤٣ نتيجة سنوية مصورة كما طبعت صور
مساجد مصر بالألوان لحساب وزارة الأوقاف . وقامت إلى جانب طبع الخرائط
بإصدار طوابع البريد والتمغة وأوراق النقد فئة خمسة وعشرة قروش . وكانت تقوم
بطبع طوابع تموين الكيوسين :

ونالت مطبعة مصالحة المساحة الميدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الذي
أقيم بالقاهرة سنة ١٩٤٦ بمناسبة مرور ثمانين سنة على إصدار أول طابع بريد
مصرى ؛ والميدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الدولي الذي أقيم بنيويورك
سنة ١٩٤٧ ؛ والميدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الدولي الذي أقيم بمدينة بال
بسويسرة سنة ١٩٤٨ .

وقامت مصالحة المساحة في سنة ١٩٥٢ بطبع المصحف الشريف على ورق
ممتاز بحجم كبير وبكمية كبيرة للوفاء بحاجة مصر والبلاد الإسلامية والمسلمين في
العالم . وجاء المصحف آية في فن الطباعة والرسم .
وتعتبر مطبوعات مصالحة المساحة من أدق المطبوعات وأجملها لا في الشرق
العربي فحسب بل في أوروبا وأمريكا أيضاً .

واشتريت جامعة القاهرة في سنة ١٩٤٠ طابعة وكمية من الحروف العربية ظلت
مخزونة إلى أواخر سنة ١٩٤٥ ، ثم كتب للمطبعة أن ترى النور . وبدأ العمل في
مطبعة الجامعة رويداً رويداً . وكانت في أول أمرها تطبع المطبوعات الإدارية
الخاصة بالجامعة كالسجلات والاستمارات . وبدأت بعد ذلك في طبع الرسائل
والمجلات والأبحاث العلمية وكراسات الامتحانات . وفي سنة ١٩٥٢ كانت تطبع
إلى جانب ذلك مؤلفات الأساتذة ومطبوعات جامعة الإسكندرية ^(١) ومجلس الدولة .
والذي عطل نمو مطبعة جامعة القاهرة في أول الأمر أنها أنشئت خلال الحرب
العالمية الثانية ، فلم يكن في الاستطاعة تزويدها بما هي في حاجة إليه من أدوات
ومعدات . وظل الحال كذلك إلى أن تمكنت إدارة الجامعة من شراء بعض آلات
الطباعة من مخلفات الجيوش البريطانية بحوالي خمسة آلاف جنيه . وقد ابتاعت من

(١) أصبح لجامعة الإسكندرية مطبعة خاصة بها .

تلك المخلفات ورشة للحفر على الزنك وبعض الآلات الخاصة بورشة التجليد ومجموعة من الحروف المختلفة . وبشراء تلك الآلات والأدوات استطاعت الجامعة أن تقوم بجميع الأشغال التي كلفت بها فاستغنت بذلك تماماً عن مساعدة المطبعة الأميرية .

وتشغل المطبعة منذ تأسيسها الدور الأرضي لمبنى مكتبة الجامعة ، وهو مكان ضيق غير صحي ، يتعرض لرشح المياه في أشهر الخريف ويضاء إضاءة صناعية في راحة النهار .

لقد قامت المطابع الرسمية في مصر بدور رئيسي في إرساء صناعة الطباعة في وادي النيل ، إذ أنها تحملت العبء بمفردها حوالي أربعين سنة ، وبفضلها ارتقت الطباعة بعد أن رسخت أقدامها وتعلم المصريون فناً رفيعاً لم يكن لهم به دراية وأصبحت المهمة التي ألقيت على عاتق المطابع الرسمية في مصر من أخطر المهام ، فقد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والعرفان وجعلت الكتاب في متناول كل من يطلبه فقيراً كان أو غنياً .

ثانياً : مطابع الأجانب

لما أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء وضعت الحراسة على جميع مطابع الإيطاليين في مصر ، وعندما صفيت هذه المطابع اشترى معظمها طابعون مصريون . وعلى أي حال ، فقد هبط عدد مطابع الأجانب عموماً . أما المطابع التي ثبتت في الميدان فقد زودها أصحابها بكل مستحدث جديد .

ففي حوالي سنة ١٩٤٠ جلبت مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية آلة تنضيد حروف طراز مونوتيب للجمع الإفرنجي ، وأردفتها بآلة أخرى من الطراز نفسه تستطيع أن تنضد الحروف اللاتينية والحروف العربية حسب الحاجة . وقد تم شراء هذه الآلة الأخيرة في سنة ١٩٥١ .

ولا ننسى أن نذكر أن الصور الملونة التي قامت بطبعها تلك المطبعة كانت دقيقة للغاية ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إنها كانت لا تقل دقة عن الصور المطبوعة في المطبعة الأهلية ببarris .

واستأجر الإخوة موراقتلى فى سنة ١٩٤٠ مطبعة أخيه الكائنة فى شارع عبد الحق السنباطى رقم ٤ خلف كازينو أوبرا ، وجعلوها فرعاً من مطبعهم . وعلى الرغم من قيام الحرب فقد أسس لوسيان كاستليولا الفرنسى المطبعة الفرنسية فى سنة ١٩٤٢ واتخذ لها مقراً فى عمارة شواربى بشارع ٢٦ يوليو بالقاهرة . وقد طبع فى هذه المطبعة عدد كبير من الكتب المدرسية باللغة الفرنسية . وكان فى القاهرة والإسكندرية وبورسعيد حتى ذلك العهد عدد من المطابع يملكها أجنبى من مختلف الجنسيات إلا أن مركزها تأثر كثيراً بمنافسة المطابع المصرية لها من حيث الكم والكيف .

ثالثاً : مطابع المصريين

استطاعت مطابع المصريين أن تتفوق فى هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر على مطابع الأجانب . فقد كانت الشركات الأجنبية فى معظمها وكانت لا تطبع إلا فى مطابع أجنبية ؛ إلا أن الاقتصاد فى مصر أخذ يتحول شيئاً فشيئاً إلى اقتصاد مصرى قومى . وتألقت الشركات المصرية وأنشئت المصانع المصرية وانتشرت البيوتات التجارية المصرية فى كل البلاد . وأصبح التعليم الابتدائى مجانياً وحذا حذوه بعد فترة وجيزة التعليم الثانوى . أما الجامعات فقد فتحت أبوابها للجميع وتساهلت فى منح المجانية ونشطت سوق الكتب . وكان لا بد لكل هذا التقدم من مطابع لطبع الكتب ومن مطابع لطبع الكراريس ومن مطابع لطبع الأوراق التجارية المختلفة . وعلى الرغم من قلة الورق الفاخر فى فترة الحرب ، فقد أخرجت مطبعة المعارف فى سنة ١٩٤١ طبعة فاخرة من كتاب كلية ودمنة تذكاراً لعيدها الذهبى .

ورأت هذه الدار أن الحرف العربى الذى تصبه آلات تنضيد الحروف التى ابتكرها الغرب ، لا يرضى الذوق العربى لعدة أسباب أهمها بعد ذلك الحرف من حيث الجمال عن الحرف الذى ينضد باليد وافتقاره إلى الحركات والضوابط . فما كان من شفيق مبرى إلا أن سافر إلى إنجلترا حيث اتفق مع شركة المونوتيب على صنع قوالب جديدة للحرف العربى ، قدّم لها أنموذجاً منه ، فقررت الشركة

إدخاله في جميع الآلات التي تنضد الحروف العربية . وأدخلت الدار أول مونوتيب عربية بالحروف الجديدة سنة ١٩٤٥ . وكانت قد غيرت اسمها منذ سنة ١٩٤٤ من « مطبعة المعارف ومكتبتها » إلى « دار المعارف للطباعة والنشر »^(١) .

وحرصت الدار على أن تقدم إلى القارئ العربي زاداً ثقافياً متنوعاً ، فهي تغذيه منذ طفولته إلى أن يصبح شيخاً هرمًا لا متعة له في الحياة إلا القراءة . . . ويشمل نشاطها في هذا الميدان مكتبة الطفل ومكتبة التلميذ وسلسلة أقرأ ومكتبة الشباب والمتقنين ومجلة الكتاب وذخائر العرب .

وقامت دار المعارف في مسهل سنة ١٩٥٢ بإصدار مجلة أسبوعية للأطفال مطبوعة بالأوفست تمتاز بصورها ورسومها الملونة ، أطلقت عليها اسم « السندباد » وقامت إلى جانب ذلك بطبع ونشر مجلة علم النفس ومجلة صحيفة التربية وكراسات التاريخ المصري .

وشعر صاحب هذه الدار بأن المقر الذي تشغله في شارع الفجالة رقم ٧٠ لم يعد يتسع لأعمالها ، فقرر الرأي على تشييد بناء متسع فخم في شارع مسيرو المحازي للنيل انتقلت إليه المطبعة والإدارة منذ أول مارس سنة ١٩٥٠ . وهو من أكبر وأفخم دور النشر في الشرق العربي .

وإن تصفحنا ميزانية شركة مطبعة مصر في نهاية سنة ١٩٤١ وجدنا أنه لم يبق من قيمة السندات سوى ثلاثة آلاف من الجنيهات ، بينما تم سداد السلفة الصناعية وهبط حسابها المدين لبنك مصر إلى نحو ستة آلاف من الجنيهات في حين تم سداد السلفة الصناعية وهبط حسابها المدين للبنك إلى نحو ستة آلاف من الجنيهات فقط . وفي سنة ١٩٤٣ ضربت المطبعة الرقم القياسي في طبع المجلات ، إذ قامت بطبع مجلة « المختار » التي كان يطبع من العدد الواحد منها مائتا ألف نسخة توزع في أنحاء العالم العربي . وطبعت أيضاً النسخة الإنجليزية من مجلة ريذرز دايجيست ، وكان يطبع منها أربعون ألف نسخة ، ومجلة الفصول التي كان يطبع منها اثنتا عشرة ألف نسخة ، ومجلة الغرفة التجارية ومجلة الطيران ؛ هذا إلى جانب مطبوعات بنك

(١) تمكنت هذه الدار في سنة ١٩٥٨ من اقتناء آلة مونوتيب تجمع الحروف مشكولة . وهي أول آلة من نوعها . وقد قام بوضع قاعدتها المرحوم جبرائيل قاروط مدير مطابع الدار في ذلك الحين .

مصر وشركاته : وطبعت مطبعة مصر بعض كتب الدعاية لوزارة الاستعلامات البريطانية . وفضلار عن ذلك فقد قامت بطبع النتائج والمفكرات .

وفي سنة ١٩٥٠ جددت مباني المطبعة وأصبحت مثالا يحتذى في النظام والدقة في العمل . وغدت شركة مطبعة مصر من أكبر المطابع المصرية وأدقها عملا .

وتقدمت مطبعة الحاج عبد السلام سليمان قناوي تقدماً ملحوظاً خلال الحرب العالمية الثانية وفي السنوات التي تليها . فقد استوردت آلة تطبع من خمسة آلاف إلى سبعة آلاف متر ورق في الساعة الواحدة . وتنتج هذه المطبعة كميات ضخمة من أكياس التعبئة فضلا عن المطبوعات التجارية المختلفة .

واستطاعت مطبعة خلف وولده خلال الحرب العالمية الثانية أن تؤدي للبلاد أجل الخدمات ، فقد لجأت إليها وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم الآن) لتفريج أزمة الدفاتر والكراريس . وعهدت جريدة الأهرام إلى هذه المؤسسة بتجليد ما تصدره من أعداد خاصة .

وقامت مطابع محرم بالإسكندرية بطبع ورق النقد لحساب الحكومتين السورية واللبنانية وورق البنترول للحكومة العراقية وطبعت أيضاً صورة الرئيس روزفلت ، ومنحتها وزارة التجارة والصناعة المدالية الذهبية في سنة ١٩٤٠ . وقد تحولت في سنة ١٩٤٦ إلى شركة توصية ذات أسهم وأصبح رأس مالها تسعين ألفاً من الجنيهات المصرية .

وانتهز عارف إبراهيم الصوص قلة ورود المظاريف من الخارج ليؤسس مصنعاً في سنة ١٩٤٠ . وكان المصنع يوزع إنتاجه على مصالحة سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية . واستوردت الحكومة المصرية منه ما لا يقل عن أربعين مليون ظرف في السنة . وكان يعمل فيه مائة وثلاثون عاملاً يمكنهم إنتاج أربعمئة ألف ظرف في اليوم . وفي المصنع مطبعة لإنتاج المطبوعات التجارية والكراسات والدفاتر وما إليها .

وفي مصر اليوم مئات المطابع التجارية التي وفرت على البلاد مثونة استيراد المطبوعات الفاخرة من الخارج ، إذ أنه أصبح في الاستطاعة صنع أغلب المطبوعات الدقيقة الأنيقة بتكاليف زهيدة .

رابعاً : مطابع الصحف

نشطت مطابع الصحف نشاطاً كبيراً خلال الحرب العالمية الثانية وذلك على الرغم من قلة ورود الورق وقطع الغيار ، ذلك أن الصحف قد استعدت للحرب منذ سنة ١٩٣٨ فخزنت كميات هائلة من الورق وحبر الطباعة وقطع الغيار .

وفي شهر يولييه سنة ١٩٤٣ توفى جبرائيل تقلا فانتقلت ملكية الأهرام إلى ابنه بشاره وابنتيه وأرملته . ومضت الأهرام في طريقها المرسوم بنفس المهمة والنشاط وزاد عدد قرائها مما حدا بها في سنة ١٩٥٢ إلى شراء طابعة روتاتيف جديدة ماركه « هاو آند كرابترى » من لندن . وتطبع هذه الآلة بأربعة ألوان وسرعها ١٢٠ ألف نسخة في الساعة إن كانت الصحيفة ذات ست عشرة صفحة . ومن خاصيتها أنها تغير بوبينات الورق أوتوماتيكياً دون توقف حركتها . ويتحكم في إدارة المطبعة أربعة محركات قوة كل واحد منها خمسون حصاناً .

ونظراً لكبر حجم الطابعة ، فقد رأى أصحاب الشأن في الأهرام إنشاء بناء خاص لها في شارع الجلاء . وهو مصمم على أحدث طراز ليتسع لأقسام الجمع والسبك والطبع . وجهاز بمطاعم ومغاسل صحية للعمال يجرى فيها الماء العادي والساخن والمثلج . وفي السنة نفسها أي في سنة ١٩٥٢ زودت الأهرام مطابعها بمسبكين حديثين . لصبب الفورم وهما من ماركه مارينوني الفرنسية . وفي استطاعة المسبك الواحد أن يصبب ست عشرة صفحة في اثنتي عشرة دقيقة . ويصهر الرصاص في فرن كهربائي ويبرد الماء آلياً . ولا يستغرق صب الفورمة الواحدة أكثر من اثنتين وعشرين ثانية . وقد محل محل مسبك آخر كان يعمل بالكهرباء غير أن لخب فرنه كان يشعل بالمازوت .

وجددت مطابع دار الهلال طابعاتها الروتغرافور في أعقاب الحرب العالمية الثانية فجلبت طابعات تطبع بلونين وبأربعة ألوان . وعندما صدرت مجلة « التحرير » في أواخر سنة ١٩٥٢ طبعت أول الأمر في هذه المطابع .

وأخرجت دار الهلال أعداداً خاصة تعتبر تحفة في فن الإخراج والطبع لا في الشرق العربي فحسب بل في أوروبا وأمريكا أيضاً . وحرصت هذه المؤسسة على تزويد مطابعها بكل مستحدث في فن الطبع بالروتوغرافور لتجارى النهضة الصناعية وتسائر التقدم الذى أصابته البلاد في كل ميدان .

وعمت حركة التجديد مطابع صحف الإسكندرية فاشترت جريدة البصير لمطبعها في سنة ١٩٥١ آلة مونوتيب حديثة لتنضيد الحروف العربية والإفريقية . وتعاقبت شركة الإعلانات الشرقية مع ماكس كوخ Max Koch الذى كان يعمل حتى سنة ١٩٤٥ مديراً فنياً لمطبعة شندلر بالقاهرة . فارتفع في عهده مستوى الطباعة في مطابع هذه الشركة ، وآية ذلك مجلة المرأة الجديدة التى كانت تطبع طبعا فاخراً ، وبالألوان الأربعة على ورق مصقول .

وعندما نسفت المطبعة وإدارة الشركة في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين من صباح يوم الجمعة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، لم تتعطل الصحف التى تصدر عن تلك الدار بفضل مؤازرة مطبعة الجورنال ديجيت والزمان ومطبعى جريدة لابتري وجرونبرج . ولم يمض شهر واحد إلا وعادت المطبعة إلى ما كانت عليه قبل النسف .

وفي سنة ١٩٥٢ كان يخرج من هذه المطبعة جرائد البورص والبروجريه والإجيشيان جازيت والإجيشيان ميل والسفانكس و « لاريفو ديجيت إيكونوميك إيه فينانسيير ^(١) الفرنسية ومجلة « مديكال برس أوف إيجبت ^(٢) » .

أما مطابع اللطائف المصورة فقد اعتلت صحة صاحبها في أوائل الحرب العالمية الثانية ولم يجد بدا من أن يلتجئ بمقاليد المجلة والمطبعة إلى أناس توهم فيهم المقدرة والكفاءة . ولكن ما لبث أن انضم إليهم ممول أراد استغلال الدار ، وكانت الجيوش البريطانية في مصر ، فأوقف « اللطائف المصورة » ليصدر عوضاً عنها مجلة إنجليزية أطلق عليها اسم « فيكتوري » . وقد راجت تلك المجلة في أول الأمر ، ولكنها لم تعيش طويلاً ، فقد دب الخلاف بين المستأجر الأول والممول وأعيدت المطبعة لصاحبها الأصيل . ولكنه لضعف صحته لم يستطع إعادة إصدار اللطائف . وقد

(١) La Revue d'Egypte Economique et Financière.

(٢) Medical Press of Egypt.

استأجر المطبعة أناس مختلفون قبل وفاته .

وإذا انتقلنا إلى جريدة « البلاغ » نرى المحكمة تقضى بتعطيلها شهراً في سنة ١٩٤٥ بتهمة العيب في الذات الملكية . وخلال هذا الشهر قامت المطبعة بطبع جريدة « الوادى » . ولم تطبع « البلاغ » خارج مطبعها الخاصة منذ إنشائها حتى توقفت عن الصدور .

وقد اشترى لها صاحبها في سنة ١٩٤٨ آلى لينوتيب من إنجلترا وآلة أنترتيب من أمريكا . وكانت حروف هذه الجريدة تجمع باليد حتى هذا التاريخ ، أما العناوين فقد ظلت تجمع باليد .

وشملت حركة التجديد مطابع « المصرى » فقد اشترت في سنة ١٩٤٨ طابعة روتاتيف أمريكية وركبت في مبنى مطابع الجريدة بمصر القديمة .

واشترى إدجار جلاد صاحب « الجورنال ديجيت » ست آلات لينوتيب من مطابع لنشيونى بعد اعتقال صاحبها في سنة ١٩٤٢ . وأسس مطبعة للجمع والتوضيب في حارة زغيب المتفرعة من شارع قصر النيل . أما الطبع فكان يجرى في مطابع المصرى وكانت طابعة الروتاتيف ملك خجاز ثم انتقل إلى مطابع البلاغ . وفي سنة ١٩٤٥ وصلت « الزمان » طابعة روتاتيف مارك « جوس » الأمريكية ومعها آلات صب الفورم . وابتدأ الطبع بهذه الآلة في السنة نفسها بعد أن شيد لها بناء خاص في شارع الصحافة . وعلى هذه الطابعة طبعت « الكتلة » و « الأساس » و « الإخوان المسلمون » و « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » و « رأى العام » و « الأسبوع » و « الراية » و « الجمهور المصرى » و « اللواء الجديد » و « السودان الحديث » و « الحوادث » و « الأنباء الجديدة » و « النداء » و « السوادى » . وكانت « المصرى » تطبع أحياناً في مطابع « الجورنال ديجيت » إن أصيبت مطابعها بخلل .

ولما أنشأ إدجار جلاد جريدة « الزمان » في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧ لم يكن لديه آلات لينوتيب عربى ، فكانت تجمع أصول الجريدة في مطابع « أخبار اليوم » إلى أن وصلت آلات اللينوتيب الخمس في أواخر سنة ١٩٤٨ .

وكانت أصول صحيفة « أخبار اليوم » التى صدرت في نوفمبر سنة ١٩٤٤ تجمع في مطبعة مصر ثم ترسل إلى مطابع جريدة الأهرام لتقوم بطبعها . وظلت تجمع

بتلك الطريقة إلى أن اشترى مصطفى أمين وعلى أمين الأرض الكائنة ببوراق والتي أقيمت عليها الدار بعد ذلك . وقد بنى أول ما بنى من الدار عنبر قسم اللينوتيب وهو عبارة عن آلتين اشترينا من إنجلترا ثم استوردت إدارة الصحيفة آلتى أنترتيب من أمريكا ، وكان ذلك فى نهاية سنة ١٩٤٥ . وأصبح عدد تلك الآلات فى سنة ١٩٥٢ اثنتى عشرة آلة .

وعندما وصل عدد الآلات إلى أربع ، بدأت المطبعة تجمع أصول جريدة « أخبار اليوم » التى أصبحت تطبع فى مطبعة « الجورنال ديجيت » . ونظراً لضخامة الكمية التى كانت تطبع من « أخبار اليوم » فقد تقاسم طبعها مطبعة « الجورنال ديجيت » ومطبعة شركة الإعلانات الشرقية . ولأسباب فنية انتقل الطبع بعد ذلك إلى مطابع جريدة « المصرى » . وفى تلك الأثناء تآلفت شركة بين المصرى وأخبار اليوم ولكنها انقضت بعد سبعة أشهر ، وعادت « أخبار اليوم » إلى مطابع الزمان والجورنال ديجيت . وفى ذلك الوقت ظهرت « آخر لحظة » ، وكانت تصدر مرة واحدة فى الأسبوع خلاف صدورهما مع « آخر ساعة » و « الجليل الجديد » وتبين أن مطبعة الجورنال ديجيت والزمان لا تسعف فى طبع « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » فقرر صاحبها الدار طبع الصحيفة الثانية فى مطابع شركة الإعلانات الشرقية . واستمر الحال كذلك مدة من الزمن إلى أن تعاقدت « أخبار اليوم » على صنع آلة روتاتيف فى مصانع « سكوت فيكرز » تطبع حوالى مائة ألف نسخة فى الساعة الواحدة من جريدة يبلغ عدد صفحاتها اثنتى عشرة صفحة بلونين أو بأربعة ألوان . ووصلت تلك الآلة من إنجلترا سنة ١٩٥٢ . وقامت أول ما قامت بطبع صحيفة « الأخبار الجديدة » التى صدر عددها الأول فى ١٥ يونيه سنة ١٩٥٢ وجريدة « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » يضاف إليها الصحف التى تصدر عن غير « دار أخبار اليوم » مثل جريدة « الاشتراكية » و « اللواء الجديد » ومجلة المهندسين . ودارت الأيام دورتها وطبعت صحيفة « الزمان » فى هذه المطبعة لحال أصاب مطابع الزمان والجورنال ديجيت .

ولما اكتمل بناء الدار بدأت الاستعدادات على قدم وساق لإنشاء قسم طباعة الروتغرافور . واستقدم لتنظيم ذلك القسم بعض المهندسين الإنجليز واستوردت الآلات لهذا الغرض فى حوالى سنة ١٩٤٧ وأعد القسم بالأجهزة والمعدات ، وهى

من أحدث ما وصل إليه فن الروتغرافور بعد الحرب العالمية الثانية . وأضيف إلى المهندسين الإنجليز مهندسان آخران للعمل بقسم الرتوش التابع للروتغرافور أيضاً ، وكان عمل هؤلاء الإنجليز إعداد الأقسام الفنية والعمل فيها وتدريب المصريين على هذا النوع من الطباعة . وقد توصل المصريون بعد تمرين دام سنتين إلى اجادة هذا الفن الدقيق وبذا استغنى عن نصف الإنجليز . وأصبح عدد الفنيين الأجانب في مطابع دار الأخبار سنة ١٩٥٢ لا يزيد على اثنين يعملان في قسم الروتغرافور . أما سائر الفنيين فهم مصريون .

وأشرف على تركيب طابعات الروتغرافور مهندسان أحدهما إنجليزى والآخر ألماني . وأشاعت بعض الجرائد أن دار أخبار اليوم استوردت آلات طباعة اتضح عند تركيبها أنها مطابع للنسيج . ولكن بعد نشر هذا الخبر بمدة وجيزة ظهرت « آخر ساعة » وقد طبع بعض صفحاتها بالروتغرافور طبعاً يضارع خبر المجلات الأوربية . وبعد شهرين تقريباً طبعت جميع صفحات « آخر ساعة » بالروتغرافور . ثم صدرت مجلة « الجيل الجديد » في سنة ١٩٥١ مطبوعة بالروتغرافور أيضاً .

وقامت مطابع « أخبار اليوم » بطبع عدد من المجلات التي تظهر في السوق بالروتغرافور مثل « مجلة الإذاعة » و « الفن » و « مجلة المهندسين » و « صوت الشرق » . هذا عدا أعمال الدعاية للسينما المصرية ونشرات خاصة بالحكومة للدعاية لمصر في الخارج (١) .

إن تقدم الطباعة في مصر يرجع إلى حد كبير إلى انتشار الصحافة وازدهارها ؛ فلولا صحيفة « الوقائع المصرية » لما فكر محمد علي في توسيع مطبعة بولاق وجلب الطابعات الحديثة لها ، ولولا « الوقائع » أيضاً . لما قرر إنشاء مطبعة خاصة في القلعة لهذا الغرض . وإذا انتقلنا إلى سنة ١٨٦٦ ألفينا عبد الله أبو السعود أفندى ينشئ مطبعة « وادى النيل » لطبع صحيفته ورأينا مطابع أجنبية تؤسس في القاهرة والإسكندرية لتطبع الصحف الفرنسية والإيطالية والإنجليزية التي ظهرت في تلك الحقبة من تاريخ مصر . ولولا الصحافة وانتشارها والتنافس بينها لما بادر الشيخ

(١) استقيننا هذه المعلومات من السيد/سعد عبد العليم مدير مطابع « أخبار اليوم » وذلك في ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

على يوسف في سنة ١٩٠٦ بشراء أول آلة روتاتيف عرفها مصر بلحريديته « المؤيد »
ولما تبعه الزعيم مصطفى كامل فاشترى في السنة التالية طابعة روتاتيف قامت بطبع
صحفه الثلاث .

لقد قامت الصحافة بدور هام في تطور الطباعة في مصر ، وساهم في ذلك
المصريون والأجانب .

* * *

عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها هبت دور الطباعة الكبرى في مصر
لتستورد الآلات والمعدات الحديثة لتجارى بها التقدم المبى أصاب تلك الصناعة في
أوروبا وأمريكا لتعوض ما لحق آلاتها من إجهاد طول سنى الحرب . وبلغ ما استوردته
مصر من آلات الطباعة وأجهزة حفر الكليشيات بين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٥٠
ما قيمته ٥٢٧,١٥٧ جنيهاً . وعلى الرغم من ارتفاع أسعار الورق بعد قيام الحرب
الكورية في منتصف سنة ١٩٥٠ فإن الطباعة في مصر ازدهرت وتضاعف نشاط
العاملين فيها .

الفصل السابع

الطباعة للشعب

١٩٥٢ - ١٩٦٥

خطا الفن الطباعي في مصر خطوات جديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، كما رأينا في الفصل السابق فزاد عدد المطابع حتى بلغ في سنة ١٩٥٢ ستمائة وأربعا وستين مطبعة ، وأخذ هذا العدد في الارتفاع حتى وصل في سنة ١٩٦٢ إلى تسعمائة وتسع وسبعين مطبعة ، فكانت النسبة المئوية لهذه الزيادة في مدي عشر سنوات ٤٣ ٪ . وهذا العدد في زيادة مستمرة لمسايرة النهضة التي شملت البلاد من أدناها إلى أقصاها .

ففي ١٣ من أغسطس ١٩٥٦ صدر القانون رقم ٣١٢ بإنشاء هيئة عامة تاحق بوزارة الصناعة يطلق عليها (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية) وتكون لها شخصية اعتبارية ، وتختص بإدارة المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق) والمطابع التابعة لها . وبمقتضى هذا القانون أصبح لهذه الهيئة مجلس إدارة يهيمن على شئونها ويصرف أمورها دون التقيد بالنظم الإدارية والمالية المتبعة في المصالح الحكومية . كما أصبح لها رأس مال مستقل وميزانية مستقلة طبقاً للقواعد المتبعة في المشروعات الصناعية .

وفي السنة المالية ١٩٥٧ - ١٩٥٨ استوردت الهيئة أربع آلات طباعة حديثة من ذات اللفتين يبلغ إنتاج الواحدة منها ٣٠٠٠ كبسة في الساعة . وقد أعد لها عنبر جديد أطلق عليه اسم عنبر « ناصر » للطباعة الحديثة . وأرسلت الهيئة بغض عماها للتمرن على فني الحفر على الزنك والفوتوليتو في مطابع المساحة ومؤسسى الهلال وأخبار اليوم وشركة ديكسون . كما سافر شابان في بعثة إلى معهد بارافيا بإيطاليا للتخصص في التصوير الضوئى والحفر والطبع الفوتوغرافى على المعادن تمهيداً لإنشاء قسم الزنكغراف . وقامت الهيئة بتدريب خمسة وأربعين مبعوثاً من أبناء الكويت على مختلف فروع الطباعة ومبعوث واحد من مطبعة الحكومة الليبية وثلاثة من سوريا .

وإذا انتقلنا إلى السنة المالية ١٩٥٨ - ١٩٥٩ رأينا الهيئة تشتري خمس طابعات من ذات اللفتين وطابعة دوارة (روتاتيف) وأربع آلات للقص . وكانت صالة بيع المطبوعات الأميرية تشغل مكاناً بمبنى وزارة الاقتصاد ، فانتقلت إلى ميدان الأوبرا تيسيراً للجمهور .

وفي السنة المالية ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تم تخصيص مساحة قدرها ثلاثون ألف متر مربع بامبابة لإقامة مبنى المطبعة الجديدة عليها والمنتظر أن تبدأ العمل في غضون سنة ١٩٦٦ ، بعد أن تستكمل مبانيها ومعداتنا . وفي السنة المالية ١٩٦٠ - ١٩٦١ اشترت الهيئة سبع عشرة طابعة أوتوماتيكية وآلى جمع أنترتيب وأربع آلات لورشة صب القووم . كما ساهمت مع مجمع اللغة العربية والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية في الجهود التي بذلت لتيسير الكتابة العربية . وأدت الجهود في سنة ١٩٥٩ إلى التزام الأساسين الآتين :

١ - محاولة اختصار الحروف إلى أقل عدد ممكن . وذلك بتمثيل الحرف بصورة واحدة على اختلاف مواقعه في الكلمة ما أمكن .

٢ - الاحتفاظ بطبيعة الخط العربى وفنه ، وتجنب المباعدة بين القديم

والجديد .

وهكذا أمكن اختصار صور الحروف العربية إلى ١٣٥ صورة للمشكول وإلى ١١٢ صورة بغير المشكول ، مع الاستفادة من حروف المطبعة الأميرية في فنا الخطى الذي يعتبر مثالا عالياً للكتابة العربية . وإن الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية في صدد وضع المشروع موضع التنفيذ .

وعلى الرغم من انتقال طبع الخط الطبوغرافية إلى مطبعة المساحة العسكرية وطبع طوابع البريد إلى مطبعة هيئة البريد ، فلا تزال مطابع مصلحة المساحة تتميز على غيرها من مطابع مصر في دقة الطبع بالفتوغرافور (الهليوجرافور) والأوفست . وقد أدخلت في السنوات الأخيرة آلات الأنترتيب لجمع الحروف العربية ، بعد أن كانت تجمعها في المطبعة الأميرية وتكتفى هي بتصويرها . كما وسعت مختلف الأقسام تمشياً مع تزايد احتياجات العمل . وترسل مصلحة المساحة بعثات للخارج لتعلم الطباعة والتصوير الآلى وتصميم الخرائط . وتعتبر

هذه المطبعة بحق مدرسة يتخرج فيها عدد كبير من أساتذة فن الروتغرافور والأوفست لا في مصر فحسب ، بل في بعض بلاد الشرق العربي .

وسايرت إدارة المطابع والتوريدات التابعة لسلك حديد مصر التقدم الذي طرأ على الطباعة . فقد جلبت آلي لينوتيب عربي بنط ١٠ أسود وأبيض وآلة دوارة (روتاتيف) صغيرة تنتج ٣٠ ألف فرخ في الساعة مع جهاز الكبس المائي وصب الفورم المعروف عند أهل هذا الفن باسم الستريوتيب . وكان أول إنتاج هذه الآلة دليل تليفونات القاهرة لسنة ١٩٦٠ . ووجهت هذه المطبعة عنايتها على وجه الخصوص إلى قسم التجليد فزودته بآلة للتجليد البلاستيك ذات السرعة العالية (٢٥٠٠ نسخة في الساعة) ، وآلة تجميع الملازم ذات ١٨ محطة تصحح خطأها أوتوماتيكياً ، وهي أكبر آلة من نوعها في مصر . كما جلبت لهذا القسم آلي قص من أحدث طراز . وفي المطبعة قسم للصيانة ، استطاع أن يحدد ما تعطل من آلات الطباعة بأقل تكاليف ممكنة .

وخطت مطبعة جامعة القاهرة خطوات إلى الأمام ، فقد أدخلت آلات جمع المونوتيب والأنترتيب وأضافت إلى مجموعة طابعاتها السريعة ثلاث آلات للطبع الأوتوماتيكي بالشفاط . ونال قسم التجليد نصيباً كبيراً من العناية إذ زود بالآلات الحديثة للتطبيق وقص هوامش الكتاب الثلاثة دفعة واحدة ، كما زود بالآلات الحياكة بالتيل . وجامعة القاهرة في صدد إنشاء مبنى جديد خاص بالمطبعة داخل أسوارها مستوف من النواحي الفنية ، يساعد على تحقيق برنامج واسع يشمل تزويدها بوحدات أخرى للجمع الآلي ووحدات لتصنيع مختلف مراحل التجليد آلياً وإنشاء قسم لصنع الظروف وقسم للطباعة الدوارة (روتاتيف) . وتقوم مطبعة جامعة القاهرة بطبع الكتب الجامعية المعربة إلى جانب عملها العادي ، وهو طبع المجلات العلمية ورسائل الدكتوراه التي يتقرر تبادلها مع الجامعات الأخرى والمطبوعات الإدارية ونصف مليون كراسة امتحان . وكانت هذه المطبعة إلى وقت قريب تقوم بتزويد جامعتي الإسكندرية وعين شمس بما هما في حاجة إليه من مطبوعات . غير أنه ما لبث أن أصبح لكل من الجامعتين المذكورتين مطبعة خاصة بهما .

وتعتبر مطبعة هيئة البريد أحدث مطبعة رسمية في الجمهورية . ففي ٢٣ يولي

سنة ١٩٦١ تم افتتاح هذه المطبعة بمدينة نصر بالعباسية ، وهى يبنائها المصمم على أحدث طراز وآلاتها ومعداتها تضارع كبريات مطابع البريد فى العالم . ويتكون البناء من سبعة طوابق . وأهم أقسام هذه المطبعة قسم الروتوغرافور (الهليوجرافور) ويشمل طابعتين سريعتين يمكن أن يصل إنتاج كل منهما إلى ٤٨٠٠ فرخ من الطوابع فى الساعة . وتنتج هاتان الطابعتان طوابع من لونين رئيسيين وطوابع من أربعة ألوان رئيسية . أما ضبط الألوان فيتم بوساطة جهاز انكترونى . وفى قسم الأوفست طابعتان بلونين من أحدث طراز سرعتهما سبعة آلاف فرخ فى الساعة . وقسم التصوير مزود بأحدث الآلات وأدقها :

وعندما أنشئ البنك المركزى ، كان من بين مشروعاته العديدة تأسيس مطبعة لطبع أوراق البنك نوت ؛ فالجمهورية العربية المتحدة ما زالت تطبع أوراق نقدها فى إنجلترا . وذلك فيما عدا أوراق النقد فئة عشرة وخمسة قروش التى تطبع فى مطبعة المساحة . ومن المنتظر أن تبدأ هذه المطبعة عملها — وقد كاد بناؤها أن يتم — فى غضون سنة ١٩٦٧ .

وإذا كانت الدولة قد ساهمت فى تقدم الطباعة فى مصر ، فإن دور الطباعة فى القطاعين العام والخاص قد قامت هى الأخرى بدورها على خير وجه ، وفى حدود إمكانياتها . فقد تضاعف عدد آلات جمع المونوتيب فى مطابع دار المعارف وأصبح لديها الآن آلتان لجمع الحروف المشكولة جلبت إحداها من الخارج فى حين تم تعديل الثانية فى مصر وبمعرفة الدار . كما تضاعف عدد الطابعات وتم شراء طابعة أوفست كبيرة تطبع بلونين وأصبحت الشلندرات والشاسيات تغسل أوتوماتيكياً . وأدت زيادة الإنتاج إلى مضاعفة عدد العمال . وفى سنة ١٩٦٣ ضمت هذه الدار إلى القطاع العام وأصبحت تتبع مؤسسة الأهرام .

وتقدمت شركة مطبعة مصر تقدماً ملحوظاً فى مضمار الطباعة فضاعفت آلات الجمع من مونوتيب ولينوتيب وأنترتيب . وتجمع الآلة الأولى بنط ٢٤ وبنط ٢٠ بالشكل . كما وسعت الشركة قسم الأوفست وقسم الطبع التجارى واهتمت بطبع كتب التراث القديم بالأوفست . وأدخلت طباعة مطبوعات الآلات الحاسبة والطبع بالضغط على البلاستيك لعمل الأغلفة والتجليد اللولبي . وأرسلت بعثة من

عضوين إلى إنجلترا للتخصص في الفوتوليتو أوفست .

وعقب صدور القرار الجمهوري رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ بتأميم بنك مصر وشركاته تبعت المطبعة وزارة الخزانة : وعندما صدر القرار الجمهوري رقم ٢٤٩ لسنة ١٩٦١ بإنشاء مؤسسة مصر ألحقت المطبعة بها وضمت إليها مطبعة روز ماتوسيان لصناعة علب السجائر وطبعها ، بعد شرائها من الحراسة على أموال البلجيكيين . ثم صدر القرار الجمهوري رقم ١٩٠٠ لسنة ١٩٦١ بضم شركة مطبعة مصر ور . ماتوسيان إلى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر : وأخيراً صدر قرار جمهوري رقم ٣٥٢٦ بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٤ بإدماج مطبعة مصر ومطبعة ر . ماتوسيان في الدار القومية للطباعة والنشر .

وقد تأسست هذه الدار الأخيرة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ ، وذلك لطبع ونشر المطبوعات على اختلاف أنواعها سواء كانت في صورة صحيفة أو كتاب أو نشرة أو غيرها من أدوات الثقافة العامة والتوجيه القومي وذلك داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها . وقد حصلت على حق نشر مطبوعات مصلحة الاستعلامات وهي : « كتب سياسية » و « كتب قومية » و « روايات عالمية » . وقد أضافت إليها سلسلتين وهما : « كتب ثقافية » و « اخترنا لك » . ولم يكن لدى هذه الدار مطابع في أول الأمر ثم أخذت تقتني آلات الطباعة شيئاً فشيئاً . وفي أول يناير سنة ١٩٦٢ ضمت إلى المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة ، فأضافت إلى سلسلتها مجموعة « الكتاب الماسي » ومجموعة « من الشرق والغرب » ومجموعة « مذاهب وشخصيات » ثم مجموعات « اخترنا للفلاح والعامل » و « اخترنا للطالب » و « اخترنا للجندى » . ولدى الدار مطابع حديثة في روض الفرج للطباعة البارزة والملساء (أوفست) ومطبعتا مصر ور . ماتوسيان سابقاً ، ومطابع في شارع الصحافة التي كانت تطبع عليها جريدة التعاون . وإلى جانب مجموعات الكتب التي ذكرناها تقوم هذه المطابع بطبع مجلات الأرب أوبزرفر الأسبوعية والأرب رفيو الشهرية وتحرران باللغة الإنجليزية ومجلة الأوبسر فاتور آراب الأسبوعية وتحرر باللغة الفرنسية .

وأنشأت الدار القومية للطباعة والنشر عدة مكاتب في القاهرة والإسكندرية وبيروت وطرابلس لبنان والجزائر وبغداد .

وفي ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦٠ تأسست دار ومطابع الشعب واحتلت المبنى الذى كانت تشغله جريدة الشعب ومطابعها بشارع قصر العيني بالقاهرة . ويعود تاريخ هذه الدار إلى سنة ١٩٣٦ ، حين تأسست جريدة المصرى التى احتلت هذا المبنى حتى سنة ١٩٥٤ ثم سحبت رخصتها ووضعت تحت الحراسة مدة سنتين واستولت عليها بعد ذلك وزارة الثقافة والإرشاد وأدارتها أربع سنوات نقلت بعدها إلى جريدة الشعب حتى يولييه سنة ١٩٥٩ حين توقفت هذه الجريدة عن الصدور . وظلت هذه الدار على تبعيتها لشركة الإعلانات الشرقية ، إحدى شركات دار التحرير إلى أن صدر قرار المشرف العام على الاتحاد القومى بنقل ملكيتها إلى هذا الاتحاد . ومنذ ذلك التاريخ عرفت باسم دار ومطابع الشعب . ويتبع هذه الدار فرعان أحدهما فى دير النحاس والآخر فى بولاق . وتوجد فى كل منهما طابعة دوارة (روتاتيف) بكل لوازمها والورش الملحقة بها . وقد رُئى فى سنة ١٩٦٢ تجميع طابعتى الروتاتيف فى دير النحاس حيث تم فعلا نقل طابعة بولاق . وقررت الإدارة تحويل بولاق إلى مخازن . وكانت أول خطوة بعد سبتمبر سنة ١٩٦٠ هى تحويل المطابع من عمليات للطبع الصحفى التى كانت متخصصة فيها إلى العمليات التجارية ، لا سيما عمليات طبع الكتب ، وذلك للمساهمة فى أداء الرسالة التى تضطلع بها وزارة التربية والتعليم . وكان من نتيجة ذلك أن تطورت وسائل التشغيل فى الدار واستدعى الأمر إنشاء أقسام جديدة مثل قسم المونوتيب الذى لم يكن له وجود من قبل . كما ركزت الدار اهتمامها على التوسع فى قسم الطبع المسطح ، وذلك بشراء مجموعة كبيرة من الآلات الطباعة المختلفة ذات الأحجام الكبيرة والصغيرة وذلك لسد حاجاتها . واعتنت هذه الدار كذلك بقسم التجليد ، حيث أصبح يغطى جميع العمليات المطلوبة — وهى كثيرة — دون الحاجة إلى الاستعانة بالورش الكبيرة ، وذلك بعد أن دعمته بكثير من الآلات والأدوات الحديثة ؛ وترتيباً على كل التنظيمات التى طرأت على المطابع ارتفع عدد المشتغلين بالدار إلى حوالى أربعمائة عامل وموظف بينما كان عددهم من قبل لا يتجاوز ١٨٠ بين عامل وموظف . كما أمكن تهيئة قسم مستقل مستكمل لمطابع الأوفست بجميع ورشه . واستطاعت هذه الدار الحصول على وحدتين جديدتين من وحدات المونوتيب ، ولم تترك فرصة لتدريب

أبنائها على كل عمليات الطباعة المستحدثة ؛ فأقدمت على تجربة طبع الصحف على الورق الخفيف Bible Paper ، كما طبعت على هذا الورق نفسه جزئى عم وتبارك من القرآن الكريم . وقد أسفرت التجربة على نجاح طيب . كما طبعت تجربة لمجلتى « الحقائق » و « التعاون » على هذا الورق الخفيف .

وقد انخفض عدد الصحف عما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ إذ وصل عدد المسجل منها فى تلك السنة إلى ٥٢٣ صحيفة عدا ٢٩ كانت تقوم بإصدارها الوزارات والمصالح و ٤٩ مجلة تصدرها الجامعات والمعاهد والمدارس . وتشير آخر إحصائية عندنا - وهى إحصائية سنة ١٩٦٤ إلى أن عدد الصحف يبلغ ٤١٣ صحيفة ، فى حين ارتفع عدد الصحف التى تصدرها الوزارات والمصالح إلى ١٠٣ وعدد المجلات التى تنشرها الجامعات والمعاهد والمدارس إلى ٣٦٤ . وعلى الرغم من هذا الهبوط فى عدد الصحف فقد ازداد عدد المطبوع منها زيادة كبيرة نظراً لانتشار التعليم والوعى بين أبناء الشعب ونظراً لارتفاع مستوى الدخل عمومًا . وكان أن بذلت المؤسسات الصحفية جهدها فى زيادة سرعة الجمع الآلى والطبع الدوار ، وفى اختصار قاعدة الحروف العربية وصنع أبناط صغيرة . وقد حققت فى هذا المضمار تقدماً ملحوظاً .

فى سنة ١٩٦١ أدخلت مؤسسة الأهرام قاعدة جديدة على ست وحدات من آلات الأنترتيب بعد أن اختصرت المتاريس أو انقواب من ١٢٣ إلى ٩٠ ، فارتفع الإنتاج من ٨٠ سطرًا إلى ١٢٠ سطرًا فى الساعة بنط ٩ . وفى مطابع الأهرام الآن عشرون وحدة جمع أنترتيب . كما توجد آلة انثليب ستر ، وهى آلة للجمع الآلى الخالص تعمل بوساطة شريط من الورق المثقوب وتجمع ٤٥٠ سطرًا فى الساعة دون الحاجة إلى عامل . وفى يناير ١٩٦٥ بدأت الأهرام تستخدم فى بعض أبوابها بنط ٧ أسود . وانفردت هذه الدار الصحفية دون غيرها من الدور باستيراد آلات الكليشوجراف فطابعها مزودة بوحدة لحفر كليشية الظلال وبوحدتين لحفر الكليشية الخطى . والكليشوجراف آلة الكترونية تختصر عملية الحفر على الزنك إلى الثلثين . أما آلة الطباعة الدوارة (الروتاتيف) فتتكون من ست وحدات بأربعة مخارج طى .

وإذا انتقلنا إلى مطابع شركة الإعلانات الشرقية التى تطبع فيها صحف الجمهورية

والمساء والبروجريه إجبسيان والإجبشيان جازيت ومجلة الكاتب الشهرية ومجلة المجلة ومنبر الإسلام ، عدا الدوريات العلمية والكتب ، وجدنا أن ملكيتها قد انتقلت في سنة ١٩٥٤ من محمود أبو الفتاح إلى هيئة التحرير ثم إلى الاتحاد القومى فالاتحاد الاشتراكي العربى . وكان أول ما فعلته الإدارة الجديدة هو إنشاء قسم للطبع بالروتغرافور أو الطباعة الغائرة . وقد طبعت فى هذا القسم مجلة التحرير . وفى سنة ١٩٥٦ حل محل الثلاث الطابعات الدوارة القديمة طابعة روتاتيف حديثة ذات أربع وحدات فى استطاعتها أن تطبع ١٦٠ ألف نسخة فى الساعة من صحيفة تقع فى ثمان صفحات . وفى قسم الطباعة التجارية تضاعف عدد آلات الطبع البارز وزيد عدد آلات الجمع اللينوتيب والمونوتيب وزاد عدد العمال بنسبة ٢٥٠ ٪ ، ومطابع شركة الإعلانات الشرقية أول مطبعة فى مصر بعد مطبعة بولاق تطبع الكتاب العربى على طابعات دوارة (روتاتيف) .

واشرت مؤسسة دار الهلال التى تصدر عنها مجلات الهلال والمصور وإيماج وحواء والكواكب وسمير وميكى طابعة روتغرافور مكونة من خمس وحدات سرعة أربعة عشر ألف نسخة فى الساعة . وقد زودت بجهاز أوتو ترون أو عين سحرية ، وهو جهاز الكترونى لضبط الألوان بعضها على بعض فى الطابعات السريعة . أما الألوان نفسها فكانت تستعمل لها الألواح الزجاجية فحلت الأفلام محلها . وزودت المؤسسة أقسام التصوير فيها بآلة تصوير حديثة تمتاز بالدقة المتناهية وبالسرعة . وأصبحت كثافة الأفلام تقاس بجهاز مخصوص يسمى الدانسيوميتير . وتقدم فن الرتوش تقدماً ملحوظاً فى السنوات الأخيرة ، وخاصة رتوش الصور الملونة . واستقدمت الدار خبيرين فى الروتغرافور أحدهما فرنسى والآخر ألمانى ، كما أرسلت بعثة إلى ألمانيا الغربية للتخصص فى التصوير والرتوش والحفر . وتقوم المؤسسة بطبع حوالى خمس وعشرين مجلة بين أسبوعية وشهرية معظمها بالألوان غير الكتب والنشرات والكتيبات وما إليها .

وعندما انتقلت مؤسسة روز اليوسف إلى دارها الجديدة بشارع قصر العيني ، أدخلت طباعة الأوفست وكانت قبل ذلك معدة فقط للطبع البارز . وعينت المطبعة بطباعة الألوان فجلبت طابعة أوفست دوارة بأربعة ألوان تطبع ٨٠٠٠ نسخة فى

الساعة ، وجهزت نفسها بقسم فوتوليتو أوفست . وإلى جانب طباعة الأوفست الدوارة جلبت المؤسسة طباعة أوفست مسطحة بلون واحد . وسارت الطباعة البارزة مع الطباعة الملساء جنباً إلى جنب . وزود قسم الحفر على الزنك بكل مستحدث في هذا الفن . ولكي تقوم المؤسسة بإجابة كل ما يطلب منها من أعمال ، وسعت قسم اللينوتيب وأنشأت قسماً لطبع الكتب زودته بآلة لجمع الملازم، بست محطات . أما مطبعة الزمان والجورنال ديجيت فقد باعها صاحبها إلى هيئة التحرير فطبعت عليها صحيفة الجمهورية قبل أن تنتقل إلى مطابع شركة الإعلانات الشرقية ثم طبعت عليها جريدة التعاون قبل أن تنتقل إلى دار ومطابع الشعب . وتجمع حروف صحيفة الجورنال ديجيت بآلاتها وتطبع في مطابع مؤسسة الأهرام .

وسارت مؤسسة دار أخبار اليوم في الطريق نفسها التي سارت عليها سائر المؤسسات الصحفية فضاعفت عنايتها بالطباعة من حيث الكم وزودت عدد آلاتها ووسعت أقسامها المختلفة ، لا سيما القسم التجارى وطباعة الكتب ، كما ابتكرت حرفاً جديداً اختصر عملية الجمع الآلى كثيراً .

وشعرت الحكومة بالنقص في الأيدى العاملة المتخصصة التي تحتاج إليها المطابع فسارعت إلى إنشاء مصاحبة الكفاية الإنتاجية والتدريب المهني التي قامت في أكتوبر سنة ١٩٦١ بافتتاح مركز للتدريب المهني لحرف الطباعة بناحية الحضرة بالإسكندرية ويتسع هذا المركز في الوردية الواحدة لتدريب ١٠٠ تلميذ صناعي . وفي أكتوبر ١٩٦٣ افتتح في امبابة بالقرب من القاهرة مركز آخر يتسع لمائة تلميذ أيضاً . ويوزع المركزان تلاميذهما على المهن الآتية : تصوير ميكانيكى ، رتوش ومونتاج ، تحضير ألواح أوفست ، حفر كليشيات ، طبع أوفست ، جمع يدوى ، جمع آلى (لينوتيب) ، جمع آلى (مونوتيب ثقب) ، جمع آلى (مونوتيب سبك) ، صب الفورم (ستريو) ، الترسيب الكهربائى (جلفانو) ، طبع الحروف ، التجليد .

وزادت الكميات المستوردة من آلات الطباعة وأجهزة صناعة الحروف وحفر الكليشيات كما بدأت المصانع المحلية في إنتاج بعض تلك الآلات . وإن القوانين الاشتراكية التي صدرت في يوليو سنة ١٩٦١ ، لا سيما الخاصة منها بخفض ساعات

العمل ، أدت إلى زيادة عدد العمال الذين يعملون في الطباعة ورفع مستواهم الاجتماعي والثقافي والمادي .

وقد بلغ عدد عمال الطباعة في سنة ١٩٦٣ عشرين ألف عامل ، عدا عمال المطابع الحكومية : ويزيد هذا العدد بمعدل ألفي وخمسمائة عامل في السنة .

وتصدر مصر الكتب إلى كل من سوريا والأردن والجزائر والعراق والسعودية والسودان واليمن وتونس وفلسطين ولبنان وليبيا والمغرب وملاييزيا والبحرين والفلبين والكويت وأندونيسيا وعدن وتايلاند وأثيوبيا والصومال ومالي والسنغال وتانزانيا وسيراليون وغانا وغينيا وكينيا ونيجيريا والصومال الفرنسي والولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين . ويأتي لبنان في مقدمة عملائنا في استيراد الكتب^(١) .

وإن العناية الفائقة التي خصت بها الدولة التعليم والثقافة والأعلام قد دفعت عجلة الطباعة دفعت إلى الأمام : ونستطيع أن نقول إن سنوات ما بعد ١٩٥٢ قد تميزت في ميدان الطباعة بزيادة عدد المطابع وعمالها زيادة ملحوظة وبانتشار الطباعة الملساء (الأوفست) وبإقبال المطابع على إحلال الجمع الآلي محل الجمع اليدوي وبإدخال وسائل التجليد الآلي الحديثة توفيراً للوقت والجهد ، وباختفاء المطابع الأجنبية من البلاد وبظهور قاعدة جديدة للحرف العربي تسهل عملية الجمع وتختصرها .

(١) الكتاب السنوي لاتحاد الصناعات بالجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤ .

البابُ التاسعُ
الطباعة في العراق

الفصل الأول

نشأة الطباعة في العراق

١٨١٦ - ١٨٦٩

دخل الفن المطبعي العراق متأخراً لأسباب عديدة. أهمها تأخر البلاد ثقافياً واقتصادياً وعمرانيا ومدنياً وعدم اهتمام المحتل التركي بإدخال أسباب الحضارة الحديثة خوفاً من أن يهب الشعب العراقي وغيره من الشعوب التي كانت ترزح تحت سيطرته مطالباً بالحرية وبحقه في الحياة الكريمة...

ويقول رفائيل بطي إن الطباعة دخلت العراق على يد الأجانب^(١) ، غير أن رزوق عيسى يذكر أن أول مطبعة حجرية عرفتها العراق كان موضعها في الكاظمية وطبعت كتاب « درحة الوزراء في تاريخ وقائع الزوراء » تأليف الشيخ رسول أفندي الكركوكي . وقام بطبعه مرزا محمد باقر التفليسي سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ م)^(٢) .

ولكن يبدو أن المؤرخين لم يتفقوا بعد على تاريخ طبع هذا الكتاب . إذ يذكر ستيفن لونكريك أن الكتاب المذكور طبع بأمر من داود باشا في بغداد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م)^(٣) .

وإن صدق قول هذا الباحث ، فإننا نعتقد أنه يشير إلى مطبعة دار السلام ببغداد التي أسسها بالفعل الميرزا باقر التفليسي ، وهو تركي تجنس بالجنسية الإيرانية ، وطبع هذا الكتاب الذي هو ذيل للكتاب المعروف باسم (جلسن خلفاء في تاريخ العراق) .

وقد أتانا رفائيل بطي برأي جديد ذكره عبد الله حسين في كتابه « الصحافة

(١) رفائيل بطي : الطباعة في العراق مجلة لغة العرب المجلد الرابع ، ٢ أيلول سنة ١٩٢٦ ص ١٥٠ .

(٢) مجلة لغة العرب ، تشرين أول ، ص ٢٠٦ ، المجلد الرابع .

(٣) ستيفن لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، بيروت سنة ١٩٤٩ ، ص ٣١٣ .

والصحف » نقلا عن مجلة « منبر الأثير » ص ٢٣ الجزء الثالث من السنة الأولى .
ويقول رفائيل بطي إنه كانت هناك صحيفة عراقية سبقت « الوقائع المصرية » في
الصدور تسمى « جورنال العراق » ، أسسها داود باشا الكرجي وزير بغداد
سنة ١٨١٦ ، وكانت تطبع في مطبعة حجرية باللغتين العربية والتركية . ومع أنه لم
يعثر على أية نسخة من نسخ تلك الصحيفة ، فإن بعض الفرنجة الذين زاروا العراق
في تلك الحقبة ذكروها في كتبهم التي ألفوها عن رحلاتهم^(١) .

ومهما يكن من أمر تلك المطابع الحجرية فإن العراق لم ترسخ أصول الطباعة
فيه إلا منذ سنة ١٨٥٦ ، حين جلب الآباء الدومنيكيون إلى ديرهم بالموصل مطبعة
كاملة العدة ، كان لها أطيّب الأثر في نشر الثقافة .

ويقول إبراهيم حلمي إن سبب تأخر الطباعة في العراق أن العراقيين « لا يتشبهون
بم شروع ولا يعقدون شركة ولا ينشئون محلا أو غير ذلك إلا بعد أن يشاهدوا تراثها
وفوائدها بأعينهم ، ولو أدى الأمر إلى قعودهم وتأخرهم عن مجاراة الأمم الراقية ،
وبعد أن يستثمرها الأجانب ويتمكنوا من رقابهم والاستيلاء على منابع ثروتهم^(٢) » .
غير أنه يبدو لنا أن قعود العراقيين عن إنشاء المطابع ليس مرجعه طبيعة
العراقيين فقط . إن أحوال البلاد وكبت الحريات وركود الحركة الاقتصادية
وقلة عدد القارئ الكاتبين لم تكن لتشجع أفراد هذا الشعب العربي على فتح
المطابع .

ولم يبدأ العراقيون فعلا باقتناء المطابع إلا بعد أن رأوا بأعينهم الفوائد التي عادت
على بلادهم من إنشاء مطبعة الحكومة . وإن بعد البلاد عن أوربا وصعوبة مواصلاتها
كانا كذلك من العوامل الهامة التي حالت دون تقدم الطباعة في العراق .

(١) عبد الله حسين : الصحافة والصحف ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) إبراهيم حلمي : الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء ، مجلة لغة العرب السنة الثانية

١٩١٣ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

مطبعة كربلاء الحجرية

١٨٥٦

بعد أن طبعت مطبعة الميرزا باقر التفليسي كتاب دوحه الوزراء ، يبدو أنها توقفت عن كل إنتاج ، وظل القطر العراقي بلا مطبعة حتى سنة ١٨٥٦ ، أى ظل ستاوعشرين سنة يقرأ الكتب المنسوخة أو المطبوعة التي تصل إليه من الآستانة والقاهرة ، إلى أن فكر أحد الفرس في إنشاء مطبعة حجرية في مدينة كربلاء .
وأول كتاب صدر عنها يحمل تاريخ سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) . وأغلب مطبوعات تلك المطبعة كان يختص بأعمال تجارية وكتب أدعية ورسائل دينية تتعلق بزيارة عتبات أهل البيت (رضى الله عنهم) . وأفضل ما طبع فيها كتاب « مقامات الألوسي » . وتوقفت المطبعة نهائياً قبيل الحرب العالمية الأولى . وأكبر الظن أنها لم تستطع منافسة مطابع الحروف التي كثر عددها في بغداد في مطلع القرن العشرين .

مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل

١٨٥٩

كانت الموصل أول مدينة في العراق تعرف الطباعة بالحروف المتفرقة ، فقد هبط الآباء الدومنيكيون بهذه المدينة في سنة ١٨٥٦ . وجلبوا أول ما جلبوا مطبعة حجرية ، غير أنهم لم يلبثوا أن وجدوا أنها غير كافية ولن تنى بالغرض الذى من أجله أنشئت . فلم يكن منهم إلا أن ابتاعوا سنة ١٨٥٩ مطبعة حروف كاملة المعدات اعتمدوا لها مبلغاً كبيراً من المال .

وفي سنة ١٨٦٠ وهبت جمعية مدارس الشرق بباريس ستة آلاف فرنك للمطبعة ومجموعات من الحروف العربية والسريانية والفرنسية من المطبعة الأهلية

بباريس . أما الحروف الكلدانية فقد جلبت من مطبعة المرسلين الأنجليكان في بلاد الفرس :

وامتازت المطبعة الدومنيكية كذلك بأنها كانت أول مطبعة في العراق ينشأ فيها مسبك لصبب الحروف . ثم أضيف إليها قسم جديد خاص بتجليد الكتب وتذهيبها على الطريقة الأوربية الحديثة . وكان العراقيون قبل ذلك يجلدون كتبهم على الطريقة القديمة :

بيد أن أول كتاب أنتجته تلك المطبعة كان كتاباً دينياً هو « رياضة درب الصليب » سنة ١٨٦١ . ومن أشهر الذين عملوا فيها المطران إقليميس يوسف داود السرياني الموصلى .

مطبعة كامل التبريزي ببغداد

١٨٦١

وإن عدنا إلى بغداد وجدناها لا تزال خالية من المطابع ، بعد أن أغلقت مطبعة دار السلام أبوابها . وفي سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١) أسس كبير من كبراء الفرس يدعى الميرزا عباس مطبعة حجر . وكان خطاطها محمد جواد الفارسي الأصل . وهكذا نجد أن مطابع العراق الأولى كانت مطابع فارسية أو مطابع رهبان . ولم تكن بغداد ولا العراق في هذه الحقبة بحاجة إلى أكثر من هذه المطبعة لأن عدد القارئ والكاتب كان قليلاً ؛ ومع قلتهم لم تكن حالتهم المالية تسمح لهم باقتناء الكتب . لذا فقد سار النسخ جنباً إلى جنب مع الطبع إلى قرابة السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر :

المطبعة الكلدانية بالموصل

١٨٦٣

أنشأ هذه المطبعة الشماس روفائيل مازجي الآمدي في سنة ١٨٦٣، وهي أول مطبعة ينشئها عراقي . واستحضر معداتها من باريس على نفقته وزودها بحروف عربية وكلدانية وفرنسية ومسبك للحروف .

غير أن الشماس روفائيل لم يعيش طويلاً بعد إنشاء المطبعة، فقد توفي عام ١٨٦٦ بوباء الكوليرا . وكان عمال المطبعة قد تعلموا الفن المطبعي في مطبعة الآباء الدومنيكيين وأتقنوه . إلا أن المطبعة اضطرت أن تغلق أبوابها بعد وفاة مؤسسها .

تلك كانت حال الطباعة في العراق حتى سنة ١٨٦٩ . فالمطابع تفتح ثم لا تلبث أن تغلق أبوابها لقلّة عدد من كان يشتري مطبوعاتها . وإن ثبتت واحدة في الميدان — وهي مطبعة الآباء الدومنيكيين — فلأن المساعدات المالية التي تأتيها بانتظام من فرنسا تسد عجزها . ولأن الحكومة العثمانية لا تستطيع أن تضايقها نظراً لحماية فرنسا لها .

الفصل الثاني

الطباعة الرسمية تدخل الميدان

١٨٦٩ - ١٩١٨

وصل مدحت باشا إلى بغداد في الثلاثين من أبريل سنة ١٨٦٩ . وقد استدعى من أوروبا ليقوم بتنظيم العراق وإصلاحه . وقد أدى هذا الوالي للعراق خدمات جليلة ؛ فقد أكمل ما بدأ بتشيدته نامق باشا من الأبنية العامة . وأصدر صحيفة رسمية وأسس المصانع العسكرية وأمر ببناء مستشفى ودار للعجزة وملاجئ للأيتام . وأنشأ عدداً كبيراً من المدارس ومد خطاً للترام إلى الكاظمية وانتشر في عهده التعليم الابتدائي . إلا أن الباب العالي ما لبث أن توجس خيفة على نفسه إذ خشي على مركزه في العراق من جراء تلك الإصلاحات الخطيرة ؛ فما كان منه إلا أن استدعى مدحت باشا من بغداد في أوائل سنة ١٨٧٢ .

ومن آثار هذا الوالي مطبعة الولاية ببغداد التي أنشئت في سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) وهي أول مطبعة حروف ببغداد وعلى أثر افتتاح تلك المطبعة أغلقت مطبعة كامل التبريزي الحجرية أبوابها بعد أن عملت حوالى ثمانى سنوات . وكانت مطبعة الولاية تعرف أيضاً باسم مطبعة الزوراء نسبة إلى بغداد التي كانت تسمى أيضاً بهذا الاسم ، وكانت تطبع فيها صحيفة الحكومة المسماة « الزوراء » والتي أنشأها مدحت باشا في سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) .

وجلب مدحت باشا أدوات المطبعة من باريس مع مطبعة حجرية وهي أول مطبعة عراقية تدور بالبخار وتزود بالأجهزة الحديثة المختلفة . وطبعت فيها صحيفة « الزوراء » باللغتين التركية والعربية . وكان مديرها الشاعر الفيلسوف جميل صدق الزهاوى . وفي سنة ١٨٩٣ أصبح في هذه المطبعة تسع طابعات ، واحدة منها تدار بالبخار واثنان تداران باليد وأربع طابعات حجرية وآلة واحدة لتحسين الأقمشة وأخرى لعمل المظاريف . وصدرت عن تلك المطبعة في تلك الفترة « سالنامة »

الولاية باللغة التركية .

غير أنه ما لبث أن أصاب المطبعة الوهن وكادت تتوقف فاستأجرها محمد رشيد الصفار صاحب جريدة الزهور بمائة وخمسين ليرة عثمانية في السنة . واشترى لها الحروف من الآستانة ولبنان كما اشترى لها مسبكاً . وغدت في سنة ١٩١٣ من أكبر مطابع العراق شهرة وأدقها فناً .

أما مطبوعاتها فقليلة ، وهي عبارة عن بيانات رسمية وجداول حسابية ووصولات تجارية . وطبعت هذه المطبعة عدداً قليلاً من الكتب

وأحضر مدحت باشا مع مطبعة الولاية في سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) مطبعة حجرية كاملة المعدات أطلق عليها اسم مطبعة الفيلق ، وكانت تعرف أيضاً بالمطبعة العسكرية . وكانت تقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة ، وهي مطبوعات سرية لا يطلع عليها إلا كبار الضباط ، فكانت الرقابة عنيها شديدة . ويقال إنها ضمت بعد ذلك إلى مطبعة الولاية .

وأسس الوالي تحسين باشا في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) مطبعة الولاية بالموصل . وأمر بجلب آلاتها وأدواتها من الآستانة . وساهم الآباء الدومنيكيون في إدارتها فنيا . أما الناحية الإدارية البحتة فقد تولاهم مكتبى الولاية ومن يتبعه من الكتبة .

وقامت المطبعة بطبع الأوراق الرسمية والدفاتر الخاصة بأعمال الحكومة والتقويم التركية المعروفة باسم « موصل سالنامه سى » . وصحيفة الحكومة « موصل » . ولم تكن هذه المطبعة مقصورة على المطبوعات الحكومية . بل كانت تنجز أيضاً كل ما يقدمه إليها الأهالى من مطبوعات .

وطبعت مطبعة الولاية بالموصل جريدة « نينوى » لسان حال الاتحاديين العثمانيين ؛ كما طبعت جريدة « نجاح » لسان حال حزب الائتلاف ؛ وصحيفة « جكه باز » الهزلية وكانت تحرر باللغة التركية فقط .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى صادر الأتراك مطبعة الآباء الدومنيكيين بالموصل بسبب تبعيتها لدولة معادية هي فرنسا ، ونقلوا معظم أدواتها ومعداتنا وحروفها إلى مطبعة الولاية التي استطاعت أن تجيب الطلبات العديدة التي كانت تصل إليها خلال سنوات الحرب ، دون أن تشكو من أى نقص .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشأت بعض المطابع الصغيرة في العراق فقد أسس عبد الوهاب نائب الباب في بغداد سابقاً مطبعة في سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) أطلق عليها اسم المطبعة الحميدية ببغداد . وكانت مطبوعاتها على قلتها غير ذات قيمة . ولم تعيش المطبعة طويلاً لعدم الإقبال عليها وقلة العناية بها . وكانت عبارة عن طابعة حجرية واحدة .

وأسس الحاخام يهوذا بيخور في سنة ١٨٨٤ أول مطبعة إسرائيلية في العراق . وكان فيها حروف عبرية لطبع الكتب الدينية ، وحروف عربية لطبع الأوراق التجارية وبطاقات الزيارات والظروف والخطابات وما إليها . وظلت المطبعة تعمل بدون ترخيص إلى سنة ١٩٠٨ ذلك أنها كانت لا تطبع سوى كتب الطقوس الدينية . ولكن بعد أن نالت الترخيص ، اشترى لها صاحبها آلة طباعة تدار بالقدم وحروفاً عربية وفرنسية وتركية . وقد لاقى صاحبها الأمرين من قلة عدد العمال الذين يجيدون عملية صف الحروف .

وأنشأ السريان اليعاقبة بمساعدة الإنجليز مطبعة في دير الزعفران الواقع شرقي ماردين ، وكان ذلك في سنة ١٨٨٧ . وطبع في تلك المطبعة بعض الكتب الدينية بالسريانية والكردشونية . ولقلة دراية رهبان الدير بالفن المطبعي اضطروا أن يبيعوها بعد ثلاث سنوات إلى الحكومة التي نقلتها إلى ديار بكر .

وأنشأ جلي زاده محمد علي أول مطبعة بالبصرة سنة ١٨٨٩ . وكان موظفاً في دائرة الأملاك السنية . وطبعت في هذه المطبعة جريدة « البصرة » باللغتين العربية والتركية ، وكانت لسان حال الولاية . ولما نقل صاحبها إلى بيروت اشترت الحكومة المطبعة والجريدة .

وفي بغداد أسس إبراهيم باشا مدير الأملاك المدورة في سنة ١٨٩٠ مطبعة دار السلام . ولم تكن هذه المطبعة تعنى كثيراً بنشر الكتب . وقد نال أحد كتبها وهو « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » لمحمود شكرى الألوسى الجائزة الأولى في معرض أسوج الدولى . وكانت المطبعة تنشر أيضاً « دار السلام تقويمى » وهو تقويم سنوى باللغة التركية . وطبعت فيها أيضاً كتب فارسية وإعلانات وأوراق متنوعة ومنشورات مختلفة باللغات العربية والتركية والفرنسية .

وأنشأ الحاخام عزرا دنكور في بغداد سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ثاني مطبعة إسرائيلية في بغداد : واشترى أدواتها من أوروبا . وكانت من أكبر مطابع العاصمة في ذلك العصر . وطبيعي أن تهتم مطبعة دنكور بطبع الكتب العبرية والأوراق التجارية . وكانت تعنى عناية خاصة بنشر الكتب التي تدعو إلى الصهيونية . وطُبعت فيها جريدة « التفكير » لسان حال جمعية الاتحاد العثماني الإسرائيلي .

وأنشأ محمود الشابندر ، وهو من كبار تجار بغداد مطبعة أسماها مطبعة الشابندر ، وكان ذلك في سنة ١٩٠٧ وكانت معدودة من مطابع بغداد الكبرى إذ زودها صاحبها بمحركين بخاريين لإدارة بعض طابعاتها التي كانت تطبع بسرعة ثلاثة آلاف نسخة في الساعة . وكان في المطبعة حروف عربية وتركية وفارسية وفرنسية دقيقة الصنع . وكان مديرها الفني أحد الإسرائيليين العراقيين . وطُبعت تلك المطبعة كتباً وصحفاً مثل « القسطاس » و « الوجدان » و « كرمة ونرمة » .

وأنشأ جلال الدين الحسيني مطبعة النجف في سنة ١٣٢٨ هـ (١٩٠٩ م) ولكنه ما لبث أن باعها إلى محمود اليزدي الذي اشترى لها محركاً بخارياً . ولم تعش تلك المطبعة طويلاً . ولم تنتج إلا عدداً يسيراً جداً من الكتب .

وكانت مطبعة الآداب ببغداد أول مطبعة عراقية تؤسسها شركة . ففي سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تكونت شركة من كبار رجال الجعفرية وأسسوا مطبعة أطلقوا عليها اسم « مطبعة الآداب » . وأوكلوا إدارتها الفنية لفرنسيس الموصلی .

وقامت هذه المطبعة إلى جانب نشر الكتب المختلفة ، بطبع عدد كبير من الصحف والمجلات العراقية ، مثل مجلة لغة العرب للأب أنستاس ماري الكرملی ومجلة « العلم » ومجلة « الحياة » ومجلة « تنوير الأفكار » و « الرياض » و « الرصافة » و « المصباح » و « صدى بابل » و « النوادر المضحكات » . وكانت مطبوعات تلك المطبعة متمنة الطبع .

وأسس عيسى محفوظ مطبعة بالموصل في سنة ١٩١٠ واستحضر أدواتها وآلاتها من باريس . وكانت تطبع بالحروف العربية والحروف الإفرنجية . وصدرت عن تلك المطبعة صحيفة « نينوى » باللغتين العربية والتركية وجريدة « جكه باز » الهزلية باللغة التركية .

وفي خلال الحرب العالمية الأولى صادرت الحكومة التركية المطبعة مدة عشرة شهور ، وطُبعت فيها صحيفة « حقه طوغرو » أى دعوة الحق . وكانت تدعو لسياسة الأتراك باللغات التركية والعربية والفارسية والكردية .

وأنشأ سليمان الدخيل فى سنة ١٩١٠ مطبعة ليُطبع عليها جريدة « الرياض » الأسبوعية ومجلة « الحياة » الشهرية . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع بعض الكتب .

وأنشأ عبد الله الزهير جريدة « الدستور » بالبصرة فى سنة ١٩١٢ وكانت لسان حال الحزب الذى يعارض حزب الاتحاد والترقى . واشترى لها الحزب مطبعة من أوروبا .

وكانت صحيفة « العرب » فى سنة ١٩١٨ أول صحيفة عراقية تنشر صوراً مطبوعة بالزنكغراف . إلا أن الصور لم تكن واضحة مما يدل على أن هذا الفن لم يكن قد وصل إلى نتيجة مرضية .

ويلاحظ على تلك الفترة من تاريخ الطباعة فى العراق أنها امتازت بكثرة مطابع الصحف وإقدام العراقيين على افتتاح المطابع وانتشار المحركات البخارية فى إدارة المطابع الكبيرة وظهور الصور الزنكغرافية فى المجلات وتكوين الشركات لتأسيس المطابع ودور النشر . ويبدو أن نسيم الحرية الذى هب على هذا القطر العربى فى الفترة القصيرة التى نعم خلالها بولاية مدحت باشا ، حفز رجال الفكر العراقيين على العمل من أجل حرية بلادهم . وكان لابد لهؤلاء من المطابع ينشرون بها مبادئهم . ومع نسيم الحرية نشطت الحركة العتارية . وكان لابد كذلك من مطابع لطبع كل ما يحتاج إليه رجال المال والأعمال من مطبوعات . وهكذا تمكن العراق قبيل الحرب العالمية الأولى من أن يسبق سوريا فى مضممار الطباعة وأن يستغنى عن استيراد أغلب المطبوعات التى كانت تأتية من الأستانة ومن الأقطار العربية الأخرى .

الفصل الثالث

بين الحربين العالميتين

١٩١٩ - ١٩٣٩

لما انتهت الحرب العالمية الأولى قرر مؤتمر الحلفاء الذي عقد بسان ريمو في ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ انتداب بريطانيا على العراق . فما كان من الإنجليز إلا أن حكموا العراق عسكرياً وألحقوه بحكومة الهند . وكان لهذا التصرف أسوأ الأثر في نفوس العراقيين فهبوا يدافعون عن استقلالهم . وبدأت الثورة العراقية في ٣٠ مايو سنة ١٩٢٠ . وهاجم الوطنيون العراقيون الجيش البريطاني في عدة مواقع . وبعد كفاح دام خمسة شهور تمكن المحتلون من إخماد الثورة ، ولكنهم اضطروا إلى الاعتراف باستقلال العراق وتعهدوا بمساعدة العراقيين في إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة . كما اعترفوا بإلغاء الانتداب .

وفي ١١ يولية سنة ١٩٢١ رأى مجلس الشورى العراقي أن يتولى عرش العراق الملك فيصل الأول فتمحقت رغبة المجلس : ونودي به ملكاً في ٢٣ أغسطس من السنة نفسها ..

وهكذا بدأ العراق حياة جديدة فيها الشيء الكثير من الاستقرار . واستطاع بفضل جهود رجال حكومته أن ينهل من الحضارة الأوربية ما ينهض به كبلد متمدن حتمًا . فأنشأ المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . وأسس الجامعة العراقية بمختلف كلياتها . ونشطت الحركة التجارية مع الخارج وأنشئت بعض الصناعات . وأخذ البترول العراقي يغزو أسواق العالم . وانتشر العمران شيئاً فشيئاً في أنحاء البلاد . وتألقت الأحزاب وتعددت الصحف السياسية والمجلات العلمية والأدبية . وكان لا بد للطباعة أن تتجاوب مع هذا النشاط الذي دب في أرجاء العراق .

وقد رأينا في الفصل السابق كيف بدأت الطباعة تتقدم في هذا البلد العربي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكيف ازداد عدد المطابع فيه . غير أن الحرب العالمية الأولى ما لبثت أن أصابت هذا الفن في العراق بنكسة ، لعدم ورود

الورق وقطع الغيار : واضطرت بعض المطابع إلى إغلاق أبوابها واستمرت مطابع أخرى تشتغل يوماً وتتعطل أياماً حتى انتهت الحرب فتتنفس الناس الصعداء وبدأوا يتطلعون إلى مستقبل زاهر : غير أن الثورة ما لبثت أن اندلعت ، وهب العراقيون يدافعون عن كياناتهم ضد المحتل الجديد . وتوقفت حركة الإصلاح بعض الوقت . وعندما استتب الأمر عكف العراقيون حكومة وشعباً على بناء صرح دولة جديدة . وكان من الطبيعي أن تساهم الطباعة في هذه الحركة ، فأخذت المطابع تنتشر هنا وهناك ، وبدأت المطابع القديمة تجدد نفسها وتزود بأدوات حديثة استوردتها من المصانع الأوربية . واختفت مطابع وظهرت مطابع .

واستطاع الرهبان الدومنيكيون بفضل التعويضات التي أخذوها من حكومة الاحتلال البريطاني أن يعيدوا بناء مدرستهم . ولكن لم يبذلوا أى مجهود لإعادة تشغيل مطبعتهم بالموصل .

أما مطبعة الحكومة بالموصل فقد جدد قسم كبير منها ، وجلبت إليها طابعات وحروف جديدة .

وأعاد الإنجليز مطبعة « نينوى » بالموصل إلى صاحبها فطبعت في عهدها الجديد صحيفة « صدى الجمهورية » ، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع المطبوعات التجارية وأغلفة السجائر . واشتهر صاحبها بفن الحفر والذوق السليم ، مما رفع شأن مطبعته وجعلها تتبوأ المركز اللائق بها بين مطابع العراق . وفي هذه المطبعة طبعت مجلة « النادي العلمي » وكانت تصدر بالموصل بعد أن احتلها الإنجليز .

وفي الثامن عشر من شهر أبريل سنة ١٩١٧ تأسست مطبعة الحكومة ببغداد وعيّن لها مدير إنجليزي . وكانت ميزانيتها في تلك السنة ١٣٢٤٩٨ روبية . ولم يتجاوز عدد عمالها الثلاثين . وتقع المطبعة إلى جوار مبنى مديرية الآثار القديمة ببغداد . وتأسست بالنجف سنة ١٩٢٢ المطبعة العلوية بعد محاولات بدأت قبل الحرب . وكان هدف المطبعة نشر العلوم والآداب العربية وإحياء آثار السلف . وقد خرج من تلك المطبعة عدد كبير من المؤلفات القديمة والحديثة : وطُبعت فيها جريدة « النجف » وكان يعاب على تلك المطبعة افتقارها إلى الحروف المشكلة .

وفي تلك السنة أسس المطران جورج دلال المطبعة السريانية لطبع المنشورات الدينية ونشر الكتب القديمة والكتب المدرسية والمجلات والكتب الدينية التي تبث الورع والتقوى ومحبة القريب . وقامت الكنيسة السريانية ببغداد بإدارتها . وتعتبر من مطابع الدرجة الثانية ببغداد .

وانتشرت المطابع في العاصمة العراقية انتشاراً سريعاً . ونذكر من تلك المطابع « مطبعة العراق » وقد زودت بأحدث آلات الطباعة التي تدار بالكهرباء وبحروف عربية وإفريقية وآلات خاصة للقص والتصنيف . وشب حريق فيها سنة ١٩٢٣ فالتهم جزءاً كبيراً من الملازم المطبوعة والمعدة للطبع . وكانت المطبعة في شارع الأكمخانة ببغداد . ومن مطبوعاتها « تقويم العراق » .

وكان يوجد في بغداد عدا تلك المطبعة ومطبعة الحكومة ، مطبعة دار السلام والمطبعة السريانية الكاثوليكية والمطبعة الوطنية ومطبعة دنكور والفلاح ومطبعة شركة تايمس أوف ميزوبوتاميا ومطبعة شوع بيخور ومطبعة الزهور . وهو عدد لا بأس به بالقياس إلى حالة العراق في تلك الحقبة من تاريخه .

وتأسست في تلك الفترة بمدينة البصرة مطبعة شركة تايمس أوف ميزوبوتاميا ، وهي فرع المركز الأساسي لتلك الشركة ببغداد . وكانت تطبع بالإنجليزية والعربية . وفي حوالي سنة ١٩٢٥ أنشأت الحكومة العراقية مطبعة المساحة وزودتها بطابعات أوفست كانت الأولى من نوعها في العراق .

وتأسست مطبعة التفيض في بغداد في ١١ أغسطس سنة ١٩٢٧ وهي تابعة لجمعية التفيض الأهلية الخيرية ببغداد . وقامت المطبعة في أول أمرها بطبع المطبوعات التجارية . وفي سنة ١٩٣٩ جلبت لها آلة لينوتيب واحدة لتنضيد الحروف العربية والإنجليزية . وكانت المطبعة تستورد ورقها من السويد رأساً . وجميع آلاتها تدار بالكهرباء .

ومن مطابع العراق المعروفة « مطبعة دار الشعب » التي يملكها جبران ملكون والسيدة أليس عيسى قدوري وقد تم تسجيلها في سنة ١٩٣٠ : و « مطبعة الأهالي » لكامل الجاوري ، وقد أنشئت في سنة ١٩٣١ ، ومطبعة الأعظمي التي أسسها محمد صالح الأعظمي ، وقد وافقت الحكومة على فتحها في سنة ١٩٣٦ .

لقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الطباعة في العراق بظهور مطابع حديثة يقتنى بعضها آلات اللينوتيب ويدور عدد كبير من طابعاتها بالمحركات الكهربائية . كما تميزت بظهور المطابع الكبرى . إلا أن مستوى فن الطباعة ظل دون المستوى الذى وصل إليه فى كل من مصر ولبنان . ويعود ذلك إلى الحكومة التى لم تهتم اهتماماً كافياً بتطوير هذا الفن وتدريب العراقيين عليه بإرسالهم إلى الخارج أو باستقدام الخبراء من مصر ولبنان أو من أوروبا لهذا الغرض .

الفصل الرابع

ظهور المطابع الكبرى

١٩٤٠ - ١٩٥٨

لم تصب الطباعة في العراق خلال الحرب العالمية الثانية بما أصيبت به في الحرب العالمية الأولى . وكل ما في الأمر أنه انتقطع ورود الآلات الطباعية الجديدة وقطع الغيار وارتفعت أسعار الورق . إلا أن الرخاء الذي عمّ البلاد في تلك الفترة شمل المطابع أيضاً ، فزادت الطلبات عليها زيادة كبيرة . وما كادت الحرب تنهى حتى خف أصحاب المطابع القديمة يستوردون الآلات الحديثة . وأسست مطابع جديدة قبل نهاية الحرب وبعدها ، نذكر منها شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ومطبعة شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة وشركة التجارة والطباعة المحدودة ومطبعة بغداد ومطبعة الأوقات العراقية وتمتلكها شركة التايمس للطبع والنشر .

وأسس شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ببغداد السيد عبد الفتاح إبراهيم ، وكان ذلك في سنة ١٩٤٤ . وكان صاحبها يملك مكتبة ثم رأى أن يضم إليها مطبعة لنشر الكتب التي يؤلفها الشباب العراقي المثقف . فكوّن شركة مساهمة اشترى جزءاً كبيراً من أسهمها . ويدير آلات المطبعة المختلفة والحديثة الصنع المحركات الكهربائية وزودت المطبعة بآلة لينوتيب لصف الحروف العربية والإنجليزية . ويعمل فيها حوالي ثلاثين عاملاً . والمطبعة مبنی خاص حديث تتوافر فيه جميع الشروط الصحية . وطبعت فيها صحيفة « الشعب » اليومية ، ومجلة « الفنان » الشهرية أو « البعث العربي » نصف الشهرية و « الأم والطفل » الشهرية ، و « نشرة دار الإذاعة العراقية » الشهرية ، ومجلة « سومر » وتصدر مرتين في السنة ، وهي مجلة تبحث في الآثار القديمة . هذا عدا المنشورات المختلفة والكراريس والمطبوعات التجارية والكتب .

وفي سنة ١٩٤٤ أيضاً أنشأ السيد جعفر حمندی مطبعة شركة النشر والطباعة

العراقية المحدودة ببغداد : وكان الغرض من إنشائها توسيع حركة النشر . وتقع المطبعة في محلة سعدون ، خلف مدرسة الشرطة ببغداد . وتقوم بطبع الكتب والمجلات . واقتنت آلي لينوتيب وطابعات إنجليزية وأمريكية وألمانية من أحدث طراز . أما قسم التصوير والحفر على الزنك والنحاس فقد جهز بأحدث الآلات :

وأسس المحامي أنور شاوول شركة التجارة والطباعة المحدودة في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وكان هو في الوقت نفسه مديرها المفوض . وتشغل المطبعة بناء حديثاً تتوفر فيه وسائل الإضاءة والتهوية . وفي المطبعة آلة لينوتيب تنضد بها الحروف العربية والإنجليزية . وكان الغرض من إنشاء تلك المطبعة تجارياً . ولكنها نشرت في الوقت نفسه كتباً أدبية وتاريخية وعلمية ومدرسية . وطبعت مجلة « القضاء » ومجلة « غرفة التجارة » .

وفي سنة ١٩٤٨ أنشأ موسى حبيب مطبعة بغداد لطبع صحيفة كان يزعم إصدارها وأهم مطبوعات تلك المطبعة الكتب المدرسية المختلفة وأشرف صاحبها عليها وأدارها وصحح تجاربها . وفي المطبعة آلة لينوتيب واحدة لتنضيد الحروف العربية والإنجليزية .

وفي سنة ١٩٤٩ تأسست مطبعة الأوقات العراقية وتعتبر من أكبر مطابع بغداد وأحدثها معدات .

وعلى الرغم من حداثة عهد العراقيين بفن الحفر على الزنك والنحاس ، فقد توصلوا إلى نتائج لا بأس بها . ولا شك في أنهم سيملكون أعنة هذا الفن الرفيع إن هم استعانوا بخبرة أصحابه في مصر ولبنان وأوروبا .

الفصل الخامس

نحو مستقبل أفضل

١٩٥٨ - ١٩٦٥

كان الاقتصاد الوطني حتى ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ قائماً على أساس صرف عوائد النفط في الوجوه الإنشائية الاستهلاكية . وكان الغرض من هذه الخطة التي وضعت بكل إحكام منع العراق من النهوض اقتصادياً وصناعياً والحيلولة بين الثورة الصناعية ودخولها العراق .

وإذا انتقلنا إلى مجال التعليم والفكر وجدنا أصحاب الأمر في عراق قبل الثورة قد ربطوا الشعب ببرامج وضعها المستعمرون أو الرجعيون الضالعون معهم . وكان أخص خصائص هذه البرامج منع ظهور أية روح خلاقة بين الشباب ، تعمل على النهوض ببلادها ومواكبة الركب الذي بدأ يحث الخطى في عدد كبير من البلاد النامية بعد الحرب العالمية الثانية . وطبعي أن يكون إنتاج المطابع مسائراً للسياسة الرسمية ، وألا تزدهر المطابع إلا في الحدود التي رسمت لها .

ثم قامت ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ محطمة هذا النظام الجامد الذي فرض على العراقيين فرضاً ، وبدأ الأحرار يتطلعون إلى مستقبل مشرق يعمل فيه الناس جميعاً لمصلحة الوطن ورخائه . إلا أن الأمور لم تسر للأسف في الطريق التي شقت لها ؛ فقد صدر قانون الإصلاح الزراعي ، ولكنه لم يأت بالثمر المرجوة بسبب الصراع الدامي الذي نشب بين أبناء العراق بعد الثورة .

بيد أن الحكومة - وهذا هو الوضع في البلاد - لم تتمكن من الاهتمام بصناعة الطباعة والعناية بها . ولم يحاول الأفراد من جهتهم عمل شيء يدفع عجلة الطباعة إلى الأمام ، وغاية ما حدث في هذه الآونة أن قررت وزارة الصناعة تأليف لجنة تمثل فيها كل من وزارة الإرشاد والمالية والتجارة ومديرية تنمية الصناعات الأهلية العامة واتحاد الصناعات العام وغرفة تجارة بغداد ونقابة عمال ومستخدمى المطابع ، وذلك

لدراسة إمكانيات المطابع العراقية للقيام بعمل وطبع علب الكرتون والماركات والصكوك والمستندات والمؤلفات والتراجم تمهيداً لحماية هذه الصناعة الوطنية من المزاحمة الخارجية ^(١) . وأدت هذه السياسة التي انتهجها العراق الرسمي إلى خفض عدد الكتب المصدرة إليه فبلغت قيمتها ١٥ ألف جنيه في سنة ١٩٦٢ مقابل ٥١ ألفاً سنة ١٩٦١ و ٦٠ ألفاً سنة ١٩٦٠ ، وكانت قد سجلت رقماً قياسياً في سنة ١٩٥٨ فبلغت ١٠٧ آلاف جنيه ^(٢) . غير أن الإقلال من استيراد الكتب من خارج العراق ومن الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة ، لم يؤثر بشكل محسوس على الطباعة في هذا البلد العربي ، لا من حيث الكم ، ولا من حيث الكيف ، ذلك أن الحكومة قد انشغلت ابتداء من أول مارس ١٩٦١ بالثورة التي أشعلها الأكراد في لواء أربيل وبالمطالبة بضم إمارة الكويت إلى العراق .

بيد أن عدم استقرار الأحوال لا يشجع الأفراد على القيام بأي مشروع جديد ، وهكذا كتب على الطباعة أن تقف مكانها لا تتطور لتتجاوب مع التطور الذي أصابها في بلاد عربية أخرى .

كان لابد إذن من ثورة تقوم بانحراف ثورة ١٤ تموز . وقد قامت هذه الثورة في ٨ فبراير ١٩٦٣ (ثورة ١٤ رمضان) وقضت على جميع من أساء إلى العراق في هذه الفترة الحرجة من تاريخه . غير أن الأمر لم يستتب تماماً إلا بعد قيام ثورة ١٨ تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٦٣ وتولى الرئيس عبد السلام عارف زمام الحكم في البلاد . وقد أعادت ثورة تشرين الثاني النظر في قانون الإصلاح الزراعي وأصدرت عدة قوانين تكفل عدالة توزيع الأراضي . وفي ١٤ تموز (يولية) ١٩٦٤ صدرت أول قوانين تمهد الطريق للسير نحو الاشتراكية تحقيقاً لإرادة الشعب ، فأمنت جميع البنوك وشركات التأمين كما أمنت كبريات الشركات الرأسمالية الخاصة بصناعات الأسمنت ومواد البناء وبعض شركات الغزل والنسيج والسجاد والبحوث والزيوت . . . كما صدر قانون يحظر أن يمتلك الفرد في أية شركة مساهمة مضي على تأسيسها خمس سنوات أسهماً تزيد قيمتها الاسمية على عشرة آلاف دينار .

(١) مجلة الطباعة ، العدد الخامس ١٩٦٠ ، ص ٣٦ .

(٢) أحمد فوزي : ثورة ١٤ رمضان ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٢ .

واهتمت الحكومة العراقية بالتعليم اهتماماً كبيراً . ويوجد في العراق اليوم عدا جامعة بغداد ، ٢٤٧ مدرسة ثانوية منها ٧٧ مدرسة للبنات وعدد طلبتها وطالباتها ٧٣٩١١ . أما المدارس الابتدائية فعددتها ٢٣٣٩ مدرسة منها ٨٠١ مدرسة للتعليم المختلط ويبلغ عدد تلاميذها نصف مليون تلميذ .

وفي مجال السينما والمسرح والفن التشكيلي بدأ العراق بخطوات لا بأس بها ، ولو أنها في حاجة إلى شيء كثير من التدعيم^(١) .

وتتضمن الخطة الخمسية الأولى في العراق تنفيذ ١٨ مصنعاً جديداً تتكلف حوالي ١٨٠ مليون دينار وتؤدي إلى تشغيل حوالي ٥٠ ألف عامل^(٢) .

وكان لابد لهذه النهضة التي شملت جميع المجالات في هذا البلد العربي من أن تصاحبها نهضة طباعية . فقد بلغ عدد المطابع الحكومية ستة . أما المطابع الأهلية ، فقد وصل عددها إلى ١٤٦ مطبعة . وفي العراق اليوم طباعة ملساء (أوفست) وورش لحفر الأنماط الخطية والظلية (الكليشيات) وطابعتان دوارتان (روتاتيف) لطبع الجرائد ، فضلا عن آلات الجمع اللينوتيب والأنترتيب (الجمع السطري) وآلات المونوتيب التي اقتناها عدد كبير من دور الطباعة في بغداد والبصرة والموصل .

وشجع هذه النهضة المطبعية وجود ٣٥ مجلة تصدر في بغداد منها نصف الأسبوعية والأسبوعية والشهرية والفصلية ، و ١٦ مجلة تصدر في الألوية . ومن هذه المجلات ما يحرر بالفارسية والتركية والكردية والإنجليزية . ويصدر في بغداد خمس صحف يومية تحرر جميعها بالعربية ما عدا واحدة تحرر باللغة الإنجليزية .

(١) راجع مقال الأستاذ مصطفى إبراهيم مصطفى : حول الحركة الفنية في الجمهورية العراقية . جريدة الأهرام في ٢٩ مايو ١٩٦٥ .
(٢) من حديث للسيد أديب الجادر وزير الصناعة العراقي ، أدلى به لمراسل جريدة الأخبار في ٢٨ فبراير سنة ١٩٦٥ .

خاتمة

يبدو لنا من هذه الدراسة الوجيزة أن الطباعة في العراق بدأت تتقدم من جديد بفضل الإنجازات التي تمت أخيراً ؛ ولا شك أن الدولة ستدخل الطباعة في حسابها في خطط التنمية التي تقوم بإعدادها ، فتنشئ المراكز لتدريب العمال على هذه الصناعة الدقيقة كما ترسل البعث إلى الدول العربية الشقيقة التي قطعت أشواطاً بعيدة في هذا المضمار .

لقد خططت الطباعة في العراق خطوات مباركة من حيث الكم . فبعد أن كانت المطابع لا تتجاوز عدد أصابع اليدين في نهاية الحكم العثماني ، أصبح عددها في سنة ١٩٥٢ مائة وإحدى وعشرة مطبعة ، وهو اليوم في سنة ١٩٦٥ مائة وست وأربعون مطبعة^(١) ، وهي زيادة لا بأس بها إن قدرنا الظروف العصيبة التي مر بها هذا البلد العربي في تاريخه القريب .

(١) وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد ، مديرية الاستعلامات العامة ، خطاب رقم ٥٤٢٢ بتاريخ ١٩٦٥/٣/٢٣ إلى سفارة الجمهورية العراقية ، الدائرة الثقافية بالقاهرة .

البابُ التاسعُ
الطباعة في فلسطين العربية
والأردن واليمن والسعودية

الفصل الأول

فلسطين

١٨٣٠ - ١٩٦٥

إن تمتع فلسطين بمركز ديني ممتاز جعلها قبلة لأتباع الديانات السماوية . فكان يحج إليها آلاف المساميين والمسيحيين واليهود حاملين معهم النذور والهبات ليقدموها إلى مختلف المؤسسات الدينية .

وقد عرفت فلسطين الطباعة على أيدي اليهود ، وكان ذلك في سنة ١٨٣٠ (١) حين أنشأ نسيم باق مطبعة في القدس لطبع الكتب الدينية اليهودية . وكانت مطبوعات تلك المطبعة باللغة العبرية . وصادفت نجاحاً كبيراً على الرغم من منافسة الناسخين الذين رفضوا التسليم بالأمر الواقع ومضوا يقاومون الطباعة في القدس فترة طويلة ، ولكنهم اضطروا في نهاية الأمر إلى الرضوخ والكف عن تلك المقاومة غير المجدية . وهكذا انتصرت الطباعة في الأرض المقدسة وأخذت تنتشر شيئاً فشيئاً .

وظلت القدس حوالي ست عشرة سنة مكتفية بمطبعة نسيم باق . ثم رأى الرهبان الفرنسييسكانيون أن رسالتهم لن يكتب لها سعة الانتشار إلا إذا أسسوا مطبعة تساعدتهم على بث تعاليمهم بين المسيحيين المنتشرين في فلسطين والبلاد العربية المجاورة لها . ويمكن أن يقال إن القدس عرفت الطباعة المتقنة بفضل جهود هؤلاء الرهبان ، وإن الطباعة لم ترسخ في الأراضي المقدسة قبل إنشاء تلك المطبعة .

قام بتأسيس مطبعة الفرنسييسكان في سنة ١٨٤٦ راهب نمساوي يدعى فرتخنر Frotchner بتشجيع الإمبراطور فرانسوا جوزيف الأول (٢) . ولم يمض وقت طويل حتى استكملت هذه المطبعة معداتها . وكان أول كتاب لها « التعليم المسيحي بالإيطالية والعربية » . وقد جلبت أدواتها جميعاً من النمسا بما في ذلك الحروف .

(١) شاهين مكاريوس : المعارف في سوريا ، مجلة المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، أزار سنة ١٨٨٣ .

(٢) S. Ronzevalle S.J. : L'Imp. Cath. de Beyrouth et son œuvre en Orient, 1853 (٢) 1903, Relations d'Orient An 1903, p. 12.

DIZIONARIO ITALIANO-ARABO

CON AGGIUNTA
DI UN COPIOSISSIMO INDICE ALFABETICO
DELLE VOCI ARABE

PER CURA
D'UN RELIGIOSO FRANCESCO
DI TERRA SANTA



GERUSALEMME
TIPOGRAFIA DEI PADRI FRANCESCANI
1878

قاموس إيطالي عربي مطبوع في مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين بالقدس سنة ١٨٧٨

ثم تبين للمشرفين على المطبعة أن الحروف المسبوكة في المطبعة الكاثوليكية ببيروت أجمل وأوضح : فكفوا عن استيراد الحروف من النمسا وولوا وجههم شطر بيروت حيث ظالموا يستوردون الحروف فترة طويلة من الزمن :

وكان الرهبان الفرنسييسكانيون يزودونها بين الحين والآخر بأدوات الطباعة الحديثة ، وكان فيها قسم للطباعة الحجرية . ولما اتسعت أعمال المطبعة رأى المشرفون عليها أن ينشئوا فيها قسماً لسبك الحروف ليستغنوا به عن مسابك بيروت وليزودوا مطابع فلسطين بحروفه . وأضيف إلى المطبعة قسم للتجليد زود بأحدث الآلات . وجلبت المطبعة محركات بخارية لإدارة طابعاتها الكبيرة ثم استبدلتها بمحركات تدور بالبترول وحلت محل الأخيرة محركات تدور بالكهرباء .

وجددت المطبعة آلاتها في سنة ١٩٠٠ وأدخلت الطريقة الحديثة في سبك الحروف . وكانت المطبعة تنشر كتباً بالعربية والتركية والأرمنية والعبرية واليونانية والفرنسية والإيطالية .

وحذا حذو الرهبان الفرنسييسكانيين في سنة ١٨٤٨ جماعة من الإنجليز أسسوا مطبعة بالقدس أسموها مطبعة لندن لانتشار الإنجيل بين اليهود . وأنشأ الأرمن في السنة نفسها مطبعة وضعوها بديرهم المجاور لجبل صهيون وجميع كتب تلك المطبعة باللغة الأرمنية أو بالتركية ولكن بالحرف الأرمني . وعلى الرغم من قلة نشاطها فقد عاشت أكثر من أربعين سنة :

وفي سنة ١٨٤٩ أنشأت جمعية القبر المقدس اليونانية مطبعة وضعتها في مقر البطريركية . وقد عاشت إلى أن بلغت القرن العشرين على الرغم من أن إدارتها ظلت على ما هي عليه من القدم . ونشرت عدداً من الكتب الكنسية والمدروسة وبعض الكتب باللغة اليونانية . وكان لابد لمثل هذه المطبعة وسواها في القدس أن تختفى لعدم مسايرتها للتطور الذي أصاب الفن المطبعي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر :

ولم يكتف اليهود بمطبعة نسيم باق بل أتبعوها بمطبعة أخرى أسسها داوود ساسون سنة ١٨٥٠ . إلا أن هذه المطبعة وغيرها من المطابع اليهودية التي أنشئت

بعدها كانت بدائية ولم يكن يتجاوز عدد عمالها الثلاثة على أكثر تقدير .
 وأنشأ موسى شولن مطبعة لطبع صحيفة بالعبرية تدعى البصلة . وكانت تعبر
 عن رأى اليهود التلموديين ، وظلت تعمل إلى حوالى سنة ١٨٨٥ . وفى سنة ١٨٦٥
 أسس أحد اليهود ويدعى إسحق كويشنا صحيفة عبرية دعاها « شارسيون » وجلب
 لها مطبعة خاصة تقوم بطبعها . ويبدو أن هذه المطبعة تعطلت قبل سنة ١٩٠٢ .
 وأنشأ أحد اليهود الروس واسمه لنكر Luncz مطبعة طبع فيها بعض الكتب
 العلمية ومجلة « أورشليم » . وأسس اليهودى فرمكى فى سنة ١٨٧٠ مطبعة صغيرة
 لنشر جريدة بالعبرية تدعى « حباسيليت » . وأكبر الظن أنها توقفت عن العمل
 كسواها من المطابع اليهودية الصغيرة . وفى سنة ١٨٨٢ افتتح يهودى اسمه هاى
 جاجين مطبعة لطبع الكتب العبرية .

وأخر مطبعة يهودية أنشئت بالقدس فى القرن التاسع عشر هى مطبعة ابن يهوذا
 وهو يهودى روسى أسس مطبعته فى سنة ١٨٩٠ ونشر صحيفة « النور » . وكان
 ابن يهوذا كاتباً متحرراً . وكان هدفه تعريف أبناء ملته بالتطورات الفكرية
 الجديدة التى حدثت فى العالم المتمدن فخاف رجال دينه من خطر هذه الأفكار
 الجديدة وسعوا به لدى الحكومة حتى عطلت جريدته . ولكن ابن يهوذا لم يسلم
 بالهزيمة فضى يكافح حتى تمكن من الحصول على ترخيص بإنشاء جريدة بدلا
 من المعطلة أطلق عليها اسم « المحاسن » . ونشرت مطبعته عدداً لا بأس به من
 الكتب المدرسية لتعليم أبناء اليهود القراءة والتاريخ والجغرافيا . وقام صاحب المطبعة
 بتأليف معجم كبير باللغة العبرية .

ويستطيع المؤرخ أن يربط بين كثرة عدد هذه المطابع اليهودية فى فلسطين
 فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والحركة الصهيونية التى بدأت فى هذه
 الحقبة مستغلة الاضطهاد الذى وقع على اليهود فى بعض بلاد شرق أوروبا . إلا أن
 هذه المطابع على كثرتها النسبية لم تكن فى مستوى مطبعة الرهبان الفرنسيسكانيين .
 ويبدو أن اليهود خارج فلسطين المؤمنين بالدعوة الصهيونية لم يكونوا قد فطنوا بعد إلى
 أهمية هذه الآلة الإعلامية أو أنهم فضلوا أن يركزوا دعايتهم أولاً على شعوب أوروبا
 وأمريكا قبل أن يوجهوها إلى يهود فلسطين أنفسهم .

وطبيعي ألا تزدهر المطابع اليهودية في فلسطين خلال تلك الفترة ، ذلك أن أغلب اليهود هناك كانوا في مستوى اجتماعي يعتبر القراءة والكتابة شيئاً يمكن الاستغناء عنه . وكان الذين يقرءون ويكتبون يكتفون باقتناء الكتب الدينية وبيالغون في العناية بها وحفظها من التلف ليتوارثوها . يضاف إلى ذلك أن استهلاك هذه الكتب كان محلياً أي أنه لم يكن يتجاوز الأراضي الفلسطينية إلا في الحالات النادرة .

وهكذا ظلت المطابع اليهودية في حالة من التأخر إلى أن برزت مشكلة الصهيونية بوضوح عقب الحرب العالمية مباشرة . وبدأ اليهود ينظمون صفوفهم مطالبين بوطن قومي يجمع شملهم ويحول بينهم وبين الاضطهاد العنصري على حد قولهم .

أما المطابع العربية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر فكانت مطابع صغيرة لا تعنى إلا بنشر الكتب الدينية مثلها في ذلك مثل مطبعة المسلمين الكنائسية الإنجيلية التي أنشئت في سنة ١٨٧٩ .

وأنشأ ألفونس أنطون الونصو « المطبعة الوطنية » في أواخر القرن الماضي وهي في مستوى « مطبعة حنانيا » التي أنشئت في ذات العهد .

ولم تحاول الحكومة العثمانية أن تنشئ مطبعة رسمية في هذا القطر أسوة بما فعلته في الأقطار العربية الأخرى الواقعة تحت حكمها .

وظلت المطابع في القدس خاصة وفي فلسطين عامة على ما هي عليه من تأخر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى هذا إذا استثنينا مطبعة الرهبان الفرنسيين . ولكن إذا قارنا بين حالة الطباعة في فلسطين في تلك الحقبة من تاريخها بحالة الطباعة في سوريا ، لاحظنا أن الطباعة في القطر الأول تمتاز عن حالتها في القطر الثاني . فقد كان عدد مطابع القدس وحدها لا يقل عن إحدى عشرة مطبعة بينما لم تتجاوز المطابع في سوريا نصف هذا العدد .

غير أن هذا التفوق النسبي الذي تمتعت به فلسطين في الطباعة لم يلبث أن زال بسبب الحن التي نزلت بهذا القطر العربي الشقيق عقب التصريح الذي أدلى به اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى اللورد روتشلد عن رضى بريطانيا على المشروع الذي يراد به أن ينشأ في فلسطين وطن قومي لليهود . واتفق الرأي فيما بين زعماء الصهيونية على المطالبة بإنشاء جمهورية يهودية

فى فلسطين تحت وصاية عصبة الأمم . وهب العرب يقاومون هذا المشروع وغدت فلسطين ميدان قتال منذ سنة ١٩٢٠ . واشتد الكفاح فى أغسطس سنة ١٩٢٩ .

وفى سنة ١٩٣٦ قام العرب فى فلسطين بثورة ضد الإنجليز ظلت مشتعلة حتى عام ١٩٣٩ . وبعد ذلك بست سنوات تشكلت لجنة بريطانية أمريكية للدراسة قضية فلسطين . وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ أعلن الصهيونيون إنشاء دولة إسرائيل بمساعدة أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا .

وإن عدم الاستقرار الذى لازم القطر العربى الشقيق منذ الحرب العالمية الأولى جعل الطباعة فيه تتخلف عن الركب . لقد ترك الفلسطينيون العرب كل شىء وهبوا يدافعون عن أوطانهم . وأصيبت البلاد بنكسة ما زالت تعاني آثارها حتى اليوم .

ولكن الصهيونيين استطاعوا بفضل مساعدات بعض دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أن ينشئوا المطابع الحديثة لصحفهم وكتبهم التى يحررونها بالعبرية والفرنسية والإنجليزية . وفى تل أبيب والقدس المحتلة اليوم مطابع حديثة تخرج مختلف أنواع المطبوعات .

الفصل الثاني

الأردن

١٩٢٢ - ١٩٦٥

لم يكن لهذه الدولة وجود قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد أصبحت جزءاً من سوريا في العهد الفيصلي . ولما اضطر الملك فيصل الأول إلى الانسحاب من سوريا احتل البريطانيون شرق الأردن وأقاموا فيه حكومة عربية تحت الانتداب البريطاني وولوا عليها الأمير عبد الله . وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت تلك الإمارة مملكة . وأول مطبعة أنشئت في هذه البلاد هي مطبعة خليل نصر . وكانت قد أسست في حيفا سنة ١٩٠٩ ثم نقلت سنة ١٩٢٢ إلى عمان لتطبع عليها جريدة « الأردن » ، وهي أول جريدة تصدر في هذا القطر العربي . وقد احتلت تلك المطبعة منذ تأسيسها المبني الذي أنشئ لها خصيصاً في طريق السلطة . وتقوم المطبعة بإنجاز مطبوعات الحكومة والجيش والمطبوعات التجارية والكتب والجرائد والمجلات . وقد انتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة صاحبها إلى ورثته^١ وزودت بقسم للزناكغراف .

وظلت مطبعة خليل نصر وحدها في الميدان زهاء أربع سنوات ، ثم زاملتها مطبعة حكومة الشرق العربي في سنة ١٩٢٥ . وفي سنة ١٩٢٦ أنشئت المطبعة الوطنية لصاحبها محمد نوري السمان . وحفره إلى إنشاء مطبعته ندرة المطابع في شرق الأردن . وقامت هذه المطبعة بطبع المطبوعات التجارية والحكومية والجريدة الرسمية وأكثر الصحف المحلية ، مثل صحيفة « الجزيرة » وصحيفة « صدى العرب » وصحيفة « الميثاق » و « الجامعة الإسلامية » ونشرة وكالة الأنباء العربية و « النسر » و « النشرة التجارية » و « الأخبار » و « الحوادث » و « الديار المقدسة » و « صوت الحق » و « التعاون الثقافي » .

ورابع مطبعة أنشئت في المملكة الأردنية الهاشمية هي مطبعة الاستقلال العربي . فقد أنشأها جودت شعشاعة سنة ١٩٣٢ واختار لها مقراً يقع في طريق

وادی السير . وقامت في وقت من الأوقات بطبع الجريدة الرسمية وجريدة « الوفا » و « النهضة » و « الجهاد » و « فلسطين » ومجلة « الأردن الجديدة » و « حول العالم » والكتب المدرسية والمطبوعات الحكومية والتجارية . وتولى المطبعة في عهدها الأول شير شوري^(١) .

وتوجد في الأردن مطابع أخرى قليلة الأهمية . إلا أن هذا القطر لا يزال يعتمد على البلاد العربية المجاورة في استيراد الكتب المدرسية والعلمية والأدبية . أما مطبوعاته فإنها تستهلك محلياً ولا يصدر منها شيء إلى الخارج .

وبانتشار التعليم في ربوع تلك البلاد وتقدم الصحافة وانتعاش الاقتصاد ارتقى فن الطباعة فيها وازدهر فقد بلغت نسبة القارئین الکاتبین فی هذا البلد العربی ٨٥ ٪ من السكان حسب النشرة الإحصائية الرسمية وإحصائية الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية عام ١٩٦٢ ، وهي نسبة مرتفعة : ويبلغ عدد المطابع في الأردن اليوم ١٠٦ مطبعة موزعة على ألویتته . ويصدر في هذا القطر العربی أربع صحف عربية يومية صحيفة يومية بالإنجليزية متقنة الطبع واضحة الحروف والصور والرسوم بالإضافة إلى خمس صحف أسبوعية عربية وثلاث مجلات نصف شهرية . هذا عدا النشرات الدورية التي تصدر عن اذیئات المختلفة : وفي الأردن مطابع حديثة تم تزويد عدد منها بأقسام للجمع الآلى منذ سنة ١٩٥٧ . ولن يمضى وقت طويل إلا وتتمكن مطابع عمان والقدس من إخراج المطبوعات الملونة المتقنة^(٢) .

(١) استقینا هذه المعلومات من میادة المطران میخائیل عساف رئیس أساقفة الروم الكاثولیک فی الأردن .

(٢) زودنا بهذه المعلومات القيمة السيد هانی خصاونة مدیر مكتب الاعلام بسفارة المملكة الأردنية الهاشمية بالقاهرة .

الفصل الثالث

اليمن

١٨٧٧ - ١٩٦٥

كانت اليمن قبل الحرب العالمية الأولى جزءاً من الإمبراطورية العثمانية إلى أن قام الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بثورة على الحكم التركي سنة ١٩١٠ ، فاجتاح على رأس أتباعه أكثر بلاد اليمن واحتل صنعاء العاصمة . ولكن الأتراك أرسلوا إلى الثائرين جيشاً بقيادة الفريق عزت باشا . وبعد قتال عنيف اضطر الإمام إلى الجلاء عن العاصمة ومفاوضة الأتراك الذين قبلوا أن يعقدوا معاهدة معه اعترفوا فيها بالاستقلال الداخلى لليمن . ولما قامت الحرب العالمية الأولى جلت القوات التركية عن البلاد وأصبح الإمام حاكمها المطلق واستقلت استقلالاً تاماً اعترف به الأتراك في معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ .

وعلى الرغم من تأخر هذه البلاد ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، فقد عرفت الطباعة منذ سنة ١٨٧٧ ، أى قبل أن تعرفها العربية السعودية بحوالى خمس سنوات (١) . وقد أمر بإنشاء أول مطبعة السلطان عبد الحميد الثانى فى مدينة صنعاء عاصمة البلاد . وكانت تطبع فيها جريدة « صنعاء » الأسبوعية الرسمية ، وهى لسان حال الحكومة التركية وتحزر باللغتين العربية والتركية .

وبعد أن نالت اليمن استقلالها ، استخدمت هذه المطبعة فى إصدار صحيفة شهرية اسمها (الإيمان) ثم صدرت عن هذه المطبعة أيضاً مجلة (الحكمة اليمنية) ولما فشلت ثورة ١٩٤٨ استطاع الإمام أحمد أن يستولى على مطبعة الثوار التى كانت تصدر صحيفة (صوت اليمن) وأن ينقلها إلى تعز حيث أطلق عليها اسم (مطبعة النهضة) . وقد صدرت عن هذه المطبعة صحيفة (النصر) وهى أسبوعية ، وصحيفة (سبأ) (٢) .

(١) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٢٠٦ .
(٢) زودنا بهذه المعلومات الطالب اليمنى أحمد محمد الجحدرى .

وإلى وقت قريب كانت توجد في صنعاء مطبعتان ، إحداهما في قصر الملك ، ويُطلق عليه اسم « مقام الإمام » أو « المقام الشريف » . ويعود إنشاء هذه المطبعة إلى العهد العثماني . وهي المطبعة التي كانت تطبع فيها جريدة « صنعاء » . وكانت تلك المطبعة تطبع إلى جانب الصحيفة بعض الكتب الصغيرة .

أما المطبعة الثانية فتتبع إدارة المعارف . وقامت هي والمطبعة الأولى بطبع عدد قليل جداً من الكتب يقال إنه لا يتجاوز الأربعين بين سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٥٢ . وتشتمل الكتب المطبوعة في صنعاء على بحوث في القرآن ورسائل في مذهب الزيدية والفقه والحديث وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي .

وقامت مطبعة إدارة المعارف بطبع كتاب في تاريخ اليمن ليدرس في المدارس . وقبل إعلان الحرب العالمية الأخيرة ، كانت المطبعة قد بدأت في طبع تاريخ الإمام يحيى .

وقلما كان أطفال المدارس الأولية يستعملون كتباً مطبوعة . إلا أن بعض مدارس صنعاء استخدمت كتاب « القاعدة البغدادية » المطبوع بالقاهرة في مطبعة عيسى البابي الحلبي . واقتنت إدارة المعارف مجموعة صغيرة من المطبوعات المدرسية . أما تلاميذ « المدرسة العلمية » ، فإنهم كانوا لا يستخدمون سوى المخطوطات التي يقومون بنسخها بأنفسهم . وطبع في مطبعة إدارة المعارف أيضاً كتاب في قواعد اللغة العربية ، وكتاب « العلماء والمتعلمين » . والكتاب الأخير قد تم تأليفه في القرن العاشر للهجرة ويتناول كيفية نسخ المخطوطات وتعليم الخط .

ولجأ اليمنيون إلى مطابع القاهرة في طبع كتبهم وجدير بنا أن نذكر أن من بين المطبوعات اليمنية المطبوعة في العاصمة المصرية الكتب الثلاثة التي ألفها عبد الواسع والتي عالج فيها المسائل التاريخية والجغرافية والشئون العامة . وكان بعض المؤلفين اليمنيين يذهبون إلى الهند أو أندونيسيا لطبع كتبهم فيها^(١) .

وتقوم مطبعة إدارة المعارف أو المطبعة الرسمية بطبع أوراق الحكومة . وقد استوردت هذه المطبعة من إنجلترا ووجدت عدة مرات .

(١) ر . ب . سارجنت : الأدب العصري في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب ، مجلة الأدب والفن ، السنة الثانية ، سنة ١٩٤٤ ، من ص ٢٧ إلى ص ٣٠ .

ذلك كان حال الطباعة في اليمن قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . وما أن أعلنت الجمهورية حتى طلبت الحكومة اليمنية الجديدة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن ترسل لها خبيراً في الطباعة . وقد وصل هذا الخبير^(١) إلى صنعاء في ١٥ مايو ١٩٦٣ فوجد في مطبعة الحكومة آلات مطبعية موضوعة بجوار الحائط . وفهم الخبير أنه وصل إلى المطبعة منذ حوالي ثمانى سنوات أربعة صناديق بها آلات طباعة ، وبفتحتها تبين أن بها آلات طباعة مفكوكة في حاجة إلى تركيب . وقد استدعت الحكومة اليمنية في ذلك الوقت أحد الخبراء لتركيبها ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ؛ فركت محتويات هذه الصناديق مختلطة بعضها ببعض . وقد تم تركيب هذه الآلات وبدأت تعمل . وهي تدور بوساطة محرك كهربائي . وكانت هذه المطبعة تشتري حروفها من المسابك اللبنانية وهي ، الآن تشتريها من المسابك المصرية . وفي هذه المطبعة سبع طابعات في حالة جيدة لا تنقصها إلا الأيدي الخبيرة لإدارتها . وفي قسم التجليد آلة تخريم تدار بالقدم وأخرى تدار باليد . وفي استطاعة هذه المطبعة أن تقوم بطبع الجريدة الرسمية والكتب المدرسية والدفاتر والاستمارات والنشرات الدورية وجريدة يومية . ولا تزال الجمهورية العربية اليمنية تعتمد على القاهرة وعدن في صنع كليشياتها الخطية والظلية . وقد اقترح الخبير المصري إنشاء قسم لحفر الكليشيات في مطبعة صنعاء .

أما مطبعة تعز ففيها قسم لجمع الحروف جددت حروفه أخيراً . وفي قسم الطبع ست آلات تدار بمحرك كهربائي . ويحتاج قسم التجليد إلى آلة قص أوتوماتيكية ومكبس ورق ليستكمل معداته . وتقوم هذه المطبعة بطبع جريدة (الأخبار) اليومية و (الثورة) نصف الأسبوعية و (الجمهورية) الأسبوعية ، وبعض المطبوعات الصغيرة . وإلى وقت قريب كانت المصالح الحكومية بتعز تقوم بطبع أغلب مطبوعاتها في عدن لقصور المطبعة الحكومية .

وإن الشبان اليمنيين الذين أرسلوا إلى الجمهورية العربية المتحدة للتدرب على الطباعة في مطابعها ، وخبراء الطباعة المصريين الذين ذهبوا إلى اليمن ، وتزويد مطبعتي

(١) هو السيد / محمد زكى خليل ، خبير الطباعة بوزارة الصناعة وقد كتب تقريراً مفصلاً عن حال مطبعتي صنعاء وتعز الحكوميتين وذلك في ٢٩ مايو ١٩٦٣ .

صنعاء وتعز بكل ما تحتاجه من آلات ومعدات ، سواء من الجمهورية العربية المتحدة أو من الخارج قد بدأت تظهر آثارها على الطباعة في اليمن . ولن يمضي وقت طويل إلا ويستغنى هذا القطر العربي عن كل معاونة خارجية في هذا المضمار .

الفصل الرابع

العربية السعودية

١٨٨٢ - ١٩٦٥

كانت المملكة العربية السعودية قبل الحرب العالمية الأولى جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . وكان أهلها يعيشون على البداوة . وإن بلاداً هذه حالها من الصعب أن ينتشر التعليم في ربوعها . وهكذا حرمت من فوائد المطبعة حتى أوائل الربع الأخير من القرن التاسع عشر . فقد استحضرت الحكومة العثمانية عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) مطبعة تدار بالقدم . وأطلقت الحكومة عليها إذ ذاك اسم « حجاز ولايتى مطبعة سى » أى مطبعة ولاية الحجاز (١) .

وفي سنة ١٣٠٢ استحضرت الحكومة التركية طابعة متوسطة . وبعد عدة سنوات جلبت مطبعة حجرية أطلق عليها اسم « المطبعة الأميرية » . وصدرت عن تلك المطبعة منذ سنة ١٣٠١ هـ صحيفة باسم « الحجاز » . وقد أدت تلك المؤسسة خدمات جليلة في سبيل رفع المستوى العلمى والثقافى برغم الظروف والملايسات التى كانت تكتنف الحجاز سياسياً .

وخلال الحرب العالمية الأولى صادرت الحكومة التركية مطبعة « زحلة الفتاة ونقلتها إلى الحجاز لتدعم بها مطبعتها الرسمية .

ولما انتهت هذه الحرب نودى بالشرىف حسين ملكاً على الحجاز ، فأسس فى سنة ١٩١٩ مطبعة صغيرة فى مكة لطبع جريدته الرسمية « القبلة » . ويقال إن الملك كان محرر هذه الصحيفة وناشرها وطابعها الوحيد وكانت المطبعة من طراز « تيب توب » ، قام بشرائها عبد الوهاب مظهر الأنصارى من محلات ديكسون بالقاهرة وعندما استتب الأمر للملك عبد العزيز آل سعود أطلق على المطبعة اسم « مطبعة أم القرى » . وقد عنيت هذه المؤسسة فى عهدها الجديد بفن الطباعة ،

(١) الشىخ رشدى ملحس : الصحافة والمطابع فى الحجاز ، جريدة أم القرى ، رقم ٢٠٧ ، فى شهر رجب ١٣٤٧ . والعدد ٢١١ الصادر بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٤٧ .

فأحضرت بعض الخبراء وعقدت معهم اتفاقاً على تعليم بعض الحجازيين هذا الفن على أصوله ، وكان ذلك في سنة ١٣٤٦ (١٩٢٧ م) ، ثم أخذ تفكير المسؤولين يتجه نحو ترقية هذا الفن وتشجيعه ، فأرسلت في سنتي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ بعثة مؤلفة من سبعة عشر شخصاً للتخصص في فن الطباعة في مطبعة بولاق .

وفي سنة ١٩٣٧ سميت مطبعة « أم القرى » مطبعة الحكومة بناء على تعليمات صدرت من وزارة المالية .

وفيما عدا صحيفة « الحجاز » فقد صدرت عن تلك المطبعة صحيفة يومية منذ سنة ١٣٢٧ هـ باسم « شمس الحقيقة » استمرت بضعة شهور ثم توقفت . وفي العهد الهاشمي كانت تصدر عنها جريدة دينية سياسية اجتماعية مرتين في الأسبوع باسم جريدة « القبلة » ، ظهر العدد الأول منها في ١٥ شوال سنة ١٣٣٤ هـ . ثم انقطعت عن الصدور يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٤٣ هـ . وفي عام ١٣٣٨ هـ ، صدرت عنها جريدة « الفلاح » . غير أنها لم تكن منتظمة . وفي عهد السعوديين ظهر العدد الأول من جريدة « أم القرى » في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ . ولا تزال تصدر حتى اليوم . وفي عام ١٣٤٧ هـ ظهرت مجلة (الإصلاح) وهي مجلة دينية .

وقامت المطبعة بإنجاز الطوابع وأوراق التمغة ومجلة « الحج » وتقويم « أم القرى » السنوي . هذا إلى جانب المطبوعات اللازمة للحكومة والأنظمة والتعليمات والقوانين واللوائح لمختلف المصالح والوزارات . وتستورد الورق من السويد والنرويج والولايات المتحدة وبريطانيا وفنلندا .

ومطبعة الحكومة السعودية في مكة تعد أكبر مطبعة في شبه الجزيرة العربية . وهي تسير في تقدمها تقدم البلاد . وإن المتصفح لكتاب طبع في تلك المطبعة منذ عشرين سنة وكتاب طبع اليوم يجد الفرق شاسعاً بين المستوى الفني لطبع الكتابين .

وتوجد في مكة أيضاً مطبعة للشركة العربية للطبع والنشر تقوم بإصدار جريدة « البلاد السعودية » وتعني إلى جانب ذلك بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة . وقد تأسست هذه المطبعة سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٥ م) . وتوجد أيضاً في مكة المطبعة العربية . وقد أسست بعد ذلك بحوالي خمس سنوات لتطبع مجلة « المهمل » وبعض

المطبوعات التجارية . وإلى جانب هاتين المطبعتين توجد مطابع صغيرة لطبع البطاقات وما إليها مثل مطبعة الحرم .

وأنشأ على وعثمان حافظ « مطبعة جريدة المدينة المنورة » في سنة ١٩٣٦ م . وتولى إدارة المطبعة منذ تأسيسها إلى سنة ١٩٣٨ عباس سنبل ثم تولى أمرها خالد حافظ شقيق صاحبي المطبعة . وأدوات الطباعة جلبت من القاهرة . أما الحروف فمن مسبك التمدن بمصر . وإلى جانب الجريدة تقوم المطبعة بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة وأوراق الدوائر الرسمية .

وفي المدينة المنورة مطبعة ثانية تدار بالقدم ملحقة بمدرسة العلوم الزراعية . وهكذا تسير الطباعة في المملكة العربية السعودية حركة التقدم التي ظهرت واضحة في تلك البلاد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . وفي جدة منذ سنة ١٩٥٢ مؤسسة باسم « مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر » مديرها العام السيد أحمد عبيد . وقد زودت بأحدث الطابعات وآلات الجمع المعروفة بالليثوتيب أما عمالها فهم مدربون على هذا الفن بما فيه الكفاية .

وقامت هذه المؤسسة بإنتاج جميع أنواع المطبوعات التجارية والحكومية ومجلات الإذاعة والحج والمنهل وجريدة الأضواء . وطبعت جريدة الرياض . وإلى جانب هذه المطبعة الكبرى تأسس في جدة مطابع أخرى كدار الأصفهاني وشركاه ومطبعة الفتح ومطبعة فضل الرحمن ومطبعة الشرق^(١) .

ويستطيع المؤرخ أن يعتبر سنة ١٩٥٤ عاملاً حاسماً في رفع مستوى الطباعة كماً وكيفاً في العربية السعودية . ففي تلك السنة أنشئت وزارة للمعارف لمحاربة الجهل في البلاد والقضاء عليه تماماً والمضي بالتعليم قدماً وفق النظم الحديثة والأساليب الراقية . وقد بلغت ميزانية هذه الوزارة في عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ أكثر من ٢٤٥ مليون ريال . ووصل عدد المدارس الابتدائية إلى ١٤١٧ مدرسة ، بلغ عدد تلاميذها ١٥٦٧٨٠ . أما عدد طلبة المدارس الثانوية فقد وصل في السنة الدراسية ١٩٦٣ - ١٩٦٤ إلى ٣١٠٧ تلاميذ . وبلغ عدد تلاميذ المدارس الصناعية

(١) حصلنا على هذه المعلومات عن طريق مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة وبفضل الاتصالات التي قام بها تلميذنا السعودي السيد محمد الصالح الجبرين .

المتوسطة ٢٣٠٥ ، وتلاميذ المدارس التجارية ٩٦٠ تلميذاً في عام ١٩٦٤ . وأصبح عدد طلاب المدارس الزراعية المتوسطة ٧٩٨ طالباً . هذا إلى جانب فصول محو الأمية والدراسات المسائية ومدارس الثقافة الشعبية وطلبة جامعة الرياض بكلياتها الخمس وأعضاء البعثات في الخارج . وعلى الرغم من تأخر هذا البلد العربي في تعليم الفتاة ، فقد افتتح في سنة ١٩٦٠ خمس عشرة مدرسة أصبح عددها اليوم ١٦٠ . كما شجع المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب حركة التأليف والترجمة والنشر . وكان لابد لهذه النهضة التعليمية العارمة من مطابع تخرج الكتب المدرسية المزينة بالصور والرسوم والكتب العلمية المختلفة . وقد استطاعت المطابع الرسمية والمطابع الخاصة أن تلبي حاجة البلاد من هذه الكتب دون أن يتأثر مستوى الفن المطبعي . وتشجيعاً على فتح المطابع الحديثة تعنى الحكومة السعودية جميع آلات الطباعة ولوازمها من الرسوم الجمركية .

وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الوسيلة الرئيسية للنشر الأدبي والثقافي هي الصحف والمجلات ، ثم أخذ الأدباء ينشرون آثارهم في كتب تطبع محلياً ، بعد أن كانوا يتوجهون إلى مطابع الدول العربية المجاورة ، فنشطت طباعة الكتب الأدبية نشاطاً ملحوظاً ، ويزداد هذا النشاط سنة بعد أخرى .

وقد صاحبت ظهور وزارة الاعلام نهضة مطبعية وصحفية منقطعة النظير . فلأول مرة في تاريخ المملكة العربية السعودية يصدر تنظيم حديث للصحافة يقضى باستبدال امتياز الصحف ومنحه لشركات أو لمؤسسات أهلية خاصة . ويقضى هذا النظام الجديد بإنشاء مؤسسات صحفية تسمى (المؤسسات الأهلية للصحافة) وتحمل كل منها اسماً مميزاً لها ويتولى أمرها مجموعة من المواطنين السعوديين تمنحهم الدولة امتياز إصدار صحيفة أو أكثر بناء على طلب يتقدمون به إلى وزارة الاعلام .

كما أن نظام المطابع والمطبوعات الذي صدر بمرسوم في سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٦٠ م) قد خول لوزارة الاعلام الإشراف إشرافاً كاملاً على الحركة المطبعية بالمملكة العربية السعودية ، فأوجب على كل صاحب مطبعة أو مكتبة أو محل رسم يريد مزاوله عمله أن يتقدم إلى وزارة الاعلام بطلب الترخيص له . ووسع هذا النظام من اختصاصات وزارة الاعلام ، فجعلها تختص بمراقبة المطبوعات الواردة من الخارج

قبل توزيعها ، والترخيص بما يجوز طبعه ونشره من المؤلفات والصحف وغيرها من المطبوعات وإصدار التراخيص الخاصة بالصحف وفتح المكتبات والمطابع ومحال الرسم .

وكان طبيعياً أن تتطور الصحافة كما تطور كل شيء في المملكة العربية السعودية فتضاعف عدد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ؛ فمع كل صباح تصدر صحف (البلاد) و (المدينة) و (الندوة) و (عكاظ) و (البثمة) و (الجزيرة) . ويطالع القارئ السعودي عدداً وفيراً من المجلات التي تنشر الموضوعات الأدبية والعلمية والثقافية مثل (المهل) وهي أقدم مجلة سعودية ، و (الحج) و (الرابطة الإسلامية) و (المعرفة) و (قافلة الزيت) و (الإذاعة) وغيرها . ويبلغ عدد توزيع هذه الصحف بين ١٨ و ٢٢ ألف نسخة يومياً . ويبلغ عدد توزيع المجلات من ٥ إلى ٧ آلاف نسخة ، وهي أعداد طيبة لو عرفنا أن عدد سكان هذه المملكة المترامية الأطراف يبلغ حوالى سبعة ملايين نسمة .

وابتداء من سنة ١٩٦١ ظهرت المطابع الكبيرة في المنطقة الشرقية من البلاد لتواجه مطالب التطور الذي أصاب هذا الجزء من المملكة بعد تقدم صناعة استخراج البترول وتكريره ، ولتلي رغبات التجار والشركات ، لا سيما شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) التي كانت تطبع أغلب مطبوعاتها في بيروت . وكان قد صدر قانون في السعودية يمنع طبع أى مطبوع خارج المملكة واستثيت من هذا القانون مجلة (قافلة الزيت) ريثما تتمكن المطابع السعودية من طبعها بنفس المستوى الذي تطبع عليه في لبنان .

أنشئت إذن مطابع المطوع في الدمام سنة ١٩٦١ لهذا الغرض وزودت بآلات طباعة ألمانية بأحجام مختلفة ، تمتاز بالدقة المتناهية وآلات لصب الحروف العربية والفرنجية طراز مونوتيب وبقسم للطباعة الملساء (أوفست) والفوتوليتو وحفر الأنماط الخطية والظلية على الزنك . ويعتبر قسم التصوير هذا من أكبر أقسام التصوير الطباعي في الشرق العربي . أما قسم التجليد ، فهو مزود بأحدث الآلات . وأصبحت أغلب مطبوعات شركة أرامكو تطبع في هذه المطبعة ، سواء كانت بالعربية أو بالإنجليزية . ويعمل بها بعض اللبنانيين وخير إنجليزى واحد إلى

جانب الفنيين السعوديين الذين أثبتوا مهارتهم في مجال الطبع الراقى .
 وفي المنطقة الشرقية من البلاد توجد مطبعة هامة أخرى هي مطبعة (زنكغراف
 المنطقة الشرقية) في مدينة الخبر ؛ وتأتى هذه المطبعة في المرتبة الثانية بعد مطبعة
 المطوع من حيث الأجهزة وخبرة العاملين بها . وتطبع هذه المطبعة فيما تطبع جريدة
 (اليوم) التى تصدر أسبوعياً مؤقتاً^(١) .

وهكذا انتشرت الطباعة في أنحاء المملكة السعودية بعد أن كانت مركزة
 حتى وقت قريب في مدن الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة . ولا شك
 أن الرخاء الذى يعم هذا البلد العربى بفضل النفط والصناعات القائمة عليه قد أتاح
 لحكومته أن توفر الخدمات من كل نوع - ومنها المطبعة - للمواطنين جميعاً .

(١) أدلى لنا بهذه المعلومات السيد / صهيب بسيرو الموظف بإدارة العلاقات العامة بشركة أرامكو .

البابُ الثامنُ

الطباعة في البحرين والكويت وقطر

الفصل الأول

البحرين

١٩٣٨ - ١٩٦٥

اشتهرت البحرين من قديم الزمن وإلى ما بعد الحرب العالمية الأولى بقليل بحسن لآلها . أما اليوم ، فإن تجارة اللؤلؤ أصبحت لا شيء تقريباً بالنسبة للذهب الأسود الذى اكتشف فيها سنة ١٩٣٢ ، فقد بلغ إنتاج النفط ما لا يقل عن ٤٥,٠٠٠ برميل يومياً وترتب على هذا الكشف إنشاء صناعة تكرير البترول التى تعتبر من أضخم الصناعات من نوعها فى العالم ، ثم ما لبث أن أنشئ مصنع ضخّم للبراميل . وبدأت البحرين تأخذ بسبل الحضارة الحديثة فأنشأت بعض الصناعات الخفيفة ونمت الحركة التجارية نمواً مطرداً وأصبح فيها أربعة مصارف ، وطبيعى وقد انتشر الرخاء بهذا القدر الكبير فى هذا القطر العربى ، أن يفكر أولو الشأن فيه فى نشر العلم . فقد أنشئت المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية للبنين والبنات ، كما أنشئت مدرسة لتعليم الصناعة ومعهد دينى . وفى البحرين معهد لتخريج المعلمين ودراسة فى التجارة ، هذا بالإضافة إلى مدارس الجاليات الأجنبية ، ولا يوجد فى البحرين اليوم طفل بلغ السابعة من عمره لم يدخل المدرسة .

وكان لابد للبحرين فى نهضتها الحديثة من الآلة التى لا يمكن أن يستغنى عنها بلد متحضر . وكانت فى ذلك أول بلد فى الخليج العربى ينشئ مطبعة ، فقد اشترى شاعر الخليج عبد الله على الزائد مطبعة من إنجلترا سنة ١٩٣٨ وأسماها مطبعة البحرين . قامت هذه المطبعة بطبع الأوراق الحكومية والكتب المدرسية والكراسات ودفاتر التجارة . وفى السنة الثانية لإنشائها ، أى فى سنة ١٩٣٩ أصدر صاحبها جريدة أطلق عليها اسم « البحرين » . ولم يقتصر نشاط هذه المطبعة على البحرين بل تعداها إلى جميع أقطار الخليج العربى . وطبيعى أن تقوم المطبعة بطبع عدة دواوين من الشعر الذى نظمته صاحبها وغيره من الشعراء . ولما توفى مؤسسها انتقلت ملكيتها

إلى ابنه الأستاذ على عبد الله الزائد الذى أضاف إليها بعض الآلات الطباعة الحديثة. وفى سنة ١٩٤٩ عرضت المطبعة للبيع فاشترها آل مؤيد وعرفت منذ ذلك الوقت بمطبعة آل مؤيد وانتهى أمرها أخيراً إلى الأستاذ عيسى عبد الله الزيره صاحب المطبعة الشرقية .

أما المطبعة الشرقية فهى ثانى مطبعة أنشئت فى البحرين ، استحضر صاحبها آلاتها من إنجلترا سنة ١٩٥٢ لما زاد انتعاش سوق الطباعة فى البحرين نتيجة للرخاء الذى عم البلاد . وفى هذه المطبعة آلات جمع الحروف بنوعها : اللينوتيب والمونوتيب وطابعة أوفست كاملة المعدات . وكانت لوحات الأوفست تعد فى أوروبا ، أما اليوم فهى تعد فى هذه المطبعة ، مما يوفر على حكومة البحرين وشركة النفط مبالغ طائلة . ولما اتسع نشاط هذه المطبعة ، اشترى صاحبها مطبعة المؤيد فى سنة ١٩٦١ وأضاف إليها بعض الآلات لتساير التقدم المطبعي ، وهكذا أصبحت مطبعة المؤيد وشقيقتها المطبعة الشرقية من المطابع كاملة المعدات . وتقوم المطبعة الشرقية بطبع مجلة « هنا البحرين » التى تصدرها دائرة العلاقات العامة لحكومة البحرين ، كما تطبع الصحفيتين الأسبوعيتين اللتين تصدرهما شركة نفط البحرين ، وهما النجمة الأسبوعية وصحيفة Islander الإنجليزية ، وتطبع من الأولى تسعة آلاف نسخة ومن الثانية ٤٠٠٠ ، وتقوم هذه المطبعة أيضاً بطبع شيكات المصارف وجوازات حكومة البحرين . وطباعة الألوان فيها من أجود ما تكون طباعة الألوان ، وآية ذلك (دليل البحرين التجارى) ومطبوعات الدعاية المختلفة .

وفى البحرين مطبعة كبيرة اسمها مطبعة النجاح وهى مزودة بآلات الجمع المعروفة باللينوتيب ومطبعة أوفست كاملة المعدات تطبع بالألوان . وحكومة البحرين من خيرة عملاء هذه المطبعة التى تقوم إلى جانب ذلك بطبع المطبوعات التجارية .

أما المؤسسة العربية للطبع والنشر ، فقد تأسست فى أواخر سنة ١٩٦٣ وبدأ العمل فيها سنة ١٩٦٤ . واشترك فى إنشاء هذه المؤسسة أربعة من كبار تجار البحرين وأراد أصحابها لها أن تكون داراً لنشر الكتب والصحف فزودوها بآلات اللينوتيب وطابعات الأوفست من أحدث طراز . وتقوم هذه المؤسسة بطبع المطبوعات التجارية والحكومية ومطبوعات شركة نفط البحرين .

وإلى جانب هذه المطابع توجد مطبعة أوال وطباعة الأوفست فيها لا تقل بأى حال من الأحوال من حيث الجودة عما تنتجه مطابع أوروبا وأمريكا . وآية ذلك التقويم السنوى الذى تطبعه لحساب شركة نفط البحرين المحدودة .

وهكذا نجد أن الرخاء الذى عم هذه البلاد العربية بعد اكتشاف النفط فيها بكميات وفيرة قد أثر فى جميع أوجه النشاط الأخرى ، ومن بينها النشاط المطبعى ، إذ أصبح فى البحرين أربع مطابع مجهزة بأحدث ما أنتجته صناعة الطباعة فى إنجلترا . وهذا العدد كبير بالنسبة لعدد السكان الذى لا يتجاوز مائة وخمسين ألفاً^(١) .

هذا وما زالت البحرين تستورد الكتاب العربى من شقيقاتها البلاد العربية الأخرى ، ولا سيما من الجمهورية العربية المتحدة ولبنان .

(١) استقيننا هذه المعلومات من تلميذنا السيد عبد العزيز عطية الله عبد الرحمن الخليفة ومن دليل البحرين التجارى .

الفصل الثانى

الكويت

١٩٤٧ - ١٩٦٥

كانت الكويت^(١) قبل سنة ١٩٤٧ تستورد من الخارج كل مطبوع ، بما فى ذلك الكتب المقررة على تلاميذ المدارس وسجلات الدوائر الحكومية وأوراقها ومظاريفها وكل ما يلزمها من استمارات ونماذج مطبوعة . وفى تلك السنة - أى فى سنة ١٩٤٧ - أسس السيدان أحمد البشر الرومى وحمود عبد العزيز المقهوى (مطبعة المعارف) ، وهى أول مطبعة فى الكويت . وكانت عبارة عن طابعة صغيرة مستعملة جلبت من العراق وصناديق للحروف . وكان الغرض من إنشائها أن تفي بمستلزمات السجلات التجارية والدفاتر والملفات وما إلى ذلك . وكان لدائرة المعارف ٥٥٪ من أسهمها وللمؤسسين الباقى . وفى سنة ١٩٥٠ اشترت دائرة المعارف نصيب السيد أحمد البشر الرومى من الأسهم ، بينما استقل السيد حمود عبد العزيز المقهوى بمطبعة . وبعد ذلك بسنة بيعت (مطبعة المعارف) للسيد أحمد الغربللى ، بينما انفردت (دائرة المعارف) بمطبعتها المستقلة . وأغلب الظن أن أول كتاب أخرجته هذه المطبعة هو قصة « آلام صديق » للأستاذ فرحان السيد . كما صدرت عنها مجلة الكاظمية التى كان يحررها أحمد زين السقاف ، وهى أول مجلة كويتية تطبع فى دولة الكويت .

غير أن هذه المطبعة الصغيرة لم تكن لتفى بمطالب بلاد على أبواب نهضة شاملة ، فما كان من اللجنة التنفيذية العليا إلا أن أصدرت قراراً فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ بإنشاء دائرة حكومية تتولى طبع ونشر الجريدة الرسمية وجميع المطبوعات الحكومية وأسّمت اللجنة هذه الدائرة (دائرة المطبوعات والنشر) وعزمت على تزويدها بمطبعة حديثة .

(١) كان الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الرومى الملحق الصحفى بسفارة دولة الكويت بالقاهرة خير عون لنا فى الحصول على أغلب المعلومات القيمة الموجودة فى هذا الفصل فله شكرنا خالصاً .

وافتتحت هذه المطبعة رسمياً في ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ واستطاعت في العام الأول من تأسيسها أن تطبع ١١,٤٦٩,٢٦١ مطبوعاً لمختلف دوائر حكومة الكويت ومؤسساتها . واستعانت في دور إنشائها بخبرة الدكتور إبراهيم عبده أستاذ الصحافة السابق بجامعة القاهرة . كما أرسلت إلى الجمهورية العربية المتحدة نخبة من أبناء الكويت ليتقنوا الفنون المطبعية على اختلاف أنواعها .

وكان مقر مطبعة الحكومة يحتل في بادئ عهدها بنائين متقابلين في شارع دسمان بالكويت ، في حين كان معمل الزنكغراف في الشويخ . وعندما تم تشييد مبنى المطبوعات والنشر (وزارة الإرشاد والأنباء حالياً) نقلت جميع هذه الأقسام إليه . وقد قام بتصميم هذا البناء الضخم المهندس المصري الدكتور سيد كريم . ويبلغ عدد من يعمل في المطبعة حوالى ٧٠٠ ، بين موظف إدارى وفنى ومستخدم وعامل إدارى وفنى وعادى وتلميذ تحت التمرين . ولم يكن عدد هؤلاء العاملين يزيد على ١٥٧ في سنة ١٩٥٧ . وفى المطبعة قسم للأنترتيب (الجمع السطرى) يعمل فيه عمال كويتيون مهرة تدربوا على هذه الآلة في مصانع الأنترتيب بإنجلترا . وإلى جانب هذا القسم يوجد قسم المونوتيب والسوبر كاستر ، وهى آلة مهمتها سبك الرقائق والجداول والنقوش (الحلى المطبعية) كما يوجد قسم للجمع والتوضيب اليدوى .

أما قصة معمل الزنكغراف (التصوير والحفر) فقد بدأت في أوائل سنة ١٩٥٧ . وكانت الكويت قبل ذلك التاريخ ، ترسل الصور والرسومات إلى القاهرة وبيروت لصنع كليشيهات لها . ولما كان هذا الإجراء يضيع الكثير من الوقت والجهد ، فقد استوردت الحكومة آلات وأدوات من ألمانيا لتكون نواة لمعمل للحفر والتصوير (الزنكغراف) واستقدمت كذلك خبيرين ألمانيين فى الحفر على الزنك . وما لبث هذا المعمل أن تطور بسرعة وأصبح يتكون الآن من أقسام للتصوير والرتوش على الفيلم والطبع والحفر والرتوش على الزنك والمونتاج والتجربة . أما معمل الفوتوليتو فيتكون من الأقسام الآتية : التصوير والرتوش وطبع فيلم على فيلم (كونتاكت) من سلبية إلى إيجابية والمونتاج والطبع على ألواح زنك الأوفست . وقد اقتنت المطبعة كذلك ٣ آلات كليشوجراف تحفر بسرعة أى كليشيه يراد صنعه سواء كان

خطياً أم ظلياً. وإذا انتقلنا إلى قسم الطبع وجدناه ينقسم بدوره إلى عدة أقسام هي :
قسم المكائن الكبيرة وقسم الهايدلبرج سلندر — ألوان ، وقسم المكائن الصغيرة
الهايدلبرج وقسم الأوفست . أما قسم التجليد ، فقد زود بأحدث الآلات وأدقها .
وقد أرسلت مطبعة الحكومة بعض الشبان الكويتيين إلى الجمهورية العربية المتحدة
وإنجلترا وألمانيا ليتعلموا مختلف فنون الطباعة على أصولها .

وإلى جانب طباعة الكتب المدرسية والجريدة الرسمية ومجلة « الكويت اليوم »
ومضابط مجلس الأمة والنشرات والملفات وجوازات السفر والتقارير السنوية ودليل
الهاتف (التليفون) وتقارير الوزارات وإحصائياتها السنوية والبطاقات الشخصية
للموظفين وإجازات قيادة السيارات . . . تقوم المطبعة بطبع مجلة (العربي) التي
يعرفها كل قراء العربية كما تقوم بنشر التراث العربي والنشرات الإعلامية باللغتين
العربية والإنجليزية .

وفي سنة ١٩٦١ ولأول مرة في تاريخ الكويت تقوم مطبعة الحكومة بطبع
المصحف الشريف وتختار له طريقة الطباعة الملاءم (الأوفست) وأفخر الورق .
ولما نفذت هذه الطبعة، طبعت ثانية في سنة ١٩٦٣ على الورق الفاخر نفسه
وبطريقة الطبع نفسها .

وإلى جانب هذه المطبعة الضخمة المزودة بأحدث المعدات ، يوجد في الكويت
اليوم خمس وعشرون مطبعة يمتلكها أفراد أو شركات خاصة . وكان هذا العدد
لا يتجاوز في سنة ١٩٥٨ سبع مطابع ، مما يدل على أن المطابع الأهلية استطاعت
أن تشق طريقها بفضل النشاط المتعدد الذي تتميز به الكويت في هذه المرحلة
من تاريخها .

لقد استطاعت الكويت في مدى ثمانى عشرة سنة أن تلحق بركب الطباعة
وأن تتقدم بمطبوعاتها الصفوف بفضل اقتنائها كل آلة أو جهاز جديد في هذا الفن
وإدراك أولى الأمر فيها لأهمية هذه الوسيلة الإعلامية التي تتفوق على الوسائل الإعلامية
الأخرى من عدة أوجه ، وازدهار الحالة الاقتصادية الشيء الذي يمكن هذا البلد
من استيراد كل ما هو في حاجة إليه .

الفصل الثالث

قطر

١٩٥٦ - ١٩٦٥

يبلغ عدد سكان إمارة قطر^(١) حوالى ٦٥ ألف نسمة ، وتقوم وزارة المعارف بجهود متواصلة لنشر العلم والوعى فى البلاد ومكافحة الأمية بشتى الطرق . وقد أنشأت لهذا الغرض المدارس الليلية إلى جانب المدارس العادية وذلك لإتاحة فرصة التعليم لجميع المواطنين وخاصة الكبار الذين فاتهم سن التعليم . وإلى جانب ذلك توجد فى هذه الإمارة العربية دار للكتب بها حوالى ثلاثين ألف كتاب فى مختلف العلوم كما أن بها حوالى ١٠٠٠ مخطوط عربى وقسم لتجليد الكتب القديمة يقوم شهرياً بتجليد ما يقرب من ٣٥٠ كتاباً . وتتبع دار الكتب وزارة المعارف وتقوم بتزويد الأهالى مجاناً بالكتب التى يحتاجون إليها ، كما تزود مكاتب المدارس بكل الكتب اللازمة لها .

وليس فى قطر صحف بالمعنى المفهوم عندنا . غير أنه تصدر فى الوقت الحاضر بعض النشرات الإخبارية مثل (المشعل) وقد ظهر عددها الأول فى أواخر سنة ١٩٦١ ، وهى نشرة إخبارية شهرية لموظفى وعمال شركة نفط قطر ، تصدرها هذه الشركة باللغة العربية فى أربع صفحات وتقتصر على أخبار العاملين بالشركة .

وفى سنة ١٩٦١ أيضاً صدرت فى قطر الجريدة الرسمية لنشر القوانين التى تسنها الحكومة وكذلك اللوائح والقرارات وتوزع هذه الجريدة بالمجان . وتقوم كل مدرسة فى قطر بمناسبة انتهاء السنة المدرسية بإصدار مجلة مصورة ، باللغتين العربية والإنجليزية .

كان لابد إذن لهذا النشاط التعليمى والاقتصادى من مطابع ؛ ففى سنة ١٩٥٦ أسس السيد عبد الله حسين نعمة (مطابع العروبة) وهى أول مطبعة تعرفها قطر .

(١) قدم لنا هذه المعلومات تلميذنا السيد عبد العزيز أحمد نعمة فله شكرنا خالصاً .

وقد استخدمت هذه الدار في البداية آلي طباعة من نوع هايدلبرج . ولما زاد الإقبال على الطباعة في سنة ١٩٦٠ واشتدت حاجة البلاد للمطبوعات ، قامت هذه الدار باستيراد أربع آلات أخرى من الطراز نفسه . وفي سنة ١٩٦١ اشترت المطبعة آلة لينوتيب لصف الأحرف ، وافتتح في سنة ١٩٦٢ قسم الأوفست يطبع بالألوان . ولا توجد لدى هذه الدار في الوقت الحاضر معامل لحفر الكليشيات ولكن تم التعاقد على توريد معمل كامل لذلك الغرض . كما تم استيراد آلة مونوتيب للحروف المشكلة .

وقد حفز النجاح الذي صادفته مطابع العروبة السيد خالد بن ناصر السويدي على تأسيس (مطبعة قطر الوطنية) وبدأت هذه المطبعة نشاطها في سنة ١٩٥٩ . وفيها أربع آلات للطباعة من طراز (هايدلبرج) وقسم أوفست خاص بطباعة الألوان . وتقوم هذه الدار بطبع الإعلانات التجارية وبطاقات التهانى وبعض الكتب المدرسية .

وفي سنة ١٩٦١ تأسست في قطر مطبعة ثالثة وهي (مطبعة أوفست) لصاحبها السيد علي بن علي . وتمتاز هذه المطبعة بإمكانياتها الكافية لطباعة الألوان على اختلاف أشكالها . كما أن بها أضخم آلات التصوير والحفر والطباعة . وتقوم هذه المطبعة بطبع مختلف أنواع الإعلانات التجارية وشيكات البنوك وبطاقات التهانى والمجلات المصورة المدرسية والكتب المدرسية كما تطبع بها صحيفة (المشعل) التي تصدرها شركة نفط قطر .

وهكذا نرى أن مطابع قطر الثلاث مطابع أهلية استطاعت بتشجيع الحكومة وازدهار الحالة الاقتصادية أن تتزود بكافة الآلات الحديثة . ولا شك أن في إرسال بعض أبناء هذا البلد العربي للتدريب على الفنون المطبعية ودقائقتها في البلاد العربية التي تقدمت الركب في هذا المضمار ، سوف يعود على هذا الفن في هذا البلد العربي النامي بأجل الفوائد .

خاتمة

لقد استطاعت بلاد الشرق العربي التي ظلت واقعة تحت حكم العثمانيين نيفاً وأربعمئة عام ، أن تنفض عن نفسها غبار الجهالة وتمضي قدماً في ركب الحضارة ، فزودت نفسها بالآلة التي لا يمكن أن يستغنى عنها بلد متحضر ألا وهي المطبعة . وقاست المطبعة في أول أمرها الأهوال وذوقت الأمرين ثم ما لبثت أن حطمت من يتعرض لها ويقف في طريقها في بعض بلاد الشرق العربي . وعلى الرغم من تأخر وصول المطبعة إلى تلك البلاد ، فإنها اليوم تكاد تكون في عدد كبير من بلاد الشرق العربي في مستوى الطباعة الأوروبية والأمريكية ، وإن نظرة سريعة نلقيها على المطبوعات المختلفة التي تصدر عن هذه البلاد العربية كافية لتعطينا فكرة واضحة عن التقدم الذي أصابه الفن المطبعي فيها . وإذا كانت الطباعة في بعض بلاد الشرق العربي لا تزال في دور الطفولة ، فإننا نأمل أن بعد دلائل نهضة مطبعية لن تلبث أن تنمو وتزدهر .

مصادر البحث ومراجعته

مصادر البحث ومراجعته

١ - وثائق لم تنشر

- محفوظات عابدين
- محفوظات القلعة
- محفوظات وزارة الداخلية
- محفوظات وزارة المالية المصرية
- محفوظات المطبعة الأميرية ببولاق
- محفوظات دير المحلص ببلبنان
- محفوظات دير مار يوحنا الصباغ ببلبنان
- سجلات الرسالة المارونية بالقاهرة

٢ - كتب عربية ومعربة

- إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقي : مقالة شكرية للحضرة الإسماعيلية على إنشاء دار الوراق ببولاق ، سنة ١٢٨٨ هـ
- إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية : بولاق ١٩٤٢
- : جريدة الأهرام ، تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة ، دار المعارف بمصر ١٩٥١
- : تطور الصحافة المصرية ، الطبعة الأولى ، مطبعة التوكل بمصر ١٩٤٤
- : تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٤٩

: أعلام الصحافة العربية : الطبعة الثانية . المطبعة النموذجية

١٩٤٨

: دراسات في الصحافة الأوروبية . تاريخ وفن ، الطبعة الأولى ،

مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١

١ - . حاج (الأب) : صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية الملكية ؛

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٨

— أحمد البهى ومحمد البيلاوى : فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة

الحديوية (خمس أجزاء) : المطبعة العثمانية بمصر ، ١٣٠٥ هـ — ١٣٠٨ هـ

— أحمد زكى : خلاصة وجيزة على مباحث وأعمال لجنة إصلاح وتحسين

الحروف العربية . بولاق ١٩٠٣

— أحمد عبد الرحيم (الشيخ) : أنواع الخطوط الموجودة للطبع في مطبعة بولاق ،

(بدون تاريخ)

— أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٣٨

— أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان . دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٣

— أحمد محمد حسن وايزيدور فلدمان : مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها

في مصر (جزآن) مطبعة مصر ١٩٢٦

— إسماعيل سرهنك (باشا) : حقائق الأخبار عن دول البحار (جزآن) ،

القاهرة ١٣١٢ — ١٣١٤ هـ

— الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن) : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (أربعة

أجزاء) بولاق ١٢٩٧ هـ

— العيد المتوى لنقل المطبعة الأميركانية إلى بيروت ، ٨ أيار ١٨٣٤ — ٨ أيار ١٩٣٤

— الكتاب الذهبى لاتحاد الصناعات المصرية : مطبعة شندلر بالقاهرة ١٩٤٨

— الكتاب الذهبى ليوبيل المقتطف الخمسينى ١٨٧٦ — ١٩٢٦ ، مطبعة المقتطف

والمقطم بمصر ١٩٢٦

— الكتاب السنوى لاتحاد الصناعات المصرية ١٩٥٠ — ١٩٦٤ ، مطبعة شركة

الإعلانات الشرقية .

— إميل زيدان : مختارات جرجى زيدان : مطبعة الهلال ١٩١٩

- أمين سامي : التعليم في مصر ، القاهرة ١٩١٧
- : تقويم النيل (الجزءان الثاني والثالث) . مطبعة دار الكتب
المصرية سنة ١٩٣٦
- بطرس خويرى (الأب) : تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري ،
القاهرة ١٩٢٧
- بولس مسعد (الأب) : كتاب اليوبيل القرنى الثانى للرهبانية الحلبية المارونية
في وادى النيل ، مطبعة لابترى بالقاهرة ١٩٤٥
- تاريخ جودت ، ترجمة عبد القادر الدنا . المجلد الأول ، مطبعة جريدة
بيروت ١٣٠٨ هـ
- تذكار العيد الفضى لمطبعة المعارف ومكتبتها ، مطبعة المعارف ١٩١٦
- تقويم العراق سنة ١٩٢٣ : مطبعة العراق ببغداد ١٩٢٣
- تقويم سنة ١٣٢٠ هـ . عمل بإدارة عموم المساحة ، بولاق ١٩٠٢
- جورج جندي (بك) وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ،
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٧
- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع . الطبعة الثانية ،
القاهرة ١٩٣٧
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (جزءان) . الطبعة الثالثة
القاهرة ١٩٢٢
- حسين حسنى : أنموذج في مصنوعات المطبعة السنية . بولاق بدون تاريخ
- حمدى الأعظمى : دليل القوانين والأنظمة المرعية في العراق منذ تأسيس
القوانين في الحكومة العثمانية من سنة ١٢٧٤ هـ إلى أواخر سنة ١٣٥٨ هـ :
مطبعة التفيض الأهلية ببغداد ١٩٤٠
- خليل مطران : تاريخ بشارة تقلا باشا : مطبعة الأهرام بمصر ١٩٠٢
- ديمتريوس حاطوم (الارشمندريت) : المطبعة الشويرية بين الأمس واليوم ،
مطبعة الرهبانية الشويرية ببيروت ١٩٥١

— رمزي تادرس : الأقباط في القرن العشرين (خمس أجزاء) ؛ مطبعة جريدة مصر ١٩١٠ — ١٩١١

— روبر أبيل : قانون المطبوعات اللبناني ونصوص أخرى ذات علاقة بالصحافة ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٤٢

— رياض شمس : حرية الرأي (جزءان) ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٧

— ستيفن همسلي لوتكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ؛ الطبعة الثانية ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٤٩

— سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعرية ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨) م

— عبد الحميد أبو هيف : تقرير عن حالة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥

— عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية الجزء الأول والثاني . عصر محمد علي ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

مصطفى كامل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٩

— عبد الرحمن خضر : قانون المطبوعات والمطابع وتعديلاتها ؛ بغداد بدون تاريخ

— عبد الله حسين : الصحافة والصحف ؛ مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ١٩٤٨

— علي مبارك : الخطط التوفيقية ، عشرون جزءاً من أربعة مجلدات . بولاق ١٣٠٥ هـ — ١٣٠٦ هـ

— عمر طوسون (الأمير) — : البعثات العلمية في عهد محمد علي ، ثم في عهد عباس الأول وسعيد : الإسكندرية ١٩٣٤

الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا ، مطبعة صلاح الدين الكبرى بالإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م

— فهرست القوانين والأنظمة والبيانات المنشورة في العراق والصادرة ما بين ١١

مارس ١٩١٧ و ٣١ كانون الأول ١٩٢٧ ، وزارة العدلية ، العراق
بغداد ، مطبعة الفرات ١٩٢٩

— فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ، مطبعة أم القرى ١٣٥٥ هـ
— فيليب دي طرازي (الفيكونت) : تاريخ الصحافة العربية (جزآن في مجلد
واحد) ، بيروت ١٩١٣

: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان (جزآن)
: السلاسل التاريخية ، بيروت ١٩١٠
— قانون المطبوعات وقانون نقابة الصحافة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٩
— قدرى قلعجي : مدحت باشا ، دار العلم للملايين ، مطبعة الكشاف ببيروت
١٩٤٧

— قواعد عمومية لتشغيل المطبوعات الأميرية من حيث التصحيح ؛ بولاق ١٩١١
— كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر (مجلدان) ، ترجمه عن الفرنسية محمد
مسعود ، القاهرة ، بدون تاريخ
— كمال مصطفى : الصحافة والأدب في مائة يوم ، مطبعة الأنوار مصر ١٩٣٨
— لائحة الطباعة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤
— لائحة المخازن ، بولاق ، بدون تاريخ
— لويس شيخو (الأب) : الآداب العربية في القرن التاسع عشر (جزآن)
بيروت ١٩٢٤

— محمد أمين بهجت : تقرير عن معرض الطباعة بمدينة لبيزج ، بولاق ١٩٣٢
— محمد بكري : تقرير عن الأعمال والتحسينات والمنشآت ؛ المطبعة الأميرية
١٩٤٣

— محمد علي (الأمير) : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا
الأول ، بدون تاريخ وبدون اسم مطبعة .
— محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العناني وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر
محمد علي ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٨
— محمد كرد علي : خطط الشام (ستة أجزاء) ، دمشق ١٩٢٥ — ١٩٢٨

- محمد مختار : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ، بولاق ١٣١١ هـ
- مطبعة المعارف وأصدقائها منذ نشأتها إلى الآن ١٨٩٠ — ١٩٣١ : مطبعة المعارف ١٩٣١
- نبذة تاريخية في أصل دار الكتب المصرية وتأسيسها وحركة أعمالها ومطبوعاتها . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٧
- نقابة أصحاب المطابع بدمشق : حقائق مطبوعة وحقوق مهضومة ، رفعت رسمياً إلى المجلس النيابي السوري ، دمشق ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م
- نقولا التركي : ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية طبع في مدينة باريز الحمية بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٣٩ ميلادية
- نماذج حروف مسبك المطبعة المارونية بحلب ، حاب ١٩٣٧
- وزارة المالية : لائحة الطباعة . المطبعة الأميرية ١٩٣١

٣ — مخطوطات

- السيد صالح مجدى : حلية الزمن في وصف مناقب خادم الوطن — مخطوط بدار الكتب المصرية ١٢٩٠ هـ

٤ — بحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة

- أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولحمة في تاريخ فن الطباعة رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بالجيزة سنة ١٩٣٦

٥ - مقالات في صحف ومجلات

— إبراهيم حلمي : الطباعة في العراق ، مجلة لغة العرب ، الجزء الثاني ١٩١٢ —

١٩١٣

— الفونس صباغ (الأب) : تاريخ المطبعة الخملصية ، الرسالة الخملصية ، أكتوبر

سنة ١٩٥١ ، العدد الثامن ، السنة الثامنة عشرة

— توفيق اسكاروس : تاريخ الطباعة في وادي النيل ، مجلة الهلال ، السنة الثانية

والعشرون ، نوفمبر ١٩١٣ وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤

— ر . ب . سارجنت : الأدب العصري في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب ،

مجلة الأدب والفن ، الجزء الثاني ، السنة الثانية ١٩٤٤

— رفائيل بطي : تاريخ الطباعة العراقية ، مجلة لغة العرب ، الجزء الرابع

والخامس ١٩٢٦ — ١٩٢٧

تاريخ مطبعة الحكومة بالموصل ، مجلة لغة العرب ، الجزء الخامس ١٩٢٧

— شاهين مكاربيوس : المعارف السورية ، مجلة المقتطف ، الجزء السابع

والثامن من السنة السابعة ، شباط وآذار ١٨٨٣

— عبد المولى الطريحي : المطبوعات الحديثة في المنجف ، مجلة لغة العرب ، الجزء

السابع سنة ١٩٢٩

— فؤاد أفرام البستاني : الشماس عبد الله زاخر ، مجلة المسرة ، عدد ممتاز ، تموز

١٩٤٨

— لويس شيخو (الأب) : تاريخ فن الطباعة في المشرق ، مجلة المشرق ، السنة

الثالثة ، الأعداد ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ سنة ١٩٠٠ ،

والسنة الرابعة ، الأعداد ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ سنة ١٩٠١ ، والسنة

الخامسة ، الأعداد ٢ ، ٩ ، ١٨ سنة ١٩٠٢

— نجيب صروف : الطباعة والصحافة ، مجلة المقتطف ، الجزء الرابع والعشرون

سنة ١٩٠٠

- نسيب شهاب : النهضة العلمية في لبنان ، مجلة الرابطة الأدبية ، الجزء الأول ،
السنة الأولى ، أول أيلول ١٩٢١
- مجلة المقتطف : تاريخ الطباعة ، الجزء السادس ١٨٨١ — ١٨٨٢ ، من ص
٢٥ إلى ص ٢٨ ، ومن ص ٥٨ إلى ص ٦٢
- حروف الطبع العربية ، الجزء الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣
- الصينيون مخترعو الورق والطباعة ، الجزء التاسع والستون سنة ١٩٤١
- الليتوغرافيا أو طبع الحجر ، الجزء السادس ، سنة ١٨٨١ — ١٨٨٢
- جريدة الأهرام : المجموعة كلها
- المجلة المطبعية : ثلاثة أعداد صدرت سنة ١٩٠٩
- جريدة المؤيد : المجموعة كلها
- الوقائع المصرية : المجموعة كلها
- مجلة الهلال : السنة السادسة ، ديسمبر ١٨٩٧
- السنة الثامنة ، الجزء الخامس عشر : مايو ١٩٠٠
- السنة التاسعة ، مارس ١٩٠١
- مجلة عين شمس : السنة الأولى سنة ١٦١٧ قبطية
- نشرة الرهبانية الباسيلية الحلبية ، أيلول ١٩٤٨
- مجلة الطباعة (بيروت) : العدد الخامس ، ١٩٦٠

٦ — وثائق مطبوعة

- مجموعة القرارات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات والمنشورات (٩
مجلدات) ، بولاق ١٨٨٥ — ١٨٩٣

المصادر الفرنجية

١ - كتب المراجع

- Deny (J.) : Sommaire des Archives Turques; Le Caire 1930.
- Maunier (René) : Bibliographie Economique, Juridique et Sociale l'Egypte Moderne, Le Caire, Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale 1918.
- Michaud : Biographie universelle ancienne et moderne, Tomes XXVI et XLIII. Paris, chez Madame C. Desplaces, 1858. 2 Volumes in 8.

٢ - وثائق مطبوعة

- Budget du gouvernement pour l'Exercice 1883, Le Caire, Imprimerie Nationale de Boulaq.
- Budget du gouvernement Egyptien pour l'Exercice 1886, Le Caire, Imprimerie Nationale; Section des Finances, 1886.
- Commission de Révision des Budgets de l'Etat, Ministère des Finances, 1884.
- Correspondances de Napoléon I, Tomes IV, V et VI, Paris Imprimerie Nationale, 1858-1869; 3 Volumes in 4.
- Doin (G.) : L'Egypte de 1828 à 1830. Correspondance de France en Egypte. Roma 1935.
- Keller (A) : Correspondances, Bulletin et Ordres du jour de Napoléon T. IV.
- Perron (A) : Lettres du Docteur Perron du Caire et d'Alexandrie à Mr. Jules Mohl à Paris 1838-1854. Editées par Y. Artin Pacha. Le Caire 1911.
- Recueil de tous documents officiels du Gouvernement Egyptien. Imprimerie Nationale de Boulaq.
- Talamas (Georges bey) : Recueil de la Correspondance de Mohamed Ali, Khédive d'Egypte, du 1er. Avril 1807 au 12 Juillet 1848. Le Caire, Imprimerie Nationale 1913.

٣ - وثائق لم تطبع

- Ministère de la guerre; Archives historiques. Dépôt de la guerre. Paris.

٤ - بحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة

- Amin Sami Wassef : L'information et la presse officielle en Egypte, jusqu'à la fin de l'occupation française. Thèse de doctorat présentée à l'Université de Paris en 1952.
- Geiss (A.) : L'Histoire de l'Imprimerie en Egypte — Suite — Epoque Contemporaine. (conservé à la bibliothèque de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.)
- Sachot (Octave) : Rapport adressé à S.E. Victor Duruy, Ministre de l'Instruction Publique, sur l'état des sciences, des lettres et de l'instruction publique en Egypte, dans la population indigène et dans la population européenne. Paris 1868. (Autographie).

٥ - الكتب

- Annuaire de la République Française pour l'an VII. Le Kaire, Imprimerie Nationale, an VIII.
- Bourrienne (Louis — Antoine Fauvelet de) : Mémoires sur Napoléon, Le directoire, le consulat, l'empire et la restauration. Tome II. Paris, Ladvocat, 1829. 1 Volume in 8.
- Boutigny (Henri) : L'Homme propose ... Le Caire 1950.
- Bowring : Report on Egypt and Candia. London 1840.
- Brocchi (G. B.) :
Giornale delle Osservazioni fatte ne' viaggi in Egitto, nella Siria e nella Nubia, Vol. I. Bassano 1841.
Giornale Esteso in Egitto nella Siria E nella Nubia, Vol. I. Bassano 1841.
- Burckhardt (J.) : Travels in Syria and Holy Land 1822.

- Cadalvène et Breuvery : L'Egypte et la Nubie. Paris 1841.
- Carra de Vaux : Les penseurs de l'Islam, Tome V, Les sectes, le libéralisme moderne. Paris, Paul Gauthner, 1936, 1 Volume in 16.
- Carret (Jean-Marie) : Voyageurs et écrivains français en Egypte. Tome I. Le Caire, Institut français d'Archéologie orientale, 1932, 1 Volume in 4.
- Carter (Thomas Francis) : The invention of printing in China and its spread westward, New York, Columbia University Press 1925.
- Charles-Roux (François) : Bonaparte Gouverneur d'Egypte. Paris, Librairie Plon 1936.
- Charon (le père Cyrille) : Histoire des patriarchats melkites (Alexandrie, Antioche, Jérusalem), Tome III, les institutions. Rome, Forzani et Cie, Imprimeurs du Sénat, 1909.
- Crosthwaite : Report on government printing and stationary for the financial year 1922-1923.
- De Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Tomes XIV et XVI.
- Deherain (Henri) : Dans Hanotaux : Histoire de la nation égyptienne, Tome V. L'Egypte turque, pachas et mameluks du XVI au XVIII siècle. L'expédition d'Egypte du général Bonaparte. Paris, Plon 1937, 1 Volume in 4.
- Delaroque : Voyage au Liban et Syrie. Paris 1776.
- Desgenettes : Souvenirs d'un médecin de l'expédition d'Egypte. Paris 1893. Un volume in 16.
- Dor (bey) : L'instruction publique en Egypte, Paris 1872.
- Driault (Edouard) : Le règne de Mohamed Ali, dans "Précis d'histoire d'Egypte, Tome III".
- Dupont (Paul) : Histoire de l'Imprimerie. Imprimerie Paul Dupont. Paris 1854.
- Edmond (Charles) : L'Egypte à l'Exposition Universelle de 1867.
- Galland (Antoine) : Tableau de l'Egypte.
- Gaulmier (Jean) : L'idéologue, Volney, Imprimerie Catholique, Beyrouth 1951, 1 Volume in 8.
- Gyffard (P.) : Les Français en Egypte.
- Goin : L'Egypte au dix-neuvième siècle.
- Guemard (Gabriel) : Une œuvre française. Les réformes en Egypte

d'Ali bey El Kébir à Mohamed Ali. Le Caire, Imprimerie P. Barbey, 1936, 1 Volume in 8.

- Hamont (P.N.) : L'Egypte sous Mehemet Ali, Tome II. Paris 1843.
- Hartmann (M.) : The arabic press of Egypt 1899.
- Institut français d'Archéologie orientale de 1881-1909, Imprimerie de l'Institut 1909.
- Jock (R.P. Timothée) : Jésuites et Chouéirites ou la fondation des religieuses basiliennes chouérites de Notre - Dame de l'Annonciation à Zouk - Mikail, Liban (1730-1746). Chez l'auteur, 45 Broad Street, Central Falls, R.I. (U.S.A.) Sans date d'impression.
- La Description de l'Egypte ou Recueil des observations et des recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'expédition de l'armée française, Tome XVI et XVIII, Paris, imprimerie de C.L.F. 1826, 2 Volumes in 8.
- Lane (Edward William) : An account of the manners and Customs of the modern egyptians, Written in Egypt during the years 1833, 1834 and 1835. London 1944. Everyman's Library Edition.
- Limongelli (S.) : L'Arte italiana nella stamperia nazionale d'Egitto. Cairo 1911.
- Lindry (Lord) : Letters on Egypt and the Holy Land. 1818.
- Lindsay (Lord) : Letters on Egypt, Edom and the Holy Land, vol. I. London, Henry Colburn 1838.
- Lushington (Mrs. Charles) : Narrative of a journey from Calcutta to Europe by way of Egypt, in the years 1827-1828. London, John Murray, 1829.
- Mengin (Félix) :
 Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed-Ali. Deux volumes. Paris 1823.
 Histoire sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed-Ali. Paris, 1839.
- Merruau : L'Egypte Contemporaine. Paris 1858.
- Michaud (M.) et Poujoulat (M.) : Correspondance d'Orient (1830-1831). Tome III et VII. Bruxelles 1841.

- *Ministry of Finance, Survey of Egypt : A short description of the reproduction office activities.* Giza (Orman), Egypt 1946.
- *Ministry of Finance, Survey of Egypt : Report on the Work of the Survey of Egypt 1927-1928.* Published by order of Hussein Sirry bey, Surveyor General of Egypt. Cairo Government Press 1929.
- *Ministry of Finance, Survey of Egypt : Report on the work of the Survey of Egypt 1928-1929.* Published by order of Hussein Sirry bey, Surveyor General of Egypt. Cairo Government Press 1931.
- *Munier (Jules) : La presse en Egypte,* Le Caire 1930.
- *Murray (G.W.) : The Survey of Egypt, 1898-1948.* Survey of Egypt Press 1950.
- *Nasralla (père Joseph) : L'Imprimerie au Liban,* Imprimerie Saint-Paul, Harissa, Liban.
- *Paton (A.A.) : A history of the egyptian revolution. Vol. I & II,* London 1863.
- *Planat (Jules) : Histoire de la régénération de l'Egypte Lettres écrites du Kaire à Mr. le Comte Alexandre de Laborde.* Paris 1830, avec 4 planches in 8.
- *Ramadan (A.M.S.) : Evolution de la législation sur la presse en Egypte,* Paris 1935.
- *Reybaud et Vaulabelle : Histoire de l'Expédition Française en Egypte.*
- *Reynold A. Nicholson (M.A.) : A Literary history of the arab,* London 1930.
- *Rigault (A) : Le général Abdalla Ménou et la dernière phase de l'expédition d'Egypte.* Paris 1911.
- *Ronchette (Alexandre) : L'Egypte et ses progrès sous Ismail pacha,* Marseille 1867, in 8.
- *Rousseau (M.F.) : Kleber et Ménou en Egypte, Août 1799 — Septembre 1801.* Paris 1900.
- *Saint-John (James Augustus) : Egypt and Mohammed Ali, or, Travels in the Valley of the Nile.* London, Longman 1834, 2 vols.

- Saint John : Egypt and Nubia, London 1845. Vol. I.
- Van Berchem : Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Tome I, Extrait des mémoires de la mission Archéologique française du Caire, Paris Leroux, 1894, 1 Volume in 8.
- Volney (C.F.) : Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785.
- Wiet (Gaston) : Les inscriptions arabes d'Egypte (Extrait des comptes-rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles. lettres, 1913). Paris, A. Picard, 1913, 1 Volume in 8.
- Yates (W.H.) : The modern history and condition of Egypt, 2 Volumes London 1843.

٦ - الدوريات

- Le Courrier de l'Egypte 1798-1801.
- La Décade Egyptienne 1798-1801.
- Le Bosphore Egyptien.
- La Bourse Egyptienne.
- L'Art Graphique en Egypte.

٧ - مقالات في المجلات العلمية

- Arminjon : Les universités musulmanes d'Egypte, Revue de Paris, Tome V, 1904.
- Belin (François-Alphonse) : Notice nécrologique et littéraire sur Marcel (1776-1854). Journal asiatique, 5ième série, Tome III, 1854.
- Bianchi (T.) : Catalogue général des imprimés de Boulac. Journal asiatique du 17 décembre 1836, Vol. I, 4ième série, Tome II.
- Bonola (F.) : Una visita a Mohamed Ali nel 1822. La prima stamperia et il primo giornale. Revue internationale d'Egypte, Tome II, No. 2, Octobre 1905.

— Canivet (R.G.) :

L'expédition d'Egypte. La commission des sciences et des arts. La revue internationale d'Egypte, Tome III, No. 1, Janvier 1906.

L'expédition d'Egypte. La bibliothèque de l'expédition, La revue internationale d'Egypte, Tome IV, No. 4 et 5, Août — Septembre 1906.

L'imprimerie de l'expédition française, Bulletin de l'Institut Egyptien, série 5, Tome III, 1909.

— Cattai (J.A.) : Note sur la fabrication du papier en Egypte, Egypte Contemporaine, VIII, 1917.

— Fevret (Maurice) : Essai de délimitation du proche et du moyen orient, Revue de Géographie de Lyon, 1952, No. 2.

— Geiss (Albert) :

Histoire de l'imprimerie en Egypte, 1^{ière} partie, "L'imprimerie de l'expédition française en Egypte". Bulletin de l'Institut Egyptien, 5^{ième} série, Tome I, 1907.

Histoire de l'imprimerie en Egypte, 2^{ième} partie, "L'établissement typographique du pacha. Les débuts de l'imprimerie de Boulac." Bulletin de l'Institut Egyptien.

— Peron (A.) : Lettres sur les écoles et l'imprimerie du pacha d'Egypte. Journal Asiatique, 4^{ième} série, Tome II, 1843.

— Reinaud : De la gazette arabe turque imprimée en Egypte. Journal asiatique, 2^{ième} série, Tome VIII 1831.

— Ronzevalle (S.J.) : L'imprimerie catholique de Beyrouth et son œuvre en Orient, 1853-1903. Fascicule supplémentaire des Relations d'Orient, Bruxelles, Polleunis et Ceuterick, imprimeurs, 37 rue des Ursulines, 1903.

— Taillefer (A.) : Notice historique et biographique sur J.J. Marcel (1776-1854). Tirage à part d'un article publié dans La Revue d'Orient, de l'Algérie et des Colonies. Bulletin des Actes de la Société Orientale Algérienne et Coloniale de France, Tome XVI, 1854, 1 Volume in 8.

— Yacoub Artin pacha : Etude statistique sur la presse égyptienne, Bulletin de l'Institut Egyptien 1905.

فهرس الكتاب

صفحة

مقدمة الطبعة الأولى	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٩

الباب الأول

نشأة الطباعة في العالم	١١
------------------------	----

الطباعة عند الصينيين والكوريين - الطباعة بالألواح الخشبية - أسباب تأخر ظهور هذا الاختراع - عدم كفاية إنتاج النساخ ص ١٣ - طبع أوراق اللعب في ألمانيا ، يوحنا جوتنبرج ص ١٤ - الحروف النحاسية ، كتاب مرآة الخلاص ، بطرس شويقر ، التوراة ذات الاثني والأربعين سطراً ، فوست ، الحروف المصنوعة من الرصاص ص ١٥ - إفلاس جوتنبرج ، حل الشركة بينه وبين فوست ، انتشار الطباعة في أوروبا ص ١٦ - دخول الطباعة إيطاليا وبروسيا ، طبع النوتات الموسيقية ، دخول الطباعة إنجلترا ، ولیم كوكستون ، دخول الطباعة بلجيكا وهولندا ص ١٧ - دخول الطباعة فيينا وبولندا والدانمرك والسويد وأسبانيا والبرتغال وتركيا ، أمر السلطان بيازيد الثاني ، الطباعة بالحروف العربية ، مطبعة دير قزحيا في لبنان ص ١٨ - الشمس عبد الله زاخر ، مطبعة مار يوحنا الصابغ ، البطريك دباس ومطبعة حلب العربية ، دخول الطباعة مصر والعراق وفلسطين واليمن والحجاز ص ١٩ .

الباب الثاني

الطباعة في تركيا ، نشأتها وتطورها	٢١
-----------------------------------	----

الفصل الأول : المحاولة الأولى ١٤٨٥ - ١٨٠٠	٢٣
---	----

سبب محاربة السلاطين للمطبعة ، مطبعة إسحق جرسون ، السلطان بيازيد ص ٢٣ - السلطان سليم ، مطبوعات مطبعة إسحق جرسون ص ٢٤ - سعيد أفندي ، إبراهيم المجري (متفرقة) ، صدور فرمان الموافقة على إنشاء أول مطبعة ص ٢٥ - مطبوعات مطبعة الأستاذة الأولى ، اضمحلال المطبعة وتوقفها ص ٢٦ - إعادة فتحها وتجديدها ، السماح بطبع كتب الشرع ، السلطان سليم خان الثالث واهتمامه بالمطبعة ص ٢٧ .

الفصل الثاني : السير في الركب ١٨٠٠ - ١٩٦٥ . . . ٢٩

تعرّ الطباعة وتقدمها في القرن التاسع عشر ، رضا العلماء عنها ص ٢٩ - السباح
للمطبعة السلطانية بطبع كل الكتب الدينية ما عدا القرآن ، المطبعة اليونانية
والمطبعة الأرمنية والمطبعة اليهودية ، قانون المطابع في سنة ١٨٥٧ ، صحيفة الجوائب
وأحمد فارس الشدياق ص ٣٠ - مطبعة الجوائب وسليم الشدياق ، مطابع سلاويك
واسكدار وأزمير ، إلغاء السلطنة وانتخاب مصطفى كمال واستخدام الحروف
اللاتينية بدلا من الحروف العربية ص ٣١ - تقدم الفن المطبعي ص ٣٢ .

الباب الثالث

الطباعة في لبنان ٣٣

الفصل الأول : نشأة الطباعة في لبنان ١٦١٠ - ١٨٣٤ . . . ٣٥

المطبعة البابوية ، مطبعة مدينتي ، مطبعة چاك لونا ص ٣٥ - مطبعة دير قزحيا
ص ٣٦ - كتاب مزامير قزحيا ، توقف المطبعة وأسبابه ، محاولات أخرى لم تنجح
ص ٣٨ - مطبعة دير مار يوحنا الصايغ ١٧٣٣ ، عبد الله زاخر ص ٣٩ -
زيارة فولني للمطبعة ص ٤١ - مطبعة القديس جاورجيوس ١٧٥١ ، الشيخ يونس
نقولا الجبيل ، كتاب المزامير ص ٤٤ - مطبعة دير قزحيا الثانية ص ٤٥ .

الفصل الثاني : رسوخ الطباعة ١٨٣٤ - ١٨٦٩ . . . ٤٧

المطبعة الأمريكية بيروت ١٨٣٤ ص ٤٧ - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٤٨
الرهبان اليسوعيون ص ٥٠ - مطبوعات المطبعة الكاثوليكية ص ٥٢ - نهضة
الآداب العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إنشاء المدارس والمطابع ،
المطبعة السورية ، خليل الخوري ، المطبعة الشرقية ، المطبعة العمومية ص ٥٣ ،
٥٤ - المطبعة السورية ، المطبعة اللبنانية ، الرهبان المخلصيون ، المطبعة الخلصية ،
القس لويس الصابونجي ، خليل سركيس ، مطبعة المعارف ، مطبعة شرفة ص ٥٥
انتشار المطابع في الجبل ، تقدم مطابع الأفراد ص ٥٦ و ٥٧ .

الفصل الثالث : تقدم الطباعة وكفاحها ضد السلطات ١٨٧٠ - ١٩١٨ ٥٩

تأثر الطباعة بافتتاح قناة السويس ، توقف مطبعة دير مار يوحنا الصايغ ص ٥٩ ،
٦٠ - تقدم المطبعة الأمريكية ، المطبعة الكاثوليكية تدخل المحرك البخاري
مجلة المشرق ص ٦١ - زيادة عدد المدارس ، الجمعيات والنوادي الأدبية ص ٦٢ -
مصادرة المطبعة الكاثوليكية في الحرب العالمية الأولى ص ٦٣ - خليل سركيس أول

من يستحضر مسابك حروف من الطراز الجديد ، إنشاء أول مطبعة حكومية في بيروت سنة ١٨٨٥ ص ٦٥ - انخفاض عدد المطابع بعد هذا التاريخ ، فرض الرقابة على الصحف ، تدهور الحالة الاقتصادية ص ٦٦ - أول محرك يدور بالكيروسين في لبنان ص ٦٧ - لبنان سيد الطباعة في الشرق العربي حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ضعف حركة الطباعة خارج بيروت ص ٦٨ - إلغاء الرقابة بعد سنة ١٩٠٨ ، تكوين النوادي والجمعيات السياسية وارتفاع عدد الصحف ، إلغاء قانون ١٨٨٥ ، ظهور مطابع جديدة ، سياسة جمعية الاتحاد والترقي وتعطيل الصحف ، الرقابة على المدارس والمطابع ، إغلاق بعض المطابع ص ٧٠ - المطبعة البولسية ١٩١٠ ، الحرب العالمية الأولى ، إلغاء نظام الحكم الذاتي ، إغلاق المدارس ، فرض الرقابة على الصحف وتعطيل بعضها وإعدام أصحابها ص ٧١ ، ٧٢

الفصل الرابع : نهضة بعد كبوة ١٩١٩ - ١٩٣٩ . . . ٧٣

إعلان الهدنة ، كثرة المطبوعات الفرنسية ، هجرة الأرمن إلى لبنان وظهور المطابع الأرمنية ، ازدياد عدد المطابع التجارية ، استيراد آلات الطباعة الحديثة ، اختفاء المطابع القديمة ، إعادة فتح المطبعة الكاثوليكية ص ٧٣ - ظهور المحركات الكهربائية ، أول آلة لينوتيب في لبنان ص ٧٤ - أول كتاب يطبع في لبنان بالحروف العبرية ، إغلاق المطبعة الرسمية ، مطابع دار المندوب السامي ص ٧٥ - تأسيس أول مدرسة لتعليم الطباعة ص ٧٧ - تقدم الفن المطبعي ابتداء من ١٩٣٠ ، البحث عن الجمال الفني ، طبع غلافات الصحف بالألوان ، تقدم الزنكغراف ص ٧٨ .

الفصل الخامس : العهد الجديد ١٩٣٩ - ١٩٥٢ . . . ٧٩

شركة « لي لتر فرانسيز » ص ٧٩ - مطبوعات الدعاية ، ظهور مطابع جديدة ، نقابة عمال المطابع والمجلدين ، نقابة اتحاد أصحاب المطابع ص ٨٠ - دور النشر ص ٨٢ - المطبعة الكاثوليكية تدخل طباعة الأوفست في سنة ١٩٣٥ ص ٨٣ - المطبعة الأمريكية ، دار الكشف ، دار صادر وريحاني ص ٨٤ - المطابع العادية ص ٨٥ - المطابع التجارية ، مطابع الصحف ص ٨٦ - المطابع خارج بيروت ، المطابع الأرمنية ص ٨٧ - الزنكغراف ص ٨٨ .

الفصل السادس : الطباعة اليوم ١٩٥٣ - ١٩٦٥ . . . ٩١

أول آلة لسبك العناوين وأول آلة حفر الكتروني (كليشوجراف) حروف الطباعة الجديدة ، الحروف العربية الموحدة ص ٩١ ، نشاط نقابة أصحاب المطابع ، المطبعة الأمريكية تصبح المطبعة الإنجيلية الوطنية ، آلة المونوفوتو ص ٩٢ - قانون مطبوعات ١٩٦٢ ، جريدتا الحياة والنهار تطبعان بالأوفست ص ٩٣ - آلة الجستورايتير ، الخاتمة ص ٩٤ .

الباب الرابع

الطباعة في سوريا ٩٩

الفصل الأول : نشأة الطباعة في سوريا ١٧٠٦ - ١٨٦٧ . . . ١٠١

مطبعة البطريرك دباس بحلب ص ١٠١ - مطبعة بلفنطى الحجرية بحلب ، مطبعة
الدومانى بدمشق ص ١٠٤ - مطبعة حلب المارونية ، مطبعة ولاية سورية بدمشق
ص ١٠٥ - مطبعة جريدة فرات بحلب ص ١٠٦ .

الفصل الثانى : محاولات حكومية وفردية ١٨٦٨ - ١٩١٨ . . . ١٠٧

المطبعة العزيزية بحلب ، تضيق الحكومة الخناق على المطابع ، المطبعة الحفنية
بدمشق ص ١٠٧ ، مطبعة ولاية سورية ، مطبعة حبيب أبو خالد ص ١٠٨ -
مطبعة نهج الصواب ، المطبعة الخيرية ، مطبعة مجلس المعارف السورية ص ١٠٩
مطبعة روضة الشام ، مطبعة الفوائد بحلب ، المطبعة الحميدية بدمشق ، المطبعة
العلمية بدمشق ص ١١٠ - مطبعة الاتحاد بدمشق ص ١١١ - سوء حالة الطباعة
في سوريا وتضييق الحكومة العثمانية الخناق على الحريات ، مطبعة نخان بدمشق ،
مطبعة بدائع الفنون ، مطبعة الإنصاف ، مطبعة الترقى ص ١١٢ - سياسة جمعية
الاتحاد والترقى التعصبية ، تكوين الجمعيات العربية الوطنية ، مقاومة الاتحاديين
لهذه الجمعيات ص ١١٣ - الحرب العالمية الأولى ، الثورة العربية ، دخول الأمير
فيصل دمشق ص ١١٤ .

الفصل الثالث : تقدم وازدهار ١٩١٩ - ١٩٣٩ . . . ١١٥

احتلال الفرنسيين دمشق وتنكيلهم بالعرب الأحرار ، الثورة السورية الكبرى ،
الأحداث تحول دون تقدم الطباعة ، انتقال الحركة المطبعية إلى بيروت ص ١١٥ -
مطبعة الفيحاء ، مطبعة بدائع الفنون ، مطبعة الترقى ، مطبعة الولاية ص ١١٦ -
مطبعة المستقبل ، مطبعة البرهان بدمشق ، مطبعة ابن زيدون ، مطبعة جريدة
الأيام ص ١١٧ - المطبعة الهاشمية ، الزنكغراف ، نقابة عمال المطابع ص ١١٨
نقابة أصحاب المطابع ، مسك المطبعة المارونية ص ١١٩ .

الفصل الرابع : استقلال وتجديد ١٩٤٠ - ١٩٦٥ . . . ١٢١

الحرب العالمية الثانية ، استقلال سوريا ، إعادة الدستور ، المطالبة بجلاء القوات
الفرنسية ص ١٢١ - تأثر بعض مطابع سوريا بالحرب ، التفكير في إصلاح
المطبعة الحكومية ص ١٢٢ - أقسام مطبعة الجمهورية السورية ، مطبعة الجامعة
السورية ص ١٢٣ - مطبعة ابن زيدون ، إدخال طباعة الهليوجرافور ، مطبعة
جريدة الأيام بدمشق ، المطبعة الهاشمية ص ١٢٤ - مطبعة التقدم في حلب ،
المطابع في حمص ، ورش الحفر ، صناعة الحروف ص ١٢٥ - خاتمة ص ١٢٦ و
١٢٧ .

الباب الخامس

الطباعة في الجمهورية العربية المتحدة ١٢٩

الفصل الأول : مطابع الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١ ١٣١

الأسباب التي دعت بونابرت إلى إحضار مطبعة معه إلى مصر ، الاستعدادات في فرنسا ص ١٣١ - مارك أوريل صاحب أول مطبعة يملكها فرد في مصر ، المستشرق حنا يوسف مارسيل ص ١٣٤ - البيان العربي ، البيان الفرنسي ، إنزال المطبعة إلى البر ، أول مطبوع بالإسكندرية ، أول مطبوع بالقاهرة ص ١٣٥ - الكورنييه دياجيت و لاديكار اجبسين ص ١٣٦ - مارك أوريل يبيع مطبعته للحملة الفرنسية ويعود إلى وطنه ص ١٣٨ - المطبعة الأهلية ، حنا يوسف مارسيل ، تنظيم المطبعة ص ١٣٩ - صناعة الورق والخبر في مصر ص ١٤٠ - إعادة المطابع والحروف إلى فرنسا بعد جلاء الحملة عن مصر ص ١٤١ - عدم استفادة المصريين من هذه المطابع ص ١٤٢ .

الفصل الثاني : العهد الأول ١٨١٩ - ١٨٤٠ ١٤٥

أسباب تأخر عودة ظهور الطباعة في مصر ص ١٤٥ - البدء في التفكير في إدخال الطباعة في مصر ، سفر أول بعثة لهذا الغرض ، المطابع الرسمية ، مطبعة بولاق ، تاريخ تأسيسها ص ١٤٦ - نقولا مسابكي ص ١٤٨ - مستخدمو المطبعة ص ١٥٢ - حروف المطبعة ص ١٥٥ - الطابعات ، قسم التجليد ، رداءة الإخراج ص ١٥٨ - المصححون ، عمال المطبعة ص ١٥٩ - الوقائع المصرية ص ١٦١ - الطبع لحساب الأفراد ، الأخطاء المطبعية ، أول كتاب موسيقي ، مصروفات المطبعة ص ١٦٢ - الأجانب والمطبعة ص ١٦٣ - مطبوعات بولاق ص ١٦٥ - مطبعة مدرسة الطب بأبي زعبل ص ١٦٥ - مطبعة الطوبجية بطرة ، مطبعة ديوان الجهادية ص ١٦٧ - مطبعة الديوان الخديوي ص ١٦٩ - مطبعة القلعة ص ١٧٠ - مطبعة رأس التين بالإسكندرية ص ١٧١ - مطبعة مكتب الموسيقى ، مطبعة جزيرة كريد ص ١٧٢ - مطابع الأقاليم ص ١٧٣ - مطابع الأجانب ، مطبعة إسكندر دراجي ص ١٧٤ - مطابع المصريين ، مطبعة عبد الرازق ص ١٧٥ .

الفصل الثالث : تدهور يتلوه تقدم ١٨٤١ - ١٨٨٢ ١٧٧

المطابع الرسمية ، مطبعة بولاق ، انهيار أحلام محمد علي بعد معاهدة لندن وأثرها على المطبعة ص ١٧٧ - قاموس الفيروزبادي ، إهداء كتب بولاق إلى ملوك أوروبا ص ١٧٨ - ولاية إبراهيم باشا ، عباس باشا ، تأثير المطبعة بحكم عباس ص ١٨٠ - انخفاض عدد عمال المطبعة ، ولاية سعيد ص ١٨١ - تعطيل المطبعة سنة ، إعادة فتحها ، إهداؤها إلى عبد الرحمن رشدي ص ١٨٤ - تجديد آلات المطبعة ، تولي إسماعيل الحكم ، شراء الدائرة السنوية للمطبعة ص ١٨٥ - شراء الآلات الحديدية من أوروبا ص ١٨٦ - طبع الطوابع الأولى للبريد ، معرض باريس ص ١٨٧ - طبع أول كتاب باللغة الإيطالية ص ١٨٨ - الهزات ،

صفحة

الطباعة بالألوان ، تأثر المطبعة بالأزمة المالية ، انتقال ملكيتها من الدائرة السنية إلى الحكومة المصرية ص ١٨٩ - قيام الثورة العرابية ، مطبعة القلعة ص ١٩٠ - مطبعة المهندسخانة ، مطبعة ديوان المدارس ، مطبعة أركان حرب الجهادية ص ١٩١ طبع الخرائط ص ١٩٣ - ضم مطبعة أركان حرب الجهادية إلى بولاق ، مطبعة المدارس الحربية ، مطبعة الداخلية ص ١٩٥ - مطابع الأجانب ، المطبعة الأوروبية بالإسكندرية ، مطبعة أمبلوف بالقاهرة ، مطبعة كاستلي ص ١٩٦ - مطبعة بناسون ، مطبعة أنطوان موريس ص ١٩٧ - المطبعة الفرنسية ببور سعيد ، المطابع الحجرية ص ١٩٨ - المطبعة الخديوية ، المطبعة الفرنسية ، المطبعة الأمريكية ، مطبعة كاستاليولا ، مطبعة دي لاروكا ص ١٩٩ - المطبعة الفرنسية بالقاهرة ، مطابع المصريين ، المطبعة الميمنية ص ٢٠٠ - مطبعة ملاطيه لى محمود محمد ، مطبعة محمد عثمان الونائى ، المطبعة الأهلية القبطية ص ٢٠١ - السيد محمد هاشم ، المطبعة الوهبية ص ٢٠٢ - مطبعة قدرى باشا ، مطبعة وادى النيل ، مطبعة جمعية المعارف ، المطبعة الشرفية ص ٢٠٣ - مطابع الصحف ، مطبعة وادى النيل ص ٢٠٤ - مطبعة جريدة كايرون ، مطبعة جريدة الأهرام بالإسكندرية ص ٢٠٦ - مطبعة البوسفور اجبسيان ببور سعيد ص ٢٠٩ .

الفصل الرابع : عهد التفوق ١٨٨٣ - ١٩٢٤ ٢١١

المطابع الرسمية ، مطبعة دولاك ص ٢١١ ، تعيين آدمون بانجيه مديراً لها ، تسميتها بالمطبعة الأهلية ، إدخال الستريوتايب والطلاء بالكهرباء أو الترسيب والحفر على الزنك ص ٢١٣ - طبع الصور الفوتوغرافية ص ٢١٧ - تولى شيلاو إدارة المطبعة ، آلة طباعة تطبع وجهى الورقة دفعة واحدة ، المونوتيب ص ٢١٨ - إصلاح الحروف العربية ص ٢١٩ - لائحة الطباعة ، تعيين تريلوفى مديراً للمطبعة ص ٢٢٤ - مارسة لتعليم الطباعة ص ٢٢٥ - مطبعة المهندسخانة ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، مطبعة نظارة المالية ص ٢٢٦ - مطبعة ديوان الأوقاف ص ٢٢٧ - مطابع سكك حديد الحكومة المصرية ص ٢٢٨ - مطبعة مصلحة المساحة ص ٢٢٩ طبع طوابع البريد ، مطبعة الخاصة الملكية ص ٢٣٠ - مطبعة دار الكتب ص ٢٣١ - مطابع الأجانب ، المطبعة العمومية ص ٢٣١ - مطبعة شركة النشر المصرية ، مطبعة كاستاليولا ، مطبعة هاريسياس ، مطبعة ماتاندوس ، المطابع الحجرية ، مطبعة لاجودا كيس ، مطبعة برس ص ٢٣٢ - مطبعة بوهم واندر ، مطبعة موناكو ، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ص ٢٣٣ - مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع ، مطبعة مورافتي ، مطبعة بروكاشيا ص ٢٣٤ - مطبعة بول باربيه ، مطبعة موريس جرونبرج ص ٢٣٥ - مطابع المصريين ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، المطبعة الأهلية القبطية ، مطبعة الوطن مطبعة محمد درى باشا ص ٢٣٦ - مطبعة على عزى ، مطبعة الشيخ حسن الطوخى ، مطبعة المعارف ومكتبتها ص ٢٣٧ - المطبعة العمومية بطنطا ، المطبعة الشدياقية ، مطبعة جمعية التوفيق القبطية ، إبراهيم اليازجى ، وحرف بنط ٢٠ ص ٢٣٩ - أول مطبعة لينوتيب أفرنجية ، نشرة مطبعية باللغة الفرنسية ، مجلة مطبعية عربية ص ٢٤٠ - مطبعة الرغائب ، اختراع آلة لطبع التجارب ، عدد المطابع فى سنة ١٩٠٩ ، المطبعة المصرية الأهلية ، مطبعة رعسيس ، مطبعة محمد عجينة بزقى ،

المطبعة المصرية ، شركة مطبعة مصر ص ٢٤٢ - مطابع الصحف ، مطبعة وادي النيل ، مطبعة الأهرام ، مطبعة جاك صرير ص ٢٤٤ - مطبعة صحيفة الإيجيشيان جازيت ، مطبعة المقتطف والمقطم ، أول آلة جمع عربية ص ٢٤٥ - مطبعة المؤيد ، أول مطبعة روتاتيف ص ٢٤٦ - مطبعة التأليف ، مطبعة الهلال ، مطبعة جريدة مصر ص ٢٤٨ - مطبعة صحيفة البصير ، مطبعة اللواء ص ٢٤٩ - مطبعة البورص لإيجسيين ص ٢٥٠ - مطبعة صحيفة قوس ، مطبعة جريدة ليحبت ، مطبعة الجورنال دي كير ، مطبعة شركة النشر المصرية ، مطبعة الجريدة ص ٢٥١ - مطبعة اللطائف المصورة ، مطبعة الجريدة التجارية المصرية ، مطبعة جريدة السياسة ، مطبعة جريدة البلاغ ص ٢٥٢ .

٢٥٥ . . . الفصل الخامس : الطباعة قوة ١٩٢٤ - ١٩٣٩

المطابع الرسمية ، مطبعة بولاق ، تولى اميل فورجيه إدارة المطبعة ص ٢٥٥ - الحفر على الصلب ، حروف التاج ، أول آلة انترتيب إفرنجية في المطبعة ، ثورة عمال المطبعة ص ٢٥٦ - إيفاد البعثات ، البعثات المرسل إليها ، مطبعة وزارة الداخلية ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، مطبعة وزارة الأوقاف ، مطبعة السكة الحديدية ص ٢٥٧ - مطبعة مصلحة المساحة ، مطبعة الأوقاف الملكية ، مطبعة دار الكتب الأهلية ص ٢٥٨ - مطبعة وزارة المعارف السرية ، مطبعة جامعة القاهرة ، مطابع الأجانب : مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع ص ٢٥٩ - مطبعة مورافتلي ، مطبعة أنجلو بروكاشيا ، مطبعة بول باربيه ، مطبعة جرونبرج ، مجلة آر جرافيك الفرنسية ، تناقص المطابع الأجنبية ص ٢٦٠ - مطابع المصريين : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مطبعة المعارف ، مطبعة الرغائب ، مطبعة وعيسى ص ٢٦١ - المطبعة المصرية شركة مطبعة مصر ، مطبعة الحاج عبد السلام سليمان القناوي ، مطبعة محمد خلف ص ٢٦٢ - مسابك الحروف ، الحفارون ، مطابع محرم ، صناعة ورق اللعب ، مطابع الصحف : مطابع الأهرام ص ٢٦٣ - مطابع المقطم ، مطابع الهلال ص ٢٦٤ - مطبعة جريدة مصر ، مطبعة جريدة البصير ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، مطابع اللطائف المصورة ص ٢٦٥ - مطبعة جريدة السياسة ، مطبعة البلاغ ص ٢٦٦ - مطبعة جريدة الشعب ، مطبعة جريدة المرشد ص ٢٦٧ - مطبعة جريدة المصري ، مطبعة الجورنال ديجبت ص ٢٦٨ .

٢٦٩ . . . الفصل السادس : التجديد ١٩٤٠ - ١٩٥٢

المطابع الرسمية : مطبعة بولاق ص ٢٦٩ - مطبعة السكك الحديدية ، مطبعة مصلحة المساحة ص ٢٧٠ - مطبعة جامعة القاهرة ص ٢٧١ - مطابع الأجانب : هبوط عدد هذه المطابع ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ص ٢٧٢ - مطبعة مورافتلي ، مطبعة كاستليولا ، مطابع المصريين : مطبعة المعارف ص ٢٧٣ - شركة مطبعة مصر ص ٢٧٥ - مطبعة خلف وولده ، مطابع محرم بالإسكندرية ، مصنع عارف إبراهيم الصوص ص ٢٧٥ - مطابع الصحف : مطابع الأهرام ، مطابع دار الهلال ص ٢٧٦ - مطابع جريدة البصير ، مطابع شركة الإعلانات

صفحة.

الشرقية ، مطابع اللطائف المصورة ص ٢٧٧ - مطابع جريدة البلاغ ، مطابع
جريدة المصري ، مطابع الزمان والجورنال ديجيت ، مطابع أخبار اليوم ص ٢٧٨
أثر الصحافة في تقدم الطباعة ص ٢٨٠ .

٢٨٣ . . . الفصل السابع : الطباعة للشعب ١٩٥٢ - ١٩٦٥ . . .

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ص ٢٨٣ - محاولة تطوير الحروف العربية
مطبعة المساحة العسكرية ، مطبعة هيئة البريد ، مطابع مصلحة المساحة ص ٢٨٤
إدارة المطابع والتوريدات التابعة لسكك حديد مصر ، مطبعة جامعة القاهرة ،
مطبعة هيئة البريد ص ٢٨٥ - مطبعة البنك المركزي ، مطابع المعارف ، شركة
مطبعة مصر ص ٢٨٦ - الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢٨٧ - دار ومطابع
الشعب ص ٢٨٨ - مطابع مؤسسة الأهرام ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية
ص ٢٨٩ - مؤسسة دار الهلال ، مؤسسة روز اليوسف ص ٢٩٠ - مطبعة الزمان
والجورنال ديجيت ، مؤسسة دار أخبار اليوم ، مركز التدريب المهني لحرف
الطباعة ص ٢٩١ .

الباب السادس

٢٩٣ الطباعة في العراق

٢٩٥ . . . الفصل الأول : نشأة الطباعة في العراق ١٨١٦ - ١٨٦٩ . . .

مطبعة دار السلام ببغداد ص ٢٩٥ - سبب تأخر الطباعة في العراق ص ٢٩٦ -
مطبعة كربلاء الحجرية ، مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل ص ٢٩٧ - مطبعة
كامل التبريزي ببغداد ص ٢٩٨ - المطبعة الكلدانية بالموصل ص ٢٩٩ .

٣٠١ الفصل الثاني : الطباعة الرسمية تدخل الميدان . . .

مدحت باشا وإصلاحاته ، مطبعة الولاية ببغداد ص ٣٠١ - مطبعة الفيلق ،
مطبعة الولاية بالموصل ، مصادرة مطبعة الآباء الدومنيكيين في بداية الحرب العالمية
الأولى ص ٣٠٢ - المطبعة الحميدية ببغداد ، مطبعة بيخور ، مطبعة دير الزعفران ،
أول مطبعة بالبصرة ، مطبعة دار السلام ص ٣٠٤ - مطبعة دنكور ببغداد ،
مطبعة الشايندر ، مطبعة النجف ، مطبعة الآداب ، مطبعة الموصل ص ٣٠٤ -
أول صحيفة تنشر صوراً مطبوعة بالزنكغراف في العراق ص ٣٠٥ .

٣٠٧ . . . الفصل الثالث : بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩ . . .

مطبعة الرهبان الدومنيكيين ، مطبعة الحكومة بالموصل ، مطبعة نينوى ، مطبعة
الحكومة ببغداد ، المطبعة العلوية بالنجف ص ٣٠٨ - المطبعة السريانية ، مطبعة
العراق ، مطبعة شركة تايمس أوف ميزوبوتاميا ، مطبعة المساحة وأول مطابع
أوفست ، مطبعة التفيض ، مطبعة دار الشعب ، مطبعة الأهالي ، مطبعة الأعظمي
ص ٣٠٧ .

الفصل الرابع : ظهور المطابع الكبرى ١٩٤٠ - ١٩٥٨ . . . ٣١١

شركة الرابطة للطبع والنشر ، مطبعة شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ببغداد
ص ٣١١ - شركة التجارة والطباعة المحدودة ، مطبعة بغداد ، مطبعة الأوقاف
العراقية .

الفصل الخامس : نحو مستقبل أفضل ١٩٥٨ - ١٩٦٥ . . . ٣١٣

عدم اهتمام الحكومة بصناعة الطباعة قبل ١٩٥٨ ص ٣١٣ - نهضة طباعية ،
ص ٣١٥ - خاتمة ص ٣١٦ .

الباب السابع

الطباعة في فلسطين العربية والأردن واليمن والسعودية ٣١٧ . . .

الفصل الأول : فلسطين ١٨٣٠ - ١٩٦٥ . . . ٣١٩

مطبعة نسيم باق ، مطبعة الآباء الفرنسيين ص ٣١٩ - مطبعة لندن لانتشار
الإنجيل بين اليهود ، المطبعة الأرمنية ، مطبعة جمعية القبر المقدس اليونانية ،
مطبعة داويد ساسون ص ٣٢١ - مطبعة موسى شوان ، مطبعة كويشنا ، مطبعة
ابن يهوذا ص ٣٢٢ - مطبعة المرسلين الكنائسية الإنجيلية ، المطبعة الوطنية ،
مطبعة حنانيا ص ٣٢٣ .

الفصل الثاني : الأردن ١٩٢٢ - ١٩٦٥ . . . ٣٢٥

مطبعة خليل نصر ، مطبعة حكومة الشرق العربي ، المطبعة الوطنية ، مطبعة
الاستقلال ص ٣٢٥ - عدد مطابع الأردن اليوم ص ٣٢٦ . .

الفصل الثالث : اليمن ١٨٧٧ - ١٩٦٥ . . . ٣٢٧

مطبعة صنعاء ، مطبعة النهضة بتعز ص ٣٢٧ - مطبعة مقام الإمام ، مطبعة إدارة
المعارف ص ٣٢٨ - الطباعة بعد الثورة ص ٣٢٩ .

الفصل الرابع : العربية السعودية ١٨٨٢ - ١٩٦٥ . . . ٣٣١

مطبعة ولاية الحجاز ، المطبعة الأميرية ، مطبعة مكة ، مطبعة أم القرى ص ٣٣١
إرسال البعثات إلى مصر لتعلم الطباعة ، مطبعة الحكومة السعودية بمكة ، الشركة
العربية للطباعة والنشر ص ٣٣٢ ، مطبعة الحرم ، مطبعة جريدة المدينة المنورة ،
مطبعة مدرسة العلوم الزراعية ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجددة ، دار
الأصفهاني وشركاه ، مطبعة الفتح ، مطبعة فضل الرحمن ، مطبعة الشرق ص ٣٣٣

صفحة

تنظيم الصحافة ، نظام المطابع والمطبوعات ص ٣٣٤ - ظهور المطابع الكبيرة في المنطقة الشرقية ، مطابع المطوع ص ٣٣٥ - مطبعة زنكغراف المنطقة الشرقية ص ٣٣٦ .

الباب الثامن

- ٣٣٧ الطباعة في البحرين والكويت وقطر
- ٣٣٩ ١٩٦٥ - ١٩٣٨ : البحرين الأول : الفصل الأول
مطبعة البحرين ص ٣٣٩ - مطبعة آل مؤيد ، المطبعة الشرقية ، مطبعة النجاح ، المؤسسة العربية للطبع والنشر ص ٣٤٠ - مطبعة أوام ص ٣٤١ .
- ٣٤٣ ١٩٦٥ - ١٩٤٧ : الكويت الثاني : الفصل الثاني
مطبعة المعارف ، مطبعة دائرة المعارف ، دائرة المطبوعات والنشر ص ٣٤٣ - مطبعة دولة الكويت ص ٣٤٤ .
- ٣٤٧ ١٩٦٥ - ١٩٥٦ : قطر الثالث : الفصل الثالث
مطابع العروبة ص ٣٤٧ - مطبعة قطر الوطنية ، مطبعة أرفست ص ٣٤٨ .
- ٣٤٩ خاتمة
- ٣٥١ مصادر البحث ومراجعته

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر

